في الثقافة الإفرويمنية

أ.د. نزار غانم

أ. محمد سبأ

الإهداء

- إلى اليوم الذي يتجاوز فيه العقل والوجدان الحدود الجغرافية والمناطقية الضيقة.

الباحثان

(في الثقافة الإفرويمنية)
والبُعد التنويري

رغم الحدود الجغرافية التي تفصل بين شعوب العالم المختلفة، ورغم تنوُّع الأنظمة السياسية وتقاطعاتها، يبقى الإبداع الإنساني مع القوى الناعمة المتمثلة في الفنون، إضافة إلى التراث الإنساني (المادي وغير المادي) بمثابة حلقة الوصل التي تربط شعوب العالم بعضها ببعض، مؤكدة وحدة النوع الإنساني من ناحية، وأواصر الانتماء والمَحَبَّة من ناحية أخرى.

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي يحمل عنوان (في الثقافة الإفرويمنية) يُقدِّم لنا فيه الباحثان الأستاذ الدكتور نزار غانم، والأستاذ محمد سبأ جهدًا بحثيًّا موضوعيًّا في هذا المجال.

فيبدأ الكتاب ببحثين للدكتور نزار غانم حول التراث غير المادي في العلاقة القوية التي تربط إفريقيا باليمن، بدأها بالمدخل التاريخي، ثم أهم الآلات الموسيقية والأغاني والرقصات الشعبية التي تبرز أوجه التشابه بين الثقافة اليمنية والإفريقية، كما يستفيد من تخصصه الطبي في توظيف الهندسة الوراثية من خلال الحديث عن علم (الجينوم) الذي أكد وجود بعض الأصول الإفريقية لسكان بعض المدن الساحلية اليمنية.

ثم يتطرق الباحث الأستاذ محمد سبأ في أربعة مباحث إلى التراث المادي وغير المادي أيضًا، فتناول الحديث عن الملابس والحناء وتقاليد الأعراس وعلاقة الحضارة المصرية منذ عهد حتشبسوت باليمن وإفريقيا، وأن ملك بلاد بونت يرتدي الجنبية اليمنية، وتصميم البيوت في اليمن وعلاقتها بالطرز المعمارية في المغرب العربي بما يؤكد التواصل الحضاري وتبادلية التأثير والتأثر بين الحياة في اليمن والدول الإفريقية.

ونظرًا لطبيعة الكتاب الذي استند إلى أسانيد من الصور، مع المراجع الأكاديمية، دون تعصُّب، أو أفكار لا تتلاءم مع الفكر الموضوعي، لهذا فإنَّ القارئ للكتاب يدرك مدى أهميته في المكتبة العربية كتوثيق منهجي للعادات والتقاليد والفنون والأزياء بما يحفظ هوية المجتمعات من محاولة طمسها في ظل سيول العولمة الهادرة وطغيان تيارات طائفية تحاول النيل من تلك الهوية، ليحمل الكتاب بُعْدًا تنويريًّا يتمثل في الإيمان بالفنون كقوة ناعمة، والإيمان بالتعددية وقبول الآخر، الآخر الذي مهما اختلفنا معه أو فصلتنا عنه الحدود الجغرافية تبقى هناك أواصر مشتركة تدفعنا نحو المَحَبَّة والإخاء والسلام.

إبراهيم موسى النحَّاس

عضو اتحاد كُتّاب مصر

*****

أوَّلًا: أبحاث أ.د. نزار غانم

الفصل الأوَّل

المثاقفة الموسيقية الإفرويمنية

- يُسقط الدكتور يوسف فضل حسن ظنًّا عريقًا في الأدب العربي على عصرنا هذا إذ يقول: (الواقع أن حب السود الفطري للغناء والرقص كان واحد من معالم الثقافة الإفريقية القليلة التي ظلت آثارها باقية في اليمن وباقي شبه جزيرة العرب، ذلك أن فن الغناء والرقص المعاصر في الجزيرة العربية ينطبق عليه هذا الحال الذي كان شائعا عند ظهور الإسلام. مثلا ما زال هذا الفن كما توضح وسائل الإعلام المرئية في يد جماعة من الخلاسيين والخلاسيات!).

- ويتركز المحمول الموسيقي لهجرة الأفارقة إلى اليمن عبر الأزمنة في:-

- الموسيقى والغناء والرقص كفنون أداء وفرجة شعبية.

- مفردات وافدة في النصوص المغناة وقيم ليبرالية في النصوص والأداء الحركي مثل اختلاط الجنسين.

- المعالجة بالزار وطقوس أرواحية تمتاح من مرحلة التفكير الميثولوجي، وان كانت تختلط بظاهر الإسلام.

- جاء الأفارقة من الجنسين،أحرارًا وعبيدًا، إلى اليمن غزاة وتجارًا وعلماء وحجيج وملاحين وغواصين ومزارعين وجندا وخدما من نواحي الإقليم المحيط باليمن كسواحل زنجبار وما جاورها والقرن الإفريقي الأكبر والسودان ووسط إفريقيا. وكان العبيد الذين يأتون إلى اليمن من الهند سود اللون أيضًا.

- جاء الأفارقة العبيد بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأفكارهم وتنوع دياناتهم ولغاتهم. لكننا إذا تأملنا ما سمح لكل واحد منهم على حدة بحمله من مواقع بيعه أو اختطافه في البر الإفريقي نجد أن العناصر الفلكلورية المادية محدودة جدا من حيث الطعام والأزياء ناهيك عن فقد حلقات الدعم الاجتماعي المتمثلة في القرابة الأسرية مما يسرع بعزلتهم وخلخلة هويتهم الثقافية وجوهرها اللغة الحاملة للثقافة في وقت غير طويل، فبأي لغة نتوقعهم أن يتخاطبوا وهم من مناطق لغوية شتى في إفريقيا؟

تأسيسًا على ذلك يصبح من الطبيعي أن يتحول العبيد من موقع المرسل إلى موقع المتلقي فيكتسبون عناصر الثقافة الشعبية الشفاهية والمادية للأسياد ويتماهون مع المظاهر الإثنوجرافية اليمنية ويعيدون إنتاجها ويتخذون محكية



أسيادهم لغة فلا تبقى من لغتهم إلا مصطلحات ترد في نصوص أغنيات رقصاتهم التي يتوحدون معها حماية لما تبقى من هوياتهم الأصيلة لا سيما أنها رقصات تنضح بالطقوس الأرواحية الإفريقية. ونجد فعلا مثل هذا في مجمل الرقصات الإفرويمنية. وبالمقابل فمن البديهي ان اعتناق الإسلام أتاح للعبيد في اليمن حراكا اجتماعيا إلى الأعلى بين السكان فهو مفتاح الانصهار الأهم على المستوى الاجتماعي ومفهوم رئيس لمعنى الأمة قبل أن يضيق واسعًا!

- القادمون العبيد قدموا ثقافتهم ومواهبهم ومهاراتهم إلى جانب عمالتهم وطاقاتهم الجسمانية إلى المجتمعات اليمنية التي وفدوا عليها منذ حوالي القرن الأول للميلاد حينما تمت الإشارة اليهم في كتاب (الطواف حول البحر الإريثيري) لملاح وتاجر إغريقي كما يرى الباحث. وهي خصائص تتكون بدورها من (مزيج معقد للغة والمعتقدات الدينية والقيم والعادات والتقاليد والسلوك والنظام العائلي والنسق الاجتماعي وإنجازات الفن والمعرفة). والجلي أن البصمة الإفريقية في اليمن ارتبطت بإعادة إحياء ذاكرة الرق، فالعبد تنقطع علاقاته القبلية وحرياته المدنية والاقتصادية ويفقد الصلة بملبسه وطعامه ولغته لان الأرقاء يأتون من مناطق شتى يتكلمون لغات مختلفات. وفي طقس (الزار) والمعالجات الأرواحية مثلًا يحدث تماهي بين الحضور يقفز على الفوارق العرقية والدينية والاقتصادية والاجتماعية وهذا الانصهار لأفارقه اليمن بعربها هو أحد ميكانيزمات المثاقفة.

- ويُعرّف إعلان مكسيكو 1982م المثاقفة (acculturation) كالتالي: (جميع السمات الروحية والمادية والعاطفية التي تميز مجتمعًا بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها، والتي تشمل الفنون والآداب وطرائق الحياة، والحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم، والمعتقدات، والتقاليد). لذلك إذا كانت – الحضارة - تعني (الانعكاس الخارجي لتقدم أي أمة كالعمران، فإن – الثقافة - هي جوهرها الباطن المؤثر في أطر وأبعاد تلك الانعكاسات سلبًا أو إيجابًا عبر مختلف الحقب التاريخية لدى كل المجتمعات البشرية).

- ودراسة المثاقفة بين منطقتين تعني دراسة ميكانزيم الانتشار (diffusion) والبصمات التي تركها احتكاك مجتمع ما بمعطيات ثقافة مجتمع آخر في حيز تاريخي متفق عليه. هنا نلاحظ بصمات يمنية على المكون البشري والحضاري والثقافي في شرق إفريقيا. كذا دخول الإسلام كدين إلى مجتمعات شرق إفريقيا مستصحبا باللغة العربية وعاء التفكير العربي ونمطه، وعدد من المذاهب الفقهية والطرائق الصوفية ذات الحضور في تاريخ جنوب غرب الجزيرة العربية على قاعدة (تفاعل يقود إلى تفاضل يقود إلى استيعاب). وحينما يتحدث علماء جمال الموسيقى الغربية عن المثاقفة الأفروأمريكية شاملة جزر الكاريبي وأمريكا اللاتينية فانهم ينمذجون لها بموسيقى البلوز والجاز والريجي والسيجا والراستفارية والفنك والراب والبوب والروك والكريولي (cereolization) إلخ.

مرحلة أ	مرحلة ب	مرحلة ج
تفاعل	تفاضل	استيعاب

- وتقسم منظمة اليونيسكو اليمن وشرق إفريقيا إلى إقليمين متجاورين جغرافيا مختلفين من حيث الهوية الثقافية. ولا شك أن فنون الأداء تقع في جوهر الثقافات عموما كما إنها تعكس روح الشعب ودرجة تحضره. وضمن تصنيف اليونيسكو للأقاليم الثقافية في العالم نجد اليمن وشرق إفريقيا إقليمين متباينين من حيث المجال الثقافي واللهجة الموسيقية واللون الصوتي (tone color).

- وتشكل الفنون الشعبية في اليمن واحدة من أهم مكونات الثروة الثقافية الموروثة والتي تتمثل أيضا في ثروة الآثار والنقوش المسندية والزبورية وفنون المدماك الحجري والعمارة الطينية التي تُقدّم شواهد مادية للاستقرار الحضاري إلى جانب ثروة المخطوطات التي تعتبر جزءا مهما من التأليف العربي والإسلامي سيما إذا سلمنا بان أكثر العصور ازدهارا فكريا في اليمن كان الفترة التي يسميها المؤرخون المسلمون فترة الانحطاط في البلدان المسلمة الأخرى، والتي يمكن مجازا ان نعتبر سقوط بغداد بداية لها عام 1258م وبداية

للعصر الإسلامي الوسيط إن صحت التسمية وهي نفس الحقبة التي شهدت اليمن فيها عصرا ذهبيا مع قيام دولة بني رسول جاء غنيا بالمأثور المادي والمحمول وغير المادي.

- وعلى الرغم من أن عددا من الحضارات المجاورة والوافدة تثاقفت مع الحضارة اليمنية فأثرت وتأثرت بدرجات متفاوتة في المقدار والنوع والمراحل التاريخية إلا أنها تطبيقيا زادت في ثراء التنوع في المجتمع اليمني حيث قام ذلك المجتمع العريق أنثروبولوجيا بامتصاصها وتعديلها حذفا وإضافة بحيث تتوافق مع البيئة الثقافية المحلية اجتماعيا وجندرياً وجماليًّا.

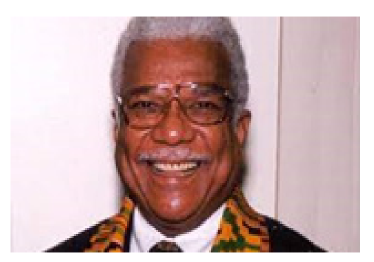
- ومما لا أشك فيه ان الإقبال المشهود لقوافل الباحثين والجامعين للنواحي الإثنوجرافية في اليمن ينبع من حضارية المكان اليمني وقدم الاستيطان البشري فيه ونجاح سكانه في الاستقرار على جوانب الأودية وممارسة زراعة واكتفاء غذائي في ظل ري متطور مشتبك بالسدود وابتكار مدرجات زراعية في الجبال والمرتفعات لزيادة الرقعة الزراعية وتجويد زراعة النباتات العطرية التي شكلت العمود الفقري لتجارة عالمية بحرية وبرية مقدسة أدارها اليمنيون بحرا عبر نجاحهم في اكتشاف سر الرياح الموسمية (monson) حتى قيل إن تسميتها بالمونسون مشتق عن لفظة (الموسم) العربية جيئة وذهابا، تماما كما أداروها برا عبر استئناس الجمل منذ الألف الثاني قبل الميلاد منشئين طريق البخور والتوابل من الشرق إلى الغرب وطريق رحلة الشتاء والصيف (إيلاف قريش) من الجنوب إلى الشمال. لقد اطلع الباحث ذات يوم في العام 1997م على نقش يمني قديم من منطقة ذمار يشكر فيه حاكم البلد رعيته لأنهم أعانوه في تشييد سد للمياه مما يعني أن السكان كانوا متعاونين وعلى قدر من الوعي السياسي ولهذا يصح أن نقول إن الحضارة كملمح مادي والثقافة كملمح غير مادي قد اعتنقتا خالقتين أشكالا متقدمة من المدننة في جنوب غرب جزيرة العرب لا مجال هنا لتفصيلها.

- والملاحظة الأولى هي هذا الثراء الأفقي والعمودي اللانهائي في الفنون اليمنية، فالبلاد لها تراثها الفريد في مكون الموسيقى (المدينية) التي يتجلى

فيها الإتقان وإبداع الفنان الفرد وصنعته وتوخي الإمتاع والمؤانسة لذاتها وتشيع في المدن قوالب غنائية معينة. وكان هذا الفن الحضري ينكمش في فترات تحريم الموسيقى ويزدهر في فترات تحليلها ورعايتها من قبل السلطة. وهناك مكون الموسيقى (الفلكلورية) عند البدو والريف وقاع المدينة أيضا يشيع فيه إبداع الجماعة مستمدا من الثيمات الفلكلورية حيث يعد مخزون الوجدان الجمعي المحلي من ناحية وظيفية لارتباطه بالغناء للعمل بأنواعه وبالغناء في محطات دورة الحياة كما يسميها أهل الدراسات الفلكلورية. فحتى حينما حوربت الموسيقى من المتزمتين من الأئمة الزيدية في المرتفعات أو بعض ذوي النزعة الخوارجية كما في دولة بني مهدي في تهامة فإن الارتباط الوثيق للأنشطة الاقتصادية بأغاني العمل الرعوي والزراعي والحرفي والملاحي والتجاري بمواسمه المختلفة والارتباط الوثيق للأداء الحربي بالموسيقى العسكرية أو الطبلخانة (tablakhana) برر دوما بقاء هذا النوع من الموسيقى لدوره الوظيفي الهام على الأقل!

- وأي منقب عن ظاهرة موسيقية في سياقها الثقافي لا بد له من منهج يتوكأ عليه بحيث تتحقق الإحاطة في مقاربة الظواهر الإبداعية الموسيقية المتداخلة. وفي حالة مجتمع نام كاليمن نجد أن المنهج الأمثل هو منهج علم موسيقى الشعوب (ethnomusicology). ولا يعني هذا أن هذه السطور تقوم على ذلك النهج لأن كاتبها لم يتلق تدريبا في هذا التخصص أو أي من العلوم الاجتماعية والسلوكية أو الإنسانيات، لكنه بالمقابل لا تغيب عنه تماما الملاحظات ذات العلاقة هنا وهناك نتيجة لاحتكاكه بعدد من المختصين بهذا العلم في زيارات قاموا بها لليمن حيث وجدهم يطبقون هذا المنهج في دراساتهم الأكاديمية الميدانية التي حازوا بها درجات الماجستير والدكتوراه أو في أوراقهم المحكمة المنشورة من الجامعات المعتمدة. وما زال الباحثون الغربيون يحرزون الدرجات العلمية من خلال رسائلهم وأطروحاتهم التي تتخذ الفنون الأدائية اليمنية ميدانا للبحث.

- ولا مندوحة من التأكيد على أنه من المستحيل لتقرير أحادي وفردي أن يحفل بدراسة المثاقفة اليمنية - الإفريقية مثلا حتى لو اقتصرت على موضوعة الفنون الأدائية (performing arts). ولهذا يتطلب التركيز هذه المرة أن نحصر الشواهد والتأملات في الأثر الإفريقي في رقصات اليمن المعاصرة سيما ان هذا الموضوع لم يحظى ببحوث شافية في حدود علمنا، كما أنه يمثل إشارة وجدانية إلى التعددية الثقافية داخل اليمن التي يمثل إقرارها والاعتراف بها مدخلًا منهجيًّا للمصالحة الطبقية والسلالية والعرقية وبالتالي السياسية بين اليمنيين. وقد يكون هذا الإقرار الشجاع مدخلا للاعتراف بيمن تعددي متماه جزئيا مع وجدان إفريقيا في ما يسمى بدول الحزام السوداني (Sudanese belt) الذي يتمدد من غرب إفريقيا عبر الصحراء الكبرى حتى غرب وجنوب اليمن بل يمتد إلى عمان والخليج العربي وجنوب العراق وجنوب غرب إيران وساحل مكران في باكستان وصولا إلى شواطئ جنوب غرب الهند وجزيرة سيلان وعدد من جزائر المحيط الهندي المهمة في فنونها فأثر الأفارقة الموسيقي والحركي في هذي البلاد بارز للعيان. واليمن جزء من إفريقيا السوداء كما يبرر بعض المفكرين الأفارقة أنفسهم مثل الدكتور علي المزروعي (ت 2014م) صاحب منظور الأفرابية (afrabia) الذي تعجب كيف لا تكون اليمن بلغاتها الأفروأسيوية جزءا من الفضاء الإفريقي بينما تعتبر جزيرة مدغشقر التي تعود جيولوجيا وسلاليا ولغويا جزءا من جنوب شرق قارة آسيا.



د. علي المزروعي

- إن مفهوم تحرر واستقلال الدول القطرية من حيث إخراج مستعمري الشعوب المغلوبة على أمرها إفريقية وعربية وإقامة سلطة وطنية على إقليم محدد ومواطنين يفترض فيهم تجانس الهوية الثقافية يصطدم دوما

بالتداخلات الديموغرافية والجغرافية العديدة ما بين الدول المستقلة حديثا التي تفنن في هندستها وتقطيعها المستعمرون ان في مؤتمر برلين عام 1884م على المستوى الإفريقي أو اتفاقية سايكس بيكو 1916م ووعد بلفور على المستوى العربي. لذا لا نستغرب الخلافات المستمرة بين حكومات الدول القطرية حول حدودها السياسية التي لا تتماشى في أكثر الأحيان مع الحدود الثقافية كما رسمها تعاقب الحضارات عبر الزمكان. والثابت إسلاميًّا أن انتماء الأعلام البارزين كان حتى وقت قريب انتماء إلى مدينة إسلامية عالمة مشهورة تأتي منها شهرة ذلك العلم، لأن المدينة الإسلامية بعبقرية مكانها كان لها خواص تجعل انتماء الإنسان في لقبه إليها يحمل دلالات أوضح من ألقاب الانتماء لجهويات اقل وضوحا ومكانة في دلالاتها. على هذا النحو يمكن للعلم المسلم ان يحمل انتماء لأكثر من مدينة بها حاضنة علمية إسلامية كجامعة الأشاعرة في زبيد بتهامة اليمن التي تلقب بمدينتها العلامة المرتضى الزبيدي (1790م) صاحب موسوعة (تاج العروس) وهو الهندي المولد قبل ذلك والمصري المدفن بعد ذلك!

- لكن حقيقة الأمر ان عرب اليمن اليوم ليسوا عرقا محددا بل تؤخذ هويتهم بعد الإسلام من تمثل اللغة العربية القرشية وتمثل ارثها الثقافي وان على حساب ثقافتهم قبل الإسلام ولغتهم الحميرية وخطها المسند والزبور، ومن اعتناق الدين الإسلامي الذي شهدوا شيئا من توحدهم العقدي والفكري في ظله بعد أن كان فيهم الوثني عابد الثلاثي الكوكبي والموحد (الرحماني) واليهودي والمسيحي، مع استمرار الانتماء القبلي في الجاهلية والإسلام في رسم المكانة الفردية والجمعية للناس.

- ويرى الباحث آدم بمبا (آدم بمبا، 2018م) أن للحياة عند الأفارقة فلسفة يسميها (ubuntu) تعرضت لقطيعة الأجيال بسبب استنزاف شبيبة القارة السوداء بتجارة الرق فنشؤوا بعيدين عن التلقي الشفاهي للممارسات اليومية والمفردات الثقافية من كبار السن الذين ظلوا في القارة. ويذكر هذا الباحث أن ثقافة الابنتو تتمظهر فيها أحاسيس مميزة مثل:-

- الحس بقداسة الكلمة مما يعمق الاعتقاد بوجود تأثير سحري لها منطوقة في الموجودات. أي أن الكلمة قد تغير طبيعة الشيء ومصيره إيجابًا وسلبًا مما يمنح أهمية كبرى للرقي والتعاويذ وأشعار الرثاء والحكم والأمثال.

- الحسن الديني الروحي، إذ كل عنصر في الوجود من أحياء وجماد فيه روح وقوة من المنظور الإفريقي التقليدي.

- الحس المجتمعي، إذ (أنا موجود لأننا موجودون وما دمنا موجودين فأنا موجود).

- تجيء هذه الخواطر في وقت يعاني فيه المأثور الشعبي اليمني بشقيه المادي وغير المادي من كثير من التلاشي والتشويه في غياب استراتيجية ثقافية للدولة والجمع المؤسسي الاحترافي والرقمنة والاستثمار والإدراج في مشاريع التنمية الثقافية. وينبغي ان نذكر بان التيار السياسي الماركسي ثم التيار السياسي السلفي قد لعبا دورا كل من منظوره الأيديولوجي في حذف والغاء كثير من التقاليد الشعبية اليمنية التي تتحايث مع ممارسة فنون الأداء. فخلال سيطرة التيار الماركسي في جنوب اليمن للفترة (1967-1994م) منع قيام عدد من زيارات أولياء التصوف التي كانت تقام فيها رقصات شعبية بعضها يدخل ضمن تصنيفنا للرقصات (الإفرويمنية). وحينما عادت بعض هذه الزيارات بعد الاحتراب الأهلي عام 1994م كان قد مر جيل ممن لم يتسنى له استلام الراية من الجيل السابق الذي كان يتوارث ويتواتر الدراية بهذه الطقوس ومعانيها ووظائفها فحدث القطع لتسلسل الفلكلور الروحي والمادي بين الأجيال. ورغم اهتمام الحكم الماركسي بتطوير الموروث الشعبي من الرقصات إلا أنه أوكل ذلك إلى المدربين والمخرجين في أكاديميات دول معسكر الاشتراكية العلمية وهذه لديها فهم أيديولوجي انتقائي في التعامل مع المادة الفلكلورية مضمونا وشكلا شاملا الأداء الحركي مما أدى إلى تحوير الشكل الأصيل التلقائي الذي أفرزته البيئة اليمنية بدعوى الفن الملتزم والمنتصر للصراع الطبقي. وبعد حرب 1994م التي غزا فيها الشمال الجنوب ومحا شخصيته قام أنصار التيار الديني السلفي بهدم عدد من مراقد الأولياء ملغيين بذلك قيام زيارات سنوية

لهم بدعوى تنزيه التوحيد الإسلامي من شوائب الشرك كما حارب السلفيون الرقصات الشعبية المختلطة تراثيا بين الجنسين.

- على هذا النحو تغدو نظرتنا إلى المستقبل القريب لمكنز المأثور الشعبي اليمني ت غير مطمئنة إذا تذكرنا غياب الحماية القانونية المساندة لهذه الكنوز، إذ يغيب تطبيق قانون حماية الملكية الفكرية ومن شأن هذا أن يبعث على الإحباط والفقر بين المشتغلين بإنتاج فنون الأداء. واليمنيون في القرن 21 للميلاد في سباق مع زمن ضعفت فيه حصة الفن في بلاد فقدت السلام الاجتماعي بحيث استقوى قوم على أقوام وفشل السياسيون في إدارة خلافاتهم بالغلبة أو بالتداول السلمي على السواء. ان التخلخل الديموجرافي الذي تحدثه الحرب في الكتلة السكانية التي تقوم بإرسال وتلقي المأثور الشعبي متعدد الأوجه وسلبي بالكلية. وللعولمة الثقافية تأثير خارجي لا يخلو من الإيجابية غير أنه لا يتحول إلى خطة نافذة في الاستثمار في الثقافة الشعبية إلا إذا امتلك مجتمع تلك الثقافة الشعبية القاعدة التكنولوجية واقتصاد المعرفة والصناعات الثقافية وأخذ يسد الفجوة الرقمية بحيث تتكامل إدارة الأدوات التي من خلالها يمكن استضافة مكون الثقافة الشعبية في العالم الرقمي وتعزيز دوره في الهوية الثقافية الوطنية مع الاعتراف الكامل بالتعددية الثقافية بل والاحتفاء بكونها تثري المشهد بتعدد الينابيع الإثرائية للفعل الثقافي في الآداب والفنون التي دائما ما تكون في حالة بحث متفرد عن الحضور والمعاصرة في الزمكان بحيث لا تقطع مع المأثور الشعبي بكل مكوناته الشفوية والمادية بل تتوخى البناء عليه.

- وعندما يصمت صوت الرصاص في اليمن تكون الفرصة للتنمية واستعادة النبض الثقافي ويكون الجو مُهيَّئًا للشبيبة في مُؤازرة منظمة اليونيسكو وأمثالها في إنقاذ جوانب الثقافة الشعبية ودماجها في مشروع التصالح مع الهوية وتضمين ذلك في خطط التنمية المستدامة من خلال الاستقصاء الإثنوجرافي ونعني به (الدراسة الوصفية لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والفنون والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة أو مجتمع ما خلال فترة زمنية محددة).



(البحر الأحمر)

- ولنقف بادئ ذي بدء على معاني كلمة (أحباش) واشتقاقاتها وهي الكلمة التي حورها الغربيون منذ القرن الميلادي الأول عن العرب إلى كلمة (ابسينيا)!. إذ يرى لسان اليمن الهمداني (ت 947م) صاحب (صفة جزيرة العرب) أن صفة (التحبّش) هي صفة الاجتماع، وهو في هذا يتفق مع الفيروز بادي (ت 1414م) صاحب (القاموس المحيط) الذي عاش في زبيد بتهامة إذ يقول (حَبَشْتُ له حَبْشا وحُباشة بالضم وحَبَّشْتُ تَحبيشًا: جمعت له شيئًا). ويرى الباحث مطهر الإرياني (ت 2016م) أن الحبشة اسم يمني عربي لا يحمل في أصله أي تصنيف اثني أو أي توصيف لوني وله في المعجمات دلالات حسنة فمن أهم دلالاته الخلط والمزج والجمع بين شيئين مختلفين لتشكيل شيء مؤتلف ومن ذلك الجمع المتفاعل بين اثنين أو أكثر لإنتاج مجتمع جديد. وينقل عن بر غانم عن الهمداني (ت947م) في (صفة جزيرة العرب) أن حبشت

كان أحد أجداد قبيلة المهري(المهريون) وهو يربطها بقبيلة حبيشة التي تقع جنوب ثمود في جبل حبيشة بحضرموت. فحبشت اذن كلمة مهرية الأصل تعني حاصد أو شخص يجمع حصاد أشجار اللبان ودم الأخوين والصبر والمرّ والبخور وسائر النباتات العطرية والطبية كما كان يفعل أولئك الداكنو الجلدة في الساحل اليمني الذين استوقفوا الملاح الإغريقي المتجول صاحب كتاب (الطواف حول البحر الإريثيري) في زمن مقارب لمولد المسيح. وحبشت بلغة مهرة الحضرمية جامع وزارع وحارس البخور، أكان على سواحل اليمن أو سواحل شرق إفريقيا فحبشت تعني التجمع والاختلاط وكان أول ذكر مدون لها في القرن الرابع للميلاد. وعليه يكون جبل حبشية وجبل مهراة المرتفعات التي كانت تعرف بهضبة حبشت التاريخية بين المهرة وحضرموت. وقد ثبت عن العرب قولهم قديمًا إن أهل الشحر وتعني يومئذ كل الساحل اليمني على خليج عدن وأهل تهامة وتعني يومئذ كل الساحل اليمني على البحر الأحمر قد (تحبشوا) أي صاروا أحابيشا.

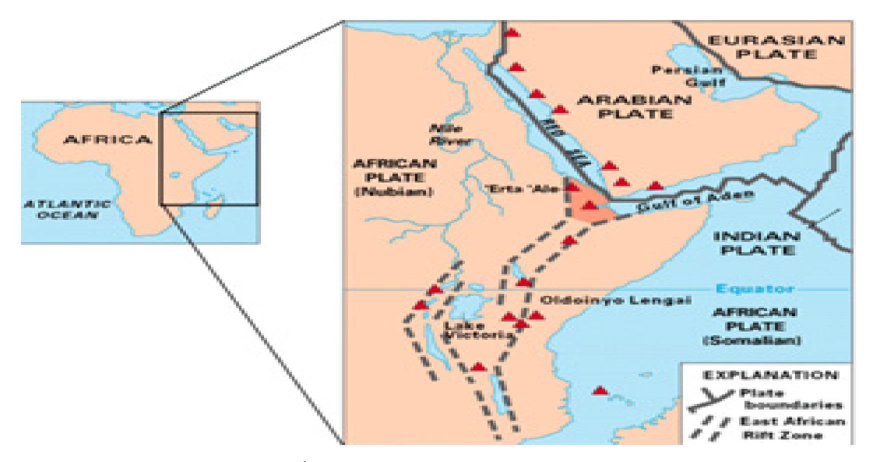
الآصرة الجيولوجية

انفصلت شبه جزيرة العرب عن إفريقيا فاكتمل تشكل أخدود البحر الأحمر قبل 5 مليون سنة. فمنذ 15 مليون سنة بدأت عملية جيولوجية عملاقة أدت لاحقا إلى نشوء الوادي المتصدع العظيم مكونة فيما بعد البحر الأحمر ومنخفض دنكاليا عبر تحرك الصفائح التكتونية للمنطقة ولهذا نجد أن أرخبيل سقطرى اليمني ما زال يتبع جيولوجيا للصفيحة التكتونية الإفريقية.

وتُحدد الدراسات الجيولوجية التي أجريت في أجزاء مركزية عميقة في البحر الأحمر أن عددا من الأحداث الجليدية حدثت بين 1000000 و1600000سنة، وأن مستوى سطح البحر قد تراجع 80 مترًا خلال الفترات الجليدية الفاصلة من عصر (البليستوسن). وهذا يعني أن الأرض اليابسة في نطاق مدينة تعز اليمنية كانت تمتد لتشمل جزيرة (ميون) وبذلك تتراجع المسافة بين قارة إفريقيا وقارة آسيا عند باب المندب إلى 15 كيلومترًا فقط!

كان حجم مضيق باب المندب قبل 10000 سنة 10 أميال يجتازها المسافرون في يومين عبر طوف بدائي متسللين بين الجزائر الصغيرة المنتشرة في المضيق. وقد ظل مستوى الماء في مضيق باب المندب لفترة طويلة ضحلًا يسمح بعبور المشاة بين الشطين اليمني والإفريقي.

و يرى بعض الجيولوجيين أن الزحزحة التي حدثت لشبه الجزيرة العربية بعيدًا عن قارة إفريقيا لا زالت مستمرة بنسبة(6.0 سم) في السنة، وأن هذا بدوره سوف ينقص من المسافة بين القارتين حوالي 6 إلى 7 كيلومترات أخرى، مخلفة بذلك مسافة 8 إلى 9 كيلومترات فقط من المياه تفصل إفريقيا عن آسيا عند باب المندب!



(ظلت جزيرة سقطرى تتبع الصفيحة التكتونية الإفريقية)

و الطريف أن المؤرخ العدني الطيب بامخرمة (ت1540 م) صاحب كتاب (تاريخ ثغر عدن) يورد صَدًى أسطوريًّا لامتلاء الوادي المتصدع في البحر الأحمر بماء البحر إذ يقول: (وكان من القلزم إلى عدن إلى وراء جبل سقطرى كله بر واحد متصل لا بحر فيه ولا باحة، فلمَّا وصل ذو القرنين في طوافاته الدنيا إلى هذا الموضع حفر ففتح خليجًا من البحر فجرى البحر فيه إلى أن وقف على جبل باب المندب فبقيت عدن في البحر وهو مستدير حولها وما يظهر من عدن سوى رؤوس الجبال شبه الجزر)، وهو بذلك يكرر ما قد سبقه إليه

الرحالة ابن المجاور(ت 1291م) الذي قال في صفة باب المندب :(لم يكن هذا البحر بحرًا في قديم العهد اعني بحر القلزم وإنما هو بحر مستجد فتحه ذو القرنين ويقال بعض التبابعة). وكان الموجب على ما ذكره جماعة من أهل البلاد منهم الأمير أبو الطامي جياش بن نجاح(ت 1104م) في كتابه (المفيد في أخبار زبيد): (لمّا وصل ذو القرنين إلى هذا الوادي نظر فوجد به شدة الحر ففتحه أي نقر صدر الوادي، فخرج البحر وخرج عرق منه إلى قلزم ووقف عنده ويقال إنّ أرض الحبشة كانت متصلة ببلاد العرب فقال ذو القرنين: أردنا إنّ نفرق ما بين الإقليمين ليعرف كل صاحبه ويجوز كل أرضه وبلاده وينقطع ما بين القوم من تغلب والتعدي. فلما فتح البحر افترق الإقليمين كل إقليم بذاته، فصارت الحبشة تخوض البحر بالخيل والرجل وتغزو أرض العرب. وبني بعض العرب على جبل مندب حصنا يسمى بعد ومد بسلسلة من بر العرب إلى بر الحبشة معارض، فكل مركب يصل يمر تحت السلسلة حتى كان يخرج منه ويسافر إلى أي جهة يشاء وأراد. وبقى الحصن على حاله إلى أن هدمه التبابعة ملوك الجبل ويقال بنو زريع ملوك عدن والأصح الحبشة ملوك زبيد ورفعت السلسلة، وبقى أثرها إلى الآن). ويقال (إنّ في ذلك الزمان ما كان لسفارة البحر جواز إلا على باب المندب لأنه كان أغزر موضع في البحر، وكان ما بقى منه فشات ووضح وبطون والأولاد يلعبون في الماء بها، والآن صارت المراكب تسافر من وراء ظهره. وهو بحر عميق طويل عريض لكثرة المياه ونذكر ما بقى إذا وصلنا عدن. ويوجد في سواحله العنبر والغالب ما يجده الصيادون).

*****

الآصرة الأركيولوجية

منذ 13000 سنة شهد جنوب غرب الجزيرة العربية أنشطة اصطياد للسكان وجمع للبذور والثمار. وبدأ عصر ما قبل الفخار (الهولسين المبكر) نحو 7000 سنة قبل الميلاد بالإقليمين اليمني والإفريقي معا.

وفي الألف السادس قبل الميلاد كان وجود الحيوانات المدجنة في المنطقتين الصحراوية والساحلية من اليمن قد أدى إلى تنوع في استراتيجيات البقاء والمعيشة للإنسان في أوساط المجتمعات. ويوجد اعتقاد أن من بين الحيوانات التي عاشت في المناطق الساحلية اليمنية أنواع مختلفة أدخلت من منطقة شرق إفريقيا. وعرفت اليمن السرغوم الداجن كمكون غذائي منذ 4000-6000 سنة قبل الميلاد قادما من منطقة إثيوبيا وإرتريا وهو الذرة البيضاء البرية وكانت اليمن معبرا لوصوله من القرن الإفريقي إلى الهند. كما عرفت اليمن الزراعة المنظمة في 2900 سنة قبل الميلاد.

دخلت على اليمن وشرق إفريقيا بعض الصناعات الحجرية حيث ربطتهما العلاقات غير المباشرة في فترة العصور الحجرية. وتنعكس تلك الصلات غير المباشرة في: -

- تجارة الأوبسيديان.

- التشابهات بين بعض مجموعات الأدوات الحجرية التي عثر عليها في عدد من مواقع العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث.



(نموذج من «الأوبسيديان»)

كانت تجارة الأوبسيديان بين اليمن والقرن الإفريقي لا تزال مستمرة الفي سنة قبل الميلاد، وتراجعت في نهاية الألف قبل الميلاد. والأوبسيدان هو السبج أو الحجر الزجاجي البركاني الأسود اللون المطلوب في تقطيع الآلات الحجرية. وفي سهل تهامة اليمنية موقع يدل على قدومه من القرن الإفريقي وربما تحديدا من مناطق أرتيريا أو جيبوتي الحالية. كانت الأحجار المحلية مقتصرة على الصوان والكوارتز والبازلت الخ، لكن نلاحظ أن المرتفعات الجبلية اليمنية كان لها أوبسيديان من مصادرها المحلية الخاصة.

دخلت الأواني الفخارية منذ العصر البرونزي في مواقع منذ ألف سنة قبل الميلاد ووجدت في السهل الساحلي التهامي وفي حضرموت. وسهل تهامة ساحلي بين سيف البحر الأحمر غربا والهضبة اليمنية الشاهقة شرقا يتراوح عرضه ما بين 30 -60 كيلومترا فهو متسع في جنوبه ويضيق كلما اتجهنا شمالا. والتشابهات بن فخار اليمن وفخار من مواقع في إرتريا، والسودان، وإثيوبيا، وجيبوتي (المرحلة النيولوتية) تشير إلى وجود صلات مكثفة بن هذه البلدان خلال الفترة بين 2500-1500 سنة قبل الميلاد. والخصائص المميزة لفخار منطقة حضارة (صبر) في لحج قرب عدن تظهر للعيان في كثير من المواقع التهامية اليمنية على امتداد الشريط الساحلي من عدن جنوبًا إلى سيهي في الأراضي السعودية شمالا. وحضارة مدينة صبر نفسها في منطقة لحج كانت أكبر مدن الساحل اليمني، وتبعد عن مدينة عدن حوالي 20 كم شمالا، ويغطي مركزها مساحة تقدر بحوالي 2 كيلومتر فيما عرضها حوالي كيلومتر واحد.

وثقافة (صبر) في لحج بالقرب من عدن تشير إلى مجتمعات متعددة الأعراق، وكان الفخار نمط ثقافي للإقليم منذ عصر البرونز أي مطلع 3000 سنة قبل الميلاد وعرف ب (نسق تهامة الثقافي) أو (ثقافة صبر بالساحل). وهناك وجود كثيف لأصداف بحرية تماثل تلك التي بحضارة عدوليس بأريتريا المقابلة، إضافة إلى تماثل مع شمال شرق إفريقيا في أسلوب الأشكال والتقنية في قطع الفخار. وهناك ادلة على الفخار المستورد إلى صبر من بلاد النوبة السودانية ومن عدوليس بأرتيريا أيضا. وكان كل هذا قبل حضارة سبأ التي عرفت الكتابة بالخط المسند بأكثر من 500 عام على الأقل.



(آثار «صبر» بجنوب اليمن)

وهناك وجود الدولمن وهي حجارة منتصبة تقارب طقوس الدين وتقاليد الدفن في العصر البرونزي بقبور صخرية مثلما في بلاد هرر وديردوه بإثيوبيا. وقد عرفت مجتمعات عصر البرونز المستقرة بالمنطقتين التراتب الاجتماعي والأفكار الدينية وفكرة الآخرة وتخليدها بالدولمن الجنائزي كتذكار. وشاع قبل المسيحية أسلوب فني عربي حبشي أصوله انطلقت من القرن الإفريقي في تقنيات الرسوم الصخرية لأبقار وثيران في هرر الإثيوبية.

و قد كان سكان اليمن هم المبادرون بإقامة مناطق نفوذهم السياسي والتجاري في القرن الإفريقي. فمن ذلك ما يذكر عن وصول مبكر لقبيلة بلي القضاعية اليمنية إلى مرتفعات شرق السودان حيث أقيمت مملكة البلو نسبة إلى اسم قبيلة بلي، كما عرفت لغة البلويت التي تحمل الجذور السامية لغة مشتقة عن لغة الجئز. وقدر وجود البلو في شرق السودان بألف عام قبل الميلاد حيث إن هيرودوت (ت حوالي 430 قبل الميلاد) يذكر وجود العرب في تلك المرتفعات في زمانه. ومؤخرا عثر على نقش جعزي بالسبئية في أكسوم يعود للفترة 525 م يقول: (أنا كالب إلا أصبح ابن تازيتا رجل لزب ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبا وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضرموت وكل أعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودريت ولبد تفي خادم

المسيح الذي لم يهزمه احد). وقد استنتج احد الباحثين في تاريخ السودان أن ملوك مملكة المقرة(500-1500 م) في السودان ينحدرون من الأسرة الحبشية المالكة في أكسوم والتي بدورها تعود لأصل يمني قديم.

و من ذلك ما يذكره الملاح الإغريقي صاحب كتاب (الطواف في البحر الاريثيري) في منتصف القرن الأول للميلاد من أن حمير قد أقامت إمارات في شرق إفريقيا تتبع لها نفوذا وتنهض بضرائبها إلى موزع (قرب المخا) منذ القرن الرابع قبل الميلاد. وقد اسماها الملاح المجهول (ازانيا) التي زامنت حضارة قتبان ثم حضارة أوسان. وتمتد هذه المنطقة من (ابوقي) في (رأس حافون) بالصومال حتى (رافتا دار السلام) بتنزانيا فجزيرتي (بمبا) و(زنجبار). وقد شهد الملاح الإغريقي لليمنيين باختلاطهم بالتزاوج مع الأفارقة من سكان الساحل وبمعرفتهم للغاتهم بحكم طول الإقامة بينهم بدواعي التجارة.

و من ذلك الحضور السبئي في جنوب رأسي (جوار دافوري) بالقرن الصومالي الإفريقي حيث وجدت مؤخرا نقوش كتابية سبئية ومواد عطرية للتجارة وإشارات إلى الإله (متارا) تعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد تشهد على علاقة الهجرة السبئية بتلك المنطقة والاحتكاك الطويل بين مهاجري سبأ ومجتمعات تتكلم لغات سامية إثيوبية.

و من ذلك ما تدل عليه أثار حضارة (يحا) في منطقة تجراي بشمال شرق هضبة الحبشة ب 800 سنة قبل الميلاد من تأثير سبئي قصير ومحدود لكنه شمل شتى أشكال التقدم الحضري: -

- مدماك المعابد.
- فنون نحت الأحجار والنقوش والكتابة بخط المحراث المسندي.
- إدخال المعادن وثورة الفأس في الزراعة والمدرجات الزراعية.
- الري بالسدود.
- إدخال نباتات جديدة، وما زال الغطاء النباتي بين المنطقتين مشتركا ممثلا بنباتات استوائية إفريقية وسودانية.

- تدجين الحيوانات.
- عبادة الثالوث الكوكبي المقدس (الزهرة والقمر والشمس).
- التنظيم الاجتماعي.



(آثار «يحا» بشمال شرق أبسينيا)

كان السبئيون قد وصلوا إلى منطقة التجراي وأقاموا فيها مستعمرة لعقود من الزمان واحضروا معهم لغتهم التي عرفت في الهضبة الحبشية بالجئزية بعد تطور الحروف والمقاطع الهجائية وهي اللغة التي انبثقت عنها لغات سامية عديدة ما زالت تعيش في الحبشة منها الأمهرية والتقرية والتجرينية وغيرها من اللغات الأقل حضورا. عرف خط المحراث المسندي تطورات متلاحقة وصولًا إلى الأبجديات الإثيوبية المعاصرة. وقد انحصرت الآن ممارسة لغة الجئز في الكنيسة الإثيوبية وطقوسها المقدسة. كما يلاحظ وجود نهرين مجاورين بأسماء (مأرب) و(عين سبأ) وعند دخولهما السودان يتسميان بنهر عطبرة وخور بركة.

و يستوقفك أن نقوشا للملوك الأحباش تشير إلى جذورهم السبئية منذ المستعمرة السبئية في يحا ونواحيها بهضبة تجراي، وهي آثار تعود في أقرب تقدير إلى 600 سنة قبل الميلاد، وهناك نقش للملكين ربح وابنه لملم، وقد حملا لقب ملك سثري، والنقش يشير إلى انهما من قبيلة الجئز (مكارب) دتميت وسبأ. وأضاف النقش أن الملك ربح سليل قبيلة وارن في (ريدان).

نجد لاحقا في شعر عربي فصيح منحول صدى لهذه الأخبار. إذ ينسب للملك الحميري إفريقيش بن أبرهة ذي المنار بن ذي القرنين الذي ذكر ابن خلدون (ت 1405م) انه غزا بلاد النوبة والسودان والمغرب في القرن الأول للميلاد، كما ينسب هذا الشعر في موقع آخر للملك الحميري شمريرعش بن إفريقيس لكن ما بيننا من معارف يكذب هاتين الأشارتين بأكملهما:

بربرت (كنعان) لمّا سقتها من بلاد الملك للعيش العجب

قد رات كنعان لما سقتها من بني يعقوب يوسف ذي النهب

ورأت (كوش) لعمري دارها نرتقي عيشًا لنا لا يثرب

ثم أمسوا غير ممس من مضي بتريب وطريد ذي تعب

فاشكري ضبعان شكرًا صادقًا واحذري مني انتقام ذا حرب

وفي الأنساب التوراتية نجد أن حاما بن نوح جاء من ذريته العبيد السود الحاميون ومنهم ولداه (كنعان) و(كوش) المذكوران في الشعر المنحول أعلاه. كان هذا بعد أن دعا النبي نوح على ابنه العاصي حام بأن تسود وجوه ذريته ويكونوا عبيدًا لذرية أخيه سام حسب الرواية التوراتية!

ربما لهذا نجد أن نشوانا بن سعيد الحميري (ت 1177م) يرى أن اليمنيين هم من اكتسح الأفارقة وأقاموا ملكهم هناك وسموا القارة باسم ملكهم إفريقيش:

وأخوه إفريقيش وارث ملكه حتف العدو وجابر الممتاح

ملك بنى في الغرب إفريقية نسبت إليه بأوضح الايضاح

وأحل فيها قومه فتملكوا ما حولها من بلدة ونواح



أمَّا الواقع فإن اسم إفريقيا في وقت كتابة الشعر المذكور لم يكن يعني القارة السوداء بل كان على الأرجح اسمًا لبلاد تونس وما حولها ثم اتسع ليعني القارة.

ونجد الشاعر نشوان بن سعيد الحميري يسارع إلى نفي الاتهام بوجود دماء حبشية أو رومية فيه فيقول:

لا في علوج الروم خال أزرق أبدًا ولا في الحبش جد أسود

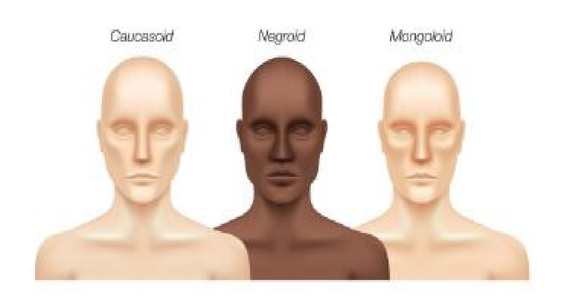
الآصرة الأنثروبولوجية

قبل الثورة المعرفية التي أحدثها الجينوم البشري كان الاتّفاق بين علماء الإنسان على تقسيم البشر إلى ثلاثة أجناس أو أعراق رئيسة يختزل فيها الإنسان العاقل هوموسابين (homosapien) الذي يعود وجوده في القارة الإفريقية إلى زهاء 70 ألف سنة تقريبا. ويعتقد أن خروج الإنسان منتصب القامة هوموراكتس (homoerectus) قبل ذلك من قارة إفريقيا كان منذ 1500000 سنة، بينما لا يتجاوز خروج الإنسان العاقل هوموسابين من إفريقيا إلى القارات الأخرى مدة 100000 سنة فقط تزيد أو تنقص قليلا:-

- **العِرْق الأبيض القوقازي:** يمتاز بصفات خاصة في علو الأنف ودقّته، اعتدال الشفة وبروز الفكّين، استقامة العينين، تموّج الشعر وتجعّده، كثرة شعر الجسم وكثافة اللحية، ويندرج ضمن هذا العرق الهندي وعرق البحر الأبيض المتوسط والعرق الألبي بوسط أوروبا والعرق النوردي الذي يشمل الإيرانيين والأفغان والبربر والمصريين والأثيوبيين.

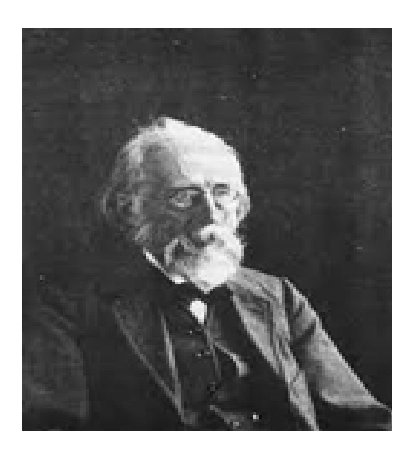
- **العِرْق الأسود الزنجي:** يمتاز بالأنف المتوسّط والشفاه الغليظة، والفك البارز بشكل كبير وكذلك بالعيون المستقيمة والشعر القصير الأشعث والرأس المستطيل. ويمثّل هذا العرق: زنوج أمريكا، زنوج إفريقيا الوسطى، والحاميون النيليون في مصر. وللسلالة الزنجية العيون الواسعة والأسنان الكبيرة والرأس بين الطويل والعريض والبشرة السوداء والفك البارز وعظام الخدين غير البارزة والأنف العريض جدا والشعر المفلفل والمجعد.

- **العِرْق الأصفر المنغولي:** يمتاز هذا العرق ببشرة معتدلة الدكنة، ويتراوح بين اللون النحاسي البنّي كما عند الهنود الحمر، واللون الأصفر الفاتح كما عند الصينيين الشماليين. كما يمتاز هذا العرق باستقامة الشعر ونعومته إلى حدّ ما على الرأس، وقلّة كثافته على الجسم والذقن ويمثّل هذا العرق المغول الأصليون والإسكيمو، اليابانيون، الكوريون، والصينيون وكذلك الأتراك والإندونيسيون، والهنود الأمريكيون، وسكان التبت.

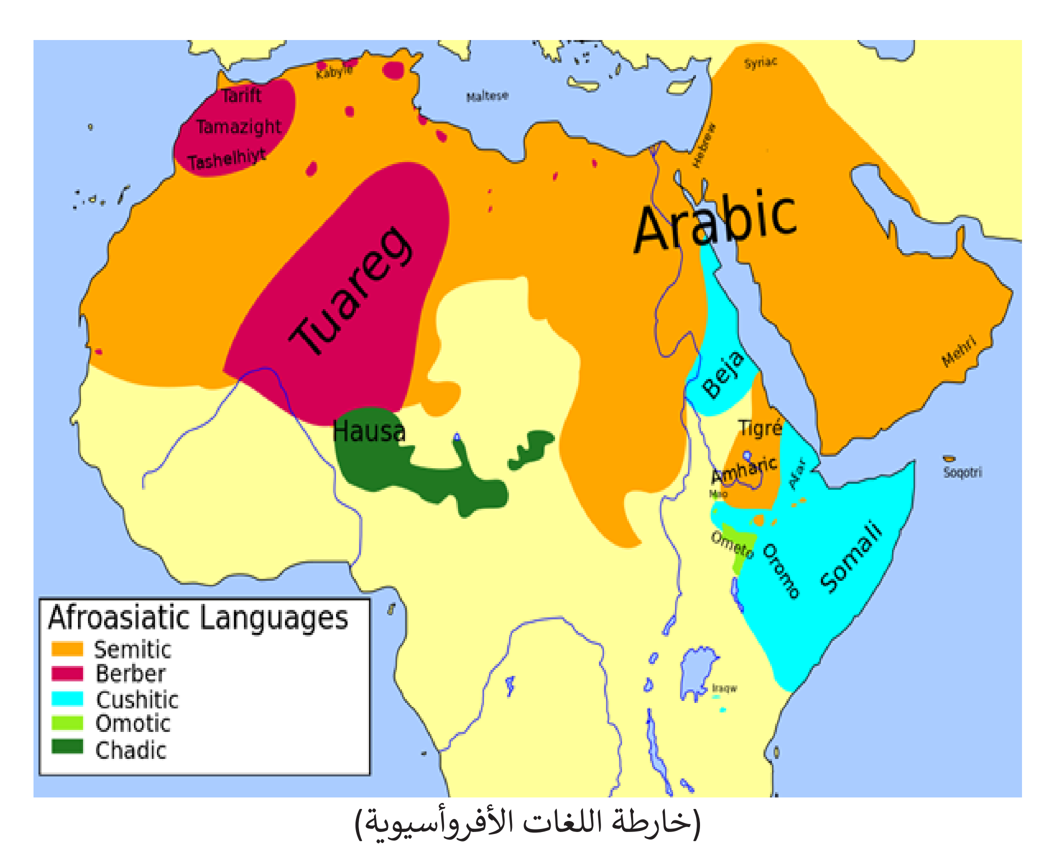


(أشكال الإنسان العاقل الثلاثة)

ويرى الألماني ثيودور نولدكه (ت 1930م) أن الساميين جاؤوا من شرق إفريقيا إلى جزيرة العرب.



ويبرر لذلك بالعلاقات الأثنولوجية الظاهرة التي تلاحظ على سكان هذه المنطقة والساميين من ناحية التشابه الجسماني وخصوصًا بالنسبة للساميين اليمانيين في جنوب جزيرة العرب كدقة عظم الساق وشعر الرأس للصوف وبروز الفكين. ويشير نولدكه إلى ترابط اللغتين السامية والحامية في أصل وعائلة واحدة (afroasian languages).



(خارطة اللغات الأفروأسيوية)

وقد ذهب نولدكه ومناصروه إلى أن الساميين سلكوا في عبورهم إلى آسيا أحد طريقين:

- طريق شبه جزيرة سيناء حيث هبطوا في العربية الحجرية (البتراء) وبقوا فيها زمنًا ثم انتشروا منها إلى اليمن.

- طريق باب المندب حيث دخلوا العربية السعيدة (اليمن) من مواضع مختلفة من الحبشة وأرض بونط أي الصومال اليوم.

وقد أكسبتهم إقامتهم في بلاد العرب خصائص جديدة، ووسمتهم بسمات اقتضتها طبيعة الوطن الجديد، لكنها لم تتمكن من القضاء التام على الخصائص الأولى التي تشير إلى الوطن الأول، ولا على الصلة بين اللغات الحامية والسامية والتي أصبح اليوم الأصل المشترك لها مبررا لتسميتها ب (عائلة اللغات الأفرو-أسيوية). وهذه النظرية، على الرغم من دفاع بعض كبار علماء اللغات والأجناس عنها لا تخلو من ضعف، وقيل من مواطن ضعفها بعض أوجه التشابه بين اللغات السامية والمصرية!

والخصائص العرقية لعرب الجنوب درسها في مطلع القرن 20 للميلاد السير آرثر كيث من كلية الجراحين الملكية بلندن ودكتور والتون ماريون كروجمان فنشرا نتائج بحث حقلي أجري بقياسات أنثروبيولوجية، واستنتجا أن السمات والقسمات (الحامية) تميز القبائل التالية في الجنوب العربي:

- شحارين

- قراوين

- مهاري

وذلك من حيث مرجعيات الشعر المجعد وسكسوكات الذقون ولون الشعر ولون البشرة وصورة الوجه العامة. وعلق يومئذ الضابط البريطاني اللواء متلند المقيم السياسي بعدن في عشرينات القرن 20 للميلاد أنه شخصيا طالما ميز بين عرقين مختلفين من عرب عدن:-

- عرق اقل طولا وببشرة ادكن وملامح أكثر خشونة يكاد يكون بلا لحية، ويراه البريطاني متلند عرقًا مصريًّا إفريقيًّا من حيث استدارة فريدة للراس وجمجمة عريضة قصيرة متوسطة الارتفاع.

- عرق فارع الطول ملتحٍ بوجه شبيه بوجه الصقر وهؤلاء هم العرب سلالة ونسبا في رأيه.

و تذكر الموسوعة البريطانية في طبعتها عام 1926 م ان سكان اليمن وحضرموت وعمان وما جاورها لهم خصائص أنثروبولوجية تشابه الأفارقة من حيث (شكل الرأس وقلة الشعر والطول ورقة الأطراف إضافة إلى اللون كما تشير إلى أن مؤسسات اليمنيين تشبه المؤسسات الإفريقية).

ربما نفهم في هذا الإطار إصرار الجغرافيين اليونان والمؤرخين الرومان على تسمية أهل حمير ب(الإثيوبيين الشرقيين). وكلمة إثيوبي يونانية تعني الوجه الذي لوحته الشمس فاحترق أسودادا. وإحدى معاني كلمة حمير نفسها هي اللون الداكن، كما يمكن أن تعني حمير المكان الشديد الحرارة الراكد الرياح كما هو ساحل تهامة بالفعل. وقد ثبت عن العرب قولهم قديما إن أهل الشحر وتعني كل الساحل اليمني على خليج عدن وأهل تهامة وتعني كل الساحل اليمني على البحر الأحمر قد (تحبشوا) أي صاروا أحابيشا. حتى أن بعض التفسيرات التاريخية تقول بأن (كوش) تأسست أول الأمر باليمن ثم انداحت لإفريقيا فأسمى الإغريق الحميريين (كوشيين). وحام والد كوش هو الذي تقول التوراة بأن والده نوح حينما غضب عليه دعى عليه بأن يسود وجهه وتصبح ذريته من العبيد إلى يوم الدينونة فكان لأبناء حام من ولديه كوش وكنعان هذا اللون الداكن.

ولنقف على معاني كلمة أحباش واشتقاقاتها إذ يرى لسان اليمن الهمداني (ت 947م) صاحب (صفة جزيرة العرب) أن صفة التحبّش هي صفة الاجتماع، وهو في هذا يتفق مع الفيروز بادي (ت 1414م) صاحب (القاموس المحيط) الذي عاش في زبيد بتهامة إذ يقول (حَبَشْتُ له حَبْشا وحُباشة بالضم وحَبَّشْتُ تَحبيشًا: جمعت له شيئًا). ويرى الباحث مطهر الإرياني (ت 2016م) أن الحبشة اسم يمني عربي لا يحمل في أصله أي تصنيف اثني أو أي توصيف لوني وله في المعجمات دلالات حسنة فمن أهم دلالاته الخلط والمزج والجمع بين شيئين مختلفين لتشكيل شيء مؤتلف ومن ذلك الجمع المتفاعل بين اثنين أو أكثر لإنتاج مجتمع جديد. وينقل على بر غانم عن الهمداني (ت947م) في (صفة جزيرة العرب) أن حبشت كان أحد أجداد قبيلة المهري(المهريون) وهو يربطها

بقبيلة حبيشة التي تقع جنوب ثمود في جبل حبيشة بحضرموت. فحبشت إذن كلمة مهرية الأصل تعني حاصد أو شخص يجمع حصاد أشجار اللبان ودم الأخوين والصبر والمرّ والنباتات العطرية والطبية كما كان يفعل أولئك الداكنو الجلدة في الساحل اليمني الذين استوقفوا الملاح المتجول صاحب كتاب (الطواف حول البحر الأريثيري) في زمن مقارب لمولد المسيح. وحبشت بلغة مهرة الحضرمية جامع وزارع وحارس البخور أكان على سواحل اليمن أو سواحل شرق إفريقيا فحبشت تعني التجمع والاختلاط وكان أول ذكر مدون لها في القرن 4 للميلاد. أن جبل حبشية وجبل مهراة يؤلفان المرتفعات التي كانت تعرف بهضبة حبشت التاريخية بين المهرة وحضرموت والتي انطلق على الأرجح منها يمنيون من المجموعة القضاعية إلى الهضبة الإثيوبية في إفريقيا في القرن 6 قبل الميلاد على أقل تقدير ليقيموا هناك ما عرف بحضارة (يحا) على هضبة تجراي والتي كانت مرحلة مكثفة من الانصهار بين سكان اليمن وسكان الحبشة نجم عنها سلالة مختلطة من الملوك تدعي نسبا سبئيا كما تتكلم بلغة وفدت أصلا من اليمن لتصبح أما لعائلة من اللغات السامية التي طالما انحصرت السلطة السياسية بين المتكلمين بها على حساب جماعات حبشية أخرى غالبا ما خضعت للاسترقاق والسخرة، ومثلت هذي الأخيرة من المستضعفين صادرا مهما إلى الأسواق المتعطشة للرقيق خارج الهضبة الحبشية مقايضة لكثير من السلع التي كان الأحباش يستجلبونها من اليمن والخارج. والمجتمع الحبشي عرف المتاجرة بالرق من أقدم العصور وتماهى معه إلى وقت قريب.

فالغربيون هم الذين ترجموا لفظ (حبشت) العربي إلى لفظ (إبسينيا) منذ القرن الأول للميلاد، وقد مر بنا أن لفظ إثيوبي هو يوناني يفيد الوجه المحروق. اما استخدام لفظ حبشت في إثيوبيا المعاصرة فنجد أن الإثيوبيين في منطقتي أمحرة وتيجراي يستخدمونه كتسمية لتمييز أنفسهم من الأجانب (الفرنجة).

*****

الآصرة الجينية

انتقل البشر الحديثون من شرق إفريقيا إلى جنوب غرب الجزيرة العربية منذ 55-60 ألف سنة وكان هذا أول خروج للإنسان العاقل من القارة السوداء إلى رحاب آسيا. والمكتشفات المتتابعة تشير إلى أن الإنسان العاقل(هوموسابين) الذي خرج من إفريقيا للعالم وانتشر في الأرض إنما فعل ذلك من خلال:

- الممر البري والبحري الذي يربط آسيا بإفريقيا عبر شبه جزيرة سيناء.
- الممر البحري الذي يفصل آسيا عن إفريقيا المسمى باب المندب.

و منذ 6-8 ألف سنة تغذي سكان المنطقتين بواسطة شبكات بحرية مكثفة وبشكل متزايد من ذلك الحين. وهناك تدفق جيني ملحوظ للإناث منذ 2500 عام من إفريقيا إلى الجزيرة العربية بما يعني أن المرأة الإفريقية كانت جزءًا من سكان الجزيرة العربية لا سيما اليمن. ويتبع ذلك الاستنتاج أن بعض أشكال العبودية حدثت بسبب ديناميكيات الجندر والاسترقاق فقد قهر الرجال النساء المهاجرات وثبت أن تجارة الرقيق العربية كانت واحدة من أقدم عمليات النزوح القسري للسكان الأفارقة من إفريقيا. إن السود من سكان إفريقيا حاضرون في البركة الجينية اليمنية يؤثرون فيها ويتأثرون بها ويكون هذا واضحا أكثر ما يكون في الصفات الجسمانية من لون وشعر ومعطيات الأنثروبولوجيا البيولوجية لكننا نلاحظها أيضًا في الصفات غير الجسمانية مثل اللسان.

*****

كرونولوجيا تاريخية

عرفت عدن مطلع نشوئها كمدينة عريقة أعدادًا هائلة ممن يسمون أهل القمر القادمين من جزيرة مدغشقر وأرخبيل جزر القمر ونواحيها فسكنوا عدن حتى أنهم طردوا السكان المحليين وسكنوا هم أعالي الجبل الأحمر وحقات والمنظر أي الأطراف الجنوبية والشرقية من مدينة عدن.

و نستنتج من كل ما سبق أن شواطئ البحر الأحمر وخليج عدن وبحر العرب والمحيط الهندي على الضفتين اليمنية والإفريقية كانت مجالًا ثقافيًا واحدا منذ أوائل الألفية السادسة قبل الميلاد، وأنهما كانا يعيشان عملية تكاملية اقتصادية واجتماعية وأحيانا سياسية شملت بعض مرتفعات اليمن أيضا ولم تقتصر على شحرها وتهامتها اللتين قال العرب انهما قد تحبشتا أي صارت للأحابيش.

لقرابة 1000 سنة قبل الميلاد وجدت الدول اليمنية المتحايثة مكانا على طريق تجارة البخورو التوابل مما كان وراء اقتصادها المزدهر ورخاء مجتمعها المنتج. وحدا هذا بجغرافيي ومؤرخي الإغريق والرومان على تسمية اليمن ب (السعيدة) وأسمى بعضهم أهل اليمن الحميريين بِ (الإثيوبيين الشرقيين) وب(الكوشيين). ونحو القرن 1 للميلاد ذكر ملاح يوناني في مؤلفه (الطواف حول البحر الإريثيري) أن عبيدا داكني الجلدة يعملون على سواحل اليمن في جمع (تحبيش) وعتالة البخور وحراسته في ظروف غير صحية وغير إنسانية وأن التجار العرب كثيرو الانصهار مع الأفارقة في الشط المقابل ويتزاوجون بهم بكثرة ويعرفون لغاتهم.

ومن حيث التوالي التاريخي في التسيُّد الملاحي نجد أن الملاحة توفرت لليمنيين منذ قبل الميلاد بالقوارب الخشبية الصغيرة بين اليمن وشرق إفريقيا وكانوا يسيطرون على الطريق البحري الجنوبي للتجارة حتى القرن الأول للميلاد وكثيرًا ما يعملون كمحصلين للتجار هناك. ومنذ ما قبل المسيحية كانت ثمار

النباتات العطرية المقدسة تجمع من ضفتي البحر اليمنية والإفريقية لتستقر في المرافئ اليمنية وتصل من هناك إلى أسواق الآخرين عبر السفن إلى جانب تزويد اليمنيين مواقع أخرى بالبخور عبر النقل البري من اليمن حيث كانوا هم أول من استأنس الجمال سفن الصحراء بألفي سنة قبل الميلاد وأشتغل على الطريق البري للقوافل. وكانت السوق اليمنية مركزية في طرق البخور والتوابل والأفاوية وهي بين أهم طرق التجارة في العالم القديم بين الشرق والغرب قاطبة.

غير أن السنين القليلة التي سبقت ميلاد المسيح تضافرت فيها عوامل عديدة على تحويل أكثر التجارة الدولية لطريق اللبان البري صوب طريق البحر الأحمر خانقة أسواقا هنا وخالقة أسواقا هناك. وقد أصبح هذا ملموسا منذ أواخر القرن الأول قبل الميلاد. وقد كان للمنافسة الخارجية البحرية المتتالية ممثلة في طموحات الإسكندر المقدوني والبطالمة والرومان والبيزنطيين في صراعهم الإقليمي مع الفرس إلى جانب دور دولة أكسوم الحبشية العسكري المباشر الدور الأبرز في ذلك التحول لاسيما حينما قامت التحالفات بين أكسوم والقوى الأوروبية وتعززت باعتناق ملوك أكسوم للمسيحية بدءا بالملك إيزانا بن الأمايدا (300-375م) في القرن 4 م.

و في الواقع الاقتصادي يومئذ تأخرت هذه الخطوة لتأخر إلمام الأساطيل التجارية الأوروبية بأسرار الرياح الموسمية السطحية في شمال غرب المحيط الهندي والبحر الأحمر التي ظل اليمنيون والعمانيون يتكتمون على معارفها حتى يحتكروا أرباح تلك التجارة العالمية أو يظلوا هم أهم وسطائها ساعدهم في ذلك ما نجحوا في الوصول إليه من باقي عناصر الدراية الملاحية. ونحو سنة 45 قبل الميلاد اهتدى البحار الإغريقي هبالوس إلى اكتشاف قوانين الرياح الموسمية وتمكن من أن يقود سفائن قومه مباشرة إلى الهند مبحرا في عرض المحيط الهندي متجاوزا الحاجة إلى خدمات بحارة اليمن وتجارها كوسطاء. وقد سجل تاريخ العلم لهبالوس هذا الاكتشاف وحجبه عن العرب لأنهم لم يشيعوه للآخرين وزكاة كل علم هي نشره. وهكذا سرعان ما نشطت حركة الملاحة الحبشية وأصبحت منافسا ذا شأن ويمكن تفسير أكثر الاحتكاكات العسكرية بين الأكسوميين واليمنيين لا سيما قبل وصول المسيحية إلى إثيوبيا من خلال فحص الفوائد الجيوبولوتيكية المتوخاة من جولات الصراع على الهيمنة على

التجارة البحرية. وقد كانت واردات اليمن من الشط الإفريقي تشمل: (القرفة، والسمسم، والمر، والعاج، والذهب، والذبل، وقرن الخرتيت، وريش النعام، والجلود، والعبيد الأفارقة). وينبغي أن ننتهز هذه السانحة لنؤكد ان كل شواطئ إقليم جنوب البحر الأحمر وبحر العرب وسقطرى كانت تنتج منتجات اللبان (البخور) والمر والصبر ودم الأخوين وليس اليمن وعمان فقط، فقد كانت الكثير من الأطنان تحمل من الشط الإفريقي إلى موانئ يمنية وسيطة قبل أن تصدر إلى مآلها الأخير شمالًا. ولهذا السبب الجوهري في الجغرافيا التاريخية يصعب حصر ما يعرف ببلاد بونت في قطر واحد أو شق واحد من بلاد جنوب البحر الأحمر وخليج عدن وهي التي توجهت إليها الملكة المصرية حتشبسوت رغم التصاوير المثيرة التي تقدم نماذج عن بلاد بونت في الدير البحري بالأقصر لهذه الملكة التي تعود رحلتها إلى الفترة (1458-1479 قبل الميلاد).



(معبد الدير البحري لحتشتسوت بالأقصر)

وقد نجح الطريق البري للبخور عبر اليمن في استعادة جزءا مهما من فائدته على يد ما عرف بإيلاف قريش ورحلة الشتاء والصيف التي شارك فيها الرسول محمد (ص) حيث تذكر بعض المصادر تردده على سوق حباشة في تهامة اليمن أو على الطريق إلى نجران وهو سوق يباع فيه الرقيق كانت تديره قبيلة عنيقة اليهودية. وبسبب القرب الجغرافي أصبحت أسواق تهامة مركزا لتجميع العبيد الأفارقة منها يشترون أو يسير بهم النخاسون من اليمن إلى أسواق جزيرة العرب فكأنما هي سوق ترانزيت.

وتوفرت التقنية الملاحية لليمنيين منذ العام 400 للميلاد حيث عادوا وبرزوا كأهم من يدير العمل التجاري في شمال غرب المحيط الهندي لقرون متتالية خاصة فيما يتعلق بتجارة العبيد مع الشط الإفريقي. ثم نشطت ما عرفت بالتجارة السواحلية التي استمرت بين انذياح وانحسار وجعلت من أرخبيل زنجبار المقابل للبر الإفريقي مركزا إقليميا عالميا لتجارة عبيد إفريقيا مع باقي المحيط الهندي حتى أواخر القرن 15 للميلاد حينما ظهر على المسرح في المحيط الهندي أوائل الأوروبيين وكانوا تحديدا من البرتغاليين في عصر الكشوف الجغرافية الكبرى وما تلاها من إمبريالية سياسية وتجارية بحجة النهوض بعبء الرجل الأبيض (white man،s burden) في تحضير العرب والأفارقة بالاستعمار وبالتنصير. وهكذا فإن تجارة الرقيق ظلت بيد العرب الجنوبيين من القرن 6 للميلاد حتى القرن 15 للميلاد. وكان النخاسون يأتون إلى زنجبار يشترون ويبيعون بالحراج العام ومن ثم ينقل العبيد إلى القارات الأخرى للفترة (1331 – 1873م). ومع نهاية القرن 15 للميلاد ظهر على المسرح البحري المنافس الخطير وهم أوائل البرتغاليين ليدشنوا عصر الكشوف الجغرافية الكبرى وما صاحب ذلك من عنف وتحطيم للثقافات الوطنية وتبديل للمعتقدات والمنظومة القيمية من خلال النظام التعليمي والنظام الصحي وكلاهما مرتبط بالتبشير الكنسي المرافق له، وما تلي من إمبريالية واستعمار وتنصير بدعوى الاستجابة لعبء الرجل الأبيض في تحضير الأمم المتخلفة ومنها العرب والأفارقة معا. والشاهد أن البرتغاليين رغم انهم لم يختطفوا الأفارقة ويجعلوهم رقيقًا كانوا من المقبلين على تجارة العبيد وانهم تعاونوا في

بيع وشراء العبيد مع النخاسين العرب والأفارقة في ذلك الزمكان. لكن الثقافة التي مارس بها البرتغاليون تجارة الرق اختلفت عن تلك التي كانت قد ترسخت عبر القرون في المنطقة والتي بدا أن تطبيق ظاهر الشريعة الإسلامية لا يتصادم معها. كان العرب، إضافة لمعارفهم الملاحية السابقة وخبرتهم في توظيف الرياح الموسمية السطحية (المونسون) والدراية بالتيارات البحرية قد توصلوا إلى تطوير طرق هندسية فعالة في بناء السفن وخياطتها بالسيور والحبال والألياف وعمل لوحات البدن والأشرعة المتقدمة والخرائط الجغرافية ومعارف الفلك والأرصاد الجوية والملاحة بالبوصلة المغنطيسية. وتميز العرب بوضع أدلة ملاحية بحرية لحركة السفن الشراعية عرفت بالرحمانيات وجاءت بأسلوب شعري تبين كيفية الإبحار والمواسم البحرية بالاهتداء بالنجوم والشمس واستعمال البوصلة وان لم يكونوا الرواد في كل هذي التقنيات الملاحية. كما توفرت في موانئهم شبكات هي الأهم في إنجاح العمل التجاري شملت تجارا ومصرفيين وإداريين حكوميين وعمالا حرفيين متعددين، ورسخوا نظاما لتأهيل الملاحين يقوم على التدرج في المهام والمسئوليات على ظهر السفينة.

أطلق العرب على الرياح التي تهب من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي شتاء اسم (الصبا أو الأزيب) وتلك التي تهب من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي صيفا اسم (الدبور أو الكوس). يجمع ذلك بيتان من الشعر هما:

مهب الصبا من مطلع الشمس مائل

إلى الجدي والشمال حتى مغيبها

وبين سهيل والمغيب تحققت

دبورا ومطلعها إليه جنوبها

عمل العرب على إنجاح نشاطهم التجاري على محاور أربعة:

- وسيلة النقل ومدى ملائمتها.
- الموانئ ومدى صلاحيتها للحركة الملاحية.
- السلع ومدى قابليتها للتداول.
- أسلوب التعامل مع التجار.

على هذا النحو يكون العرب قد امتلكوا معرفة:

- الشراع المثلث في القرن 9 ميلادي.
- البوصلة منذ عام 1240 للميلاد.
- الإبرة المغنطيسية هم والفرس وجاء ذلك بعد ريادة الصينيين.
- الدفة والسكان والأسطرلاب الكمال ودفة المؤخرة في القرن 13 للميلاد.

وقد عرفت الشحر وعدن تجارة ترانزيت محورها التمور القادمة من البصرة وعمان وكان المرور على سيحوت بالمهرة مفيدا في الحصول على الصل أو الصيفة وهو دهان يستخرج من كبد سمك الحوت ليستخدم في طلاء السفن وحمايتها من تسرب الماء وثبت مؤخرا فائدته للملاحين الذين يتناولونه في تحسين الابصار الليلي لاحتوائه على الفيتامينات المطلوبة.

تأسيسا على ذلك يكون موسم الامتناع عن البحر في الفترة (حزيران – آب) (يونيو – أغسطس) حين تهب رياح المنسون العاصفة في المحيط الهندي. وربما كانت لفظة (المونسون) تصحيفا للفظة (الموسم) العربية؟

وتهيأ المسرح البحري لاستقبال الهيمنة الأوروبية في الملاحة بدءا بالبرتغاليين الباحثين عن السيطرة على طرق التجارة الكلاسيكية مع المشرق والتحكم في الطريق الذي كان لتجارات البخور والتوابل والافاويه. وما لبثت الأساطيل الإسلامية العثمانية ان حضرت تدافع عن ثغور بلاد المسلمين التي اصطلت بالعدوان البرتغالي مما خلق اصطفافا جديدا وفرزا دينيا أخذ شكل صدامات إقليمية دامية بين المسلمين والمسيحيين خاصة في القرن الإفريقي رغم اختلاق المذهب الإرثودكسي في الحبشة عن المذهب الكاثوليكي عند البرتغال. كما شهدت المنطقة لاحقا تنافسا عظيما لشركات الهند التجارية التابعة للقوى الاستعمارية الأوروبية المختلفة وأساطيلها.

و احتفظ التاريخ للتقنية الأوروبية بالريادة في إعادة رسم مجمل التجارة العالمية حينما بدأت بالفعل منافسة سفن المحرك البخاري للسفن الشراعية في عام 1845للميلاد. وكانت أيضا حداثة القرن 19 للميلاد من التلغراف والسكة حديد والتطعيم ضد الأوبئة والمطبعة في المرحلة الكولونيالية التي طورت

اتجاه أوروبا نحو تقسيم العمل والتخصص فيه مما حقق الأرباح الصناعية الملموسة المبنية على نهب المواد الخام في المستعمرات وتحويلها إلى سوق استهلاكية غير منتجة وتعريض امنها الغذائي التقليدي للخطر بالقضاء على الصناعات الاكتفائية المتوارثة وبنفس الوقت تشغيل المصانع وعمالها في أوروبا بحيث تحققت ثورة صناعية عززت بدورها المجتمع المدني ونقاباته (civil society) كما يرى السوسيولوجي ماكس فايبر(ت 1920م).

على هذا النحو نجد الأحباش، وبعضهم منحدرون من جماعات سبئية ارتادت أرضهم قبل المسيحية وما يقع تحتهم من العبيد الإثيوبيين وهم غالبا يمثلون طبقة الجند في الجيش،يرون دوما في العبور إلى الشاطئ اليمني والاستقرار نوستالجيا العودة إلى الجذور لأسباب تقدمت استحقاقاتها الثقافية وسترد غيرها لاحقا. إذ حالما نشأت دولة أكسوم واشتد عودها وقوي أسطولها البحري سعت حثيثا إلى اقتناص حصتها من تجارة الآباء اليمنيين البحرية التي كانوا ما زالوا يتسيدونها. ان هذه الخاصية هي التي مهدت لقرون من الاشتباك الزمكاني حربا وسلما بين المجتمعات البشرية على ساحلي البحر الأحمر بحيث ظلت الظواهر الثقافية والاجتماعية يعاد إنتاجها على نحو يؤكد أن (الجغرافيا هي التي تصنع التاريخ) لاسيما في زمن لم يعرف الدولة الوطنية القطرية أو القومية وكانت رؤى الناس الصانعين للأحداث فيه حرة من مثل ذلك المحمول الأيديولوجي حتى ازداد الاشتباك تعقيدا بقدوم الديانتين اليهودية والمسيحية في وقت متقارب إلى مسرح جنوب البحر الأحمر. وحتى عندئذ ظلت معادلة تنافس المتقاتلين على السلطة والثروة ووسائل الإنتاج هي المحرك للتاريخ لكنها كثيرا ما كانت تلبس لباس نصر لدين أو لمذهب معين منه حتى تتوفر شرعية التمدد نحو الآخر متى كان ذلك سانحا. وأدى تزامن هذا التغيير في المشهد الاقتصادي والتجاري مع صعود نجم دولة حمير في اليمن إلى اضطراد الصراع السياسي مع دولة سبأ ودولة حضرموت. ثم ما لبث الصراع السياسي ان انزلق نحو جولات من الحرب الضروس امتدت على نحو قرنين من الزمان ممهدة الفرصة تلو الأخرى لدولة أكسوم في التدخل السياسي والعسكري في اليمن معززة قدرتها الجيوبولوتيكية، متحالفة مع سبأ وحضرموت ضد حمير،

ثم مع حمير ضد سبأ، وتخلل ذلك احتلال إثيوبي اقتصادي كامل لأراضي الشط العربي الحجازي خاصة المطلة على البحر الأحمر والمسماة منطقة (لوكي كومي) وأراضي الشط العربي اليمني المطلة على البحر الأحمر المسماة منطقة (كنايدوكالباتي). وكانت أكسوم تتلاعب بتحالفاتها مع اليمنيين والقبائل في وسط الجزيرة العربية بحيث تخدم رغبتها في تسيد الملاحة في البحر الأحمر والمحيط الهندي سعيا إلى احتكار التجارة والنفوذ بين الشرق والغرب وتخادم المصالح. وحسبنا ما عرف عند الآثاريين بنقش (عدوليس) التذكاري الذي يشير إلى هيمنة جيش ملك حبشي على الشاطئ العربي المقابل وفرضه دفع الجزية على سكانه كما لم يحدث من قبل. يقول نقش عدوليس: (وبعد أن أخضعت ملوكهم أمرتهم أن يدفعوا إتاوات بلادهم لينعموا بالسلام في البر والبحر، ثم شنَّت حربًا من ،لوكي كومي وحتى بلد السبئيين. كل هذه البلاد كنت أول ملك يخضعها، إذ لم يسبقني إلى ذلك أحد من الملوك، وذلك بفضل ونعمة إلهي أراس). ويعود زمن هذا النقش إلى النصف الأول من القرن الميلادي الثاني، وقياسا على ذلك يرجح أن ذلك الملك كان الأكسومي جدرت. وتشير الآثار إلى أن أكسوم قد فرضت احتلالها الكامل لتهامة 70 سنة امتدت ما بين سنة 200 وسنة 270 للميلاد شملت أراضي قبائل(سحرت وسوا أو سوم في بلاد المعافر). وقد عرف هذا الاحتلال ب(الاحتلال الإثيوبي الأول). ومؤخرا عثر على نقش جعزي بالسبئية في أكسوم يعود للفترة 525 للميلاد يقول: (انا كالب إلا اصبح ابن تازيتا رجل لزب ملك أكسوم وحمير وذو ريدان وسبا وصالحين والبلاد العليا واليمن والسهل الساحلي وحضرموت وكل أعرابها والبجة والنوبة وكاسو وسيامو ودريت ولبد تفي خادم المسيح الذي لم يهزمه احد). وبعض الذين حللوا هذا النقش أشاروا إلى أن ملوك مملكة المقرة السودانية (500-1500م) ربما تحدروا من الأسرة الأكسومية الملكية التي بدورها تحدرت من أصول حميرية أو قل سبئية.

وبالفعل حاولت مملكة سبا (850 ق.م -280م) استغلال ذلك التوسع الإثيوبي على حدودها الشمالية لتتحالف مع الأثيوبيين ضد منافستها الصاعدة في جنوب جزيرة العرب وهي مملكة حمير (110 ق.م – 570م). وتحدثنا النقوش

عن تحالف جمع بين الملك الأكسومي جدرت والملك السبئي علهان نهفان، وانضمت مملكة حضرموت (800 ق.م – 225 م) إلى ذلك الحلف الذي كان موجهـًا ـ بدرجة أساسية ضد دولة حمير الصاعدة. وهو ما حدا بالأكسوميين ليرحبوا بمثل هكذا تحالف، لأن دولة حمير التي تمد سيطرتها على السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأحمر كانت تعد المنافس الأول للدولة الأكسومية في تجارة ذلك البحر لا سيما وهي تسيطر على ميناء عدن الاستراتيجي. وكانت دولة أكسوم تريد من تحالفها مع سبأ وحضرموت تحقيق أجندتها الخاصة فقط حيث نلاحظ أن الأكسوميين مدوا سيطرتهم على السواحل اليمنية المطلة على البحر الأحمر من مدينة نجران شمالًا إلى منطقة المعافر المطلة على مضيق باب المندب جنوبًا. وهذا هو ما جعل الملك السبئي شعرم أوتر بن علهان نهفان (حكم أواخر القرن 2 م - مطلع القرن 3 م) يغاير سياسة والده بالتحالف مع الأحباش فبدلًا من ذلك راح يصوغ تحالفـًا سبئيًا - حميريًا ضد الأكسوميين، وقاد بنفسه الجيشين السبئي والحميري واصطدم بقوات أكسوم التي كان يقودها القائد بيجت ابن الملك جدرت. وقد دفع ذلك بالأكسوميين إلى تغيير خارطة تحالفهم في اليمن مرة أخرى، حيث نفهم من النقوش أن أكسوم بقيادة ملكها عذبة تحالفت مع الحميريين ضد السبئيين. وقد خاض الملك السبئي إيل شرح يحضب الثاني وأخوه يأزل بين (منتصف القرن 3 م) معارك طاحنة ضد الأكسوميين والحميريين، ومع ذلك نلاحظ بأن الحميريين قد تنبهوا لخطورة تحالفهم مع الأحباش، حيث نجد نقوشهم تتحدث عن حملات عسكرية شنها الملك الحميري ياسر يهنعم ضد قوات أكسوم بقيادة الملكين ذوتونس وزقرنس في النصف الثاني من القرن 3 م. كما قامت أكسوم بتحريض قبائل كندة والقبائل التابعة لها أو المرتبطة بها في وسط الجزيرة العربية للعدوان على سبأ، خصوصـًا أن تلك القبائل قد ربطتها مصالح اقتصادية بأكسوم إلى جانب الرغبة في تأمين الطرق التجارية البرية وقد استمرت الحملات العسكرية للملوك السبئيين صوب منطقة وسط الجزيرة العربية خلال منتصف القرن الثالث الميلادي في عهد الملكين إيل شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بين الذي حكم معه بشكل مشترك، حيث

اِستمرت تلك الحملات على عاصمة كندة مدينة قرية ذات كهل (الفاو) لتحالفها الوثيق مع أكسوم. واستمر وجود أكسوم في تهامة حتى النصف الثاني من القرن 3 م عندما طردهم منها الملك الحميري ياسر يهنعم لينفرد الحميريون بالسلطة.

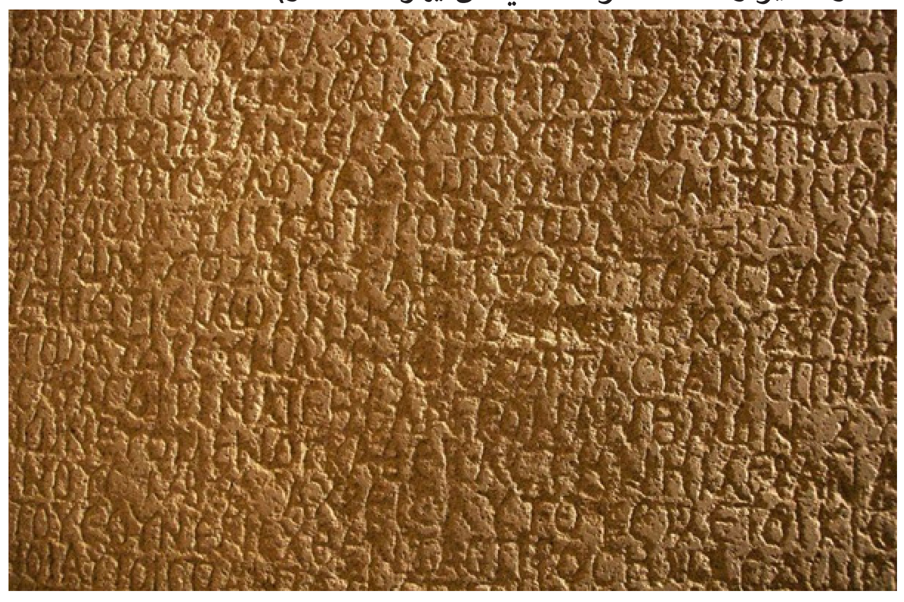
وفي الفترة (281-310م) صعد إلى العرش الملك الحميري شمر يرعش فقام مباشرة بمعاقبة قبائل تهامة التي أخذت تعرف باسم (أحزاب حبشت) وذلك على ولائها للأحباش خلال احتلالهم فشن عليهم حرب إبادة وطارد الجيوب الحبشية في منطقة المعافر وباب المندب وعدن بحيث فوت الفرصة على الإثيوبيين في التحصن بعدن والتحكم في حركة الملاحة الدولية من ذلك الموقع الاستراتيجي. وقد كانت لهذه الحملة فاعلية كبرى إذ اختفى ذكر الأحباش من النقوش اليمنية بعد ذلك لمدة غير قصيرة. لكن القضاء المبرم على القبائل التهامية ما كان بالممكن فهي أيضا تجيد مهارات الاختباء لاسيما ان الجزر في البحر الأحمر كانت السيادة عليها للقبائل اليمنية المتحالفة مع الأحباش وظلت تمثل استراحة مقاتل وخط رجعة وإمداد بشري بالمقاتلين في أوقات الحرب ومن ذلك أرخبيل فرسان ودهلك وكمران. وقد ظل هذا التكتيك العسكري الناجح يتكرر حتى بعد الإسلام كما في حالة جولات الاحتراب بين دولة بني نجاح التي اتخذت زبيد عاصمة لها ودولة الصليحيين التي اتخذت صنعاء وجبلة عاصمتين لها.

ان هذه المعارك التي تناوش فيها قواد دول يمنية مختلفة مع أكسوم لم تكن حروبا وطنية حتى حينما اتحد جيشا سبأ وحمير ضد أكسوم فالبعد الوطني في ذلك الوقت من التاريـخ كان ضعيفًا أمام البعد القبلي ودونك ما ذكرنا من نزعة عنصرية حيث إن سلطة المرتفعات في اليمن كانت تروم إفناء القبائل اليمنية الداخلة فيما يسمى (أحزاب حبشت) في اليمن وسبي نساءهم وأطفالهم ومصادرة أراضيهم. هذا يعني أن مجموعة لا يستهان بها من سكان تهامة وبعض المرتفعات الملاصقة كان هواهم أكسوميا فربما أن لهم مآخذ على باقي القبائل اليمنية في المرتفعات من حيث اقتسام السلطة والثروة وهم بالمقابل دائما ما وجدوا أهل أكسوم يتفهمونهم في هذا الإطار فتجمعهم معهم مصالح سياسية واقتصادية ان لم نقل عرقية ولهجوية أيضا.

و سبق ان أشرنا إلى أن توارد الموسوية والعيسوية في وقت متقارب إلى اليمن والحبشة معا أسهم في تعقيد المشهد بحيث أضيف إلى عناصر الصراع عنصر الدين بل والمذهب الديني المحدد كما هو في حالة المسيحيين حيث عرفت اليمن المذاهب المسيحية: (اليوليانية الاروسية – النسطورية – اليعقوبية المونوفيزيتية – الملكانية). واكثر ما تتمايز فيه هذه المذاهب هو طبيعة السيد المسيح بين اللاهوت والناسوت. وكانت اليمن قد عرفت التوحيد وعبادة (رحمنان) الواحد على سبيل المثال متأثرة بالتوحيد اليهودي حوالي سنة 384 للميلاد لأول مرة. ويرى البعض ان النقوش التي تشير لإرهاصات التوحيد في الفكر اليمني قد سبقت زمنيا وصول التعاليم اليهودية إلى اليمن. وقام القيصر البيزنطي قسطنطين الثاني الذي حكم للفترة (337-361م) بإرسال الهندي ثيوفيلوس اندس مبشرا بالمسيحية على المذهب الإريوسي اليولياني في عام 356 للميلاد إلى ظفار عاصمة حمير. وقد وجد ثيوفيلوس قبولا من حاكم ظفار وكان على الأرجح الملك الحميري ثأرن يهنعم الذي حكم للفترة (324-375م)، وبالفعل شيدت 3 كنائس في ظفار وعدن وقيل في ميناء قنا أيضا.

كان الملك الأكسومي ايزانا بن الأمايدا الذي حكم للفترة (330-370م) قد اعتنق المسيحية على يد المبشر فرمنتوس فاكتسح مبشرا بالمسيحية أراض جارة كثيرة حيث أتت نهاية مملكة مروي الوثنية السودانية على يده لتدخل في المسيحية. وقد ادعى في النقش الذي جعله بثلاث لغات هي اليونانية والحميرية والجئزية أنه ضم كل اليمن إلى أملاكه بقصورها ومناطقها وقبائلها لكن النقوش لا تذكر لنا سوى أن نفوذه الاقتصادي في الشط اليمني كان واضحا من خلال تداول التجار لعملته التي صكها في عهده وتداولها الناس للفترة (340-374م). كما ان دخول المسيحية في اليمن لم يكن على يد الملك ايزانا كما أوضحنا. ودونك ترجمة لما جاء في نقشه الذي دون بلغات ثلاث مما يشير إلى طموحه في التأسيس لحكم امبراطوري أكسومي يحكم فيه أصحاب أكثر من قومية وشعب ولغة:

(بقوة إله السماء المنتصر في السماء وفوق الأرض وعلى الجميع أنا عيزانا بن العمايدا من قبيلة هالن ملك أكسوم وحمير وريدان وسبأ وسلحين وتهامة والبجة وكاسيو وملك الملوك الذي لن يهزمه العدو).



(نقش عيزانا في الحبشة)

ثم إن ثلة الانتلجنسيا السياسية الحاكمة في حمير هفت إلى اعتناق اليهودية ونشرها في منتصف القرن 4 للميلاد ودام هذا الحضور الديني اليهودي في السلطة الحميرية نحو 150 عاما، وكانت له آثارا في حياة اليمنيين لاحقا الدينية منها والسياسية والثقافية. وقد دفع التطرف الديني اليهودي إلى ارتكاب المحرقة الأولى لرعايا مسيحيين في اليمن، حيث وقع قديس كنيسة نجران واسمه (جدلي أزقير) ضحية اضطهاد الحاكم اليهودي شرحبيل يكوف في الفترة (468-480م) إذ قام هذا بمطاردة الجيوب المسيحية في نجران حيث احرق 38 من رجال الدين المسيحي بين أساقفة وكهنة وشمامسة ورهبان مع غيرهم من عامة الناس من ذكور وإناث. ووثيقة القديس جدلي أزقير النجرانية التي كتبت باللغة الجئزية تفصل ذلك. وتذكر الوثيقة أزقير بوصفه من ادخل المسيحية إلى نجران. ومنذ ذلك الوقت تحتفل الكنيسة الإثيوبية بذكرى

القديس النجراني أزقير في 24 من شهر هدار في التقويم الإثيوبي باعتباره أعدم عام 470 للميلاد.

فاذا مضينا مع الإشارات التي تقول ان الأكسوميين المسيحيين ساندوا الكاهن المسيحي عبد كلال بن مثوب الحميري ليكون ملكا على حمير للفترة (445-460م) وجدنا صعوبة في التوفيق ما بين الحدثين على مستوى التسلسل التاريخي. على هذا النحو تكون اليمن قد شهدت احتلالا حبشيا أولا ومحرقة أولى للمسيحيين غير تلك الأكثر شهرة في القرن 6 للميلاد مما ينم عن استنساخ بعض الظواهر التاريخية والثقافية في علاقة اليمن بشرق إفريقيا بشكل يشبه وقع الحافر على الحافر مستقلا حينا عن الديانة المعتنقة في ذلك الحين فهل هذا ناتج عن كون البشر في أوقات المحن ينتكسون أول ما يكون إلى صلات القرابة بالدم؟

ثم تعود أكسوم للتدخل في اليمن مستغلة ضعف الدولة الحميرية في مطلع القرن 6 م. وبالاستئناس بالنقوش يسود الاعتقاد بأن الملك الحميري النصراني معدي كرب يعفر (ذو شناتر) كان آخر ملك حميري يحمل لقب التبابعة الطويل وقد كان نصرانيًا معترفًا بالحماية الحبشية دافعا إلى أكسوم الضريبة السنوية عن اليمن ويعتمد في ذلك على ما ذكره شمعون الإرشامي بصدد الرسالة التي بعث بها خلفه الملك الحميري اليهودي الديانة يوسف أسار يثأر(ذو نواس) إلى ملك الحيرة المنذر الثالث، وجاء فيها: (ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون الأكسوميون ببلادنا قد مات، وجاءت وفاته في وقت الشتاء، فلم يعد بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا لتنصيب ملك نصراني كما جرت العادة). والملك ذو نواس كان يهودي الديانة طامحا إلى الاستقلال باليمن عن نفوذ أكسوم الذي كانت العقيدة المسيحية لا ريب احد أشكاله!

وبادر الملك ذي نواس هذا بعد صعوده لعرش حمير إلى التخلي عن لقب التبابعة الطويل، ولقب نفسه بملك كل الشعوب نحو العام 517م. فأغلب الظن أنه إنما فعل ذلك بسبب انحسار سلطته وعدم شمولها لكل

المناطق الواردة في ذلك اللقب الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة). ومضى ذو نواس في سياق تحرير اليمن مرتفعات وسهولا من النفوذ الأكسومي السياسي والديني يخوض حربًا شرسة ضد إخوته اليمنيين المسيحيين ومعهم حامية أكسومية كانت في العاصمة الحميرية ظفار من عهد سلفه النصراني ذو شناتر. وامتدت حملته إلى المناطق الساحلية لتحصين تلك الثغور على البحر ضد أي مدد حبشي جديد كان يتوقعه. ويلاحظ أن ذو نواس استثنى المسيحيين النسطوريين من غضبه وذلك لأنهم كنسيا ليسوا من تابعي الكنيسة الأكسومية اليعقوبية العقيدة. ومن هنا نستنتج ان ذو نواس كان متضايقا من البعد السياسي الذي تمثله الكنيسة اليعقوبية الحبشية في اليمن أكثر من تضايقه من العقيدة المسيحية نفسها رغم انه كان يهودي الديانة غير معترف بنبوة المسيح أصلا. وقد قام ذو نواس بمطاردة الجيوب المسيحية والتنكيل بها وافتعل ثاني محرقة لليمنيين المسيحيين في مدينة نجران للفترة (523-525م) تلك التي أشار إليها القرآن الكريم. وقد قام ذو نواس يهاجم سنة 518 م القبائل التهامية من (أحزاب حبشت) يروم استئصالها باعتبارها الطابور الخامس للأكسوميين في اليمن والحاضنة الشعبية لهم عبر العصور حيث كانت قبيلة الأشاعرة متحالفة مع أكسوم، فنقم منها لكونها استفادت من تحالفها مع أكسوم سياسيا وعسكريا وكانت تحظى بامتيازات في السلطة والثروة خلال مدة وجود الجيش الأكسومي في اليمن ليقلب الوضع عليها فيحيق بقراها الدمار الماحق وبأفرادها التقتيل والاسترقاق أو الترحيل إلى خارج اليمن وفي أحسن الأحوال الطرد من الحضر إلى مناطق طرفية يكونون فيها جماعات هامشية تستمر في التواصل مع باقي القبيلة حسب مستجدات المشهد السياسي وتقدم لها خدمة الاستطلاع الحربي ضد الأعداء المشتركين.

وكان ان استنجد المسيحيون اليمنيون بالإمبراطور جستنيان في الفترة (527-565م) وبملك أكسوم المسمى كالب الذي حكم للفترة (510-540م). وكان أن أسند جستنيان إلى كالب مهمة تخليص المسيحيين في اليمن من ظلم ذي نواس لهم. وبعد أن تمكن كالب من قتل ذي نواس تم تنصيب الملك

الحميري اليزني القبيلة والمسيحي الديانة معدي كرب يعفر (السميفع أشوع ذو يزن) الذي كان قد زار إثيوبيا عام 525 للميلاد ومعه 30 مندوبا من القبائل اليمنية الموالية للأحباش. وبعدها أخذ السميفع يدفع الضرائب لمملكة أكسوم. دام حكم السميفع للفترة (525-531م) وقد استعاد لقب تبابعة حمير الطويل. وتشير مصادر إلى أن السميفع ذو يزن هذا هو والد الثائر سيف بن ذي يزن الذي طارت شهرته في السير الشعبية والتاريخية المتناقضة. كان السميفع يتخذ حصن ماوية قرب ميناء قنا أو حصن الغراب على خليج عدن قاعدة لحكمه كما كان وقبائله الثلاثون على صلة بجالية من الأحباش المسيحيين وكان لهم في قنا كنيسة تمد نفوذها الروحي إلى حضرموت والخليج العربي.

وجاء بعده في حكم اليمن نيابة عن النجاشي في أكسوم القائد العسكري ارياط فأرهق الرعية اليمنية رهقا عظيما ولم تسلم من يده المخربة مآثر قصر سلحين القصر الملكي بمأرب وقصر غمدان بصنعاء وقلعة بينون بالقرب من ذمار الخ. وقد تغنى بتلك المآثر العمرانية راثيا إياها الشاعر الحميري المغني علقمة ذو جدن الشهير بالمطموس والنواحة وقد أسمي جدنا لحلاوة صوته. وهنا تحالف أبرهة، الذي حكم للفترة (535-565م) ضده مع العبيد اليمنيين ومنع الخراج لأكسوم وحاول توحيد جنوب وشمال جزيرة العرب استعادة لسيرة التبابعة ملوك حمير الذين وسعوا رقعة حكمهم بعد ان ظفروا بسبأ، ومنع زواج اليهودي بالمسيحية لكنه شجع على زواج المسيحي باليهودية. وقد غضب النجاشي لقتل أبرهة، وهو العبد لتاجر يوناني في مرفأ عدوليس والنسطوري المذهب، لإرياط القائد ممثله في اليمن سير حملتين على أبرهة منيتا بالفشل. وحينما تولى ملك أكسوم الجديد وازب للفترة (540-550م) رضى عن أبرهة وأقره على اليمن. وما لبث ان وقع خلاف حاسم بين أبرهة وملك أكسوم الجديد فاستقل أبرهة بالحكم وأصبح ملكًا على اليمن يقال له (عزلي) بمعنى الحاكم القائد العام للملك الأكسومي أو القائم بأمر الملك الجئزي (أجئزن رمحاس). فأبرهة في نقشه لترميم سد مأرب يذكر أنه حاكم لا ملك. كما شهدت الحقبة المسيحية باليمن صدور ما يعرف بأعمال جرجنتوس(530م) وهي قوانين حميرية أصدرها الأحباش لتنظيم المجتمع النجراني.

وفي سياسته لتوطين ملكه في اليمن وتسويق نفسه ملكا يمنيا يشار إلى أن أبرهة تزوج ريحانة بنت علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان وهي أم معدي يكرب بن أبي مرة بن ذي يزن الشهير بسيف بن ذي يزن فأولدها بسباسة ومسروق. فبسباسة ومسروق اخوة لسيف بن ذي يزن من امه! وكانت والدة بسباسة ومسروق زوجة لسلف أبرهة الملك السميفع أشوع بن ذي يزن. ثم أن أبرهة استقل بالسلطة عن مليكه الأكسومي وقدم نفسه ملكا وطنيا على دولة حمير وباسمها اليمني هذا. ثم قام بتدشين مشاريع قومية مثل ترميم سد مأرب سنة 543 م وكتب نقش الترميم بلغة الجئز باعتبارها اللغة اليمنية القديمة التي اخذها الأحباش عن السبئيين مغازلا بذلك الشعور اليمني ونافيا عن وضعه صفة المحتل العسكري. وقد حضر حفل الترميم ممثلون عن قبائل خثعم وخولان والأشاعرة وعك وكندة وحندف وبنو خميس من مصر. وكان هذا اعترافا دبلوماسيا بقيام دولة يمنية - حبشية مستقلة عن الحبشة في أرض حمير. وربما لم يبق من الثائرين على أبرهة إلا اليزنيين وزيد بن كبشة في الفاو. وتذكر المصادر عددا من القبائل العربية التي وافقت أبرهة على زحفه لهدم الكعبة بمكة منها قبائل خولان والأشاعر وعك وكندة وخندف وخثعم وبنو خميس بن إلياس بن مضر.

ويعود أبرهة لتسويق نفسه يمنيا فيزوج ابن أخته أبرهة بن الصباح الحميري في اليمن. ويجتهد أبرهة في استعادة أملاك حمير في الحجاز ونجد وشرق الجزيرة العربية. وقد أقام كنائس نسطورية بديعة العمران في نجران وصنعاء وأرسل للنجاشي قائلا إنه يهديه كاتدرائية صنعاء الفريدة البناء والتي عرفت بالإيجليز.

لقد جاء أبرهة إلى اليمن قائدا عسكريا في الحملة الحبشية على اليمن عام 525 للميلاد وراح يستعين بقواته الغازية ليقيم عهدا وطنيا جديدا من حكم الدولة اليمنية يكون هو فيه أول سلالة ملوك محليين جدد لتستمر سلالته بحكم اليمن من بعده بل انه يلبس الثوب الوطني ويقرب المسيحيين النسطوريين المحليين الذين كانت قبلتهم الكنسية في فارس بينما يطرد الجند الأحابيش اليعاقبة الذين يظلون على ولائهم للنجاشي مما يسقط الحجة على

الوطنيين ممن يتطلعون لدحر القوة الغازية خارج البلاد. وتلقب أبرهة أيضا بلقب التبابعة الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة) وتعامل مع اليمن باعتبارها مملكة خاصة به وبأولاده من بعده. وقمع ثورات قام بها يمنيون ضد الاحتلال الإثيوبي الثاني فاستقرت له الأوضاع. حكم بعده على التوالي ولديه يكسوم (من أم حبشية) للفترة (565-568م) ومسروق (من أم يمنية هي أم سيف بن ذي يزن البيولوجية) للفترة (568-570م) وقد اشتد كلاهما على اليمنيين، فضاق اليمنيون بهما ذرعًا وتمنوا تحرير بلادهم منهما.

(قد غلبت الأغربة علينا في بلادنا) شكوى قالها سيف بن ذي يزن لكسرى فارس خسرو الأول الذي ذهب إليه مستنجدا بعد فشل استنجاده ببيزنطه أولا كون والده كان مسيحيا. فقال كسرى (أي الأغربة السند أم الحبشة؟) فقال سيف (الحبشة وجئتك لتنصرني ويكون ملك ارضي لك). وحينما سأله كسرى ما هي القرابة التي تعول عليها لأنصرك قال سيف هي (الجبلة البيضاء) فانا أقرب إليك منهم! فهنا يعتبر سيف أن اليمن ارض لذوي الجبلة البيضاء فقط أمَّا مَن غاير لونه ذلك فأجنبي أو غازٍ وجب طرده. وبهذا القت فارس بثقلها في المعركة واستطاعت ان تنهي حكم أبناء أبرهة لليمن عام 570م. فلما خلا سيف باليمن وملكها جعل يقتل بني أكسوم ويبقر بطون نسائها ويفتك بهم حتى لم يبق منهم إلا بقية في ذلة وقلة فاتخذهم خولا. وقد نصب كسرى سيفا بن ذي يزن ملكا من طرفه على اليمن لكن سيفا اتخذ في مدة حكمه القصير عبيدا أحباشا حاشية له وكان منهم غلام مملوك يدعى نوال بن عتيك كلفه ببناء سد الخانق بصعدة. وحينما وفد عبد المطلب بن هاشم جد النبي محمد (ص) على سيف بن ذي يزن مهنئا إياه بتغلبه على الأكسوميين كان جزءا من هدية سيف له عددا من العبيد السود حملهم معه عائدا إلى مكة. وعند ظفر سيف بن ذي يزن بخصومه الأكسوميين نجد شاعرا يمدحه كما قيل في قصر غمدان بصنعاء فيقول:

أرسلت أسدًا على سود الكلاب فقد أضحى شريدهم في الأرض فلالا



وقد نفى الدكتور جعفر عبده ظفاري (ت 2009م) أن يكون هذا الشعر لامية ابن أبي الصلت (ت 626م) كما قيل. وورد في مكان آخر أن جد الشاعر أمية بن أبي الصلت هو المقصود في القصة وكان اسمه ابو زمعة.

وكان ان انتفضت بقايا الأحابيش التي ظن سيف انه أمن مكرها فقتله عبيده عام 574 للميلاد. هنا أمر كسرى قائده وهرز بالعودة إلى اليمن بحيث لا يترك في اليمن أسودا ولا ولد عربية من أسود إلا قتله صغيرا أو كبيرا ولا يدع على قيد الحياة (رجل جعد مقرمش الشعر قد شارك فيه السودان). وكان ما وعد سيف بن ذي يزن به الفرس من ملك اليمن فحكمها الفرس الذين عرفوا بالأبناء منذ ذلك الحين حتى دخولهم في الإسلام حينما ثبتهم الرسول محمد (ص) في حكم اليمن. ويرى كثير من المؤرخين أن عددا مقدرا من القبائل اليمنية لم ترض عن استمرار الأبناء الفرس في حكم اليمن لأنهم توقعوا من الملة الجديدة أن تهديهم عهدا سياسيا مغايرا ولعل هذا هو السبب الحقيقي لثورة الردة التي قادها فيمن قادها عام 631 للميلاد عبهلة بن كعب بن عوث العنسي المذحجي (الأسود ذو الخمار) (ت 632م) وكان عرف بالأسود العنسي لأن أمه كانت يمنية سوداء اللون. وقد ظفر الأسود العنسي برأس الحاكم الابناوي في صنعاء باذان بن ساسان الفارسي والذي كان قد دخل الإسلام عام 628 للميلاد كما تزوج زوجة باذان هذا وكانت تدعى ازاد. وما لبث أن جاءت نهاية الأسود العنسي عام 632 للميلاد على يد فيروز الديلمي (ت 673م) الذي كان ثاني حكام صنعاء في فجر الإسلام وهو من الهجناء إذ أن فيروز الديلمي ابن أخت النجاشي الأكسومي اصمحة. ويذكر ان القائد الفارسي وهرز الديلمي كان قد سن قانونا يحق للفرس الزواج من اليمنيات ويمنع عكس ذلك إضافة إلى جزية تدفع له.

ونحن إذ نتابع مآلات الاحداث بعد هزيمة الأحباش كاثنية غير عربية ومن حالفهم من اليمنيين في أحزاب حبشت أمام الفرس كاثنية غير عربية ومن حالفهم من اليمنيين اليزنيين مثلا إضافة إلى تزامن هذا مع توزع التركيبة السكانية على الأديان السماوية الثلاثة وتنقلهم ما بينها ليكون كل هذا التداخل

البيولوجي والسيكولوجي والسوسيولوجي في فترة لا تتجاوز 300 سنة ربكة عظمى في مسير السكان نحو هوية جامعة! ونجد أنفسنا نتساءل عما بقي من جذور كل هذا الاحتراب تحت الرماد لتتجدد جولات القتال إلى ما لا نهاية. علينا أن نتذكر أن هذه الحقبة من التاريـخ اليمني في فجر الإسلام شهدت خروج قبائل يمنية بأكملها للمشاركة فيما عرف بالفتوحات الإسلامية مما غير من توازن القبائل داخل اليمن. وما لبث هذا النزوح الجماعي ان أدى إلى احتكاكات بين عرب قحطان وعرب عدنان في تنافسهم على المكانة في الدولة الإسلامية الجديدة وكان كثير من هذا الجدل في الأنساب يدعي أفضلية إحدى المجموعتين في تمثيل العنصر العربي على أساس من النقاء العرقي المزعوم. وسوف لن يكون صعبا علينا أن نتفهم مرارة هذه القسمة الضيزى مما تقدم من مراحل مخالطة اليمنيين للأفارقة عبر الزمكان. ومما يزيد من مرارة هذه المفاضلة أن نبي الإسلام محمد (ص) عدناني وأن انتماؤه القبلي هاشمي قرشي. كما كان شعراء العدنانيين يعيرون القحطانيين مهنيا بكونهم لا يخرجون عن كونهم (دابغ جلد أو سائس قرد أو ناسج برد أو راكب عرد) مما يعكس ثقافتهم الصحراوية المتعالية على المهن والحرف اليدوية التي كان لا بد منها في مدن حضارة مجتمع مستقر كالمجتمع اليمني الزراعي والرعوي والحرفي والتجاري والملاحي يومئذ.

*****

أحزاب حبشت في اليمن

أحزاب حبشت قبائل تهامية جلها من الفرع الحميري والقضاعي باستثناء قبيلة بني الحارث الكهلانية التي يسجل التاريخ لها احتكاكات مريرة في عصر النبي محمد (ص) وعهد خليفته الراشد عمر بن الخطاب. ترمى القبائل الحميرية والقضاعية بضعف لغتها العربية الفصحى التي تمثلت عند الإسلام في لسان قريش. وترمى بالطمطمانية وبسواد اللون مقارنة بالقبائل الكهلانية اليمنية وبالعدنانيين. وقد ارجع ذلك لكثرة مخالطتها الأحباش. ويرد ذكر هذه القبائل ومواقعها ومدنها في النقوش التي تسرد حروب ملوك أكسوم والدول اليمنية التي تعتصم بالمرتفعات وقد تترك السهل التهامي اليمني وأراضي ما يعرف لاحقا باسم المخلاف السليماني المعروفة عند الأحباش بمنطقة (كنايدوكالباتي) تحت النفوذ السياسي والعسكري والديني والتجاري لأكسوم. وتعتبر فترات الاحتلال الأول والثاني لأكسوم لليمن فترات رسخت الاختلاط العرقي والثقافي للأثنية الأكسومية وعبيدها من سائر الأبسينيين في الجغرافيا التهامية.

قبيلة سحرت: تمتد من غرب جبال السراة حتى ساحل البحر الأحمر، وتحدها في الجنوب قبيلة الأشاعرة. تقع ارض سحرت بين وادي بيش شمالا ووادي مور (ميزاب تهامة) جنوبا شاملة عددا من الأودية التي تتمدد نحو الساحل غربا من جنوب جيزان شمالا حتى أودية خلب وليه وحيران وسردد وسهام جنوبا. وعاصمة سحرت بلدة الزهرة قرب ميناء اللحية، وقيل (الزهرة) تصحيف للفظ سحرت أو سهرت. وتوجد اليوم قبيلة بنفس هذا الاسم سحرت في مرتفعات تجراي بالحبشة بالقرب من موقع حضارة (يحا) التي كونها السبئيون هناك 600 قبل الميلاد. كما يذكر الجغرافي الإدريسي (ت 1166م) قبيلة سحرت الحبشية ويضعها في خريطته للحبشة.

قبيلة عك: أشار بطليموس (90 – 168م) إلى عك أو عكم فهي اذن معروفة لدى البطالمة منذ ما قبل المسيحية. تقع غرب صنعاء وتمتد أرضها

بين قبيلة الأشاعرة وقبيلة حكم، لذا فإنها تتمدد باتجاه الشمال من وادي سهام عبر وادي سردد وصولا إلى وادي مور العظيم المسمى ميزاب تهامة. وعن غناء قبيلة عك التهامية يورد النسابة ابن حبيب البغدادي (ت 860م) في كتابه الصغير الكبير (المحبر) قصة تدل على إعطاء دور قيادي في الغناء للعبيد السود التابعين للقبيلة حتى انهم هم الذين يفتتحون الغناء داعين رجال القبيلة إلى إجابتهم بغناء خاص وهذا النمط شائع في غناء إفريقيا حيث يسمى قالب النداء والاستجابة (call and response). وفي القصة أن غرابا عك غلامين أسودين يتقدمان وفد قبيلتهم وقد أشرف على الوصول إلى مكة للحج زمن الجاهلية ويكونان عريانين على جمل يصيحان (نحن غرابا عك)، لتنشد عك من خلفهم:

عك إليك عانية
عبادك اليمانية
كيما نحج الثانية
على الشداد الناجية

قبيلة الأشاعرة: تشمل قبيلة (بحرم) وقبيلة (الركب)، ولقبيلة الركب بدورها تسميات أخرى تدل عليها هي (بني عبد المجيد بالمخاء وموزع). وفي اركب الركب تقع كنيسة المخاء التي نالها الدمار من الملك اليمني اليهودي ذو نواس. وتمتد أرض قبيلة الأشاعرة من جبال مقبنة حتى غرب وصاب السافل. وتسكن قبيلة الأشاعرة في جبل راس وزبيد والسهول الموازية لمقبنة وشرعب.

قبيلة حكم: المتفرعة من سعد العشيرة. ومن قبيلة حكم بدورها تنبثق قبيلة (فرسان) ولكنائسها شهرة في الجزيرة المعروفة بأرخبيل فرسان وفي الساحل المقابل للجزيرة أيضا ويسمى ساحل فرسان. وقد دمرت هذه الكنائس عند مهاجمة الملك ذي نواس لها في القرن 6 للميلاد في حملته على المسيحيين في دولة حمير واكتشفت في فرسان مؤخرا آثار تشهد على تلك الحرب. ذكر الهمداني (ت 947م) كنائسها وأنها رحلت بين موزع وبني مجيد محجة عدن باب المندب بعد ان كانت اقرب لجيزان.

وتشمل أحزاب حبشت أيضا:

- **قبيلة (سوا) أو (المعافر). تقع جنوب تعز واهم مدنها (السوم).**
- **قبيلة (بحر).**
- **قبيلة (رمع). ووادي رمع يمر شمال وادي زبيد متحدرا من غرب جهران.**
- **قبيلة (شمير).**
- **قبيلة (ظفار).**
- **قبيلة (ثعلبة).**
- **قبيلة (خولان صعده) في الشمال.**
- **قبيلة (وصاب) غرب العاصمة الحميرية ظفار.**

وخلال الاحتلال الأكسومي الثاني لليمن وقد دام عقودا منذ 525 للميلاد يذكر المؤرخون زيادة مخالطة الأكسوميين قبائل بني الحارث الكهلانية المسيحية في نجران وعسير وتهامة بحيث تبازغ من خلال التزاوج بينهما عنصر هجين تسميه العرب (أغربة العرب) وهم يعنون الذين تسلل إليهم السواد من أمهاتهم الإماء ويرى الباحث أن السواد ربما كان تسلل اليهم أيضا من آبائهم ومنهم من لم يعترف به ابوه ومنهم من اعترف به على ضيق ولنا أن نشير إلى أن ملك أكسوم كالب ترك خلفه في اليمن 10000 مقاتل من أكسوم دون زوجاتهم قبل أن يعود لعاصمته ! فمن أغربة عرب اليمن الشاعر قيس بن عمرو بن مالك بن الحارث بن كعب بن كهلان الحارثي (النجاشي) (ت بعد 681م).

وقد كان وفد من قبيلة بني الحارث النصرانية من نجران وفد على النبي محمد (ص) في المدينة نحو عام 631 للميلاد، وابرم معهم النبي معاهدة يدفعون بموجبها الجزية كمسيحيين. وكان الوفد يضم ممثلين يدلون على وجود مرحلة متقدمة من النظام السياسي عند قبيلة بني الحارث من حيث التمييز بين السلطة الزمانية والروحية فهناك:

- (السيد) وهب الأيهم
- (العاقب) عبد المسيح
- (الأسقف) أبو حارثة بن علقمة
- (الشماس) ونا

وكان الأخير بكنيسة نجران التي اهتم بها آل عبد المدان بن الديان الحارثي حوالي سنة 600 للميلاد وتعتبر كنيسة الكنائس اليمنية.

وقد عجب النبي محمد (ص) لألوانهم السوداء وتسائل ان كانوا من الهند وقد عيرهم شاعر النبي حسان بن ثابت (ت 674م) بلونهم الأسحم وما سمي شاعرهم نجاشيا إلا لتماثل لونه مع أهل أكسوم. يقول حسان بن ثابت:

كأن ريحهم في الناس إذ برزوا ريـح الكلاب إذا ما بلها المطر

أولاد (حام) فلن تلقى لهم شبها إلا التيوس على أكتافها الشعر

ان سابقوا سبقوا أو نأفروا نفروا أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا

شبه الإماء فلا دين ولا حسب لو قامروا الزنج عن أحسابهم قمروا

وهنا نجد الشاعر المسلم حسان بن ثابت يعير نصارى بني الحارث الكهلانيين كونهم حاميين لا دين أو حسب لهم حتى إذا ما قورنوا بالزنج. وهذه هي الجاهلية بعينها فقد كانوا من أهل الكتاب يدينون بالمسيحية ولهم مع النبي الخاتم ما عرف ب (المباهلة).

ونجد الشاعر حسان بن ثابت الذي ينتمي شخصيا للأرومة اليمنية يقول في موقع آخر ما يثبت به للعرب خضرة اللون:

ولست من بني هاشم في بيت مكرمة ولا بني جمح الخضر الجلاميد؟

كما أن الشاعر الأسود الحيقطان هجا الشاعر جرير(ت 728م) بقوله:

غزاكم أبو يكسوم في أم داركم وانتم كغيض الرمل أو هو اكثر

ويذكر أبو حيان التوحيدي (ت 1023 م) أن العريان بن الهيثم قد عير حفيد أبو موسى الأشعري بسواده وهو بلال بن أبي بردة.



أمَّا صناجة العرب الشاعر المغني الأعشى ميمون بن قيس (ت 629 م) فيثني في شعره على مجالسه الموسيقية في نجران حيث ينزل في ضيافة قبيلة بني الحارث فيذكر أسماء آلات موسيقية وطرائق رومية مسيحية في غناء القيان قل أن توجد في غير نجران المسيحية في جزيرة العرب. وهو في شعره يشير إلى قيامه بزيارات إلى أكسوم:

أتيت النجاشي في داره وارض النبيط وارض العجم

ونجران فالسرو من حمير فأي مرام له لم ارم

ويقول في بيت آخر:

والجن تلعب حـــولها كالحبش في محــــرابها

ثم يأتي على ذكر آلة الطنبور:

و(طنابير) حسان صوتها عند صنج كلما مس أرن

وقال:

وكعبة نجران حتم عليك حتى تناخي بابوابها

نزور يزيدا وعبد المسيح وقيسا هم خير اربابها

ونفهم من شعر الأعشى ان كل عوائل الآلات الموسيقية الوترية والنفخية والإيقاعية والمصوتة كانت موجودة في مجالس بني الحارث وهي ريادة لهم في هذا التقدم الموسيقى على مستوى جزيرة العرب.

و في ذلك الزمكان عرف الفنان اليمني حنين بن بلوع الحيري (ت 718م) بيثرب كشاعر مغن من بني الحارث مسيحي الديانة برع بالعود وغناء السناد ومات عن ١٠٩ سنة بانهيار خيمة سكينة بنت الحسين (ت 744م) عليه. كان الكران أو المعزفة كنارة يعزف بها ملوك نجران وصنعاء والجند وتباله وجرش. وقيل هذه الآلة هي العرطبة آلة شبيهة بالبربط أو الطنبور التي يشبهها العلامة الهمداني (ت 947م) بها فقد ربط الهمداني (ت 947م) آلة العرطبة بعائلة الأعواد.

والأصفهاني (ت 967م) في موسوعته (الأغاني) يذكر معزفا يمانيا قديما هو آلة وترية من السلك كل نغمة فيها بإزائها وتر مطلق، والأشبه أن المعازف

التي كانت تستعمل في غناء أهل اليمن هي من جنس الآلة المسماة الطنبور. يذكر الهمداني (ت 947م) صاحب (الإكليل) مغارة متقادمة عادية فيها قبر ورعة بنت عاد ومنسك بن نعيم خازن عاد بها تمثالان عظيمان قد مسخهما الله حجرين وهما في صورة قينتين ففي حجر إحداهما عرطبة أي طنبوره وقد مسخت وفي اليد الشمال مزمار ممسوخ. والة الطنبور سليلة لآلة عرفت في تصاوير شواهد القبور السبئية من عائلة (الكنارة) أو (الليرة) الإغريقية الوترية كما تعرف في علم الآلات الموسيقية (lyre). وبادر إلى ذكرها في الآثار اليمنية وأورد صورة شاهد القبر الذي احتواها في إفريز مصور الألماني أدولف جروهمان (ت 1977م) الذي أسماها (سمسمية سبئية)!. ويقول المرتضى الزبيدي (ت 1790م) في قاموسه (تاج العروس) أن: (الطنبور بالضم والطنبار بالكسر فارسي وطنوبره بالفتح أصله دنبهء بره). والطنبوري هو من يلعب على الطنبور. ويذكر الأصفهاني فنانًا من اليمن هو أحمد بن أسامة الهمداني النصيبي المشهور بِ (ابن طنبوره) (ت 705 م) لإجادته غناء النصب وإيقاعه الخفيف الثقيل على آلة الطنبورة وقد انتقل هذا الفنان من اليمن إلى الحجاز لكنه خشي على نفسه من ولاتها فانتقل إلى العراق حيث ارتبط بصداقة مع الشاعر اليمني أعشى همدان (ت 702م) وغنى من نصوصه الشعرية مثل:-

حييا خولة مني بالسلام

درة البحر ومصباح الظلام

و لم يقلل منه سوى جحظة البرمكي في كتابه (الطنبوريون).

ان لفظ (قينة) أي المغنية اشتقاق من اسم طنبور كان أهل الحبشة يعزفون عليه في الماضي يدعى (القنين)، فهل هي طنبورة بلال بن رباح (ت 639م) رضى الله عنه التي ذكرتها الدكتورة شهرزاد قاسم حسن؟ ويمكن لكلمة القين ان تفيد العبد لاسيما عبيد الأرض الزراعية وتجمع على أقنان.

وفي عام 1990 م سمعت الباحث السوداني بدر الدين عبد الرزاق في محاضرة ألقاها في صنعاء عن الزار والطمبرة في السودان يقول إن طنبور أهل الحبشة، الذي أسماه عرب الجاهلية (القنين)، كان معروفا في عصر النبي (ص) وأن بلال الحبشي (ت 639م) المؤذن الأول في الإسلام كان يعزف عليه فعرف بِ (أبي

الطنابير) وعرف بِ (أبي السناجك). قال بدر الدين عبد الرزاق في محاضرته ان النبي (ص) سأل بلالا عن تعلقه الشديد بهذه الآلة في الجاهلية والإسلام فذكر له بلال أنها تذكره بمواعيد الصلاة فلم ينهاه عنها.

وتشمل طقوس الإنشاد المسيحي في الكنائس اليمنية نماذج قدم بعضها إلى اليمن من أكسوم فتأثر بها العرب لاسيما أن بعض القساوسة النجرانيين كان يترددون على محافل الثقافة المتخصصة ببلاغة خطبهم كما كان مع الخطيب المفوه قس بن ساعدة الأيادي (ت 600م) صاحب الحضور في سوق عكاظ بمكة. وكان القساوسة يذيلون الخطبة بمقطوعة شعرية ينشدونها عقب الفراغ منها ويسمونها سلام لأنها تبدأ بلفظ سلام. يقول الشاعر جعفر ابن أخت واصل بن عطاء المعتزلي (ت 748م) في وصف الفيل:

مثل الزنوج فإن الله فضلهم

بالجود والتطويل في الخطب

كذلك للأحباش دور في أدب ألف ليلة وليلة والسندباد الملاح من خلال تجارب الملاحين بشواطئ شرق إفريقية كما أن منهم من كان يطوف بكعبة نجران ويتغنى بالترانيم.

وترافق انتشار الديانة المسيحية مع إدخال أساليب عمران للكنائس (الإجليز بنيت من أنقاض قصر غمدان) وتنظيم اجتماعي تدرجي بين رجال الدين. وتذكر النقوش اليمنية الوجود الدائم والمنظم لجاليات أكسومية وكنائسها في:

العاصمة الحميرية ظفار

الميناء الحضرمي قنا الذي استوطنه قوم من شرق إفريقيا في القرن 6 و7 للميلاد

ميناء (موزع –المخا-الركب – بني عبد المجيد)

مدينة نجران حيث كعبة الكنائس اليمنية

جزيرة سقطرى التي دخلتها المسيحية في القرن 6 للميلاد وربما قبل ذلك حيث وجدت في كهوفها نقوش إثيوبية تعود إلى الفترة ما بين القرن الثاني والرابع الميلادي.

و تنظم هذه الجاليات نفسها بحيث يكون لها رأس للجالية يمثلها لدى الحاكم الوطني ورجل دين يرعاها ويضمن خصوصيتها في العقيدة والعبادة. ومن المؤشرات الاقتصادية المهمة للحضور الحبشي في اليمن تداول العملات الحبشية بدءا بعملة الملك إيزانا بن الامايدا وعملة النجاشي كالب وتكرر هذا عصر الإسلام باستخدام اليمنيين عملة إمارة أوفات الإسلامية في الحبشة التي كانت للجبرتة الزيالعة.

وإذا كان الخليفة عمر بن الخطاب (ت644م) أجلى المسيحيين من بني الحارث النجرانيين عن أرضهم في نجران في سني حكمه فإن هناك ما يدل على استمرار الوجود المسيحي وأنشطته الثقافية حتى القرن 16 للميلاد. ذلك ان رئيس البطاركة النساطرة طيموثاوس، نصب أواخر القرن الثامن للميلاد أسقفا لنجران وصنعاء اسمه بطرس. وذكر أنه حوالي عام 1210للميلاد كان في منطقة صنعاء خمسة أساقفة وأسقف في مدينة زبيد، وأسقف في نجران، وأنه كان في حوالي عام 1250للميلاد أسقف في عدن. وفي كتاب تقويم الكنيسة النسطورية نجد الإشارة إلى أن في نجران يومئذ من عام 1260للميلاد ما يربو على 1400 أسرة تتبع الكنيسة النسطورية يرأسهم الأسقف يعقوب وله 15 قسا و35 شماسا. ويذكر الرحالة ابن المجاور (ت 1291م) خلال زيارته نجران أن ثلث سكانها كانوا ما زالوا على المسيحية وثلث آخر على اليهودية علما بأن أقدم إشارة إلى الحضور اليهودي باليمن تعود إلى اعتماد اليهودية كدين رسمي لحمير في عهد ملكها ذرا ايمن في القرن 4 للميلاد حتى عهد ابكرب أسعد. وفي جبال شمال اليمن الوعرة وجدت جاليات من المسيحيين واليهود بدليل عهد الأمان الذي منحه لهم كذميين مؤسس الدولة الهادوية ذات المذهب الزيدي الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين (ت 911م). ويذكر الرحالة ماركوبولو (1254-1324م) أنه علم بإنشاد أهل جزيرة سقطرى للطقوس المسيحية. وخلال احتلال البرتغاليين لجزيرة سقطرى في الفترة (1507-1511م) التقى البرتغاليون بالمسيحيين السقطريين الذين كانوا في عزلة مطبقة عن باقي العالم المسيحي وبحسب المدون جوى دي باروس (ت 1570م) فانهم ظلوا يقومون بثلاث صلوات يومية ينشدون خلالها تراتيلهم باللغة السريانية، لتتلاشى أخبارهم بمجيء القرن 17 للميلاد.

وقد عجب الخليفة عمر بن الخطاب (ت 644م) لما شاهد 400 من الحضارمة من قبيلة السكون المتفرعة من قبيلة كندة يقودهم معاوية بن خديج وحسين بن نمير متجهين لمعركة القادسية في جيش سعد بن أبي وقاص (ت 674م). ذلك أنه لاحظ وجود شباب سود البشرة ذوي شعر سبط فسأل عنهم معاوية بن خديج وارتاب منهم مرارا وتكرارا قبل أن يسمح لهم أخيرا بالتحرك في جيش الإسلام في معركة القادسية. وهنا نلاحظ ان الخليفة عمر يكرر الاستغراب بداعي اللون الأسود من قبيلة يمنية جاءت من حضرموت بينما كان الرسول محمد (ص) قد استغرب لنفس السبب سواد رجال قبيلة بني الحارث المسيحية. هذا قد يدل على أن ألوان بعض أهل اليمن لم تكن تشبه ألوان المرجعية العروبية قريش ومن كان يتردد من العرب على الحج إلى مكة أو المتاجرة في إيلاف قريش. وهذا غريب بعض الشيء فدونك قبيلة بني سليم العدنانية اشتهرت بالسواد؟ والأمر يدل على أن اللون الأسود شائع على مدى الجغرافية اليمنية غير محصور في قبيلة واحدة وانما حظيت هاتان القبيلتان بالتنويه لانهما وصلتا المدينة المنورة حيث يوجد مفهوم مغاير للون البشري المتوقع من العرب. وتجد فيما بعد في شعر الدوامغ بين قحطان وعدنان الكثير ممن يغمزون اليمنيين لسوادهم باعتبار ان ذلك ليس شأن العرب الأنقياء. وكان الفاروق عمر بن الخطاب خلال خلافته يود محاسبة واليه على اليمن يعلي بن أمية (ت 657م) لأن المواطنين اليمنيين ضجوا بالشكوى من عبيده وأذيتهم لهم في صنعاء دون ان يحرك الوالي ساكنا فأمره بالقدوم إليه راجلا إلى المدينة المنورة لكن مقتل ابن الخطاب المفاجئ حال دون محاسبة الوالي إذ جاءه البشير وهو في طريقه راجلا إلى المدينة بمقتل الفاروق والبيعة لعثمان بن عفان (ت 656م) الذي ثبته في موقعه وقد كان الوالي من بني أمية حسب اسمه المذكور.

وفي خلافة عمر بن الخطاب (ت 644م) أعتق اليمني الجديد الدخول في الإسلام حمزة بن ايفع الهمداني 4000 عبد من عبيده، فانتسبوا في قبيلة همدان مما يعني أن دماء هؤلاء والمتسلسلين منهم قد أصبحت دماء قبلية همدانية مرموقة بمجرد أن زالت عنها وصمة الملكية. ولو تصورنا أن ألوان

أولئك المعتوقين كانت سوداء لصعب امتصاصهم في قبيلة عربية يمنية بيضاء كهمدان فيما يبدو!

لم تقف الملاسنات القحطانية – العدنانية فقد فتح باب لما عرف بأدب الدوامغ يتهاجى فيه الناس مدعين نقاءهم العرقي كعرب من أي دماء حبشية أو رومية أو فارسية الخ وهي نزعة شعوبية سبقت الأدب الشعوبي ذاته كما يرى الدكتور جعفر ظفاري (ت 2009م)!

فمن بواكير ذلك ما ورد في ديوان الشاعر المضري أوس بن حجر (ت 620م):

ولو كنت في غمدان تحرس بابه

أراجيل أحبوش وأسود آلف

إِذًا لأَتَتْنِي، حَيْثُ كُنْتُ، مَنِيَّتِي

يَخُبُّ بها هَادٍ لِإِثْرِيَ قَائِفُ

ومن بواكير ذلك قول الشاعر المضري الكميت بن يزيد الأسدي (ت 743م) معرضا باختلاط دماء أهل الجنوب بدماء الأحباش تارة والفرس تارة أخرى:

وما ضربت هجائن من نزار فوالح من فحول الأعجمينا

وما وجدت نساء من نزار حلائل أسودين وأحمرينا

ويذكر عالم اللغة المبرد(ت 899م) من شعر العرب قولهم عصر بني امية عن جماعة من سود اليمن:

إذا النفر السود اليمانون تمتمواله حوك برديه أجادوا وأوسعوا

من هنا نفهم أن المطرب العباسي ابن جامع أحد ثلاثة كلفهم الخليفة هارون الرشيد (ت 809م) باصطفاء أفضل 100 صوت سافر إلى اليمن موطن طفولته فالتقى هناك جارية يمنية سوداء معها قربة نزلت بها إلى المشرعة وغنت فراقبها عن بعد فأطربته فحفظ لحنها. فلمّا عاد ابن جامع لبغداد غنى ذلك اللحن للخليفة هارون الرشيد. والمسعودي (ت 956م) صاحب كتاب (مروج الذهب) ينقل عن الأصفهاني (ت 967م) صاحب موسوعة (الأغاني) أن ابن جامع غنى امام الرشيد أغنية شعبية كانت مألوفة في اليمن حيث سمع فتاة سوداء تغنيها. وينفرد السراج القارئ البغدادي (ت 1106م) صاحب

كتاب (مصارع العشاق) بالإشارة إلى أن لقاء ابن جامع بالجارية السوداء كان في المدينة المنورة ولم يكن في اليمن. لكن هذا لا ينفي خبرا يقول إن ابن جامع كان في صحبة امه طفلا في اليمن عندما استجارت بمعن بن زائدة حاكم اليمن (ت 769م) للخليفة أبو جعفر المنصور (ت م775) لتطليقها وكانت أمه من بني سهم من قريش تزوجت رجلا يمنيا بعد وفاة زوجها والد ابن جامع. وكان صوت جارية اليمن السوداء المذكورة يقول:

إلى الله أشكو بخلها وسماحتي

لها عسل مني وتبذل علقما

فردي مصاب القلب انت قتلته

ولا تتركيه هائم القلب مغرما

وفي عهد هارون الرشيد كان تنصيب أول عبد حاكما في اليمن الإسلامي وهو حماد (البربري) من موالي الرشيد وقد امتد حكمه للفترة (800-809م).

*****

الاحتياج للرقيق

باستقراء الاحتراب اليمني عبر حقب الصراع السياسي والطائفي والمذهبي والسلالي والقبلي والعرقي وبربط ذلك بالتطور الاقتصادي - الاجتماعي واختلاف وسائل الإنتاج من فترة لأخرى نجد حاجة ماسة للشغّيلة والأيدي العاملة الوافدة من الجنسين لتغذية الأنشطة الحربية والاقتصادية والاجتماعية وكلها من تلك التي ترتكز على عمل يدوي وبدني شاق يتطلب استعدادا فيزيوجنوميا خاصًّا. وكان هذا الاحتياج مستمرا على مدى العصور لأن الحاجة إليه كانت تتجدد بالتنمية وفتح أسواق التجارة وتعمير ما خلفته كوارث الحرب والجفاف والمجاعة والأوبئة رغم ما كان يسببه من قلق في أمن وأمان اليمنيين حينما يتطلع العبيد السود إلى السلطة والثروة في جزء من اليمن. وكان الحصول على العبيد والجواري والمخصيين باستمرار هو ضمان تسيير أنشطة مثل:

- الحاجة للمقاتلين وللجند والحرس الأشداء ذوي الهيبة والشجاعة والقدرة القتالية الممتازة المسمين ب(الفحول) للعمل كمرتزقة أو قوات نظامية للملوك والأمراء اليمنيين مع دراية وخبرة باستخدام السيوف والحراب والسهام. كانت الحروب تؤدي إلى زيادة في شراء العبيد. وكان عدد من هؤلاء يرقون إلى أمراء على الجند ونقباء كما كانوا يسمون لأن الحكام اليمنيين كانوا يضمنون منهم الولاء والطاعة المؤكدة وكذا سهولة عزلهم ومصادرة أملاكهم في اي وقت فليس لهم جذور قبلية يستندون إليها أو دعاوى سياسة تمكنهم من الاتكاء عليها بالثأر. ولهذا قلنا إنهم كانوا كعسكريين أقرب إلى المرتزقة. كانت شريحة الفحول من العبيد تطلب لأجل الاستشارة والإدارة والقيادة للحرس والجند مثلما جاء الوصيف الحسين بن سلامة النوبي (ت 1014م) ضمن 500 من الوصفان ومثلما جاء الوصيفان الحبشيان نجاح ونفيس. وقام الأشراف الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير في مطلع القرن 20 للميلاد بإقامة إمارة إدريسية على يد إمامهم محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي (ت 1922م)

باستقدام أبناء خؤولتهن من السودان للعمل في الجيش الإدريسي الذي خاض المعارك مع الجيش اليمني الإمامي ومع جيوش أخرى. والى ذلك جعل ثاني أئمتهم علي بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإدريسي وقد حكم للفترة (1922-1926م) في صبيا من ابني جده لامه الشيخ هارون الطويل (محمد وعبد المطلب) من دنقلة بالسودان وزراء وقوادا للجيش. وكانت الثقافة القتالية تشمل تنظيم ديوان الجند وحروب القلاع والاستخبارات العسكرية، والاستعانة بمن يدعم في المناطق المجهولة، كما كانوا يقومون بإرسال قوات الاستطلاع إلى المواقع الأمامية، وتنظيم حراسة المعسكرات بشكل دوري وإجادة استخدام السيوف والحراب والنبال أو النشاب والأتراس.

- كان تجار أحرار من أهل الصومال يقبلون على الإقامة في المكلا والشحر بحضرموت حيث يمارسون تجارة مربحة في البخور والمر مع اليمنيين ويجلبون بدورهم معهم عبيدهم الأفارقة ليقوموا عنهم بالعمل الزراعي الشاق لهذه النباتات العطرية في اليمن(التحبيش). وهناك وثائق بريطانية عن ان الأفارقة الأحرار يتنقلون عادة تجارا وبحارة وجندا مرتزقة عبر البحر حوالي عام 1840م.

- الحاجة للعمال الزراعيين. ونلاحظ أن الرق في تهامة تاريخي ساعد عليه ان بعض الأسر المتنفذة التي تملك أراضي زراعية أوسع من تلك القطع الصغيرة في مدرجات الجبال وصغار الوديان في الهضبة اليمنية اجتلبوا من حين لآخر رقيقا اشتروه بسبب القرب من البر الإفريقي حتى يحصلوا على شغيلة تزرع الأراضي الخصيبة المروية بفيضانات الوديان الشهيرة كوادي مور وهو الأكبر في تهامة حتى انه يعرف بميزاب تهامة الأعظم وأودية رمع وسهام وسردد وجميعها تنحدر غربا لتصب في البحر الأحمر. وفي الزراعة تصبح الحاجة أكثر إلحاحًا عند موسم الحصاد لعمل يدوي شاق، وكذا الاشتغال بمزارع رعي الماشية وتنظيف حضائرها. وقد وجد أصحاب المزارع في عسير وجيزان وتهامة في المخلاف السليماني وحجر وحريضة في حضرموت ووادي السلمون وعين بامعبد في شبوة في القرنين الماضيين أن ميزة كثير من العبيد الأفارقة في العمل بالزراعة هو حصانتهم من الإصابة بداء الملاريا المعطل للعمل وللإنتاج كونهم

يعانون أساسا من فقر الدم المنجلي الشائع وراثيا في إفريقيا مما يمنحهم مناعة بيولوجية ضد الإصابة بداء الملاريا. ويرى الدكتور عبد الودود مقشر ان قبيلة الزرانيق في تهامة استكثرت من العبيد لقرب الشط الإفريقي منهم ليضمنوا العمل الزراعي الثابت والخدمة المنزلية وأحيانا للتباهي كما حدث مع شيخهم يحي منصر وشيخهم محمد يحي فاشق وابنه الشيخ حسن الذي امتلك مئات العبيد. لكن الزرانيق على عكس سادة تهامة لم يتزوجوا الجواري حفاظا على نقاء دمائهم. والزرانيق يقيمون العبد بخلقه وخلق مالكه وقد يرون من افتقد حميد الخصال من الرقيق دونا كشريحة الأخدام المنبوذة. ويلاحظ أن الدكتور حسين العمري يشير إلى أن العبودية في تهامة اليمن الإسلامي لم تكن نمطا إنتاجيا مهما في عملية الإنتاج بما يمكن مقارنته بدور العبيد في مزارع البيض في أميركا.

- قطع الحجارة من مقالعها بالجبال ونقلها إلى مواقع البناء والتشييد. ومثال على ذلك ما حدث في عدن خلال حكم دولة بني زريع (1083-1173م) إذ استورد أحد الولاة أعدادًا من الرقيق الزنوج المسماة (العلوج)رجالا ونساء لأجل البدء للمرة الأولى في تاريخ المدينة في تسوير عدن وتأسيس مقالع الحجارة في جبال عدن. كان (العلوج) رقيقا زنوجا ضخام الأجسام يصلحون للعمل الشاق لأوقات طويلة في مقالع الحجارة دون أي كلل ثم نقلها إلى المواقع المطلوبة لتشييد أول سور واقي للمدينة والعمل أيضا في أحواض الملح وصيد الأسماك والملاحة وفي بعض الزراعة أيضا. وقد كان دور الإماء حمل الحجارة على ضهورهن فتأمل. هم من الزنج وقيل أكثرهم من نواحي جزيرة زنجبار وسواحل ودواخل شرق ووسط إفريقيا وجزائر المحيط الهندي. وقد وصفوا بأنهم شداد ضخام الجثة وهذا تفسير المرتضى الزبيدي (ت 1790م) صاحب (تاج العروس). عرفت عدن العلوج في دولة بني زريع كما كان العلوج في عدن جندا عبيدا في حقبة الملك الرسولي المنصور نور الدين عمر (ت 1249م) وبلدته منصورية. وكانوا متهمين باحتراف الإجرام وإتيان الفظائع التي لا تخطر على بال مسلم في عدن وبلدة منصورية مستقوين بكونهم جندا بالجيش الرسولي حتى انه قيل انهم كانوا ينبشون القبور بحثًا عمَّا يسرق من



الجثث وانهم يأتون ذلك رغم كونهم اسما مسلمين. وفي عصر بني زريـع وصل الموسيقي والشاعر والأديب الكنزي ابن الزبير الغساني الرشيد (ت 1166م) صاحب (المقامة اليحصبية أمنية الألمعي ومنية المدعي) إلى عدن عام 1144 م موفدا من الخليفة الفاطمي بمصر وصار له شأن في عدن حتى سمي (علم المهتدين) لكنه فوجئ بان سواد لونه دفع أحد الشعراء إلى هجائه في قصيدة جاء فيها:

وقالوا بعثت لنا علم المهتدين ولكنه علم أسود

- صناعة الغوص على اللؤلؤ في جزر بالبحر الأحمر وبحر العرب كأرخبيل سقطرى ودهلك وكمران وفرسان ومرافئ اللحية والشحر للفترة (يونيو- سبتمبر) المسماة موسم الغوص. والغوص وظيفة خطيرة على ممتهنها تختصر عمره مبكرا ويظل أسيرها لاسيما وانه لا يملك فكاكا منها فتجار اللؤلؤ، ويسمون في الخليج العربي (الطواويش)، الذين يعمل الغواص على سفنهم يكونون قد دينوه مستحقاته مسبقا ليتمكن من جعل أسرته تجد قوتها ريثما يكون هو في موسم الغوص شهورا وهكذا دواليك تستمر رحلة الاستدانة من الطواويش أو ربما الطواهيش لتتكون عبودية من نوع معين.

- الخادمات والممرضات المنزليات ويقمن بإلباس المرضى من الأسياد وتزيينهم وتقديم الطعام لهم وحمل متاعهم الخاص عنهم مع أداء متطلبات الشراء والطبخ والتنظيف والغسيل ورعاية الأطفال وتربيتهم في القصور ومساكن ملاكهن. وكثيرا ما يتسرى بهن السيد إذا كن مملوكات له. فإذا انجبت إحداهن ولدا وجب إسلاميا تحرير رقبتها لأنها تصبح أم ولد. فالإمام الزيدي المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد سيل الليل وقد حكم للفترة (1676 -1681م) أمه أمة حبشية اسمها زهراء أهداها لأبيه الوالي العثماني باليمن محمد باشا حينما كان مسجونا لدى العثمانيين. وأم الإمام المهدي عباس(ت 1775م) زنجية مملوكة وقال الألماني كارستن نيبور (ت 1815م) حينما التقى في عام 1763 للميلاد إمام اليمن المهدي عباس بقصره بصنعاء أنه وجد لون بشرته قريبا من لون امه السوداء التي كانت جارية لأبيه فتزوجها.

يذكر الدكتور حسين العمري أن نيبور ذكر أنه وجد أن العبد النقيب جار الله ذا شأن عند سيده الإمام المهدي عباس. أيضًا أم الإمام المتوكل أحمد بن علي بن عباس (ت 1816م) حبشية مملوكة. وكذا أم سلطان لحج على عبد الكريم العبدلي (ت 2016م).

- أداء الحرف الدنيئة اجتماعيا لاسيما ان في المجتمع اليمني التقليدي قائمة طويلة للمهن الوضيعة التي يأنف عن أدائها السادة والطبقات المجاورة لهم في التراتب الاجتماعي اليمني المتوارث.

- امتلاك الجواري من إفريقيا أوّلًا ثم لاحقًا الجواري المملوكيات من آسيا وأوروبا بدءا من عهد دولة بني أيوب عبورا للتفنن في هذا المنحى خلال دولة بني رسول المرفهة وانتهاء بضم إمارة اليمن إلى دولة العبيد المماليك البيض في مصر لحفنة من السنوات خارت بعدها قواهم امام اقتحام العثمانيين للقاهرة في القرن 16 للميلاد بحيث أعقبوا المماليك في حكم اليمن. أما المآرب التي تحققت بوجود متجدد للجواري المتنوعات الأعراق في أسواق الرق اليمنية فتتعدد من استيلادهن والإشباع الجنسي عبر التسري بهن إلى الترفيه بسماع القيان منهن ومشاهدة رقصاتهن ومنادمتهن شرب الخمرة في مجتمع محافظ لا يقيل لنسائه الحرائر هذه الأدوار والأجواء.

و للمهارة الفردية هنا أهميتها القصوى حيث أبدت الطبقة الحاكمة شغفا جليا بفنون الأداء من رقص وعزف وغناء تقدمه الجواري المعروفات بالقيان. كما تصدى لمهمة المتاجرة بالقيان أحد الوجهاء بافتتاح مدرسة لتعليم هذه الفنون وما جاورها من مهارات يحبذ وجودها في القيان. ودخلت المكيدة السياسة على الخط فعرف ذلك الرجل الكثير عن علم السموم واستعان بقيانه في تسميم وقتل بعض الأسياد في عصر بني نجاح مستغلات الطمأنينة التي تكون قد نشأت بين السيد والقينة. وحبذت الجواري على العبيد وكان عدد الاناث إلى الذكور 2:1 أي الضعف. ومن حيث الاثنية حبذت الحبشيات على البانتو الزنجيات بل وحتى على النوبيات رغم انه ورد في الأثر ان (خير سبيكم النوبة). يذكر الكاتب ابن بطلان (ت 1064م) في رسالته عن العبيد

الجواري الحبشيات أن لهن نعمة الأجسام ولينها وضعف وخيرية ومياسرة وسلاسة وانقياد، والنوبيات السودانيات ذوات ترف ولطف ونصف وابدان يابسة مع لين بشرة قوية مع دقة وصلابة وأخلاق طاهرة وصور مقبولة ودين وخير وعفة وتصون وإذعان للمولى كأنهن فطرن على العبودية! ثم جواري أخريات يصلحن للعمل الشاق ينضحن بالقوة الجسدية. ويرى ابن بطلان (أن الزنجيات شديدات السواد مساوئهن كثيرة كلما زاد سوادهن قبحت صورهن وتحددت أسنانهن وقل الانتفاع بهن وخيفت المضرة منهن والغالب عليهن سوء الأخلاق وكثرة الهرب والرقص وفيهن جلد على الكد فالزنجي إذا شبع فصب عليه العذاب صبا فانه لا يتألم له، وليس فيهن متعة لصنانهن وخشونة أجسامهن. أما الهنديات فلهن حسن الأقوام وسمرة اللون وحظ وافر من الجمال مع صفرة وصفاء بشرة وطيب نكهة ولين نعمة ووفاء عهد ومودة). وقد وجدوا قبولا في دولة بني نجاح وكانت أم الملك جياش بن نجاح (ت 1104م) جارية هندية.

وكان الإمام الزيدي عبد الله بن حمزة (ت 1217م) وأولاده قد اقبلوا على الجواري التركيات واستعان الإمام بالعبيد الأتراك في الحروب الخاصة داخل أسرته مع المنافسين.

اذن لا تنحصر الجبلة الفيزيوجنومية الإفريقية المطلوبة في أجسام الرجال فقد كانت هناك حاجة لجواري وكانت الميزة الجسمانية لهن تكمن في تفضيل الحسان والشابات منهن فهذا ما يبحث عنه الأسياد من إماء وحواشي ووصيفات ومحظيات وسراري وقيان. لكن عددا من النسوة كن يحضرن للعمل كخادمات منزليات مما يجعل لهن بصمة تربوية على الأبناء ولغتهم ويعملن في الطباخة والتمريض والغسيل والتنظيف. كانت اعداد النساء الجواري ضعف اعداد الرجال العبيد فأتاح هذا تزاوجا أكبر بين عرب اليمن وهؤلاء الاماء مما أدى إلى امتصاصهن عائليا بعد فترة وجيزة فإذا انجبت الجارية لمالكها ذكرا غدت لا يمكن بيعها أو اهدائها لشخص آخر ولا بد من عتقها إذ تصبح (أم ولد). وإذا تزوجت الأمة مالكها وتوفى عنها سقطت عبوديتها. فالأب هو من يحدد النسب والوضعية للطفل لا الام.

- بوجود هذه الاعداد من الجند والحرس الأفارقة برزت الحاجة العسكرية إلى وجود ما عرف بالطبلخانة أو فرقة الموسيقى العسكرية لتوجههم معنويا. جاء هذا الميل إلى الإطراب عند الأفارقة من اجل الحصول على رضا الأسياد وتخفيف الأعباء وليس لسبب فلكي كما ذهب القزويني (ت 1283م) أو لسبب بيولوجي داخلي كما ذهب ابن خلدون (ت 1405م). أيضا ظهرت الحاجة إلى أفارقة يفرغون للعمل كعازفين على الطبول والملاهي على السفن يرفهون عن زملائهم الملاحين والبحارة الأفارقة وغيرهم في عملهم الشاق ويضمنوا وحدة إيقاع العمل مما يزيد في أرباحه. أن من ينهض بهذه المهمة لم يكن دوما عبدا بل قد يكون حرا يتقاضى على عمله هذا قدرا كبيرا من مجمل أرباح السفينة ويعرف مثل هذا الفنان في الخليج العربي ب(النهام). ولأن السفن كانت ترسو في المرافئ اما اليمنية أو الإفريقية ربما لأشهر قبل أن يحين موسم السفر في الاتجاه الآخر الذي تقرره الرياح الموسمية في شمال غرب المحيط الهندي كان هؤلاء (الفنانون) يحتكون بالفنانين الذين يكونون في تلك المرافئ ربما كجزء من طاقم سفن أخرى أو كجزء من الشبكة الفنية المحلية في ذلك المرفأ. وأتاح هذا تثاقفا نلمسه من خلال وحدة عدد من الأهازيج والإيقاعات والطقوس البحرية بين الشطين. وكان الرقص إجباريًّا على الرقيق برا وبحرا بأمر الأطباء والتجار لتحقيق الصحة وبالتالي تحقيق المردود المادي من بيعهم. كما كان لا بد للسفينة من مقاتلين دائمين عليها يحمونها من هجمات القراصنة الذين كثيرا ما يختطفون الرهائن إلى أرخبيل سقطرى.

*****

أسواق الرقيق

كان الرق في اليمن مرحلة من مراحل تطور المجتمع واقتصاده كما يرى الباحث الماركسي سلطان أحمد عمر (ت 1993م) صاحب كتاب (نظرة في تطور المجتمع اليمني). كان اليمنيون قبل الإسلام يستعبدون يمنيين آخرين من غير ذوي البشرة السوداء يسدون بهم الحاجة لوظائف العمل ضمن وسائل الإنتاج وانماطه يومئذ. وسلطان أحمد عمر يفسر من منظور ماركسي توالي الانساق في المجتمع اليمني من المشاعية الفوضوية إلى العبودية إلى الاقطاع إلى الرأسمالية مبشرا بقدوم المشاعية المنظمة عبر تطبيق الاشتراكية العلمية، وليس في تنظيره ما يدل على انحصار العبودية في اليمن في الإنسان الأسود أكان من أصل إفريقي أو هندي. أيضًا لم ترد إشارة إلى وجود تجارة رقيق مع إفريقيا إلا في القرن الميلادي الأول.

وقد عرف أن الملك الحميري شمر يرعش (ت 312م) سن قانونا خاصا بالاتجار بالعبيد.

وفي النقوش اليمنية القديمة يرد اسم (عبدن) أو (عبدم) بمعنى عبد. ولكن هناك تقسيمات أخرى مثل:

- عبيد يوهبوا لآلهة المعابد لخدمتهم.
- عبيد للملك الحاكم يسمون (رب ملك) أي ربيب الملك أو عبد الملك.
- عبيد الأرض يسمون (امتي) و(ادومت).
- عبيد السقاية والفلاحة والبناء يسمون (مادبت).

و كان من يسمى (ادم) أدنى من كافة العبيد المملوكين مكانة وهم كما رأينا عبيد الأرض.

أمَّا قاطع الحجر وسائس الخيل فكان ينظر إليهما كطبقة دنيا لكنهم أحرار غير مملوكين.

ويشير الدكتور عبد الودود مقشر إلى أن اليمن الأسفل قد تأثر بقربه من إفريقية وبنشأة المستوطنات البشرية والحضارات فيه بحيث أن العلاقة بين المزارع ومالك الأرض أصبحت تأخذ شكل اتفاق (الجنتلمان) فيما بينهما.

ومع ذلك فإن شعرا ينسب لامرئ القيس بن حجر الكندي (ت 540م) يبكي زوال ملك أبيه ويتذكر يوم أن كان يغزو بالحبوش والبرابرة وأهله اليمانيين حتى هجر في شرق جزيرة العرب حيث سوق المشقر وقيل هي بالقرب من قرية ذات الكهل وموسم سوقها أول جمادي الآخر حتى آخره:

وبعد أبي في حضن كندة سيدا

يسود جموعًا من حبوش وبربرا

ويغزو بأعراب اليمانيين كلهم

له أمرهم حتى يحل المشقرا

جاء جل الرقيق الأسود لأسواق اليمن من نواحي الإقليم المحيط باليمن كقرن إفريقيا وزنجبار السواحل ووسط إفريقيا والسودان والحبشة والهند. وكان العبيد الذين يأتون إلى اليمن من الهند سود اللون. وهناك إشارات مثلا إلى الرقيق الذي كان يهدى أو يقايض أو يقدم كضريبة، فمن ذلك:

- في العام 979 م كان حاكم أرخبيل دهلك في البحر الأحمر يقدم كضريبة سنوية 1000 عبد منهم 500 جارية حبشية ونوبية لحاكم دولة بني زياد وعاصمتهم زبيد أسحق بن إبراهيم بن زياد أبو الجيش صاحب الحرملي (ت981م). وكانت المعاهدة قد أبرمت مع أبيه إبراهيم بن زياد عام 970 للميلاد.

- تلقى السلطان الأيوبي المسعود بن الكامل بن أيوب (ت 1229م) هدية من 100 عبد من أمير مدينة شبام بحضرموت.

- في العام 1647 للميلاد أهدي نجاشي الحبشة فاسلداس (ت 1667م) إلى إمام اليمن الزيدي المتوكل على الله إسماعيل (ت 1676م) 20 عبدا حبشيا كما قيد ذلك المؤرخ اليمني الذي زار الحبشة الحسن بن أحمد الحيمي (ت 1659م) صاحب (سيرة الحبشة).

- استبدل أمير هرر الإمام الغازي أحمد بن إبراهيم قران (ت1543م) أسرى أفارقه من المسيحيين والوثنيين كعبيد مع اليمن عبر مرفأ زيلع ليتحصل من سوق اليمن على الأسلحة كالسيوف والحراب والمدافع خلال حربه القوى المسيحية في إثيوبيا. كذا وصل إليه مدد من متطوعي بلاد المهرة ليشاركه الجهاد ضد خصومه بعاطفة نصر الجهاد الإسلامي منهم سعيد بن شعبان المهري واحمد بن سليمان المهري. وعندما وقع الكثير من الاسرى المسيحيين في يده بعد انتصاره في إحدى المعارك الكبيرة أهدى منهم 2500 لحاكم زبيد العثماني بن بهرام بعد سنة 1529م. ثم وفر الإمام أحمد قران بمساعدة الحاكم العثماني في زبيد بن بهرام جنودا لعون بهدور سلطان جزرات المسلم بالهند في التصدي للأسطول البرتغالي المعتدي وكان مسارهم إلى الهند عبر اليمن. كما ساند حبوش اليمن السلطنة المظفرية في كامبى بالهند في القرن 15 م. وهذا يذكر بقصة العبد الحبشي مالك عنبر (ت 1626م) الذي اختطف من بلده هرر إلى ميناء المخا حوالي ذلك الزمكان وانتهى به الأمر إلى حاكم مهيب في الهند حيث عرف بالحبشي وكان له دور كبير في الحد من طموح المغول في التوسع نحو بلاد الدكن في جنوب الهند حيث آزر نظام شاه في مدينة أحمد ابادنجار الهندية في الدكن. وفي مرحلة من المراحل كان من أسرى الإمام قران المرسلين إلى تهامة الأمير منياس ابن الإمبراطور الحبشي لبني دنقل الذي قضى نحو عامين في العبودية في زبيد (1541-1542م). لكن الأمير منياس حصل على الخلاص في صفقة تبادل أسرى لأن قوات والده في الحبشة نجحت بدورها في أسر محمد ابن الإمام قران. وكان الإمام أحمد قران وحلفائه من المسلمين في القرن الإفريقي خاصة المقاتلين الصومال والجالا (الارومو) والدناكل نجحوا في التذكير بإمارات الطراز الإسلامي السبع أو ممالك الزيلع (1289-1405م) التي هي اليوم بلاد اريتيريا والصومال خلال انتفاضة قران للفترة (1529-1543م) لكنه قتل فجأة سنة 1543 للميلاد فكان أن تقهقرت قواته وتغلب المسيحيون على أكثر المنطقة. وكانت تلك الجغرافيا قد عرفت بسلطنة أوفات الإسلامية التي أسسها الأمير عمر والاسمع وعرف سكانها بالجبرتة الزيالع والتي ساعدت في مد نفوذ دولة بني رسول في اليمن إلى الشط الصومالي لبرهة من الزمان. ومما وقفنا عليه أنه كان لبني رسول عام 1371م سيطرة يمنية على زيلع

عبر والي زبيد أمين الدين اهيف. وبعد أن قتل الأمير سعد الدين بن أبي البركات والأسمع حاكم إمارة أوفات بالحبشة في زيلع عام 1402 م ولجأ ولده صبر الدين الثاني علي بن سعد الدين للملك الرسولي الناصر أحمد بن الأشرف إسماعيل (ت 1424م) بزبيد لمؤازرته في استعادة السلطة عاد فعلا بمساعدة يمنية للحكم للفترة (1414-1422م) وتسمى ملك إمارة عدل عام 1421 م. ويذكر محمد علي الشوكاني(ت 1834م) في (البدر الطالع) بربطة ورق عملة أوفات وقد أشار الشوكاني إلى العملة وذكر أيضا أن بيع الرأس الواحد من الرقيق بربطة ورق أوفات إذ كانت أوفات تتزعم ممالك الطراز الإسلامي ويعود ذلك لقوتها الاقتصادية والعسكرية، بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي الذي مكنها من السيطرة على الطرق التجارية والقيام بتجارة الذهب وتصديرها إلى العالم الخارجي لمعلمين وقضاة شافعيين وطلبة من أبنائهم إلى البلدان العربية لغرض التعليم أو التعلم. وكانت أخت صبر الدين قد تزوجت من شيخ المخا الذي ارتبط اسمه بمشروب البن اليمني علي بن عمر الشاذلي (ت 1424م). وقد أسمت المصادر اليمنية تلك المنطقة خاصة مرفأ وجزيرة زيلع (بر سعد الدين). وكان ممن وثق التعاون بين بر سعد الدين وسلطات اليمن الشيخ الصوفي إسماعيل الجبرتي (ت 1403م) الذي كان بجامع بزبيد.

ترك المسلمون بدخولهم الإسلام أعراف الرق في الجاهلية ليتخذوا العرف الإسلامي الجديد. فالإسلام لا يبيح استرقاق: -

- المدين المعسر
- صاحب الجريمة
- ولا يبيح خطف الآمن في بلده واتخاذه عبدا

وللإسلام قانون جزائي وقانون للوراثة بحيث ان اسر عبد مملوك للعدو في الحرب ينقل تلقائيا ملكيته لسيده الجديد. وعلى صعيد غنيمة الحرب توجد حالتان قانونيتان رئيستان هما:

- فتح بلاد عنوة واسترقاق أهل الذمة والمرتدين والأعاجم المشركين والكفار من العرب غنيمة الفيء والأسر والسبي ومصادرة الأرض.

- فتح البلاد صلحا مع قبول للإسلام أو دون ذلك بما يحصن أهل الذمة والأرض الزراعية. وهكذا فإن أسري الحرب لا يغدون رقيقا بل يتم سجنهم ثم مبادلتهم بأسرى المسلمين إذا لم يدخلوا في الإسلام.

و لم يشع في اليمن التعامل بالرقيق على سبيل دفع الضريبة وتسديد الديون وقضاء الأعمال الشاقة للمحكومين. وكان يمكن لاقتتال القبائل اليمنية المسلمة أن يستمر في دفع أعداد مُقدَّرة من بيض اللون إلى حالة الرق والعبودية سبيا عند خصومهم كما كان الحال فيما قبل الإسلام عندما كان الرقيق الأسود أقل حضورا عامة مقارنة بالرقيق الأبيض من عرب اليمن. لكن اليمن لم تعرف أسرى الحروب سبايا أو الاختطاف بدافع الاسترقاق أو بيع صاحب الدين المعسر سدادا لدينه أو صاحب الجريمة عقوبة له بما كان يسمى بعرف الخلع في الجاهلية. فهكذا باستثناء التجاوزات التي لا تخلو تجارة النخاسة منها خاصة عند قيام التمردات السياسية الدينية الواسعة النطاق التي تجترح لنفسها عرفا خوارجيا جديدا كما فعل ابن مهدي(ت 1164م) باسترقاق عرب تهامة البيض فإن أسواق الرقيق في اليمن كانت تتغذى بالتجارة الرسمية مع الخارج عبر المندوبين من التجار النخاسين الذين يترك لهم أمر (تدبير) البضاعة بالمقايضة مع رؤساء القبائل الإفريقية أو بالخطف واللصوصية عبر مهاجمة القوافل واسترقاق أصحابها أو القرصنة بمهاجمة السفن بعرض البحر ونهبها واسترقاق ركابها عبيدا وجواري.

عموما حفظت مؤسسة الرق في اليمن للعبيد امتيازات ثابتة وظل العبد والجارية يحتفظ كل منهما بحقه في ان يكون مدينا ودائنا وشاهدا في المعاملات فكانت له استقلاليته وقوته المالية من العمل التجاري الخاص به مثلا. وفي عصر الإسلام تبازغت أسواق للنخاسة في عدن وزبيد وتعز وحضرموت:

سوق سد حباشة: عرفت اليمن أسواق الرقيق قبل الإسلام أهمها سوق سد حباشة الذي كانت تديره قبيلة عنيقة اليهودية في تهامة. وقيل ان النبي محمد (ص) كان يمر بسوق سد حباشة خلال تجارته برحلة الشتاء إلى اليمن قبل البعثة (إيلاف قريش). وقيل السوق في الطريق إلى نجران. وحباشة سوق تهامة الأعظم للأزد من ناحية اليمن تبعد 6 ليال عن مكة وتقام لثمانية أيام في رجب غير مرتبطة بالحج.

سوق عدن: كان الجغرافي المقدسي (ت 1000م) صاحب كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) أول من وصف سوقا للجواري في عدن عند زيارته لها في القرن 10 م وذهب إلى أن البرابرة أسوأ أنواع الثلاثة المجاميع من الخدم التي التقاها. أما الرحالة الدمشقي ابن المجاور (ت 1290م) صاحب (تاريخ المستبصر) فقد قدم التفاصيل عن ذاك السوق وقال: (ما رأيت أوقح ولا أوسخ ولا اقل حياء من البرابر فلا جزاهم عن الإسلام خيرا). فهو يتهم الجواري الوافدات من مرفأ بربرة بالصومال بضعف الوازع الديني وان نسبوا إلى الإسلام ثم يترك ابن المجاور وصفا فريدا لسوق الجواري في عدن في القرن 13 م فيه الكثير من استهانة وفحش الأسياد بالجواري المعروضات من قبل التاجر (الخواجا) في حضور التجار الذين يسميهم ابن المجاور الفجار، فمن خلع الثياب إلى تقليب مختلف أعضاء جسد الجارية بما في ذلك معاينة الفرج من غير ستر ولا حجاب وأكثر من ذلك فبعض المشترين يدعي العيب أو الغش بعد ان يشتري الجارية وينال منها وطره فيرفع عند الحاكم قضية بذلك بعد عشرة أيام من استمتاعه بها. وهو يذكر مخازي الجواري بما يجرح الذوق منهم نساء جماعة (السناكم). يقول ابن المجاور عن الجواري في سوق عدن ما يفيد أنهن: (يمارسن البغاء علنا في الظاهر وهن مبتذلات الفروج في حالة هرج ومرج وهذا العمل عندهن ليس بعيب وليس بعار عند سكانها أهلها وغريبها فترجع الجارية ترجو الفرج للرجل ولا حرج والى الآن هذا موجود في عدن من الغريب وأهلها وليس هذا الفن عندهم عار). كانت الجارية إذا أرادوا بيعها (تبخر وتعطر وتعدل ويشد وسطها بمئزر ويطوف بها المنادي في الأسواق وعندما يحضر التجار لشرائها يفحصونها فحصا دقيقا فيقلبون بدنها ورجليها وفخذيها وسرتها وصدرها ونهديها وشعرها وأسنانها ولسانها وغير ذلك من الأماكن الأخرى فإذا أعجبته اشتراها). ويبدو ان هذا التفتيش الدقيق من اجل معرفة سنها وجمالها وخلوها من العيوب الجسمانية فكلما كانت الجارية صغيرة السن وجميلة اقبل الناس على شرائها. وهو يذكر التجار النخاسين الأفارقة مقادشة نسبة لمقديشو وزيالعة نسبة لزيلع وكلاهما من ثغور الصومال كما يذكر التجار الأحابيش نسبة للحبشة. وربما كان موقع ذلك السوق في عدن ما يعرف اليوم بالسوق الطويل في المدينة القديمة كريتر(crater) فقد جاء في شعر شعبي حديث إشارة إلى

السوق الطويل والى تخوف من يسترق الناس من عقوبات المحاكمة البريطانية لممارسي هذا النشاط الذي كانت بريطانيا قد حاربته بعد احتلالها لمرفأ عدن سنة 1839م:

زمان كنا وكانت صمصمة

قروش بيضا نشلشلها شليل

والله يا ناس لولا (المحكمة)

لأدل به عبدا في (السوق الطويل)

سوق زبيد: تحوي مخطوطة نادرة لمقامات الحريري (ت 1122م) قام برسم منمنماتها سنة 1237 م الفنان يحي بن محمود الواسطي في بغداد رسمة من أجواء سوق العبيد في زبيد. والرسمة مشروحة تصور مساومة بين النخاس والمشترين في وجود العبيد حتى بيع أحدهم لمزاياه بمبلغ 200 درهم. وسوق زبيد هذا أصبح يعج بالجواري من البيض من السلاف والشركس والترك والرومان والصقالبة والكرد والبلقان والمغول والهنود الخ ولم يقتصر على الزنوج والأحابيش وذلك بمجيء عصر بني أيوب (1173-1229 م) حيث عرف العبيد البيض اللون بتسمية (المماليك). كانت أثمان الرقيق الذين تشتريهم دولة بني رسول كبيرة التكلفة ذلك أنه ينتظر من النخاس:

- **تدبيرهم شراء أو سرقة أو خطفا.**
- **نقلهم مع تغذيتهم خلال النقل.**
- **إلباسهم وتزيينهم استعدادا لبيعهم.**
- **وهناك اجر الدلالة لمن دل بالصفقة إضافة إلى الضرائب الحكومية.**

وهكذا فإن ضريبة الجارية الحبشية في زبيد في زمن الملك الرسولي المظفر الأول (ت 1295 م) كانت تبلغ ١٠ دنانير. وكان ملوك بني رسول يستأثرون بأفضل العبيد والجواري مباشرة من ميناء وصولهم عبر شبكة اقتصاد الرق التي تشمل الخطافين والقيم والدلال والسمسار إلى جانب النخاس.

عرفت أسواق الرقيق في اليمن طائفة من النخاسين الحاذقين الذين عرفوا بين الناس باسم الخواجات بدءا من حقبة دولة بني أيوب في اليمن ووصف

هذا الرحالة ابن المجاور (ت 1291م). وكان مجمل نشاط هؤلاء هو التوليد والتهجين بين أعراق العبيد المختلفة لتحسين النسل باتجاه إنجاب وتربية عبيد وجواري أكثر:

- **جلدا**
- **ذكاء**
- **حسنا**

ثم تسويقهم بأسعار أعلى للمشترين.

.



(سوق زبيد)

ولأن عهد بني أيوب في اليمن جاء بمماليك ومملوكات من شعوب آسيوية وأوروبية بيضاء اللون فانه كان ضربة البداية لعمليات التجار الخواجات في مشروعهم هذا في التهجين والتوليد. فقيمة العبد أو الجارية تأتي من حيث:

- العمر: إذ العمر المفضل هو ما دون 20 فالغلمان هم من تتراوح أعمارهم بين 6 و12 عاما. والوصفاء هم من تتراوح أعمارهم بين 12 و16 عاما فهم في

العمر الذي يدخل فيه معظم الرقيق في الخدمة وأحسنهم ما وفد من النوبة كالحسين بن سلامة أو من الحبشة أو من أرخبيل دهلك. لذا نجد في عهد دولة بني زياد ان اليمن تستقبل سنويا 500 وصيف و500 وصيفة من النوبة والحبشة كضريبة على صاحب دهلك يقدمن لخدمة الأسياد في حواضر صنعاء وزبيد وعدن وهي مراكز القرار السياسي في إمارات اليمن المختلفة يومئذ.

والى جانب التوليد بمحاسن الجنسين يلجأ النخاسون للحيل مثل التجميل:-

- تطييب رائحة الفم
- تنعيم للشعر
- تجميل للوجه
- تلميع البشرة بالزيت.

ذكر المقدسي انه شاهد في سوق زبيد مجاميع الأفارقة النوبة والبجة والحبش.

ويمكن اعتبار عملية الإخصاء لذكور العبيد نوعا من أنواع التحوير في فطرة العبيد وفقا للعرض والطلب عليهم وهو ما شاع في دولتي بني أيوب وبني رسول ما بين القرنين 12 م و15 م. وتنوعت الحكمة من الإخصاء من منع التوريث وبالتالي منع منازعة الحكام من قبل المخصيين المعروفين بالمماليك الطواشية ذوي السعر العالي وكانت هناك حاجة إلى الخصيان في البيوت والقصور فهم الحرس والبوابون والرسل والوسطاء بين عالم الحريم والعالم الخارجي. فمفرد الطواشية يسمى خادم والمسئول على هؤلاء يسمى الأستاذ. ولأن التعاليم الإسلامية تحرم الإخصاء برمته فقد كان يؤتى بهؤلاء من بلادهم مخصيين اما بقطع الانثيين الخصيتين أو بقطع القضيب وهو ما يعرف بالجب فالخصي الذي لا قضيب له يسمى مجبوبًا، واما بسل الخصيتين أو برضهما دون مساس بالقضيب وهي جراحات تودي بحياة كثير من الصغار لذا حرمها الدين الإسلامي. وكانت بلدة انكوبر وبلدة اليو امبا في سلطنة شوا في الحبشة من أشهر المناطق التي يتم فيها إخصاء الرقيق قبل قدومهم لليمن لكن هناك إشارات إلى أن العثمانيين في حكمهم اليمن كانوا يتسامحون في إجراء الإخصاء على الأرض اليمنية. وتظل قوة الخصي أكبر من الجارية إلا أن جانبه يؤمن

من حيث النسوة اللواتي يخدمهن بأمر سيده أو هكذا يظن! والملاحظ أن الخصيان الأفارقة أعانوا باقي الأحباش بسلطتهم السياسية والإدارية كما ضمنوا العلماء واقاموا الاوقاف الدينية من خلال قربهم من أصحاب القرار في الدولة.

ويذكر الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (ت 1497م) صاحب (طبقات الخواص) الشيخ ابا الحسن علي بن المرتضى الحضرمي (تقريبا 1264م) الذي كان بزبيد ودفن هناك بتربة سهام. إذ هو صاحب حكاية هداية (السناكم العبيد) وشيخهم العازف على الطبل فقد التقى المرتضى الحضرمي جماعة السناكم التي تقطن قرب زبيد فوجدهم لا يراعون الشرع الإسلامي فيأكلون ما تعفن ويشربون الخمور ولا يؤدون الصلوات وشيخهم له طبل يعزف عليه ويحدثون ضوضاء بالغناء والرقص واللهو واللعب لكن شيخهم يتضح انه من أبدال الصوفية! وقد صنفهم الشرجي الزبيدي كعبيد. ويعلق البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) على تصنيف الشرجي هذا بقوله ان كلمة العبيد يومئذ كانت تطلق على مجامع عدة من السكان الداكني البشرة وذوي الملامح غير العربية حتى وان لم يكونوا رقيقا مملوكا. أما الدكتور عبد الودود مقشر فيقول إن السناكم هو الاسم القديم لجماعة (الأخدام) المعاصرة في اليمن. ويذكر ان السناكم ظل اسم الأخدام حتى القرن 17 م وهم جيتو أي جماعة مغلقة وبعضهم عمل بدائيا في (الطفي والمناخل والجونيات).

سوق الشحر: يطلق الباحث أحمد عبدالقادر الملاحي (ت 1970م) في (المدونة التاريخية الحضرمية) على الرقيق المستوردين إلى مينائي حضرموت الشحر ثم المكلا اسم (الحاشية) كما يطلق عليهم اسم (حاملي المحفة - عيال المقدام - عبيد السركال). وبرزت كلمة (الحاشية) لتشير إلى القرب النفسي والمكاني لمجاميع العبيد من السلطان أو الأمير فهم حاشيته الخاصة. ويشير القاضي والفقيه الحضرمي بحرق (ت 1524م) إلى وجود كثيف للعبيد والجواري من منطقة داموت بالقرن الإفريقي في مدينة الشحر ويصنفهم إلى صفر وسود اللون وقال منهم من كان على الوثنية. وكان القاضي بحرق قد تعامل قضائيا معهم هناك.

و يذكر مؤرخ الشحر الطيب بأفقيه (ت 1630م) صاحب كتاب (تاريخ الشحر) ان معظم حاشية وجند السلطان الحضرمي بدر أبو طويرق (ت



1569م) كانت من العبيد النوبة استعاض بهم عن أكثر الجند المحليين نحو سنة 1535 م حيث كان لا يضمن انقلاب الجند المحليين والقبائل العربية عليه.

و قد كان ميناء الشحر يتلقى عددا من شحنات الرقيق خاصة التي يرسل بطلبها إلى الأسواق الكبرى في زنجبار وجدة مقدما وبمواصفات مطلوبة في العبد أو الجارية. وكان حكام دويلات حضرموت المتناوشون يتنافسون على أن يكون لدويلاتهم منفذا على الساحل الحضرمي كفرضة الشحر فهذا يتيح لهم استيراد المقاتلين من جدة وزنجبار والهند وغيرها عبر الطلب من النخاسين الذين لديهم مندوبيهم في الشحر. كانت شحنات الرقيق تأتي إلى الشحر من شرق إفريقيا حيث يقبل على شراء الذكور الفحول سلاطين وأمراء حضرموت المتصارعين ويستقوون بهم جندا وحرسا على بعضهم البعض.

و قد عرفت الشحر ثم المكلا بكونها الثغر الذي تأتي عبره جماعات مختلفة من رقيق الحاشية:

- نوبة من السودان. وفي القرن 19 م كانوا الأكثر عددًا والأغلى ثمَنًا مقارنة بالعبيد البحارة. وفي عام 1835م يذكر كابتن سفينة بريطانية مشاهدته 700 فتاة نوبية في سوق المكلا للرقيق.

- البحارة السواحيليون. ويتفرعون إلى المومباسيين من مومباسا والزنجباريين من زنجبار.

- التكارين من بلاد التكرور.

- الفلاتة من نيجيريا.

- التلود. وهم الناشئون بحضرموت فهم الجيل الثاني أو الثالث من الرقيق.

كما يذكر الهولندي لوديفيك وليم كريستيان فإن دن بيرخ (ت 1927م) الذي كتب عن الحاشية عبر الاستبيان من حضارمة أرخبيل الملايو زهاء عام 1886م زمن الاستعمار الهولندي للملايو أنه لم تعد توجد عملية استيراد منتظمة للعبيد. وعليه يطلب العبد إلى الشحر التي يأتيها الرقيق من جدة أكبر مركز لتجارة الرقيق في الجزيرة العربية كلها على حد قوله ثم يسلم للمشتري. وقد ميز بين جماعتين هما:

- جماعة الخدم الأحرار ويستعان بهم في الزراعة والأعمال الحرفية.

- جماعة العبيد المملوكين للأغنياء في بيوتهم. وذكر أن العبيد عادة يمتهنون حرفة أسيادهم فعبيد القبائل يحملون السلاح ويزرعون الأرض وعبيد البرجوازيين يحترفون المهن البرجوازية. وعلى الرغم من جذور العبيد النوبية والصومالية فإن اكثرهم قد ولد بحضرموت فيظلون هم ونسلهم في البيت نفسه يخدمونه ولا يتغير سيدهم إلا في حالة وفاته وحينئذ يتقاسمهم الورثة إلا إذا فضَّل هؤلاء الاحتفاظ بالتركة كما هي. ويتزاوج العبيد فيما بينهم البين ويُفضَّل أن تتم الزيجة في البيت نفسه، وإذا كان أحد الزوجين لسيد مختلف عادة ما يقوم سيد الأمة بشراء الزوج ويندر أن يقترن عبد بحرة أو أمة بحر. والعادة الحضرمية هي عدم إضفاء الأسماء العربية العادية على العبيد فهم يمنحون أسماء خاصة مثل فرج ومبروك ومرجان وعبيد ويُسر وأمان ونصيب وسعد الله وسالمين وللإماء أسماء كرحمة وزعفران، ولا أسماء عائلية تميزهم في آخر الاسم بل ألقابًا كالقصير والطويل. وتنتسب ذرية العبيد المحررين إلى فئة الخدم الأحرار وبعض هؤلاء يبحثون عن الثروة خارج حضرموت حال عتقهم وبعضهم يستقر لذلك حتى في الأرخبيل الهندي وبلاد الملايو. وفعلا تشيع أسماء الأحجار الكريمة بين العبيد في اليمن مثل ياقوت وفيروز وجوهر ومرجان والماس أو تشيع أسماء الطيب كعنبر وكافور ومسك وبعضهم يسمون سعد وفتح وفرج.

و خلال الفترة (1937-1938م) نجد البريطانية فريا ستارك (ت 1993م) تقول إنها خلال زيارتها لشبوة: (في وادي السلمون وجدت منصات من أشجار النخيل وحقول القمح تمت رعايتها تقريبًا من قبل العبيد. كان مالكوها من البدو المحليين الذين لا يشرعون في العمل بأيديهم وكانت معاملتهم للعبيد بقسوة من خلال الطعام الضئيل والضرب، ويستكثرون عليهم حتى هدية الملابس اللائقة. الوضع نفسه وجدته عند العبيد العاملين في الزراعة في منطقة عين بامعبد بشبوة وهي واحة قريبة من الساحل الحضرمي وحيث وجدت قرى الرقيق معذبين ومضروبين ممن كان يديرها وهم المالكون البدو حتى ان العبيد كانوا يتمنون لو تقوم بريطانيا بتحريرهم). بينما ينتشر أحفاد العبيد في حضرموت في: الجفيرة، بلعاد المائي، قرحة باعميش، خريبة، السويد،

عرف مره فإن الهولندي فإن در ميولن (ت 1989م) ذكر في وقت مقارب انه وجدهم عبيدا للزراعة في منطقة دوعن.

أوجدت تجارة الرقيق وقودا رخيصا للحروب، ونشطت عمليات الشراء في الحجاز وتركيا وإفريقيا، ووفرت علاقات تجارة الرقيق مع شرق إفريقيا للحضارم والعمانيين إحدى وسائل تجارة البحر الأحمر في عشرينيات القرن التاسع عشرالميلادي، فأبحرت السفن من المكلا وموانئ حضرمية أخرى إلى زنجبار لغرض جلب شحنات العبيد وبِيع بعضهم في حضرموت أو خارج حضرموت. وفي الفترة ما بين(1850 . 1880 م) عمل ميناء المكلا والشحر كمحطة توزيع احتلت قدرا من الأهمية للعبيد لمختلف الموانئ العربية، وكذلك كمدخل لعساكر عبيد للحروب المستمرة بين القعيطي والكثيري والكسادي(1703-1881م) وعاصمته المكلا وبن بريك(1751-1866م) وعاصمته الشحر الخ. كان وصول العبيد المعروفين بالحاشية من زنجبار والصومال إلى المكلا والشحر تجارة هامة بالبحر الأحمر والمحيط الهندي منذ 1820م حتى فترة (1850-1880م) لتتوقف فعليا في عام 1880م. وفي عام 1852م شارك العبيد قبائلهم في الهجوم على كودة آل عوض بن عبد الله ولكنهم انكسروا لأن عدوهم تنبه لقدومهم من الطبول التي ضربوها قبل الهجوم.

و شهدت أواخر أربعينيات القرن 19 م حتى عام 1876 م صراعًا مستمرًا بين الكثيري واليافعي لعب فيه جنود الحاشية في الفريقين ادوارا مهمة في القيادة والقتال كما أشار المؤرخ سالم بن حميد الكندي(ت 1892م) صاحب (العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وجديدة تاريخ حضرموت).

سوق ميدي: نشط هذا السوق في القرنين 19 و20 م. فقد انتعش بالجواري الدنكليات والإفريقيات اللواتي كان يقبل عليهن أعيان إمارة الأدارسة في المخلاف السليماني وهو السوق الذي قدم لنا اللبناني أمين الريحاني (ت 1940م) وصفا له في كتابه (ملوك العرب) حيث وصف منطقة تاجوراء الإفريقية بأنها وطن الدناكل وتجارة الرقيق في الفترة 1880 - 1936 م على الأقل. فزع أمين الريحاني إبان زيارته تهامة وعسير نحو سنة 1921 م من تفشي داء العبودية، فكتب وهو في تهامة تغلفه مشاعر الإحباط: (كنت أؤمل، على فرض وجود الرقيق والنخاسة، ان تكون الحكومة ناهضة للأمر متعقبة

المجرمين، ساعية في محق هذه التجارة المستنكرة، الأثيمة، فوجدتها في الحجاز وعسير نائمة - وا أسفاه- أو متناومة، أو عاجزة. بل وجدت الحكومة أحيانا حليفة الرعاع). يقول أمين الريحاني إذا أراد أحد السادة الأدارسة شراء جارية حسناء يجئ إلى ميدي فلا تضل خطاه ومناه. وكان سوق ميدي مركزًا لتصدير العبيد الترانزيت من اليمن إلى باقي الجزيرة العربية. ويذكر أن منظمة عصبة الأمم أشارت إلى أن رقيقا كثر من اليمن يصدرون لابن سعود في الحجاز حوالي عام 1926م. وفي عام 1934 م كان الشيخ محمد بابو أحد شيوخ مدينة دنقلة بالسودان محتكرا تجارة العبيد في ساحل جيبوتي، وقد فرض على جميع السنابيك المغادرة مينائي تاجوراء وأوبوك بحمولات العبيد إلى ميدي أو جيزان اليمنيتين ان تجلب معها في ايابها حمولات مقايضة من الأسلحة الفائضة التي توفرت عند اليمنيين بعد هزيمة العثمانيين في الحرب الكونية الأولى. وكانت السنابيك تتظاهر بنقل الخشب والفحم لكنها تقايض حقيقةً العبيد بالسلاح. يُخطَف العبيد الإثيوبيون وخاصة البنات الصغار من انحاء أديس أبابا الغربية من جماعات كافا وولغا ومن بني شنقول السودانية وهؤلاء مقرّهم غرب إثيوبيا منطقة تتبع شيخ خوجلي الذي كان يفرض رسوم ضريبية على تجار العبيد فيها، وكل العبيد من أصول عرقية زنجية ويُسَمون باللغة الأمهرية بجماعة الشنقالة نسبة لبني شنقول. وهُم ليسوا حاميين مثل الجالا الأرومو ولا ساميين مثل الامهرا. هؤلاء هم من يستقوى عليهم ويخطفون ويتاجر بهم عبيدا. ثم يعبر العبيد المخطوفون في مسارات سريّة إلى شمال أديس أبابا ثم إلى أسواق العبيد في باتيس وداوا (مناطق تابعة لقبيلة العيسى الصومالية) ومنها يساقون إلى تاجوراء الجيبوتية بتنظيم التُجار الدناقلة. في تاجوراء يجري تنظيم العبيد في جبل الغواد ويفرض عليهم سلطان رهيتا ضرائب تجبى عبر شيوخ قبيلة العيسى الصومالية. ثم يباع العبيد إلى التجار العرب في جيبوتي مقابل 160 دولار للرأس. ثم انهم لا يبعثون من موانئ تاجوراء الرئيسة لليمن مباشرة توجسًا من الرقابة البحرية البريطانية، فيرحلون بدلا من ذلك إلى رأس دمار حيث يفرض سلطانها المحلي ضريبة إضافية عليهم. وحينما تهب الرياح على البحر الأحمر بين شهري نوفمبر ومارس، تنشط السنابيك الشراعية وترفد سواحل جيبوتي موانئ غرب الجزيرة العربية بأسراب العبيد والجواري صغيرات

السن. وكان مرفأ تاجوراء ومرفأ أبوك من أنشط الموانئ التي وفد منها العبيد إلى شمال اليمن ثم الجزيرة العربية خلال القرنين 19 م و20 م.

و كان الإيطاليون في إرتريا قد فرضوا هناك عبودية السكان المحليين على طريقة السخرة ولم يجتهدوا في محاربة تجارة الرق منذ وصولهم في عام 1885م ومارسوا التهريب بين 1930-1950م حتى خسارتهم للحرب الكونية الثانية. ومن ناحية ثانية كان العلم الفرنسي يحمي قوارب النخاسة في الفترة (1925-1929م) لأن فرنسا التي كانت تدير فنارات جزر ابو علي وجبل الطير والزبير كانت تخفي قوارب النخاسة عن الإنجليز ففي اتفاقية لندن عام 1888م تم تقاسم الساحل الشرقي الإفريقي بين المستعمرين فرنسا وإنجلترا. وقد كان النخاسون يلبسون العبيد رجالا ونساء ملابس العرب كغطاء الرأس الغترة ثم يهربونهم عبر مرفأ تاجوراء الخاضع من حيث النفوذ للحكم الفرنسي في جيبوتي بحيث يركب كل 10 في زورق ينطلق بهم لمرفأ الحديدة اليمني عبر خور غلافقة ثم يتجهون إلى أرخبيل فرسان. كان للنخاسين بعدن مستعمرة بريطانيا عيون وجواسيس ترصد تحرك قطع الأسطول البريطاني التي تعمل على إفشال تجارة الرق في عرض البحر وتتصدى لتجارة بيع السلاح للأفارقة مقابل الرقيق فحرب اليمن أورثت بعد الحرب العالمية الأولى أسلحة فائضة وبنادق تركها الأتراك العثمانيون المنسحبون قايضها اليمنيون بالرقيق فقد كان رؤساء القبائل الإفريقية يتطلعون للتسلح، وقد تعرض المجري لاديسلاز فراجو(ت 1980م) لتلك الألاعيب في كتابه. وفي الفترة 1840-1885م، كان التاجر الزيلعي للرقيق أبو بكر إبراهيم باشا وأسرته يديرون أكثر حركة الرقيق بين الشط الإفريقي واليمني.

وحينما أقام الشريف محمد بن علي بن محمد ابن السيد أحمد ابن إِدْرِيس المعروف بـ الإِدْرِيسي (1876 -1923م) دولته في المخلاف السليماني وعاصمتها صبيا في عام 1906م احتاج لكثير من أهله السودانيين للقدوم إليه لمساعدته في الحرب مع جيرانه. وكان قد تزوج سودانية من دنقلا هي الشريفة مريم بنت الشيخ هارون الطويل العباسي فانجبت له خليفته علي المولود في دنقلا عام 1905م والذي حضر لصبيا عام 1913م حيث تسنم الحكم سنة 1923م بعد وفاة والده لثلاث سنوات تنازل بعدها عن الحكم لعمه الحسن.

وقد استعان الإمام علي بخاليه محمد وعبد المطلب أبناء هارون الطويل وجعل مناصب دولته فيهم من حكام ووزراء وقادة جيش وجند وطبقة عاملة . وكانت مجاميع كبيرة من العبيد السودانيين في المخلاف السليماني وعسير مملوكين لأشراف بني شيبة هناك تعمل في الزراعة. وقد جاءت إمارة الأدارسة في المخلاف السليماني وعسير للفترة (1906-1934م) دولة زنجية دينية ذات ارث صوفي لغلبة العناصر السودانية والإفريقية في مؤسساتها الحاكمة وجيشها وطبقتها العاملة لكنها لم تكن دولة قبلية كباقي الإمارات اليمنية التي تحكمها القبيلة في معادلة الاستقواء والغلبة والتنافس على السلطة والثروة، فامتازت عنهم بهذا النسق والنظام المغاير والفريد في المشهد اليمني.

*****

التراتب المجتمعي القديم

عند المؤرخ الحضرمي عبد القادر الصبان (ت 1999م) يكون الهرم الاجتماعي التقليدي كما يلي:-

- سادة وأشراف هاشميون.
- أمراء وسلاطين.
- قبائل ومشائخ تحمل السلاح ان حضرمية أو يافعية الأصل.
- قروان أو قرار وهم أهل البلاد والحضر يتوزعون على تجار وطلبة وسكان أصليين للقرية أو المدينة.
- حويك مساكين يتوزعون على مهن محظورة على الطبقات الأعلى ويعرفون بخدام الحويف.
- حاشية العبيد جند السلطان السود المجلوبين من إفريقيا والهند، ولا يحق لهم الزواج إلا من طبقتهم أو من طبقة الضعفاء التي تليهم. ويسمى المولد منهم تلود. وكان الكثير من الرقيق يعفون من فريضتي الحج والزكاة وسنة أداء صلاة الجمعة !. و(تكون دهينتهم أو حفلة زواجهم بما فيها من حناء ومرجه وأصوات مكونة من طبل ومزمار في رقصة شرح زامل العبيد. وتكون على شكل حفل حناء يتجه لبيت السلطان أو نائبه ويصاحب باطلاق الرصاص ومن ثم الاتجاه لبيت العروس. وفي دهينتهم يدقون الأرض بأرجلهم ثم تكون الحناء ثم التنصورة حيث يقوم الخادم يحنن ويلبس العريس من العبيد. وبعد الطرح النقدي يتقدم العريس بلبسه الرسمي والباكورة الركب مع عيارات نارية نحو قصر السلطان أو مقر النائب ثم بيت أهل العروسة وتتم مراسيم العقد وقد يكون العقد قد سبق بأيام).
- ضعفاء وهم دلل سماسرة وعمال مزارعون وبناؤون وصيادون وأهل الخلاء وعوش وعيال عنتور. والضعفاء تكون دهينتهم بفرقة بني مغراة ويأتي الأداء سريعا مع مغني وضارب مرواس مما يعطي مرازحا وزواملا مثل:

- **(يا ليلة السعد عودي عودي لينا بالسعادة)**
- **(تسلى يا قليبي شوف الدنيا مخلاة)**

و قد انتقد الشاعر محمد عبد الله أحمد السقاف بانقيل (ت 2013م) تقاليد الحراوة (الزواج) عند الطبقات الدنيا وذكر العصا أو الباكورة إذ يقول:

(شي طاسه وشي زامل والا قروح تتحضرم)

و ثانية ينتقد الشاعر محمد عبد الله أحمد السقاف بانقيل(م1927 - م2013) تقاليد الحراوة في سيئون فيقول:

ولي سموهم الضعفا حراوتهم مرازح بس
معرسهم بأول صف عصا بيده ويتنكس
وقائدهم يتهدرس بالمغنى ويتشنس

و كذلك فعل الشاعر المعلم عبد الحق الدموني (ت 1873 م) إذ يقول:

(وذا عبر عمره يرونه رجس من جنس الخدم)

و في التعريف بالبنية القبلية في اليمن يقول الدكتور عبد الودود مقشر أن القبيلة اليمنية انحدرت من نظام أسري فعشائري فقبلي كمجموعة بشرية متضامنة تشترك في نسب قرابي واحد وثقافة واحدة ومصالح وأعراف وارث تاريخي وديني ولغوي وأرض معروفة لا يشاركهم فيها أحد وتنظيم سياسي واجتماعي واقتصادي وعسكري (حمل السلاح). ومما تجمع عليه العقلية القبلية التقليدية هو ظاهرة احتقار القبيلة للسوق وسكانه المسمون الضعفاء وقد مرت بنا ظاهرة احتقار العمل اليدوي عند اليمنيين فشعراء العرب العدنانيين كانوا يعيرون كافة العرب القحطانيين بأنهم لا يجدون فيهم إلا (حائك برد، وسائس قرد، ودابغ جلد وراكب عرد)! وفي هذا ما يذكرنا بقصة من الأدب الجاهلي هي(فلتقم صاحبة الحاجة إلى حاجتها)!.

و يلاحظ الدكتور مقشر أن هذا النسق الشمولي يتفكك في اليمن الأسفل حيث تصبح العلاقة تعاقدية بين المزارع ومالك الأرض تأثرا بنشأة المستوطنات البشرية والحضارات اليمنية القديمة في ذلك الحيز الجغرافي من البلاد إضافة إلى التأثر بالأجواء الاجتماعية للبر الإفريقي المواجه.

وعاش المجتمع اليمني بعد الإسلام في تراتبية طبقية متقاربة سواء في غربه أو شرقه وشماله أو جنوبه مع وجود بعض الفروقات. فالنموذج الحضرمي في دوره الصوفي كما اورد محرر سقط عني اسمه في شبكة الإنترنت أنه في كل فئة عليا في الهرم الاجتماعي تكون هناك فئة أعلى وفئة أدنى على النحو الآتي:

أ: فوق فئة التعالي: وهي المناصب ومنهم: أقطاب الصوفية.

ب: تحت فئة التعالي: وهي المشايخ ومنهم: الفقهاء.

أ: فوق فئة التسلط: وهي المقادمة ومنهم: السلاطين.

ب: تحت فئة التسلط: وهي البدو ومنهم: عسكر الحكومة.

أ: فوق فئة التمسكن: وهي القرار (الحضر) ومنهم: المهنيون.

ب: تحت فئة التمسكن: وهم الحجور في مناطق معينة ومنهم: الأقنان.

لكن هذا النظام الطبقي التقليدي في حضرموت مثلا تعرض لهزات نتيجة التعليم وتحسن الظروف المعيشية للسكان خاصة في مطلع ستينات القرن 20 م. ولكن كانت أشدها وطأة تلك التي أحدثها النظام الاشتراكي العلمي في حضرموت بعد الاستقلال في عام 1967م فجمد دور المناصب وألغى وجود السلاطين وسلح الفلاحين والعمال والصيادين وخلق منهم قوة مسلحة هي المليشيا أنهوا بها مفعول(القبولة) تحت حماية النظام الثوري واستبدلوا نظام الحوف بلجان الدفاع الشعبي العين الرقيبة بين أوساط المجتمع).

و يعود نظام الحوف للقرن 12 م وقد جاءت الحوف بالطبقية وأسست لكون ناس يقدمون خدمات عامة لناس آخرين يفوقوهم:

- نسبا
- قوة
- علما ومعرفة.

و الحوف جمع حافة وهي نظام لتجمع سكاني صغير داخل المدن ويشمل حيا من أحيائها يطلق عليه الحارة. فالحافة إذن نظام مدني لأداء مهام اجتماعية مجانية تحت قيادة رجل كفء من أبناء الحي يدعى (اللبو)» أبو الحافة «

يتمتع بصلاحيات مطلقة في إطار حافته، يعبر عنها بأن « أمره مطاع وحبله مشدود « ومن صلاحيته تحريـج ابن الحي المحسوب من العاملين في خدمة الحي إن هـو رفض الخدمة. والتحريـج يعني الإيقاف عن العمل وهـو مدخل رزقه. يقترب أبو الحافة في المدن من الشيخ أو المقدم في المناطق القبلية. و(للحوف) تاريـخ في الخدمة المجانية لسكان المدن من إطفاء حريق وإنقاذ غريق وخدمة في الأفراح والأتراح. تأسس نظام الحوف في حضرموت منذ عهد بعيد وأهم ما يميز نظام الحوف في حضرموت أنه أسس على أساس طبـقي اقتصادي تتولى فيه الطبقة العاملة خدمة الطبقة الثرية والقيام بالأعمال اليدوية العامة والمشتركة التي تأنف منها الطبقة العلوية في المجتمع. وكان لكل حافة حدود وهمية تفصلها عن جارتها. وواجب رجال الحافة حماية هذه الحدود من أن يجتازها رجال الحافة الأخرى في واجباتهم الحافية، مما يعني بسط نفوذ حافة داخل حدود حافة أخرى. و(كم من مشاحنات ومشاكسات ولكم وطعن يفتعل على هذه الحدود بين سكان المدينة الواحدة). وينعكس التقسيم الطبقي في:

- المهن
- التوزيـع السكني
- الملابس
- الكلام
- قواعد الزواج
- الأدوار في الطقوس المشتركة.

وفيما يتعلق باهل الجلدة السوداء نلاحظ في كل الأهرام الاجتماعية الحضرمية والتهامية التقليدية ان موقع العبيد الرقيق الوافد من إفريقيا والحبشة أو الهند يبقى أعلى من موقع الأخدام أو الحجور الصبيان أو الضعفاء. يعزا ذلك احيانا لشجاعة العبيد كجند مرتزقة لدى سلاطين القعيطي والكثيري فهم يحفظون الأمن وبعضهم أصبح اداريا بارزا عبر الحراك الاجتماعي إلى أعلى والمقفول في الآن ذاته امام الأخدام وأمام الصبيان والحجور والضعفاء فهؤلاء



يشتركون مع العبيد في العمل بالزراعة والرعي والخدمة لكن الفرق بينهم أن العبيد يحتكون عمليا يوميا بسادتهم الذين لا ينبذونهم فيخدمون أصحاب ارفع المقامات ويتخصصون في العمل في الأعياد والرسميات. كما ينبغي أن نلاحظ انهم من أصحاب الدخل الثابت الذي يأتيهم شهريا من ملاكهم فهم ليسوا ممن يعاني قلقا معيشيا اقتصاديا أو ماليا فيحتاجون للتنقل طلبا للعيش فملاكهم ينهضون بكافة احتياجات اسرهم.

آثار الرِّق السياسية

كان الغرض من شراء الحكام والطامعين في الحكم من اليمنيين للأرقاء الفحول الصالحين للمهام العليا من تحكم وإدارة وقيادة عسكرية وحراسة شخصية وضبط وربط بغرض الاستغناء بهم عن سواهم من الرعايا العرب الذين كثيرا ما يتنظمون في نسق قبلي تحكمه أعراف القبلية المتوارثة منذ ما قبل الأديان فالبلد لم يشهد نجاحا في تفكيك قبليته المفرطة قبل وبعد الإسلام. كان الحكام يهجسون بإمكانية مصادمة القبائل للسلطة محاولة لتحسين ظروفهم بانتزاع بعض الشراكة في السلطة والثروة. وبالمقابل اطمأن الحكام إلى أن الرقيق الأسود لا جذور قبلية له في المجتمع اليمني ولا ادعاء تاريخي بالحقوق فإذا طمع بعد ذلك عبد إلى منافستهم النفوذ سهل التخلص منه بالقتل ومصادرة المال والممتلكات دون خوف من الثأر القبلي. وإمعانًا في تأمين الموقف عمدوا إلى إخصاء الكثير من الرقيق كيلا يطمع الإباء في توريث الأبناء في مواقعهم. وكأنما غدر التاريـخ عند الفيلسوف هيجل (ت 1831م) حضر ليقلب الحسابات فتظهر في الواقع المعيش شهية الرقيق وشهوتهم في الانفراد بحكم ما تيسر لهم من ارض اليمن ومجتمعها مستفيدين من جبلتهم الفيزيوجنومية الإفريقية القوية وثقافتهم القتالية بل ومضوا في طريق الانتقام بقنانة العرب أنفسهم. وإذا كان هذا الأمر أصبح واضحا في مؤسسات دولة بني يعفر ودولة بني زياد المتزامنتين بحيث أصبح أول حاكم على اليمن من

العبيد بعد حماد البربري هو العبد النوبي الفحل الحسين بن سلامة (ت 1014م) القادم كوصيف من النوبة وسلامة هذه أمه النوبية فإن المشروع قد اكتمل بقيام دولة بني نجاح التي يصح أن نسميها دولة الحبشة في اليمن بما صاحب ذلك من استدعاء لصراعات مماثلة شهدتها نفس التربة الجغرافية اليمنية التهامية منذ انبلاج المسيحية كاحتلالات حبشية متتالية لليمن سبقها حضور سبئي قصير وافد على الهضبة الحبشية نحو القرن 8 قبل الميلاد. وفي حين قد يفهم من تحليلنا هذا حنقا من عجز العقائد الدينية في تجسير فوارق القبيلة والطائفة والعرق فإننا نؤكد في هذا المقام على أن العقيدة الإسلامية هي التي مكنت الأرقاء من أن يصعدوا سريعا سلم التراتب الاجتماعي المتوارث ليصبحوا أسيادا لأسيادهم في حقبة جيل واحد أو جيلين استفادة من نمط العبودية في الإسلام مقارنة بأنماط عبودية السود في العالم الأمريكي الجديد الذي يستحيل فيه مثل هذا الاختراق الذي يسره الإسلام من خلال التعاليم الجامعة والاندفاع نحو الاستيلاد حيث لعب الاستيلاد دوره الكبير في تغيير قواعد اللعبة السياسية ان صح القول. وخلال جيل واحد فقط من المحايثة والتدافع صعد الأرقاء إلى العروش مما ادخل البلاد في حروب دامية مزقتها ودفعت بمزيد من المقاتلين الأفارقة للقدوم لليمن مؤازرة لبني جلدتهم أحيانا وترجيحا لكفة على أخرى أحيانا ثانية. ولوحظ الطابع الشعوبي في هذا الاحتراب بما يضعضع واحدية الأرض وسيادتها ويفقد المجتمع سلمه الأهلي والنفسي ويشتت ما قد يكون أخذ في التبرعم من وجدان محلي مشترك وعابر للفروق حيث الكل إلى ملة الإسلام ينتمي يوحده لسان قريش وأبجديتها بعد التخفف من اللغة الحميرية الوطنية وأبجديتها مسندا وزبورا. ولا مندوحة من القول ان يمن ما بعد الإسلام قد عاش بانوراما من الاحتراب بدعاوى شاطحة أخرى لم يكن البعد الفيزيوجنومي لونا وعرقا أحد معاييرها المباشرة وان كنا لا نناقشها هنا. لم تكن تلك المحنة هي الوحيدة التي اختبرت الشخصية الثقافية الجديدة لليمن الذي عرف منذ القدم استقرارا سكانيا واستيطانا بشريا جلبه التقدم في النظام السياسي وفي المدماك والري والزراعة والحرف واستئناس الحيوان والتجارة البرية والبحرية إذ يمكن النظر لذلك باعتباره فشلًا آخر في

تجاوز النعرة القبلية البحتة والتي كثيرا ما تتخفى خلف بعض الدعاوى الدينية السلالية والكيدية. ولأن البعد القبلي البحت صار فيصلا وجدنا اعدادا مقدرة مما عرف في الجاهلية بأحزاب حبشت في اليمن تعود إلى المشهد فتميل إلى بني جلدتها من الأفارقة حتى وان كانوا رقيقا وحديثي الوفود إلى الرقعة الجغرافية اليمنية. وانقسام بهذا الحجم كان حربا أهلية في ذلك الحين حركتها المفاصلة والمفاضلة. ويلاحظ بوضوح كيف أن هناك تباينا طبغرافيا بين يمن المرتفعات الجبلية ويمن السهل المعانق للبحر امتدادا إلى الجزر والأرخبيلات الموجودة في عرض البحر الأحمر والتي تعمل كعمق بشري لأحزاب حبشت متى دعت الحاجة وهو مشهد متكرر منذ الفترة الممتدة مما قبل المسيحية حتى العصر الإسلامي سواء في دولة بني زياد التي جاء مؤسسها مرسلا من المأمون(ت 833م) العباسي لإخضاع انتفاضة قبيلتي الأشاعرة وعك(من أحزاب حبشت) أو في دولة بني نجاح التي ما كان لها أن تزدهر عسكريا لولا اعتمادها على أحزاب حبشت إلى جانب الرقيق المشترى من الحبشة واستخدامها أرخبيل دهلك عمقا بشريا واستراتيجيا. وكانت كل أشكال استئصال الآخر فشلت طوال حلقات الصراع اليمني – الحبشي – الفارسي في الجزيرة العربية. وظلت الجيوب هنا وهناك تحتضن خلايا نائمة تعمل داخل المجتمع كعيون تتقصى اخبار التحركات العسكرية للخصم وتوصل تقديراتها الاستخبارية بذلك إلى من تحمل له الولاء عل ذلك يعينه في كسب جولة القتال القادمة. لقد سيطر أحساس على الناس أن من يهانون وينكل بهم في وقت ما هم غالبا من سيكونون طبقة الحكم في مرحلة تالية من التاريخ. كما كان أرخبيل دهلك المواجه للشط الإرتيري يتبع رسميا للدولة الرسولية في بعض سنواتها. تجدر الإشارة إلى عدد من المظاهر التي ترافقت مع هذه الآثار السياسية والاقتصادية للرق:

- كان الحكام اليمنيون يشجعون العبيد الفحول على الأعمال الحربية والفروسية ومهارات القتال ليصلحوا كجند وحرس وبعضهم كقادة عسكريين لذا قلت فيهم المسكنة واستأسدوا على الرعية وأصبحت تجمعاتهم السكانية بؤرا لأشكال الفساد المحمي بهم وخطرا كامنا في المجتمع. وكانت هذه هي الحالة بالنسبة لتجمعهم خارج الكدراء في تهامة بالقرب من زبيد التي أصبحت

منطقة سيئة السمعة. وتكرر هذا السلوك في عصر بني أيوب من جماعة العلوج الزنج وعهد بني رسول وان كان سلاطين بني رسول كانوا يقتصون للعامة من عبيدهم. ولا ننسى بالمقابل أن بعض الأسياد يشترى العبد والجارية لتسخيره لأعمال منافية للأخلاق كالسرقة وقطع الطريق والاستقواء والرذيلة. وفي عهد بني زياد وعهد بني نجاح وغيرها من الدول اليمنية المستقلة شاع اقتناء العبيد لعبيدهم الخاصين بهم بما زاد من أوزانهم الإجمالية على المستوى السياسي. وهذه نقطة مختلف عليها فقهيا لأن إحدى الفتاوى تستنكر أن يكون للمملوك فاقد الحرية مماليكه الخاصون كما تستنكر أن يكون للمملوك فاقد الحرية أكثر من زوجة! ولا يبدو أن سجل الفتاوى اليمنية قد اكترث بهذا التجاوز! قال أبو مدين شعيب التلمساني (ت 1193م):

أنا عبدُكُم بل عبد عبدٍ لعبدكم ومملوكُكم من بيعكم وشراكمُ

- قام تراتب طبقي داخل جماعة الرقيق نفسها لتقسيم العمل والتخصص والتكامل فقد كان من العبيد من يسمى لمكانته (الأستاذ) إذا كان كبير الطواويش المخصيين و(خادما) إذا كان في أدنى طبقة منهم. ودعي آخرون بألقاب سياسية ك(السلطان) و(الوصي) أو (المعلم) و(الفقيه) حسب مهاراتهم العقلية والعلمية والبدنية. وهذا التنظيم وإن كان مجترحًا من مالكيهم إلا انه عزز قدراتهم التنظيمية ومنح نسقهم الاجتماعي تماسكا رغم عدم وجود جذور قبلية توحدهم في بلاد اليمن القبائلية. وصل العبيد للسلطة في جيل واحد فقط لتداخلهم الدائم بالحكام واستخدام الحكام لهم في مؤامرات السيطرة على مراكز القوى المنافسة في العائلة الحاكمة أو المؤسسة الحاكمة. ومثل هذا التلازم بين السيد والعبد لم يتوفر لأعداد من المواطنين الأحرار سود الجلدة بل أن التراتب الاجتماعي التقليدي في المجتمع قعد لذلك من خلال وضع العبيد في طبقة أعلى من طبقات أخرى من الأحرار سودا أو غير سود كما هو في الهيكل الاجتماعي التقليدي في حضرموت. وعبر مراعاة تشريع الاستيلاد كثقافة إسلامية عامة أصبح بعض قادة اليمن من أمهات إماء حق عتقهن لأنهن أصبحن يعرفن بأمهات الأولاد وتصاحب هذا في دولة بني نجاح مثلا مع

إعطائهن ألقابا رفيعة مثل الملكة الحرة الصالحة الحجاجة وتكليفهن بإدارة أعمال البر مما زاد في شعبيتهن ووارى عنهن سوءة الرق السابقة كما أتاح لهن التدخل في الشأن السياسي بوضوح. وبما أن سكان اليمن ليسوا جميعًا بيضًا بل هم إلى السمرة أقرب لم يكن التمييز باللون يفصل بين الجماعات وقد سمح هذا للرقيق الأسود بحراك طبقي إلى الأعلى. وقام عدد من الوزراء من أصول حبشية في عهد دولة بني نجاح بقنانة عرب تهامة وكان من اجترح ذلك حاشية الملك فاتك الثاني الذين صار بعضهم وزراء لابنه الملك منصور ولم يستعد هؤلاء العرب حريتهم إلا بعد وصول ابن مهدي للسلطة على أنقاض دولة بني نجاح.

آثار الرق الاقتصادية

أمَّا على المستوى الاقتصادي فقد ظلت تجارة الرقيق بأغراضها المتعددة إحدى زوايا المثلث الاقتصادي الفاعل في دول حوض البحر الأحمر والزاويتان الآخرتان هما تجارة الحج الموسمية والتجارة العامة في تبادل السلع والخامات والخدمات. وبالعودة إلى سجلات جمارك الدول اليمنية التي تعاملت بالنخاسة نجد دخلا راتبا معتبرا يصب في خزينة الدولة من ضرائب دخول وخروج كل رأس رقيق بحرا أو برا إضافة للضريبة على النخاسين في أسواق الرقيق المعروفة. ويضاف لهذا أن وجود الرقيق في عمليات الإنتاج المحلي المرهقة التي عادة لا يقدر عليها السكان الأصليون يحرك عجلة الاقتصاد ويزيد الدخل القومي. ومن ناحية أخرى خلقت هذه المداخيل المرتبطة بنشاط الرقيق اعتمادية إضافية عند بيت مال الدولة فوجدناه يرصد أموالا مخصصة للإنفاق في الاستثمار في العبيد وتخصيص الميزانيات لشرائهم حسب المواصفات المطلوبة عبيدا وجواري كبارا وصغارا وبمهاراتهم المختلفة.

آثار الرق الاجتماعية والثقافية

حقيقة الأمر ان عرب اليمن ليسوا عرقا محددا بل تؤخذ هويتهم بعد الإسلام من تكلم اللغة العربية القرشية وتمثلهم ارثها الثقافي على حساب ثقافتهم قبل الإسلام ولغتهم الحميرية وخطهم المسند والزبور، ومن اعتناق الدين الإسلامي الذي شهدوا توحدهم الديني في ظله لبرهة من الزمان على الأرجح بعد أن كان فيهم الوثني والموحد (الرحماني) واليهودي والمسيحي، إضافة للانتماء القبلي وقد يكون تحالفا قبليا أو يكون نسقا قبليا مغلقا على نفسه فيما يتعلق بالتزاوج (endogamy). وسرعان ما لاحظنا تعرب الوافدين الأفارقة رجالا ونساء كبارا وصغارا بتعلمهم اللسان العربي حتى يتواصلوا في بيئتهم الجديدة وهو طريقهم المفتوح نحو مواقع أعلى اجتماعيا متى امتلكوا مهارات إضافية مثل مهارات فقهية وبلاغية وأدبية. فدخول غير المسلمين منهم في الإسلام جاء استفادة من مفهوم الأمة الواحدة الذي يعود إلى دستور النبي محمد (ص) في المدينة المنورة عام 622 م الذي اتسع لليهود والمسيحيين والوثنيين حينئذ قبل ان يضيق من جاء بعد ذلك واسعا.

ومن البديهي أن اعتناق الإسلام أتاح للرقيق الأسود في اليمن حراكا اجتماعيا إلى الأعلى بين السكان فهو مفتاح الانصهار الأهم على المستوى الاجتماعي. جاء العبيد بعاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم وأفكارهم وتنوع دياناتهم ولغاتهم لكننا إذا تأملنا ما سمح لكل واحد منهم على حدة بحمله من مواقع بيعه أو اختطافه سنجد ان العناصر الفلكلورية المادية محدودة جدا من حيث الطعام والأزياء ناهيك عن فقد حلقات الدعم الاجتماعي المتمثلة في القرابة مما يسارع في عزلتهم وخلخلة هويتهم الثقافية وجوهرها اللغة الحاملة للثقافة في وقت قصير فبأي لغة نتوقعهم أن يتخاطبوا وهم من مناطق لغوية شتى في إفريقيا. تأسيسًا على ذلك يصبح من الطبيعي أن يتحول العبيد من موقع المرسل إلى موقع المتلقي فيكتسبوا عناصر الثقافة الشعبية الشفاهية والمادية للأسياد



وأن يتماهوا مع المظاهر الاثنوجرافية اليمنية ويعيدوا إنتاجها ويتخذوا محكية أسيادهم لغة فلا تبقى من لغتهم إلا مصطلحات ترد في نصوص أغنيات رقصاتهم التي يتوحدون معها حماية لما تبقى من هوياتهم الأصيلة لا سيما أنها رقصات تنضح بالطقوس الأرواحية الإفريقية. ونحن نجد مثل هذا في مجمل الرقصات الإفرويمنية.

و أدى وجود الجواري الكثيرات بنسبة 2 إلى 1 مقارنة بالعبيد الذكور إلى تفشي الفساد بجواري المتعة كسبا للمال ويرى الرحالة ابن المجاور (ت 1291م) أن بعض أسيادهن كانوا يجبرونهن على البغاء طلبا للمال في ثغر عدن وأن هذه الممارسة هناك غير مستهجنة. ولاحظ عمارة اليمني (ت 1174م) أن الحُر اليمني يتسرَّى بالجواري لكن نادرًا ما يحدث أن يتزوج عبد حُرّة يمنية أو سيدته. كما لاحظ أن المواليد يأتون هجينًا في لون البشرة والشعر.

يأتي البعض إلى أرض اليمن في طريقه إلى الحج أو اشتغالا اقتصاديا بنقل الحجيج مع ما يعقب مواسم الحج عادة من انتشار الأوبئة كجوائح تحرك السكان اضطراريا في اتجاهات جغرافية غير مخطط لها. وكان كثير من الحجيج الإفريقي يستملح البلاد اليمنية فيعود ويتديرها فعدن تقع تمامًا على خط الحج لبعض هؤلاء.

كان العتق للرقيق في اليمن نادرا رغم النص عليه عقوبة في سياق التكفير عن ذنب. لكن الملك الأيوبي طغتكين بن أيوب (ت 1197م) لم يمت إلا وقد أعتق جميع عبيده وجواريه بل تزوج احداهن وهي الست زهرة بعد أن أعتقها. وإنما كان بعض الأسياد يحررون عبيدهم عندما يصبحون عجزة للتخلص من العبء المالي فيضطر هؤلاء إلى بناء مساكنهم عشة أو (تكل) مكونا من العرائش والجلود والفخار مما يجعلها عرضة لنشوب الحرائق. وتزوج عدد من الملوك وكبار رجال الدولة بنساء من سود اللون في اليمن أو بالجواري السود. وكانت زوجة الملك الرسولي المؤيد (ت 1321م) تسمى مشطرا من قرية للصوفية بني الذهيب شرقي القحرة، وكانت قد جاءت وهي ٍصغيرة مع قوم يضربون الدفوف على الأبواب كما يفعل المغنون الجوالة أو جماعة الأخدام فعلق بها الملك

المؤيد حبا، فأمر بحجبها وتزوجها، وكانت لها عنده حظ يجل عن الوصف.
وكان في الدولة الرسولية المجاهدية (1321-1363م) شريف مقدم في المهجم، فخرج ليلة يسير فرأى خادمة من النساء الذين يأكلون الميتة، وهُم أناس لا قدر لهم عند الناس، يدفون الطبول، وتولغ الكلاب في آنيتهم فأعجبته، فطلب أبويها فخطب إليهما. فالإمام الزيدي المهدي أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد سيل الليل وقد حكم للفترة (1676 -1681م) أمه أمة حبشية اسمها زهراء أهداها لأبيه الوالي العثماني باليمن محمد باشا حينما كان مسجونا لدى العثمانيين. وأم الإمام المهدي عباس زنجية مملوكة وقال الألماني كارستن نيبور (ت 1815م) حينما التقاه في عام 1763م بقصره بصنعاء أنه وجد لون بشرته قريبا من لون امه السوداء التي كانت جارية لأبيه فتزوجها. وفي زيارته لساحل تهامة عام 1763 م لاحظ كارستن نيبورنخاسا ثريا مسنا يجلب يوميا أمات من البر الإفريقي ومع ذلك يبحث عن دواء يساعده على الباءة!. يذكر الدكتور حسين العمري أن نيبور ذكر انه وجد ان العبد النقيب جار الله له شأن عند سيده الإمام المهدي عباس. أيضا أم الإمام المتوكل أحمد بن علي بن عباس (ت 1816م) حبشية مملوكة. وكذا أم سلطان لحج على عبد الكريم العبدلي (ت 2016م).

*****

افتتان الشعراء بالجمال الأسود

فازت الجواري الحبشيات بأكثر تقريض الشعراء لجمالهن وعرفت اليمن شعرا مكرسا للتغزل بالإماء من شتى مناطق الهضبة الحبشية: امحرا - سحرت - داموت - بلين – قموا - قتر - انجشة – ازاره – وزيلع الصومالية كذلك.

- قول الإمام والحكيم القبيلي الوقور الشاعر ابو علي يحي بن إبراهيم بن العمك في مدح سواد مولده عام م وكان معاصرا للمظفر الرسولي (ت 1296م):-

اعد لي حديثك يوم الكثيب
وسلى به عن فؤادي الكئيب

عشية سوداء قد أقبلت
تسارقني لحظها من قريب

وقد أمنت رصدة الكاشحين
وسمع الوشاة وعين الرقيب

تبدت لنا من خلال البيوت
تجرر فضل الرداء القشيب

ارتنا النقا والقنا مائلا
قوام القضيب وردف الكثيب

مولدة من بنات الموال
كمثل الغزال الغريب الربيب

فان لامني الناس في حبها
فما لائمي أبدًا بالمصيب

يقولون سودا ولو انصفوا
وما ذاك لو انصفوا بالمعيب

فلولا السواد وما خصه
به الله من حسن سر عجيب

لما كان يسكن وسط العيون
ولا كان يسكن وسط القلوب
ولا زين الخال خد الفتى
ولا حسن النقش طرس الأديب
أما حجر الركن خير الحجار
أما المسك أطيب من كل طيب
أما شغف الناس في دهرهم
بحمد الشباب وذم المشيب
ولا تحسن العين مرهى الجفون
و لا الكف ما لم يكن بالخضيب
ولا كل عين كعين المحب
ولا كل قلب كقلب الحبيب

و قد أورد نص القصيدة أعلاه المؤرخين الخزرجي (ت 1410م) والجندي (ت 1331م) مع فروق طفيفة.

- قول الشاعر شهاب الدين أحمد بن عبد القادر المخالبي اليمني:

حذار حذار من غزلان حاجر
ومن رشق السهام من المحاجر
غزال من بني (حام) ربيب
له خصر ارق من الخناجر
يقاسي حمل أرداف ثقال
كفلك شاحن في بحر زاخر

- قول شاعر في التغزل بجارية حبشية في عدن:

علقتها من بنات (الحبش) في (عدن)
يا حبذا (الحبش) بل حبذا (عدن)
قد عمها الخال من كل الجهات فما
يختص جارحة إذ كلها حسن
تميس في وشيها والحلي من طرب
كما ترنح في أوراقه الغصن
فصيحة لفظها من دون أسرتها
ما شابه قط لا عي ولا لكن

- قصيدة (المير) في بنت من الجبرتة للشاعر الفقيه أبو بكر بن عبد القادر بن علي بن عبد الله مهير (ت 1648 م) وكان قد تتلمذ على علماء زبيد حتى أصبح من أعلام فقهائها وفيها توفي:

ربـرب الجـبرت خليت عقلي فـي الغـرام جاير
طـائـع لمـا أمـرت لـو قلـت لـه مـا قلـت لـم يشاجر
يا ظبي حـن خطـرت كـم قـد سـبيت فـي الحـب مـن خواطـر
كالشمس قـد ظهـرت فاحتـار فـيك مـن كـان فـي المتاجـر
يـجـيء لـنـا أمـر أن ننظـم الأشعـار فـي صفاتـك
يـا شمـس يـا قـمر يـا غـصـن عـادك فـي ابتداء نباتك
لحظـك لـنـا سـحـر والخمـر معسـور فـي كؤوس صفاتك
كالـشمس قـد ظهـر فاحتـار فيك مـن كـان فـي المتاجـر
كـون ارحـم أم ضعيف مـادام حكمك فـي الجـمال نافذ
عـويـشـقـك ضعيـف فـلا تـكـون بالخطأ تـؤاخـذ
وان حبيت بالطيف هـو بعـد لـك يـا مليح لائـذ
كالشمس قـد ظهـرت فاحتـار فـيك مـن كـان فـي المتاجـر

- قول الفقيه والشاعر التهامي الذي عاش في القرن م علي بن محمد ظافر الحسني وهو من أشراف أبي عريش شعرا تخالطه ألفاظ إفريقية من وحي احتكاكه الطويل بالقادمين من بلاد إفريقيا وهو أمر قيل يكثر في شعر أهل السواحل ممن يتعاطى الهجرة فيخلط الفصيح بالأعجمي بغرض الفكاهة. يقول متوسلا أحد أمراء تهامة الشريف الحسن بن الحسين أبياتًا يمزج عربيتها بلغة السواحل، وكان يعرف لغتهم:

مولاي ما في البيت قط مكاتيا   **قالوا لي الأولاد قم فاشتري لنا**
قالوا بع انفو ندا فقلت أَكُونا   **ولا أنفينزا أشري بهن سماكيا**
من انتيندا أنجيما قلت كتاكيا   **وعار عليكم أن أبيع حماريا**

(يا سيدي ما في بيتي طعام ولا دراهم اشتري بها سمكا، وطلب مني الأولاد أن اشتري لهم من التمر الطيب، فقلت لهم ما عندي شيء، فقالوا بع الحمار، فقلت لهم لا وإذا بعت الحمار فذلك عار عليكم). ولما وصلت الأبيات إلى الشريف ضحك وأجازه بصلة سنية. وقد قدم المؤرخ التهامي إسماعيل بن محمد الوشلي (ت 1936م) شرحا للألفاظ الدخيلة في القصيدة لكنه لم يذكر من اي لغة أو لهجة إفريقية هي:

انفوند: حمار

كتاكيا: ما عندي شيء

انتيذ الجيما: تمر طيب

انفينز: دراهم

اكونا: لا

مكاتيا: طعام.

*****



الحضور الإفريقي
عصر الدويلات المستقلة باليمن

لعل المخطوطة المفقودة لنسابة زبيد محمد علي المدهجن (ت 1489م) المسماة (التيجان في أنساب قبائل السودان) تكون أغزر المصادر عن جماعات الأفارقة الوافدين على اليمن حتى القرن 15 م. وتسمية السودان كانت تطلق في اليمن على أصحاب اللون الأسود القادمين من شرق إفريقيا ومن الهند. ولنا أن نعتبر تسمية مواقع في اليمن باسم بلدات أو مواقع أو جزر في شرق إفريقيا شكلا من أشكال حنين الأفارقة إلى مسقط الرأس لهم أو لآبائهم، وقد لاحظ السوسيولوجي اليمني عبده علي عثمان (ت 2020م) هذه الظاهرة النوستالجية.

بنو يعفر الحواليون (٨٣٩-١٠٠٣م)

بنو يعفر حميريون وكانوا في شبام وصنعاء ومن أهم عبيدهم القائد طريف بن ثابت وكانت له صولات حربية منع بها صنعاء عن أول الأئمة الزيدية الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين (ت 910م) والثائر القرمطي على ابن الفضل (ت 915م). وحدث أن استولى عبد آخر لبني يعفر هو القائد علي بن فردان على صنعاء سنة 956م.

بنو زياد (٨٢٠-١٠١١م)

أرسل الخليفة العباسي المأمون (ت 833م) الفارس محمد بن زياد القيسي إلى اليمن ليخمد تمرد قبيلتين من أحزاب حبشت في تهامة هما (الأشاعرة وعك). واختط ابن زياد زبيدا عاصمة له وأسس الدولة الزيادية التي استقلت عن الحكومة العباسية المركزية في بغداد فكانت أول الدويلات اليمنية المستقلة. وقد زاد اعتماد دولة بني زياد في القرن 10 م على الرقيق لتسخيرهم في حاجات الدولة الإدارية والحربية والزراعية حيث اضطروا إلى عملية شراء

مستمر للرقيق الأسود ليضمنوا تدفقهم خدمة للعملية الاقتصادية بأطوارها مستفيدين من وجود ميناء عدن قريبا لقارة إفريقيا حيث كان يصلهم سنويا من حاكم أرخبيل دهلك المشاطيء للبر الإرتري في شكل ضريبة 1000 جارية وعبد من النوبة والحبشة. وازداد خلال حكم بني زياد تدير الناس لعدن فازدادت اعداد العبيد فيها في القرن 11 م. وما لبث أن أصبح الأفارقة العبيد وزراء يتحكمون في ملوك بني زياد نحو نهاية الدولة الزيادية. وكان من المستوزرين العبد (رشيد) ثم خلفه مملوكه النوبي الأصل (الحسين بن سلامة)، وسلامة هذه أمه، وامتد حكمه طويلا للفترة (983 -1012م) وحد النوبي خلالها اليمن وأقام حكما رشيدا وكان عين شقيقه سعيد بن سلامة حاكما على عدن. فسلامة هذه والدة حسين فالعبيد كثيرا ما تنسب للأم. وخلفه عبده الحبشي (مرجان) الذي كان أستاذا وحاجبا لطفل كان آخر ملوك بني زياد فوزع مرجان صلاحياته بين عبديه الحبشيين نفيس ونجاح. وكانت لعبده نفيس أعمال الوزارة بينما ذهبت أعمال تهامة من كدراء ومهجم ومور لعبده نجاح. وقد احتربا تنافسا على إدارة الأقاليم التي وزعها مولاهما (مرجان) بينهما. وتنسب لنفيس عام 1016م فعلة وحشية هي (التطويب) بوضع آخر حكام بني زياد الطفل وعمته في حجرة وسد حائط عليهما وتركهما هناك حتى الموت. وجاء نجاح وكان وفيا لأسياده ينتقم للمغدورين فخاض معركة قتل فيها 5000 مقاتل جلهم من العبيد الأحابيش ونجح في قتل نفيس في مدينة زبيد. وقد علم نجاح من سيده مرجان مكان المقتولين فأخرجهما ودفنهما وقام بوضع مرجان مكانهما حيا مع جثة نفيس وهكذا انتهى حكم بني زياد. ونشأت قرية (بيت العبيد) بموقع متفرع من وادي رمع في تهامة وعرفت بهذا الاسم زمن دولة بني زياد التي اتخذت زبيد عاصمة لها.

بنو نجاح (١٠١٧-١١٥٩م)

من قبيلة (جزل) الإفريقية جاء ملوك الدولة النجاحية في اليمن. ومن قبيلة (سحرت)الإفريقية التي سبق ذكرها جاء وزراء الدولة. وسحرت قبيلة يمنية قديمة في سهل تهامة ذكرتها نقوش ما قبل الإسلام وكانت دائمة الصلة

بالأحباش، كما إنها تسمية لقبيلة تجرية معاصرة تسكن أعلى هضبة التجراي في أبسينيا. ومنها:

- القائد الزيادي فرج السحرتي وهو الذي ابتنى مسجدا بزبيد وكانت له العديد من القيان.

- القائد النجاحي اسحق بن مرزوق السحرتي وهو الذي استضاف لديه معلم الموسيقى حمير بن أسعد.

و قد كان أول ملوك دولة بني نجاح أو ما عرف بدولة الحبشة باليمن مؤسسها العبد الحبشي نجاح فركب المراكيب واستعمل المظلة وضرب السكة باسمه. وقال المؤرخ عمارة اليمني (ت 1173م) صاحب (المفيد في اخبار صنعاء وزبيد) أن حكم بني نجاح دام زهاء 150 عاما. والخلفاء العباسيون في بغداد وهم سنيو المذهب اكتفوا بالخطبة لخليفتهم ولقبوا نجاحا المؤيد نصر الدين ورضوا عنه. ولما اغتالت قينة مهداة من الملك علي بن محمد الصليحي سيدها نجاحا بالسم سنة 1061م مات من توه ابنه معارك الأكبر كمدا عليه وفر ولداه جياش وسعيد الاحول من عاصمتهم زبيد إلى أرخبيل دهلك ودخل الصليحيون زبيد. ثم عاد الاخوان سعيد الاحول وجياش سنة 1066 م إلى تهامة على راس 5000 حربه من عبيدهم الأحابيش أحضروا كثيرا منهم من أرخبيل دهلك. وكان الوجود الصليحي في زبيد مخترقا بالجواسيس والانصار من بقايا الأحابيش الذين أسهموا في مد أبناء عمومتهم في جزيرة دهلك بما يهمهم من معلومات الاستطلاع الحربي والاستخبارات العسكرية. فكان ان أرسل سعيد الأحول بن نجاح للحبشة في طلب 20000عبد من أسواق الحبشة باحثا فيهم عن الدراية والخبرة باستخدام السلاح والحراب والسهام ولكنه لم يوفق فأعاد الارسال عبر مندوبه في الحبشة. ودارت جولات من الصدام الدامي بين النجاحيين والصليحيين انتقم فيها الولدان سعيد الأحول وجياش لاغتيال الصليحيين اباهما بقتلهما الملك علي الصليحي في طريقه إلى الحج عام 1066 م واسر زوجته السيدة أسماء بنت شهاب بعد أن استمالوا بعصبية العرق الأسود آلافا من عبيد الصليحيين أنفسهم داخل ميدان المعركة. ونجح الملك

الصليحي أحمد المكرم بن علي (ت 1091م) في قتل سعيد الأحول بن نجاح في زبيد عام 1087 م وفي تحريره أمه السيدة أسماء بنت شهاب ففر جياش بن نجاح إلى الهند. ثم أن الأمر في زبيد استتب للملك جياش بن نجاح الذي تلقب بأبي الطامي المكين ونجح في طرد الصليحيين منها بعد عودته من الهند متخفيا وكان قد تزوج من جارية هندية هي أم ولده فاتك. ودام حكم جياش بن نجاح للفترة (1089-1104م). وخلفه في الحكم ابنه من الجارية الهندية فاتك إلى وفاته عام 1106م. وقد نقل المؤرخ عمارة اليمني اخبارا عن تأليف الملك جياش تاريخا أسماه (المفيد في أخبار زبيد) وتأليفه ديوان شعري ضخم مجلد ولم يصلنا منهما شيء إلا نتفا من الأشعار، وقيل لأن الأسر العربية التي خالطها دم الأحابيش في تهامة غضبت من فضح جياش لها وذكرها بالاسم في تاريخه أعلاه فحرصت على إخفاء السفر. وقد عانى جياش هذه العقدة حتى انه لما أراد الزواج من امرأة فرسانية تغلبية من أهل موزع شمال شرق المخا لم يقبلوا به أول الأمر حتى بذل لهم ما بذل ترغيبا وترهيبا. وكان جياش شاعرا مثقفا داريا بالأنساب العربية المزيفة لعدد من الأسر التهامية التي تدعي نقاءها من الدماء الإفريقية فحرص على تدوين ذلك في تاريخه. وقد اتخذ جياش الشاعر خلف بن أبي طاهر وزيرا له.

ضعفت دولة الحبشة بعد وفاة جياش وابنه فاتك وحكمها وزراء تميزوا جميعا بالجبروت والفسوق والشهوانية وعمل بعضهم على قنانة العرب! وكان من الملوك النجاحيين منصور بن فاتك وكان قد اتخذ من عبيد والده فاتك وزراء له فزينوا له قنانة العرب. يقول المؤرخ عمارة اليمني أن أمراء مدينة زبيد التهامية من الأحباش المعروفين ببني نجاح وان كانوا حبشة فلا يفوقهم العرب في الحسب إلا بالنسب أما كرمهم فباهر وغرهم فظاهر يجمعون الوقائع المشهورة والصنائع المذكورة! لكن الدكتور حسين عبد الله العمري يقول إن دولة بني نجاح جاءت دولة بلا دعوى سياسية أو مذهبية وكانت بلا مآثر. ولقد كانت دولة عرقية تقوم على وحدة العبيد والأحابيش وآصرة الجنس والإحساس المشترك ربما بتعالي السادة الحكام والمالكين وربما الآخرين من العرب اليمنيين رغم المساواة معهم في الدين. فكانت متنفسا نفسيا وجسديا



للمملوك منهم وللحر الهجين من أصل حبشي وإحساسا بالولاء والطمأنينة لمشروع طموح حكام الدولة النجاحية وان لم تغير هذه الأحاسيس من الواقع المعيش شيئا. وكذا تغذت الدولة النجاحية بالطاقة القتالية التي عرفت عمن جلبوه من إفريقية لجيشهم لصفاته الفيزيوجنومية. وهذه بعض مطالع قصائد لجياش بن نجاح:

وتحسدني قومي وأكرمهم فهل
سواي حوى الإكرام منه حسوده
ولو مت قالوا أظلم الجو بعده
وغاض الحيا الهطال إذ غاض جوده

***

لا والذي أرسا الجبال قواعدا
ذي العزة الباقي وكل فان
ما إن تضيق برحبنا لك منزل
ولو أنه في باطن الأجفان

***

تذوب من الحيا خجلا بلحظي
كما قد ذبت من نظري اليكا
أهابك ملء صدري إذ فؤادي
بجملته أسير في يديكا

***

كثيب نقا من فوقه خوط
بانة بأعلاه بدر فوقه ليل ساهر

***

ما انتظار الدجال إذ أنا ألقى
اليوم كم من مداهن دجال
ليس فيهم من سائل عن صلاح
لي ولا من مقصر في سؤال

***

إذا كان حلم المرء عون عدوه
عليه فإن الجهل ابقا وأروح
وفي الصفح ضعف والعقوبة قوة
إذا كنت تعفو عن كفور وتصفح

قيان بني نجاح:

لعل عصر الزياديين والصليحيين والنجاحيين يكون العصر الذهبي لحرفة الجارية المغنية المعروفة بالقينة بدليل ان سجلات ذلك العصر امتلأت بأسمائهن. ولما كان سوق الجواري أنشط ما يكون ورغبة الأسياد كبيرة في القيان فقد قامت مدرسة للقيان بزبيد لصاحبها المعلم (حمير بن اسعد) (ت 1180م) كاتب الوزير (مفلح الفاتكي). وكان تدريب الجواري على الغناء والرقص والعزف على الصنج والطبل والمزمار والبوق يشمل مع ذلك تدريبا على الطبخ وخزن الثياب وعمل الطيب ومنادمة الشراب. وكان في هذا تشويه سببه استمرار عدد من القيان اللواتي أصبحن زوجات في الإطراب والسكر امام أصدقاء ازواجهن وهو ما اعترض عليه مشايخ اليمن مثل مسلم بن سنجت وزير حاكم المخلاف السليماني الأمير الشريف أبو الغارات غانم بن يحي بن حمزة السليماني الحسني (ت 1164م) الذي عزا ذلك إلى ضعف شخصية السادة امام جواريهم وزوجاتهم. كان المعلم حمير بن اسعد قبل ذلك خادما لجماعة من ملوك الجبال ثم تدير تهامة وأصبح تاجر رقيق معروف فيها يشتري الجواري ويربيهن في داره على احتراف الغناء والمهارات الأخرى ثم يبيعهن وربما جعلهن يقمن بتسميم مخدوميهن في المكائد السياسية فقد كان تاجر سموم ذائع الصيت هلك بسمه عدد غير قليل من قادة دولة بني نجاح. توفي حمير بن اسعد في بلدة الكدراء حيث استقر عند القائد (اسحق بن مرزوق السحرتي).

- اشتهرت بزبيد قيان قصر القائد بدولة بني زياد (فرج السحرتي).



- اشتهرت بحصن التعكر قيان قصر الأمير بدولة الصليحي (المفضل بن أبي البركات الحميري) (ت 1110م) بإتقانهن الغناء والرقص إلى جانب رفعة الذوق في الملبس والزينة. ولما كانت سنة 1110 م غنمهن خصم لسيدهن وجعلهن يغنين عن بعد كيدا فيه فلما سمعهن هذا عن بعد مات ساعته حسرة عليهن.

- اشتهرت بجبلة قيان قصر الملكة (سيدة بنت أحمد بن علي الصليحي) (ت 1138م) الشهيرة بالملكة (أروى). وكانت تخضعهن لتدريب احترافي طويل ثم تكافئ قوادها المنتصرين بهن.

- اشتهرت المحظية المولدة (أم أبي الجيش) بإتقان الغناء ولما كانت لها بنت من الملك (منصور بن فاتك بن جياش النجاحي) أعتقها فعرفت بالحرة (أم أبي الجيش).

- اشتهرت (علم) بإتقان الغناء وكانت جارية (نفيس الفاتكي) وزير الملك (منصور بن جياش النجاحي) الذي طمع فيها وصويحباتها فقتل وزيره نفيسا ليفرغن له. ولما دخل الملك المنصور بها علقت بولده (فاتك) الذي سرعان ما آل إليه الملك ولما كانت أم ولد وجب عتقها فعرفت ب (الملكة الحرة الصالحة الحجاجة). ومن موقعها الجديد ادارت سلسلة من المكائد السياسية والقتل بالسم عبر عبدها الاحب إلى نفسها (أبو محمد سرور الفاتكي الأمهري) (ت 1156م) من قبيلة الأمهرا الحبشية. وكان قد ابتنى مسجدا في زبيد.

- اشتهرت (بنت معارك بن جياش بن نجاح) بالغناء والحسن فطمع فيها الوزير (من الله الفاتكي) الذي استوزر عام 1123 م للملك (منصور النجاحي) لكنه باشر وزارته بقتل ملكه بالسم ووضع ولد الأخير من الملكة علم المسمى فاتكا في السلطة محل أبيه. فلما أحكم الوزير حصاره ل (بنت معارك) دبرت له صديقتها الحرة (أم أبي الجيش) مكيدة بان جاءته في قصره وغنته وشربا فلما أراد بها دخولا سممت قضيبه فاهترأ القضيب فمات الوزير في الحال سنة 1130م. ودام حكمه الفاجر 7 سنوات.

- اشتهرت (وردة) بإتقان الغناء وكانت جارية للقائد العسكري المقدم (عثمان الغزي الكردي) من أصلاب الغز الذين استقدمهم من الحجاز الملك

(جياش بن نجاح) لقدراتهم الحربية والتصدي لخصمه القائد (سبأ بن أحمد الصليحي) (ت 1089م). كانت لوردة ذاتها جواريها اللواتي أشربن فنون الإطراب والمنادمة تقدمهن لضيوف مالكها. وقد اشترى الوزير المتأدب (مفلح الفاتكي) وردة من مالكها فلما مات عنها مقتولا بإيعاز من الملكة علم على يد القائد (سرور الفاتكي الأمهري) سنة 1133 م تزوجت قاتل سيدها هذا. أما سرور ذاته فكان أن قتل في المسجد بزبيد بطعنة نجلاء من أحد خوارج المتمرد علي بن مهدي في العام 1156م. ومن أغنيات وردة لحن لقصيدة (نحن قوم تذيبنا الأعين النجل على اننا نذيب الحديدا) للشاعر أبي فراس الحمداني (ت 968م).

- اشتهرت (ناجية) و19 قينة من صويحباتها بإتقان الغناء وكن جواري ل (إقبال الفاتكي) وزير الملك فاتك. كانت ناجية ممن أحسن تجار النخاسة تأديبها. وكان إقبال قد افتتح وزارته بتسميم ملكه (فاتك بن منصور) ليموت عام 1136 م ثم تلحق به امه الملكة علم عام 1145م.

بنو مهدي (١١٥٩-١١٧٣م) وذكر شريحة (الأخدام) (السناكم)

انتفض الثائر الخارجي علي بن مهدي الرعيني الحميري (ت 1164م) على بني نجاح وانضمت إليه القبائل في المرتفعات اليمنية وعليهم الإمام الزيدي أحمد بن سليمان المتوكل(ت 1171م) فكانت أول مرة يقاتل فيها الفريقان زيدية وخوارجا عدوا مشتركًا واستطاعوا القضاء على دولة النجاحيين في تهامة. ثم عمل بن مهدي على استئصالهم وكان وعد الناس قبل انتصاره بمقولة ربما كانت أول ما رجح عند المؤرخين من أن تسمية جماعة (الأخدام) في اليمن إنما اجترحت منها إذ يقول انه سيجعلهم (أخداما) لليمنيين ويستعبدهم. فعندما قضى علي بن مهدي الرعيني على دولة وزراء آل نجاح العبيد تشتت ذراريهم وذراري حواشيهم في وادي زبيد فعرفوا في البداية بـ (عبيد فاتك) ثم ب(السناكم)، وفي عصور تالية بـ(الأخدام) كما يرى الدكتور عبد الودود مقشر. عمد ابن مهدي إلى إنشاء طبقة اجتماعية اقتصادية محصورة في السود من بني نجاح فرض عليها خدمة باقي طبقات المجتمع. والأرجح ان جماعة



(الأخدام) قد تشكلت في اليمن عندما قام الخارجي علي بن مهدي بسبي افرادها ممن وفد أصلا من الحبشة وجزيرة دهلك لمآزرة أبناء جلدته من النجاحيين في تهائم اليمن فأصبح للأخدام بذلك وضع اجتماعي خاص حتى يومنا. كما استهل علي بن المهدي حكمه باسترقاق مخالفي عقيدته الخارجية ومذهبه الحنفي عربا يمنيين وأعاجم أحباش وذهب إلى التكفير بالمعاصي وقتل ممارس اللهو والطرب وكانت هذه وسيلته مع الخصوم السياسيين وطريقته في حشد جيش له ممن يستعبدهم. وكان علي بن مهدي شاعرا فمن قصائده في الفخر ما قاله من شعر تشفيا بقتله الأحباش السود:

انا السيد المهدي والفيلق الذي

يمزق يوم الروع شمل الفيالق

تركنا رؤوس الحبش فيها معالقا

بعيد الضحى من بعد تلك المعالق

وجاء التشفي بقتله لخصومه الأحباش السود في قصيدة مدحه بها الشاعر العراقي أحمد بن محمد العثماني:

بكرت مظلة عليه فلم ترج إلا

على الملك الاجل سعيدها

ما كان أقبح وجهه في ظلها

ما كان أحسن راسه في عودها

سود الأراقم فاتكت اسد الشرى

يا رحمتا لأسودها من سودها

تتطرق الأدبيات اليمنية القديمة والوسيطة والحديثة إلى أن التمازج والتزاوج للعبيد بالسكان المحليين في تهامة سبب رئيس في ضعف لغة أهل تهامة من حيث تحريف مخارج بعض حروف اللغة العربية. وكانت رأفة الصليحيين بخصومهم النجاحيين قد تجلت عند هزيمة الملك المكرم بن علي بن محمد الصليحي (ت 1091م) لهم عام 1088م وانتزاعه قاعدة حكمهم زبيد لفترة من الزمان فنجده يخاطب قواده وجنده هكذا: (اعلموا ان عرب

هذه البادية يستولدون الجوار السود فالجلدة السوداء تعم العبد والحر ولكن إذا سمعتم من يسمى العظم عزما فهو حبشي فاقتلوه ومن سماه عظما فهو عربي فاتركوه). ويفهم من هذا النص اختلاط الأنساب بين العرب اليمنيين في زبيد وعامة تهامة بالأحباش خاصة عن طريق التزاوج بالجواري الحبشيات. كما ان لهجة عامة الأحباش ممن استوطن أو لغتهم ما زالت تعتريها عجمة وصعوبة في مخارج بعض حروف العربية كالظاء والذال وعدم قدرة على لفظ الظاء فيرققونها زايا. و(نحن إذا تأملنا هذه الغربلة في زمكانها وجدنا بعدا جديدا في تعريف عروبة عرب اليمن هو بعد إحسان اللغة العربية!). وفي قول معاكس ينسب إلى الملكة أروي الصليحية (ت 1138 م) في حق سودان تهامة نجدها تقول: (لا يسكنوا دار ولا يجاوروا جار ولا يشعلوا نار).

بنو رسول(١٤٥٤ -١٢٢٩م) وذكر شرائح (الأخدام) (السناكم) و(الجبرتة) (الزيالع) و(الدناكل)

كان طريق جلب الرقيق من زيلع إلى عدن ثم إلى زبيد يعرف بالطريق الجنوبي للرقيق الحبشي. وربما ان الرقيق الإفريقي كان يصل زيلع من مناطق شتى في القرن الإفريقي مثل روره وجدايه وبطه وعدال وأوفات ومساك قبل ان يحشد للسفر بالبحر من زيلع إلى عدن. وكانت عدن تدير خدمات عدة متعلقة بتجارة الرق تشمل الطرق والشبكات والضرائب بالأسفار.

و كان اكثر المخصيين من رقيق الحبشة والزنج يأتون إلى اليمن عبر هذه المحطة العدنية سيما في القرن 13 م. والشاهد انه بالإضافة للحكام الرسوليين انتشر اقتناء العبيد والجواري عند من يعيشون الرفاهية الطبقية والتنعم بالملبس والتفنن في المأكل فتكون لهم الحاشية والغاشية والحبوش من جواري وعبيد الهند والحبشة. ومن أرشيف تلك الفترة نجد أن الخصي الجيد الكامل للخدمة ويعرف ب(الأستاذ) كان يباع بمئة وقية والوقية مثقال تعارفوا عليه يومئذ. كما كان سعر الفحول (غير المخصيين) من أحباش عشائر جزلي وسحرت وأمهرا أو غيرها طالما العبد كامل بلا عيوب يصل إلى عشرين وقية ريثما هو داخل الحبشة. وأما الجارية الوصيفة الحبشية فكانت بسعر 20 وقية.



إن موظفي الطبلخانة أو فرقة الموسيقى العسكرية الرسمية في دولة بني رسول كان جلهم عبيدا رقيقا. وكانت لهم طبول (kettle drum) ويؤدون ما يعرف ب (نوبة جليل).، يرى الدكتور طه حسين هديل انهم وجدوا بوظيفتهم الفنية هذه في الدولة الرسولية في اليمن وكانوا معنيين باستقبال سلاطين بني رسول عند قدومهم تهامة لطقس (سبوت النخل) الفرائحي على سواحل زبيد حيث يستقبلون الوافدين والوافدات بالطبول والدفوف والمزامير. وقد أبدى كثير من الحكام الرسوليين ولعا بالموسيقى وسعى بعضهم في ازدهارها فكانت كثير من جواريهم يشاركن في احتفالات ما يسمى ب (سبوت النخيل) في زبيد. إذ كان يخرج أهل الطرب والناس يحتفلون بسبوت النخيل وجني ثماره بالطبل والزمر على الجمال التي يلبسونها حللا من عدة تامة من أجراس وقلاقل يشدون في رقابها المقانع والحلي ويركبون على كل جمل 4 افراد بينما يسير الباقون على الأقدام إلى القلزم أي البحر الأحمر ليسبح الرجال والنساء عرايا مختلطين وهم في شرب ولعب ورقص ثم يرجعون إلى البلد بقية أيام الأسبوع. ولا شك ان فيما وصفه الرحالة ابن المجاور (ت 1291م) من هذا المشهد الكثير من المبالغات الإيروتيكية التي عرف بها في مظان كتابه (تاريخ المستبصر) !. ويشير الدكتور طه حسين هديل إلى أن جماعة العبيد في اليمن كانت دوما في مرتبة أعلى من جماعة الأخدام فدونك مؤسسات الدولة تقبل توظيف العبيد في فرقها الرسمية الموسيقية، ولا يترك للأخدام إلا أن يكونوا مغنين جوالين يفتقدون في عملهم إلى الاستقرار الوظيفي ويلزمهم واسرهم التحرك الجغرافي المتواصل كسبا للعيش كما كان يفعل المغنون الجوالون التروبادور في الريف الأوروبي. ذكر الشيخ أحمد بن عبد اللطيف الشرجي الزبيدي (ت 1497م) صاحب (طبقات الخواص) الشيخ ابو الحسن علي بن المرتضى الحضرمي (تقريبا 1264م) الذي كان بزبيد ودفن هناك بتربة سهام. إذ هو صاحب حكاية هداية (السناكم العبيد) وشيخهم العازف على الطبل فقد التقى المرتضى الحضرمي جماعة السناكم التي تقطن قرب زبيد فوجدهم لا يراعون الشرع الإسلامي فيأكلون ما تعفن ويشربون الخمور ولا يؤدون الصلوات وشيخهم له طبل يعزف عليه ويحدثون ضوضاء بالغناء والرقص واللهو واللعب لكن شيخهم

يتضح انه من أبدال الصوفية! وقد صنفهم الشرجي الزبيدي كعبيد. ويعلق البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) على تصنيف الشرجي هذا بقوله ان كلمة العبيد يومئذ كانت تطلق على مجامع عدة من السكان الداكني البشرة والفيزيوجنومية الإفريقية حتى وان لم يكونوا رقيقا مملوكا. أمَّا الدكتور عبد الودود مقشرفيقول إن السناكم هو الاسم القديم لجماعة (الأخدام) المعاصرة في اليمن ويذكر ان لفظة السناكم ظلت اسما للأخدام حتى القرن 17 م،وهم جيتو أي جماعة مغلقة تتزاوج فيما بينها (endogamy) وبعضهم يؤدي عمل بدائيا في (الطفي والمناخل والجونيات).

وكانت زوجة الملك الرسولي المؤيد (ت 1321م) تسمى مشطرا من قرية للصوفية بني الذهيب شرقي القحرة، وكانت قد جاءت وهي صغيرة مع قوم يضربون الدفوف على الأبواب كما يفعل المغنون الجوالة أو جماعة الأخدام فعلق بها الملك المؤيد حبا، فأمر بحجبها وتزوجها، وكانت لها عنده حظ يجل عن الوصف. وكان في الدولة الرسولية المجاهدية (1321-1363م) شريف مقدم في المهجم، فخرج ليلة يسير فرأى خادمة من النساء الذين يأكلون الميتة، وهم أناس لا قدر لهم عند الناس، يدفون الطبول، وتولغ الكلاب في آنيتهم فأعجبته، فطلب أبويها فخطب إليهما. وورد في القاموس العربي – الحبشي للملك الرسولي الأفضل عباس بن المجاهد الذي حكم في الفترة (1363 – 1376 م) ألفاظ آلات اللهو وما يقابلها في الحبشية:

- طنبور يقابله بالحبشية (حرارة). وهو قريب من تسميته المعاصرة (krar).
- الجن يقابله بالحبشية (زار).
- الرقص يقابله بالحبشية (زفن). والزفن أيضا هو الرقص في العربية.

والسار لفظ صومالي يعني الروح الشريرة. وقد وثقت اللفظ مصادر في هضبة ابسينيا منذ القرن 16 م وربطت بين تسمية الزار وأحد الآلهة في الديانة الاجاوية القديمة في إثيوبيا المسمى (جار).

وعَدَّ لسان اليمن الهمداني جزيرة زيلع بالصومال من جزر اليمن تردها الأغنام فينتفع بإهابها. والجبرتة تسمية غير محددة الجغرافيا التصقت بالمسلمين



في القرن الإفريقي بصرف النظر عن القبيلة التي ينتمون إليها في مجمل القرن الإفريقي الكبير شاملا الدول المعاصرة كالسودان وجنوب السودان وإثيوبيا وأرتيريا وجيبوتي وبونت لاند وأرض الصومال والصومال. فالجبرتة أمة من المسلمين الأفارقة تتمدد على أكثر من بلاد إفريقية وأكثر من بلاد عربية منها اليمن وعمان. فإذا كنا بصدد جبرت الصومال حددناهم في قبيلة (دارود) التي ينتهي نسبها إلى الهاشمي القرشي عقيل بن أبي طالب.

يذكر الحسين بن عبدالرحمن الاهدل (ت 1451م) في كتابه (تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن) ان فقهاء يأتون لليمن من البر الغربي من زيلع وبربرة والدناكل والحبشة وابسينيا والجبرتة.

و قيل إن داود بن إسماعيل (شيخ الصوفية القادرية بزبيد) بن إبراهيم بن عبد الصمد الجبرتي العقيلي كان قد رحل من زبيد مع بعض أتباعه إلى بلاد زيلع واستقر بمنطقة ميجورتين وتزوج هناك وعاش بها حتى توفي عن عقب هم اليوم من أكبر القبائل العربية الأصل في بلاد الصومال ويقال لهم: (قبيلة الدارود) ربما تصحيفا لداؤد؟ ويقيم الدارود في طرف الشمال الشرقي من الصومال حتى وسطه وأجزاء كبيرة من أرض الصومال الغربي في إثيوبيا، ومناطق في حوض نهر جوبا بجنوب الصومال حتى شمال شرقي كينيا، فهم يسكنون في ١٠ محافظات من أصل 18محافظة، ولهم وجود كبير في سلطنة عمان.

و في القرن 13 م في عهد دولة بني رسول توثقت العلاقات بين دولة بني رسول وإمارة أوفات الإسلامية التي قامت في شرق إفريقيا وكان ميناء زيلع نافذتها على البحر. وأكثر سكان إمارة أوفات ممن عرف بالجبرتة وهي تسمية غير محددة تعني الأفارقة والأحباش المسلمين الذين يعرفون أيضًا بالزيالعة كما أشار المؤرخ اليمني محمد بن يوسف الجندي (ت 1332م) صاحب كتاب (السلوك) وبعض هؤلاء يتحدر من سلالة عقيل بن أبي طالب التي هاجرت إلى هناك حسب بعض المصادر وهكذا يكون بعضهم عقيليون هاشميون فتكون النسبة لاعلامهم الزيلعي الجبرتي العقيلي الهاشمي. وشملت

الصادرات الحبشية لليمن يومئذ بين ميناء زيلع وعدن:(ذهب - رقيق - مخصيين - ناب الفيل أو العاج – عسل).

و في الفترة (1285-1559 م) تقريبا تنقل ما يزيد عن مئة عالم وفقيه ومفتي وقائد عسكري ومدرس ومتصوف بين إمارة أوفات التي حكمتها سلالة والاسمع وما جاورها من الجبرت المسلمين الأحرار وبين اليمن حيث برعوا في الفتوى على المذهب الشافعي بينما كان القادمون من غير إمارة أوفات بارعين في الفتوى على المذهب الحنفي. وقد وصل عدد غير قليل من الأفارقة الأحرار والحرائر والأفارقة الجواري والعبيد والخصيان والعتقاء إلى اليمن فاحتل بعضهم مواقع متقدمة في الدولة اليمنية والمجتمع اليمني:

- الصوفي أبو ريحان الحبشي (أبو الوادي) المدفون في منطقة راس مرشق (معاشيق) بشط حقات بعدن. وله زيارة سنوية ليوم واحد تسمى زيارة أبي الوادي يقيمها له الصيادون والبحارة التماسا لتخليصه لهم من مصائب البحر.

- الأستاذ جوهر المعظمي الحبشي (ت 1194م) مولى الداعي المعظم محمد بن سبأ بن أبي السعود بن زريع (ت 1153م) والمسمى به. وهو صاحب المصنفات في الحديث والوعظ والقراءات. وكان في حصن الدملوءة في منطقة الحجرية حتى هاجمه فيه السلطان الأيوبي طغتكين بن أيوب (ت 1197م) شقيق السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 1193م) وذلك في عام 1193م فدبر خطة فرار هرب فيها أولاد سيده الزريعي ورافقهم إلى ثغر المخا ثم إلى البر الحبشي حيث كانت وفاته سنة 1194م.

- الشاعر الصوفي جوهر بن عبد الله الحبشي (ت 1228م) وقد كان عبدا حبشيا أعتق. هو صاحب مسجد جوهر ومقبرة جوهر بمدينة عدن. وكان من الصوفية الذين انخرطوا في الحياة الاجتماعية العدنية فله دور في نشر الدعوة الإسلامية في عدن، فهذا المؤرخ الطيب بامخرمة (ت 1540م) يذكر انه أسلم على يديه نصرانيان. وله شعر صوفي رقيق:

وأن جيش الأحباب جيشا من الجفاء بنينا من الصبر الجميل حصونا

وأن بعثوا خيل الصدود مغيرة بعثنا لهم خيل الوصال كمينا

أحبَّاءنا جوروا وإن شئتم اعدلوا صبرنا على حكم القضاء ورضينا



- صاحب الطريقة الزيلعية الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي الجبرتي العقيلي الهاشمي (ت 1305م) الذي تدير ميناء اللحية اليمني على البحر الأحمر وأسهم أولاده في انتعاش عدد من البلدات التهامية مثل الصليف وابن عباس. وقيل هو والد الشيخ أحمد شيخ الغدير صاحب الضريح بمنطقة البريقة أو عدن الصغرى بمحافظة عدن.

- علي بن أبي بكر بن محمد الزيلعي العقيلي عاش بقرية السلامة بمنطقة وادي نخلة بالقرب من حيس التي كانت معقل عبيد بني نجاح في تهامة. وكانت الأميرة الرسولية جهة صلاح أم الملك الرسولي المجاهد علي بن المؤيد داود(ت 1363م) تعمل على تقوية نفوذه في السلطة.

- غلام الله بن عايد. جاء مع والده من زيلع إلى تهامة هربا من مضايقات الملك الحبشي المسيحي سيف ارعد(1344- 1372م). ثم انتهى مع ابيه إلى ميناء سواكن بالسودان فبلدة دنقلا بالسودان حيث افتتح خلوة وتزوج وكان من ذريته اولاد ركاب ورباط. كان سفره من اليمن لسواكن في النصف الثاني من القرن ١٤ م من جزيرة نواوه التابعة لليمن بعد ان سكن جزيرة ساكية بالقلزم ثم لسواكن مع ابيه ثم لدنقلا. وقد كان مع أهله بسيف زيلع تبادلا تجاريا مع دنقلا.

- الشيخ إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الصمد العقيلي الجبرتي (ت 1401م) شيخ الطريقة القادرية ثم أولاده. والشيخ اسماعيل الجبرتي هو الذي أباح عمل السماع الصوفي المشروط للمريدين. فقال: (السماع هو الصفا الزلاق والذي لا يثبت عليه إلا اقدام الرجال فطريقة أهل الله يا فقراء ويا مريدين لا تكذبوا على الله نعم هو لمن فتح الله عليه وإلا فهو حرام على كل ذي نفس. السماع محرك الرجال فمن لا ورد له لا وارد له ومن لم يعرف المعاني فسماعه حرام ومن لم يحسن إحالة الكلام فالسماع عليه حرام)، ثم أنشد:

ما ضر من جاء غدا مكرما ما هين في الدنيا وما استحقر

وقد عاصر الملك الرسولي الأشرف إسماعيل (ت 1401م) والملك الرسولي الناصر أحمد (ت 1424م)

- شيخ الطريقة الشاذلية في المخا و مكتشف شراب القهوة عمر بن علي القرشي(ت 1418م) تزوج أخت الأمير سعد الدين والاسمع (ت 1408م) في أوفات بالبر الإفريقي المقابل وقد نشر الطريقة الشاذلية في شرق إفريقيا.

- العلامة ياقوت أحمد الحبشي شيخ مشايخ القراء اليمنيين في القرن 19 م. كان له المام موسوعي بالعربية والنحو والفقه وعلم القراءات وله كثير من المريدين والطلاب. وقد كان عبدا حبشيا.

ونشأت حافة الزيالع الجبرتة خارج زبيد حيث مسجد الزيالع الجبرتة الذي بناه القائد محمد بن عبد الله الزيلعي منذ القرن 13 م وأدى هذا التوسع العمراني في استقبال الوافدين الزيالع الجبرتة ومنهم العقيليين الهاشميين إلى نشوء حافتين في زبيد الأولى غربية بباب النخل تعرف بحافة السائلة، والثانية جنوبية عند باب القرتب تعرف بحافة الودن.

و في عام 1810 م كتب الألماني اولريخ زيت سن (ت1811م) عن الجبرتة أنهم ليسوا بزنوجه باقي الأفارقة في الحبشة وان بينهم الجميل والمليح والنابه وأن أرضهم من أفضل أراضي الساحل الإفريقي. ونذكر ممن ربط الجبرتة بالأصل العربي اليمني المؤرخ العدني حمزة علي لقمان (ت 1995م) إذ يقول في كتابه (خواطر) الصادر في أربعينات القرن 20 م أن جماعة الجبرتة المقيمة في عدن جماعة عربية يمنية أصيلة وان بدت ملامحها دنكلية في نظر علماء الأجناس البشرية!

و ينسب إلى الشيخ الدنكلي إسماعيل المكادي وابنائه انهم من نشروا طريقة الشيخ التهامي المتصوف ابو الغيث بن جميل(ت 1253م) في إفريقيا الشرقية حيث عرفت بالطريقة الغيثية في النصف الثاني من القرن 13 م.

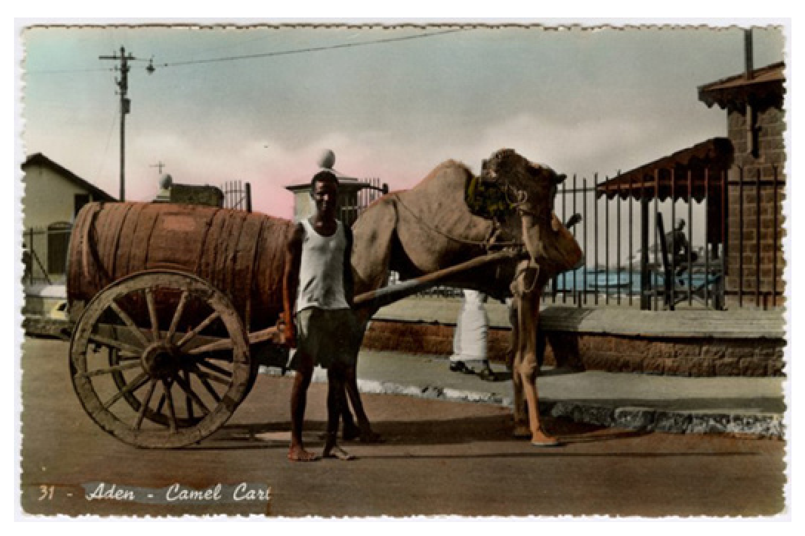
*****

بنو طاهر(١٤٥٤-١٥١٧م) وذكر شريحة الداموت والمقادشة والبرابرة والارومو الجالا والنوبة

يذكر الإيطالي لودو فيكو دي فاريثما (1470 - 1517 م) أنه في زهاء عام 1510م وجد 330 جنديا جاؤا إلى عدن من زيلع وأصبحوا فرسانا لحراسة سلطان عدن الطاهري. وذكر انهم من اصل مسيحي سود اللون تبدأ أعمارهم من 8 سنوات حيث يختارون ليكونوا من الفحول. ويذكر الطيب بامخرمة (ت 1540م) صاحب (تاريخ ثغر عدن) أن حوالي 1500 من العبيد الداموت والجالا الارومو جاؤوا إلى عدن جنودا نحو عام 1500م. ويشير القاضي والفقيه الحضرمي بحرق (ت 1524م) إلى وجود كثيف للعبيد والجواري من منطقة داموت بالقرن الإفريقي في مدينة الشحر ويصنفهم إلى صفر وسود اللون، وقال منهم من كان على الوثنية. وكان القاضي بحرق قد تعامل قضائيا معهم هناك.

و نشأت في عدن حارات للأفارقة عبيدا وأحرارا مثل حارات المقادشة - الحبوش - البربر - الداموت - الجالا الارومو - الزنوج - الدناكل – الزيالع الجبرت. وقد شب فيها حريق في عدن في هذي الحارات الفقيرة سنة 1386م وأخر سنة 1502م. ومما لقينا من الروايات حول الحريقين أنها ذكرت لأول مرة الحبوش والبرابرو الدناكل والزنوج بوصفهم سكانا أصليين من أهالي عدن الفقراء، وان كانوا أبناء واحفاد وافدين أفارقه فهم أول من بنى الطرائق في عدن أي اكواخ الخوص القصبية التي تعكس حالتهم الاقتصادية المتدنية كما أنها المساكن الأكثر عرضة للحريق بسبب هذا النوع من البناء. تعرف هذه المباني بالعشش في اليمن والسودان لكنني وجدت في تهامة لها اسم آخر هو (تكل) وهي تسمية تطلق على المطبخ في عشش السودانيين التي تعرف أيضا بالقوطيات. واندلع حريق آخر في حارة الداموت الأحباش في زبيد عام 1481م امتدت نيرانه إلى مسجد الفوفلة فحرق العديد من أشجار الكروم. رجح البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) أن تكون حافة الداموت قرية من أكواخ الخشب والقصب والخوص خارج جدران زبيد يسكنها العبيد الأفارقة

الداموت حيث لم يكن يسمح لهم المحليون بالسكنى داخل سور مدينة زبيد.
وورد ذكر عبيد النوبة في حولية حضرمية غير معروفة في القرن 16 م.



جبرت عدن

*****

الحضوران العثمانيان والإمارات الزيدية
حتى القرن ٢٠ م

عرف الوجود التجاري لهولندا وشركتها المسماة شركة الهند الشرقية الهولندية في ميناء المخا باليمن بالحقبة(1614-1640م). ويدل أرشيف الشركة على حراك كبير للرقيق من إفريقيا إلى اليمن خاصة من جزر القمر وشمال مدغشقر حيث يتجمعون في ميناء زيلع ثم يتوزعون على ميناء الشحر وميناء قشن وميناء عدن وميناء المخا كتجارة ترانزيت. وينهض الشعر المغنى دليلا على الحركة السكانية المستمرة بين ارض عمان واليمن وجزيرة ملاجاسي ومضيق مدغشقر المسمى بوكين فهذا قول الشاعر الحضرمي أحمد محمد بكير (ت 1939م) عن الملاحين العمانيين من مدينة صور إذ يرد ذكر بوكين وهو مضيق موزمبيق بوغاز بين جزيرة ملاجاسي والساحل الإفريقي شديد الأمواج:

بو عوض قال صبرن يالزبر عالمخالع

مثل ما يصبر الصوري على بحر بوكين

و كان العثمانيون في احتلالهم الأول لليمن قد ألحقوا زيلعا بإدارتهم في عدن. وبعد انسحاب الأتراك الأول من اليمن قام الأمير الحسن بن القاسم (ت 1638م) بتحسين زيلع وكانت ضمن إدارة الحديدة. وفي عام 1695م قام صاحب المواهب الإمام الزيدي الهادي محمد بن المهدي (ت1719 م) بفتح زيلع ببر الصومال والحبشة على يد مملوكه الرومي التركي إبراهيم باشا فقام بشراء رقيق للإدارة والجيش فقد كان الفرسان السودان هم من يركبون الخيول. وكان لا بد من استمالة الجند الرقيق بالمال أو يكون العصيان كما قال الشاعر المرهبي (ت 1705م):

لكنه لا يستقيم أمرهم

و لا يذاد كيدهم ومكرهم



إلا باسباغ العطاء فيهم
و جعل قواد عليهم منهم

و في عام 1695م قام القائد نعمة الله اللاهوري محملا بفضة يمنية بمقايضة حكام سنار بالسودان وأحضر راجعًا آلاف العبيد من سنار كون بهم جيشا نظاميا حديثا من عبيد السودان ليس بالجيش التقليدي القبلي. وبلغ عدد السودان عام 1695م ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة. وفي 1714م كونَّوا 16 كردوسا (كتائب بالخيل) مع أمرائهم وافرادهم ولبسوا طرابيشا وجوخا احمر وكان بعضهم خاصة جند الإمام. وقد كان العبد بخيت أمير أمراء الكراديس لكن خصمه العبد الأمير الماس عبد الرحمن هزمه في موقعة بين شبام وشام اليمن.

ذكر شريحة (المزاينة، الريسا، الحلاقين، أبناء الخمس، الدوشان) والأخدام بتهامة

يميز الفقيه القاضي عبد الله بن سليمان الجرهزي (ت 1786 م) صاحب (شرح القواعد الفقهية) بين المزاينة والأخدام في تهامة باعتبار المشترك بينهما اضطهاد حكام بني مهدي لهما فيقول ما معناه: عامة بني نجاح حولوا إلى (أخدام) لخدمة العامة بينما رؤساء بني نجاح حولوا إلى (ريسا) يمارسون الحلاقة والمهن اليدوية المجروحة. فقد يكون الرئيس تحول إلى ريس أي حلاق بالمصطلح اليمني؟! وذكر الجرهزي أن للريسا ملامح يمنية عربية لا جبلة إفريقية وهم بيض اللون. ورقصات الفن (المريسي) هي رقصات لشريحة يمنية غير إفريقية الجذر وجبلتها الفيزيوجنومية بيضاء إلا أنها كانت تعاني الوصمة الاجتماعية والمكانة المتدنية في التراتب الطبقي للمجتمع اليمني.

يقول العالم المرتضى الزبيدي (ت 1790م) في موسوعته (تاج العروس): والرِّيِّسُ، كقَيِّمٍ: الرَّئِيسُ، وَفِي اليَمَنِ يُطْلِقُونَه على من يَحْلِقُ الرأْسَ خاصَّةً. وسأَلْتُ مَرَّةً شيخَنا المُحَدِّثَ اللُّغَويَّ عبدَ الخَالِق بنَ أَبِي بَكْرٍ المِزْجَاجِيّ (ت 1767م) لِمَ سُمِّيَ الرِّيِّسُ رَيِّسًا؟ فقالَ من غَيْرِ تَأَمُّلٍ: لأَنَّه يَأْخُذُ بالرَّأْسِ. والفن (المريسي)، بضم الميم، هو ما كان من فنون جماعة (الريسا الحلاقين)

و(المزاينة أبناء الخمس) ويسمون إجمالًا (ريسا) عند أهل منطقة (يمن)، بضم الياء، الواقعة في جنوب وبطن تهامة، بينما يسمون (مزاينة) عند أهل منطقة (شام) الواقعة في شمال تهامة، وتشيع تسمية (بني خمس ومزاينة) في الهضبة اليمنية الواقعة شرق تهامة حيث نجد تركيبة قبلية واضحة في المجتمع وعرف وتحكيم قبلي يأتي قبل القانون المدني اليمني والشريعة الإسلامية أحيانا!

و عن تسميهم بأبناء الخمس تحكي القصة عن امرأة ذهبت تشكو للتبع أسعد أبو كرب الكامل الحميري (ت 430 م) من سرقة ماشيتها. أنشأ الملك جيشا يتجه نحو مكان بعيد يسمى ظلمات، حيث يعتقد أن اللصوص يختبئون فيه مع المسروقات. يدفع قائد الجيش الجنود للدخول إلى منطقة مظلمة، حيث أمروا بجرف أكبر قدر ممكن من التربة. عندما يخرجون في النهاية من المكان المظلم، يكشف لهم قائد الجيش أن ما جمعوه ليس ترابًا، بل مسحوق ذهب. ونظرًا لأن جزءًا واحدًا من الجيش لم يدخل المشهد المظلم، لم يجمعوا أي ذهب. لهذا السبب أعطوا بعض مسحوق الجنود الآخرين وبالتالي حكموا عليهم بالخدمة في الجيش. ولأنهم يمثلون خُمس العدد الإجمالي، وصفهم الجنود الآخرون ب(أبناء الخمس).

وفي أصول تكون المزاينة هناك مقاربة أنثروبيولوجية تقول انهم كانوا أفرادا في قبائل ثم هربوا من أماكنهم الأصيلة فغيروا ألقابهم درءا للثأر وأصبحوا لا ارض لهم يرعونها أو قبيلة ينتمون لها فما كان إلا أن اشتغلوا بأعمال يومية مجروحة. ولأن القبيلي لا يزوج من لا قبيلة له فقد مارسوا الزواج داخل الجماعة مما منحهم مزيدا من العزلة وصفة قرابة الدم. فإذا أنت استفسرت منهم عن تاريخهم العائلي استعادوا تاريخا لأمكنة تميز تاريخها المدون بوجود سجلات الأراضي والعقود والممتلكات حتى يؤكدوا على الأصل القبيلي المكاني للأسرة وقد يقوموا بضغط الحسابات التاريخية التي تقدم تفسيرا للعمليات التاريخية المعقدة من خلال الاختزال إلى حدث توليدي واحد، كأن يقولوا إن (سلفهم تخلى عن موطنه الأصلي هربًا من الانتقام فاضطر اضطرارا للدخول في حرفة موصومة بالعار بدافع الضرورة).

وفي رأي قبلي متطرف أن البيت الذي ينتمي إليه الفرد يحدد مسبقا لأفراده: السلوك الفاضل /الذوق/ بلاغة اللغة/المهارة التقنية /المظهر/ الشكل. وعلى الصعيد المهني حتى الأمس القريب الذي قامت فيه ثورة 26 سبتمبر عام 1962 م في شمال اليمن فأعلنت جمهورية على أنقاض الملكية الإمامية فإن المزاينة جماعة اجتماعية مغلقة لا يسمح لها بحمل السلاح سوى الخنجر المسمى جنبية ولا بركوب الخيل أو امتلاك الأرض الزراعية عدا حيز صغير كالمقاشم حول المساجد في المدينة أو في الريف وهم لا يتساوون في القصاص مع الطبقات الأعلى ولا يتزاوجون إلا فيما بينهم ومع الوقت يصبحون على قرابة بالنسب والمصاهرة.

والجماعة تغطي جزءا مهما من الاقتصاد هو اقتصاد الحرف والمهن التقليدية وكانت العقلية القبلية تنظر إلى المشتغل بها بتعالي كما ان التراتب الاجتماعي التقليدي كان يضعها في أسفل القائمة. وعرف عن المزاينة اشتغالهم بالمهن والحرف التالية:

- الاشتغال بالزراعة، عدا زراعة الحبوب الحقلية، مثل الخضروات الكمالية فهم قشامون (بقالون) ومزارعو وباعة خضروات وسلطات وقات ورياحين في حيز صغير مملوك أو مستأجر في المدينة أو الريف كبساتين حول المساجد تدعى مقاشم. وحينما يعمل المزين لدى الغير يحصل على اجرة مرتين يوما الحصاد والخبيط بالعام مع توريث المهنة لأولاده.

- مهن تلتصق بمجملها بصفة القذارة من حلاقة كل شعر بدن الرجل وحجامة وفصد وكي وختان وجبر كسور وخلع أسنان. وهذا يتحايث مع التطبيب الشعبي.

- إدارة نزل قبل وجود الفنادق تقدم فيه المقهوية القهوة للنازلين عندها وتعد لهم الأرجيلة. ويسمى الرجل (المقهوي).



- **بيع القات (المقوت)**

- جزارة ودباغة والعمل بحمام بخاري (الحمامي) وتغسيل وتكفين ودفن الموتى (المترب) وحدادة ونجارة وحياكة وصناعة كبريت وصناعة المدر (الفخار) والطلاء واواني وادوات زراعية واثاث منزلي وتصنيع احذية. ويرى الباحث انه ربما لكون بعضها أنشطة متصلة بالدم ونجاسات الفضلات البشرية وان كان المسلمون عرف عنهم بأنهم يدفنون شهدائهم بدمائهم!

- التطريب والعزف والغناء والرقص إضافة إلى خدمة البيوت خاصة خلال الأعراس والمناسبات وتنظيف السجون وخدمة ضيوف القبيلة. ومن هذه الجماعة يأتي أيضا (الدوشان) الذي يقوم بتوصيل الرسائل خلال القتال والاعلان بالأسواق عن المراسيم الإدارية للدولة والقبيلة ويكون الدوشان خال من السلاح فهو تحت حماية القبيلة التي يعمل فيها ويمنع الاعتداء عليه في العرف القبلي. كما قد يتفرغ الدوشان لشعر المديح والهجاء شحذا للمال. ويذكر المستشرق البريطاني اندرسون باكويل ان القبيلي في تهامة ربما عزف على آلة وترية أو نفخية لكنه يأنف من وصمة (التطبيل) المتروكة لممارسي الفنون الهبرية الثلاثة من (مزاينة وعبيد وأخدام). وربما كان آل باعطوة في التراتب الطبقي في المجتمع الحضرمي يحاكون الدوشان من خلال تكسبهم بشعر المدح أو القدح. والريسة بدورها تغطرف وتزغرد (lululation) في الأعراس ويتقدم الريس موكب العريس.

ذِكْر شريحة (الحجور)(الصبيان)

يذكر أن الشاعر الصوفي الحضرمي صاحب كتاب (المقصد في شواهد المشهد) ومؤلفات أخرى السيد علي بن حسن العطاس الهاشمي (ت 1758م) سجل في قصيدة هيامه ب(صوت أو رقص الحجور) الذي تفعله شريحة حضرمية سوداء الجلدة من الأحرار المهمشين تقيم في وادي حجر بحضرموت هي الحجور(الصبيان) وقد أدتها في زيارتها لبلدة المشهد بصفين من النساء والرجال:

صوت الحجور الذي حبه علي بن حسن
يبغا جماعة من الغيضة وحد من يون
وشق فيه الكواعب كحبات السين
مثل الخطاريف يجلين الكدر لا بدن
زمر القصب في غناهن لا بتدن يسجعن
بأصوات فيها حزن تجلي جميع الحزن
جنه وجنه وللعشاق فيها فتن
تحرك اشجان كل في فؤاده شجن
حد للمعالي وحد شفه سفال الدمن
والحال مقسوم كل في عناه امتعن
وكل واحد يبأ انه في طريق السنن
ينكر على من تميل من طرقه أو شطن
والغانيات الغواني همت في حبهن
قلبي تهيم عليهن وامتلك وارتهن
وهن في التيه لا يرعن ولا يرجعن
وهو معلق مغلق ما يفكه ثمن
مسكين له فن في العشقة وللناس فن
خذوا إلى الشام في جانب وهو خذ يمن
يجري ويجرون من حيث المقاضي جرن
والوعد يوم التغابن وعدنا في الوطن
ولا لحد من قدا ما قدر الله مكن
الا الغبي في ورود الحكم عنده سهن

*****

ذِكْر شريحة (السيدي أخدام)

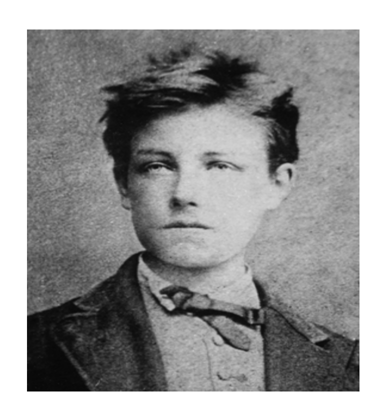


سيدي أخدام محررون في عدن عام 1863م

اسميت جزيرة العبيد بالخليج الخلفي بعدن باسم شريحة (السيدي أخدام) وكانت مأوى العبيد المحررين بالبحر عبر نشاط الأسطول البريطاني وكان يطلق عليهم تسمية (sidi Akhdâm). كانت البحرية البريطانية تخيرهم في العودة إلى بلدانهم ان كانوا يعرفون الطريق إليها في الشط الإفريقي ويأمنون ان يقعوا ثانية في أيدي سفن النخاسة، فإن رغبوا عن ذلك وظف بعضهم في أسطولها في المحيط الهندي أو أرسلتهم إلى درة التاج البريطاني الهند وجزيرة سيلان حيث تتعهدهم الكنائس التبشيرية بالرعاية وحيث ما زالت تسميتهم هناك بالـ (سيدي) ولهم فنونهم الموسيقية المعروفة بالهند. وكانت بريطانيا خلال احصائها للجماعات الإفريقية في مستعمرة عدن تجد أن السيدي يمثلون قسما

كبيرا فتضعهم في خانة (آخرين غير محددين). كان على البريطانيين ريثما يقرروا مصير السيدي أن يصرفوا عليهم ولكننا نجد أن البريطانيين لم يكونوا يستفيدوا منهم بالمقابل في أي نشاط فالزنجي الذي يأتي حديثا من إفريقيا كان عديم الفائدة تماما، حيث يجب أن يتم تدريبه أولا والأوروبيون لا يصبرون عليهم، خصوصا كعمال جدد، فكان أكثرهم مشردين. ويشير جدول بعدد السكان كما قدرهم الألماني مالتزان سنة 1871 م في عدن إلى أن عددهم كان 2000 من غير المحددين اكثرهم سيدي أي زنوج محررون. وهناك إشارات إلى أن الشاعر الفرنسي أرثر رامبو (ت 1891م) الذي كان يعيش في عدن ويمارس التجارة مع هرر وسواكن وشرق إفريقيا كان يشارك هذه الأقوام الإفريقية الرقص الصوفي. وللمزيد عن الموضوع يرجى مراجعة البحث الأجد التالي:

- Matthew S. Hopper، After Slavery: Captured Slave Ships and the Relocation of Liberated Africans to Aden، -. In: Slavery and Post-Slavery in the Arabian Peninsula At the crossroads of literature and social sciences conference، Bruxells، October.



أرثر رامبو

*****



ذكر شريحة (الحاشية، حاملي المحفة، عيال المقدم، عبيد السركال)

يطلق الباحث أحمد الملاحي (ت 1970م) في (المدونة التاريخية الحضرمية) على الرقيق المستورد إلى حضرموت اسم (الحاشية) كما يطلق عليهم اسم (حاملي المحفة - عيال المقدام - عبيد السركال). وبرزت كلمة (الحاشية) لتشير إلى القرب النفسي والمكاني لمجاميع العبيد من السلطان أو الأمير فهم حاشيته الخاصة.

و يقول الربان سالم عوض باسباع (ت 1543م) صاحب مخطوطة (بهجة السمر في أخبار بندر سعاد المشتهر) بأنه في عام 1522م كانت الشحر تحتضن مرقصا تجلب راقصاته من جزيرة (لامو) السواحلية التي تتبع الآن دولة كينيا ليقدمن عروضا فنية متواصلة لستة أشهر ثم ينتقلن للأمر نفسه إلى ثغر عدن أو مدن الحجاز وربما يعدن إلى وطنهن (لامو) ويحل محلهن لفترة مساوية راقصات يجلبن من الهند وهكذا دواليك. يقول (وفي الشحر عدد من حانات الشراب الذي يعصر محليا وفي المدينة ماخور ومرقص يديرهما أحد الهنود بالاشتراك مع بعض أهالي الشحر). ويذكر المؤرخ محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م) أن الربان باسباع يطلق على الماخور والمرقص اسم (محلات الغرام والهيام والمدام).

و يشير القاضي والفقيه الحضرمي بحرق (ت 1524م) إلى وجود كثيف للعبيد والجواري من منطقة داموت بالقرن الإفريقي في مدينة الشحر ويصنفهم إلى صفر وسود اللون وقال منهم من كان على الوثنية. وكان القاضي بحرق قد تعامل قضائيا معهم هناك.

و يذكر البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) أن حولية حضرمية غير معروفة للعام 1532-1533 م تذكر عبيد حجر أي العبيد في وادي حجر بحضرموت.

و يذكر مؤرخ الشحر الطيب بأفقيه (ت 1630م) صاحب كتاب (تاريخ الشحر) ان معظم حاشية وجند السلطان الحضرمي بدر أبو طويرق (ت

1569م) كانت من العبيد النوبة استعاض بهم عن أكثر الجند المحليين نحو سنة 1535 م حيث كان لا يضمن انقلاب الجند المحليين والقبائل العربية عليه.

و قد كان ميناء الشحر يتلقى عددا من شحنات الرقيق خاصة التي يرسل بطلبها إلى الأسواق الكبرى في زنجبار وجدة مقدما وبمواصفات مطلوبة في العبد أو الجارية المطلوبة. وكان حكام دويلات حضرموت المتناوشون يتنافسون على أن يكون لدويلاتهم منفذا على الساحل الحضرمي كفرضة الشحر فهذا يتيح لهم استيراد المقاتلين من جدة وزنجبار والهند وغيرها عبر الطلب من النخاسين الذين لديهم مندوبيهم في الشحر. وكانت شحنات الرقيق تأتي إلى الشحر من شرق إفريقيا حيث يقبل على شراء الذكورالأقوياء (الفحول) سلاطين وأمراء حضرموت المتصارعون يستقوون بهم جندا وحرسا على بعضهم البعض.

كانت الحاشية تقيم مع اسرها داخل قصور السلاطين الحضارمة مثل الكثيري والقعيطي كحماة للسلطان ضد رجال القبائل المسلحة وكحرس البوابات ويقومون بفحص الأسلحة الداخلة للمدينة من أسلحة وجنابي من البدو والقبائل ويؤدون وظائف جمركية. وكن نساء الحاشية يعملن كخادمات منزليات لأسيادهن. ومن امتيازات الحاشية الأخرى:

- يتحصلون نقدا على ثمن العشر عن حراسة (شراحة) أشجار النخيل من الأهالي وحراسة أشجار الحبوب المزروعة.

- استلام الكيلة مباشرة من السلطان شهريا وهي عبارة عن مرتب خمس روبيات للفرد ومكيال حبوب للنفر، ولم يكن باقي الجند الأحرار من يافع مثلا يحصلون على مثل ذلك.

- مصرح لهم بالاحتفال بإطلاق الرصاص عند ميلاد طفل ذكر ومثل ذلك في حفلات زواجهم (الحراوة) مع الغناء على المزمار والطبل. وفي أول أيام العيد كان الموسيقيون من الحاشية يطلعون بالزامل لحصن الحبابة، وفي ثاني أيام العيد يقومون بالزامل للسيد لمحمد الهدار ثم في ثالث أيام العيد يقومون بالزامل في قصر السلطان مع رقصة البرعة من الجند اليافعيين.

- يمتلكون المنازل ويعيشون بمعية اسرهم في مدينة شبام.



- مصرح لهم ان يتزوجوا من طبقة الضعفاء الادنى منهم في التراتب الاجتماعي التقليدي الحضرمي ولكن لا يجوز لأحد من طبقة الضعفاء الزواج من الجواري.

- مصرح لهم ببيع فائض الكيلة وكانت تشمل مادة الحليب التي يتسلمونها مباشرة من السلطان شهريا.

- لهم كامل نفقات الكساء ونفقات الجنازة..

- ارسل السلطان عمر بن عوض القعيطي (ت 1936م) 30 عبد و30 جارية إلى الهند لدراسة علوم البستنة والهندسة وخدمة السفرجية والمراسيم رجالا ونساء وقد عادوا بعد ان اكملوا تدريبهم في فترة حكم السلطان صالح بن غالب القعيطي (ت 1956م).

وقد عرفت الشحر ثم المكلا بكونها الثغر الذي تأتي عبره جماعات مختلفة من رقيق الحاشية:

- نوبة من السودان. وفي القرن 19 للميلاد كانوا الأكثر عددا والأغلى ثمنا مقارنة بالعبيد البحارة. وفي عام 1835م يذكر كابتن سفينة بريطانية مشاهدته 700 فتاة نوبية في سوق المكلا للرقيق.

- البحارة السواحيليون. ويتفرعون إلى الموMباسيين من مومباسا والزنجباريين من زنجبار.

- التكارين من بلاد التكرور.

- الفلاتة من نيجيريا.

- التلود. وهم المولدون والناشؤون بحضرموت فهم الجيل الثاني أو الثالث من الرقيق.

وعندما طلب من هذي الفئة الدنيا عمل سخرة هي بناء سور مدينة الشحر في عام 1867م نجد شاعرهم الشحري الساخر عمر كرامة بارمادة في صرخة شعرية يتندر على الجمعدار عوض بن عمر القعيطي (ت 1909م) إذ يقول:

نا عبد وابني عبد وابني ذي مكانه بطن امه
وابني الذي في عالم الذر مثل اخواله وعمه
عبيد من (كلوه) ويا ساحب سحب لا وسط كمه
في العيد بذبحنا وجدي قد سحق لحمه وعظمه
وخوي قد خلى العراوس خضبن من سيل دمه

وللدلالة على أن هذه السلوكيات القاسية كانت تجد علماء يمنيين يرفضونها هناك وثيقة تعود للعام 1907م بمدينة الشحر لعضو المحكمة الشرعية القاضي والشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن (ت 1928م) يقول فيها انه مستعد لتسجيل عقود الأنكحة للعبيد الأفارقة (الحاشية) في قصور السلاطين الحضارمة بدون الرجوع إلى مالكيهم لأن دخولهم سلك العبودية جاء أساسا بالخطف من مواطنهم الأصيلة بإفريقيا بينما هم في الواقع مسلمو الديانة وبالتالي يحرم قطعيا خطفهم. جاء ذلك في مؤلفه الصادر عام 1912م بعنوان (تنبيه العقلاء شرح ما جرى على بعض الفضلاء).

كما يذكر الهولندي لوديفيك وليم كريستيان فإن دن بيرخ (ت 1927م) الذي كتب عن الحاشية عبر الاستبيان من حضارمة أرخبيل الملايو زهاء عام 1886م زمن الاستعمار الهولندي للملايو أنه لم تعد توجد عملية استيراد منتظمة للعبيد. وعليه يطلب العبد إلى الشحر التي يأتيها الرقيق من جدة أكبر مركز لتجارة الرقيق في الجزيرة العربية كلها على حد قوله ثم يسلم للمشتري. وقد ميز بين جماعتين هما:

- **جماعة الخدم الأحرار:** ويستعان بهم في الزراعة والأعمال الحرفية.

- **جماعة العبيد المملوكون للأغنياء في بيوتهم:** وذكر أن العبيد عادة يمتهنون حرفة أسيادهم فعبيد القبائل يحملون السلاح ويزرعون الأرض وعبيد البرجوازيين يحترفون المهن البرجوازية. وعلى الرغم من جذور العبيد النوبية والصومالية فإن اكثرهم قد ولد بحضرموت فيضلون هم ونسلهم في البيت نفسه يخدمونه ولا يتغير سيدهم إلا في حالة وفاته وحينئذ يتقاسمهم الورثة إلا إذا فضَّل هؤلاء الاحتفاظ بالتركة كما هي. ويتزاوج العبيد فيما بينهم البين

ويفضل ان تتم الزيجة في البيت نفسه، وإذا كان أحد الزوجين لسيد مختلف عادة ما يقوم سيد الأمة بشراء الزوج ويندر ان يقترن عبد بحرة أو أمة بحر. والعادة الحضرمية هي عدم إضفاء الأسماء العربية العادية على العبيد فهم يمنحون أسماء خاصة مثل فرج ومبروك ومرجان وعبيد ويسر وأمان ونصيب وسعد الله وسالمين وللإماء أسماء كرحمة وزعفران، ولا أسماء عائلية تميزهم في آخر الاسم بل ألقابا كالقصير والطويل. وتنتسب ذرية العبيد المحررون إلى فئة الخدم الأحرار وبعض هؤلاء يبحثون عن الثروة خارج حضرموت حال عتقهم وبعضهم يستقر لذلك حتى في الأرخبيل الهندي وبلاد الملايو. وفعلا تشيع أسماء الأحجار الكريمة بين العبيد في اليمن مثل ياقوت وفيروز وجوهر ومرجان والماس أو تشيع أسماء الطيب كعنبر وكافور ومسك وبعضهم يسمون سعد وفتح وفرج.

وخلال الفترة (1937-1938 م) نجد البريطانية فريا ستارك تقول إنها خلال زيارتها لشبوة: (في وادي السلمون وجدت منصات من أشجار النخيل وحقول القمح تمت رعايتها تقريبًا من قبل العبيد. كان مالكوها من البدو المحليين الذين لا يشرعون في العمل بأيديهم وكانت معاملتهم للعبيد بقسوة من خلال الطعام الضئيل والضرب، ويستكثرون عليهم حتى هدية الملابس اللائقة. الوضع نفسه وجدته عند العبيد العاملين في الزراعة في منطقة عين بامعبد بشبوة وهي واحة قريبة من الساحل الحضرمي وحيث وجدت قرى الرقيق معذبين ومضروبين ممن كان يديرها وهم المالكون البدو حتى ان العبيد كانوا يتمنون لو تقوم بريطانيا بتحريرهم). بينما ينتشر أحفاد العبيد في حضرموت في: الجفيرة، بلعاد المائي، قرحة باعميش، خريبة، السويد، عرف مره فإن الهولندي فإن در ميولن (ت 1989م) ذكر في وقت مقارب انه وجدهم عبيدا للزراعة في منطقة دوعن.

أوجدت تجارة الرقيق وقودا رخيصا للحروب، ونشطت عمليات الشراء في الحجاز وتركيا وإفريقيا، ووفرت علاقات تجارة الرقيق مع شرق إفريقيا للحضارم إحدى وسائل تجارة البحر الأحمر في عشرينيات القرن 19 م ، فأبحرت السفن

من المكلا وموانئ حضرمية أخرى إلى زنجبار لغرض جلب شحنات العبيد وبِيع بعضهم في حضرموت أو خارج حضرموت. وفي الفترة ما بين(1850 . 1880 م) عمل ميناء المكلا والشحر كمحطة توزيـع ترانزيت احتلت قدرا من الأهمية للعبيد لمختلف الموانئ العربية، وكذلك كمدخل لعساكر عبيد للحروب المستمرة بين الكسادي وبن بريك والقعيطي والكثيري (الفترة 1827-1937م) وبن عبدات الخ. كان وصول العبيد المعروفين بالحاشية من زنجبار والصومال إلى المكلا والشحر تجارة هامة بالبحر الأحمر والمحيط الهندي منذ 1820م حتى فترة (1850-1880م) لتتوقف فعليا في عام 1880م وهو العام الذي شهد تحريما دوليا لتجارة الرق.

و شهدت أواخر أربعينيات القرن 19 م حتى عام 1876 م صراعًا مستمرًا بين الكثيري واليافعي لعب فيه جنود الحاشية في الفريقين ادوارا مهمة في القيادة والقتال كما أشار المؤرخ سالم بن حميد الكندي(ت 1892م) صاحب (العدة المفيدة الجامعة لتواريخ قديمة وجديدة تاريخ حضرموت).

وفي عام 1847م كان العبيد هم من نصروا السلطان الكثيري القادم من الهند عبود بن سالم من آل عمر بن جعفر الكثيري (آل عبد الله) على رجال يافع بقيادة عبد القوي بن غرامة اليافعي في تريم لتكون ملحمة حربية في أكثر من سبعين بيتا خلدها الشاعر ربيع بن سالم بأدبيخ (ت 1873م) بإشارة إلى النوبة وموقعهم وشجاعتهم. والشاعر ربيع بن يسلم من مواليد تريم حيث عمل دلالا وكان وقت كتابة القصيدة مهاجرا في سنغافورة حيث توفي عام 1873م، وديوانه مخطوط موجود بمكتبة الاحقاف بتريم:-

بروق الظفر والنصر في الأفق نمنمت وثجّت على «الغنا» خواصب مزونها

تشتّت نظام اليافعي بعد ما أنقضت لياليه وأفتكت غلايق رهونها

أتتهم بنوعبد الله أهل الشجاعه سراحين غضبا يقصر الموت دونها

وحينما حقق القعيطيون انتصارا على الكثيريين في معركة شبام صدح الوزيرالشاعر حسين بن حامد المحضار (ت 1927م) بالمدح لبطولة الحاشية فقال:



قال بو طالب

وصلنا يا شبام العالية

يا مدينة حضرموت

طالبين الخير والعسكر معي والحاشية

والمدافع والهروت

و الهروت نوع من البنادق دخل إلى حضرموت بعد البندقية ابو فتيلة بمدة من الزمان.

وفي عام 1866م كان للحاشية دور كبير في انتزاع الكثيري للشحر من ال بن بريك.

كما لعبت الحاشية أدوارًا عسكرية في حروب في الصيعر والعبرو دوعن وعقرون وريدة الديني.

واشتهر من السياسيين والقادة العسكريين من شريحة الحاشية بحضرموت:

- فرج بن غالب في شبام وقد عاصر السلطان منصور الكثيري (ت 1857م). وكان السلطان

منصور قد ربح معركته ضد يافع بتسريب عددا من الحاشية إلى شبام عام 1844م.

- الحاج الماس عمر الحبشي. كان قد ابتعث إلى الهند مع زميله عنبر وعاد للقطن عام 1843م.

- القائد عبدالخالق الماس عمر الحبشي. عين حاكما للمكلا حينما اصبحت عاصمة للسلطنة القعيطية.

- سعيد مرزوق النوبي. كان في الهند وحينما قدم إلى حضرموت عين ممثلا للسلطان القعيطي في وادي حجر ثم حاكما للسوق في المكلا عام 1930م.

- حامد عبدالخالق الماس الحبشي. عين حاكما على بلدة غيل باوزير ثم الهجرين بوادي دوعن.

- ناصر جابر النوبي. كان رئيسا للحاشية في بلدة الشحر عام 1943م.

- صلاح جابر النوبي (ت 1947م). كان هواه السياسي قعيطيا وكتب الشعر في التعريض بقبيلة الحموم.

- يسلم مبارك النوبي (ت 1957م). كان حاكما للسوق.
- القائد عبد اللاه. كان حاكما على بروم وميفع بالسلطنة القعيطية.



سعيد مرزوق

و في عام 1913م تمردت الحاشية في غيل بن يمين على السلطان الكثيري حيث كانت تستثمر نفوذها في ممارسة التجارة على العهدة وتتملك عقارات وتورثها لأبنائها وهو ما لم يبح لها به السلطان لكن التمرد كان قصيرا. كما حدث أن تمردت الحاشية على السادة ال الكاف واضطروهم إلى النزوح المؤقت من تريم لسيؤن عند زيارة البريطانية فريا ستارك لحضرموت عامي 1937 و1938م.

و في عام 1927م مال بعض الحاشية إلى الوزير الشاعر حسين بن حامد المحضار(ت 1927م) على حساب الولاء للسلطان القعيطي مما يشير إلى نفوذهم في الحياة السياسية الحضرمية.

و قد أدى اختلاط الاعراق الوافدة بعرب حضرموت بالباحث محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م) إلى أن يقول: (إننا في حضرموت مزيج بشري متعدد الأجناس ابرزها الأحباش والصومال والزنوج الإفريقيون وزنوج جزائر المحيط الهندي والصينيون والإندونيسيون والهنود والأفغان وشعوب حوض البحر الأبيض المتوسط ومختلف سكان الجزيرة العربية بطبيعة الحال الذين هم بأنفسهم مزيج عجيب من أجناس بشرية متعددة، بل اننا واجدون في الأخوة الأشقاء في الاسرة اليمنية الواحدة علامات سلالات بشرية مختلفة ظهرت على السطح والملامح واللون والشعر في أولئك الإخوة، وهي ضاربة بأعراقها إلى آباء وأمهات لهم من تاريخ سحيق).

كما سميت عدد من المناطق في حضرموت بتسميات إفريقية ربما حنينا للوطن الأم من سكانها:

حافة العبيد: هي سوق النخاسة بالمكلا حسب الباحث المدون أحمد عبدالقادر الملاحي (ت 1970م) في مذكرته التاريخية. وقد نشأت في اللسان الشرقي من ميناء المكلا، وكان كثير من العبيد يصلون إليها كترانزيت فقط ثم تحول المرفأ إلى اللسان الغربي لمدينة المكلا.

جدفرة الزنجي: تقع بين منطقتي خيلة وصبيخ بوادي دوعن. ذكر البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) أن (جدفارات الزنج) سميت على رأس جواردفوي في الصومال في القرن الإفريقي المجاور لرأس حافون.

حافة مويمبي طياري: يسكنها الزنوج في سيئون بحضرموت.

حافة العبيد: في تريم. ذكرها البريطاني هارولد انجرامز (ت 1973م) وأشار إلى أن للعبيد فيها تنصيرتهم الخاصة أسوة بتنصيرات حافات تريم الأخرى وأن رئيسهم يسمى المقدم.

حافة الشرج: وهي حي بالمكلا سكنه الصبيان الحجور وعمل فيه معهم بعض فقراء الصومال في حمل الاثقال من الأخشاب إلى المنازل والمطابخ كما عملوا كمنظفي الحمامات بالمنازل المرتفعة وكسقائين (وراد الماء).

ذِكْر شريحة (المعن)

هُم من الغجر البيض اللون في دثينة ببلاد أبين كانوا يعملون كخدم للقبائل المستقرة، يذبحون ويقدمون الموائد لضيوف القبائل. وينادون على الناس بالطبول شأن وظيفة (الدوشان) في شمال اليمن. ويقدمون الترفيه بالإطراب والمزامير والطبول في رقصتي (البرع) و(الشرح) حيث يمارسون الشحذ من خلال ذلك. وقيل اصلهم من مارب بلد الرصاص والبيضاء وخولان والعواذل. وقد تناول هذه الشريحة بالكتابة كل من صحيفة (النهضة) العدنية بتاريخ 15 يونيو 1950م، والبريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) والرئيس اليمني السابق علي ناصر محمد.

*****

بريطانيا تحارب الرق

عرف عن النخاسين العرب في حضرموت كونهم يغامرون بالسفر في اشتداد العواصف البحرية لتلافي قطع أسطول الإنجليز المحتلين لعدن منذ 1839م فكانوا مرارا ما يضطرون لإلقاء العبيد لأسماك القرش مع نهاية فصل الخريف هربا من الدوريات البحرية البريطانية التي تتعقبهم. وكان البريطانيون يسمون الرقيق المحرر (سيدي أخدام) وينقلونهم بادئ الأمر إلى مستعمرة عدن.

جاءت اتفاقية عام 1863م (بين علي بن ناجي بن بريك جمعدار الشحر وتوابعها وصلاح بن محمد الكسادي حاكم المكلا (ت 1871م) وبين وليم ماركوس كوجلان المقيم السياسي البريطاني في عدن) لتحد من وصول الرقيق النوبي والبحري من زنجبار والصومال عبر مينائي الشحر والمكلا. كما منعت الاتفاقية اعادة العبد الهارب إلى سيده.

و جاءت اتفاقية عام 1873م (بين الأمير عبد الله بن عمر القعيطي جمعدار الشحر ومندوب ملكة بريطانيا هنري بارتل فرير تعميدا لاتفاقية عام 1863م) ومنعت صادر ووارد الرقيق.

وجاءت اتفاقية عام 1881م (بين العثمانيين وبريطانيا) لتحد من الرقيق القادم من إفريقيا.

و في عام 1934 م أصدر البريطانيون قانونا يمنع الرق في الجنوب العربي تبعته عدد من الإعلانات من حكام إمارات الجنوب العربي بمنع الرق مثل قانون منع العبودية الذي أصدره السلطان صالح القعيطي (ت 1956م) في حضرموت عام 1939م، وكذا السلطنة العوذلية احور والعوالق العليا والعوالق السفلى. وفي ذلك العام تمكنت السلطة البريطانية في شخص برنارد رايلي (ت 1966م) المندوب المفوض لملك بريطانيا من جعل امام اليمن يحي حميد الدين (ت 1948م) يوافق على الإعلان البريطاني اليمني الذي ينص على أن يتعاون امام اليمن مع بريطانيا في منع استيراد وتصدير الرقيق الإفريقي عن طريق البحر.

و في عام 1934م عقب زيارة مهمة لحضرموت وجدنا البريطاني هارولد انجرامز (ت 1973) ينتقد الحاشية فيقول: (العبيد الموجودين في المكلا يسيرون كل يومين في ساحة القصر. ساروا وساروا في مسيرة معاكسة على إيقاع (تمتم)(tomtom) وطبول الغلاية (kettle drums) بينما في أيام الخميس عندما كان العرض في مكان آخر يتأرجحون بفخر خارج البوابة الرئيسية مع الفرقة بأقصى قوة. ولا عمل لهم سوى الخروج أحيانا في تنفيذ حُكم من حين لآخر إلى نقاط الحامية).

ففي عام 1934 م حضر البريطاني انجرامز من عدن في أول زيارة لمستشار بريطاني إلى حضرموت حيث انتهى بتقرير هام عن الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

و في عام 1936 م دعا انجرامز إلى اصلاحات بالغاء نظام المقادمة في الحاشية الموالي لكونهم عالة ومليشيا غير قانونية وعبء اقتصادي أرهق الميزانية القعيطية منذ عام 1924م فرد عليه مقادمة الحاشية بأن (قطع الأعناق ولا قطع الأرزاق)!

و منذ عام 1939 م بدأ انجرامز (ت 1973م) بتحرير العبيد في محميتي عدن الشرقية والغربية وأعلن تحرير اي عبيد يصلون إلى مستعمرة عدن. وكان وجد في المهرة 800 عبد منهم 80 مخطوفا من شرق إفريقيا ممن يدين بالإسلام وهو ما يتعارض مع الشريعة الإسلامية.

و في عام 1943م تفجر الوضع عسكريا في المكلا والشحر بين الحاشية والسلطة القعيطية وفيها السلطان صالح القعيطي (ت 1956م) والمستشار البريطاني انجرامز (ت 1973م) واستولى نحو مئة عبد على مكاتب الحكومة بما فيها الخزانة كما سرقت الأسواق فأقفلت السوق أبوابها. وكان السلطان صالح القعيطي قد عرض على الحاشية تسليم كافة أسلحتهم من سيوف ونمش وبنادق وإلغاء نظام الكيلة مقابل تحريرهم ومنحهم امتيازات منها:

- توظيف القادر منهم في قوات السلطنة الرسمية أو كحرس.
- العمل كمزارعين بعد منحهم اراض مناسبة في وادي حجر المروي دائما.
- تسفيرهم للعمل كمزارعين في دول الكومنولث البريطاني.



- العودة إلى بلدانهم في شرق إفريقيا ان كانوا يعرفون طريقهم إليها ويأمنون أن يقعوا ثانية في يد قراصنة النخاسة في شمال غرب المحيط الهندي. وفي الواقع لم يستجب الإداريون في شرق إفريقيا لعودة اي من هؤلاء باستثناء حاكم تنجانيقا الذي اشترط ان يكون من يقبل عودتهم إليه من المشتغلين بالزراعة وقبل منهم مئة فقط.

لكن مقادمة الحاشية رفضوا هذه التسوية ووجدا فيها خسارة معنوية لنفوذهم كحملة سلاح وحاشية للسلطان وخسارة مادية حيث كانت الكيلة عرضا افضل لهم مما يتسلمه الجند الرسميون شهريا كمرتب.

و حسم الإنجليز الصراع في أيام عبر قوات يافعية وهندية حضر بعضها من مستعمرة عدن حيث سلم الحاشية أسلحتهم واستسلموا كافة في المكلا والشحر وغيرهما من مواقع عملهم. وسبق ذلك وساطة برزت فيها المسنة القعيطية حبابة التي طالما كن لها رجال ونساء الحاشية الولاء على اختلاف السلاطين القعيطيين الذين توالوا على الحكم وقد كانت زوجة للسلطان صالح وأقامت اولا بالشحر ثم استقرت في المكلا. كما شارك في الوساطة مقادمة الحاشية من ال الحنشي وعقال يافع ومدينة المكلا.

و كان ان اشتغل البعض بالجعالة والنجارة وجرورة الماء وكبوليس جمرك وشرطة مسلحة وغير مسلحة وفي الجندية وكمراسلين فراشين وجمالين وذهب الأطفال منهم للمدارس من عمر 7 سنوات إذ لم يحظوا بالتعليم قبل عام 1940م.

و على مستوى الحاشية في سلطنة الكثيري داخل حضرموت قام السلطان بتسريح جند الحاشية وإعطائها حريتها لكن الكثير منهم ظلوا في موقعهم يستلمون رواتبهم حتى عام 1949م حين بدأت الامتيازات تقل فعادوا واستفادوا من قرار تحريرهم.

و تشير إحصاءات في العامين 1936م و1937م إلى وجود اعداد من العبيد موزعين كالتالي:

- إجمالي 3000 عبد وجارية بمحمية عدن الشرقية.
- إجمالي 7000 عبد وجارية في محمية عدن الغربية.

- 1300 في مدن المكلا والشحر وغيل باوزير الخ منهم 320 انثى بالمكلا.
- 200 عبد و100 جارية في سيئون.
- 350 عبد في تريم و150 جارية وطفل.
- 350 عبد لدى إمارة بن عبدات(1924-1945 م).

و بالإجمال يعتقد أن أكثر من أربعة ملايين إفريقي انتقلوا من إفريقيا إلى دول المحيط الهندي خلال الألفيتين الأولى والثانية:

القرن السابع عشر الميلادي استقبلت شواطئ اليمن مئة ألف من العبيد.

القرن الثامن عشر الميلادي وصل أربعمئة ألف من العبيد.

القرن التاسع عشر الميلادي كان الرقيق الوافد 1618000. بينما أعطت مصادر أخرى الرقم 350800 كعبيد جاؤوا من موانئ خليج عدن والبحر الأحمر. وكانت الذروة حوالي عام 1870م. كما أشارت مصادر إلى وصول خمسة آلاف عبد سنويا إلى جزيرة العرب منذ العام 1864م.

*****

الفصل الثاني

رقصات إفرويمنية

رقص العبيد، أمبعله، المولدين بجزيرة سقطرى

امبعله تعني بالسقطرية (العبيد)، لكن هذه التسمية قديمة لأن النظام اليساري الذي قام في جنوب اليمن عام 1967 والتي كانت سقطرى تتبعه أسمى هذه الشريحة (المولدين). تاريخيا هم يتحدرون من عبيد من قبيلة مياسا أو المساي بكينيا وتنزانيا جاءوا في القرن 19 م. ولهم كباقي الأفارقة ولع بالتطبيل والرقص وأداء الأغنيات بينما ينفر من ذلك السكان الأصليون لأرخبيل سقطرى مما يشير إلى أن الشريحة لم تصبح كاملة المحلية. وبصفة عامة نجد أن العبيد الأفارقة ظلوا يشكلون غالبية الساكنين في المدينتين الرئيسيتين في ساحل شمال جزيرة سقطرى وهما حديبو وقلنسية. ويعرفون أيضًا بفرقة السود وسميت منطقتهم في مدينة حديبو (مكان العبيد). كانت هذه الشريحة تتلقى أسوأ المعاملة من مالكيها من حيث ثقل العمل المطلوب وقلة الزاد والكساء. ذكر البريطاني ولستد في زيارته سقطرى عام 1835م ذلك وجاء بعده البريطاني روبرت سارجنت (1993م) ليؤكد ذلك في يونيو 1967م حيث يذكر أن السلطان الجبروت عيسى بن علي أمر بحملة لترميم سد مهدم في حديبو وما كان لهؤلاء أن يتأخروا عن عمل السخرة دون مقابل أو حتى وجبة طعام وقد شوهدوا في المسيرة وخلفهم نساؤهم كلاهما في حال الرقص والغناء على الطبول. وكانت عقوبة من يتأخر منهم ستون جلدة بجريد النخل. وكانت هذه الجماعة تعاني تمييزا من حيث عدم التزاوج بهم وإجبارهم على دفن موتاهم في مقابر منفصلة عن باقي مقابر المسلمين.

الحاشية يماثلون المولدين العبيد السابقين (امبعله) من حيث كل أنشطتهم لكنهم يتميزون بكونهم أحرارا لا عبيد فهم يتحدرون من آباء سود اللون وأمهات سقطريات. وقيل هم من أصول صومالية أو سواحلية. ويعمل بعضهم في مناطق نائية مثل الفلجان أو الجبال. تتلقى الحاشية نظيرا عن عملها الطعام أو نصف المحصول من التمر الذي يعملون في مزارعه كشركاء

وبعض النقد أيضا. يشار إلى أن أغلب الحاشية احضرها إلى سقطرى الربابنة العمانيون في مرفأ صحار الذين نشطوا في خطف الاولاد من جزيرة زنجبار إلى أسواق الخليج العربي في الفترة (1698-1890م). وتشتغل الحاشية بصيد السمك وزراعة النخيل ورعاية الماشية وكخدم في بيوت حيث كانوا يعيشون ضمن الاسرة الممتدة كما عملوا كمنفذين للأحكام الشرعية الصادرة من سلطان أرخبيل سقطرى حيث يقومون مثلا بجلد المذنبين وبتر أطرافهم الخ. وكان البريطاني وليام فيينش قد أشار عند زيارته لجزيرة سقطرى إلى أن تجار الرق من بلدة قشن في بلاد المهرة بجنوب اليمن والتي كانت سقطرى حينها تتبعها اعتادوا سنويا احضار الارز والعبيد المشترين من أرخبيل جزر القمر إلى سقطرى كمحطة ترانزيت لينتهوا بعد ذلك إلى قشن وغيرها من المرأفئ العربية عبر البحر.

النوبان ينتسبون إلى عشيرة تسمى تقلي وقيل جاءوا من سلطنتهم السودانية في جبال النوبة في كردفان المسماة (تقلي) (1570-1827م) في القرن 17 م أول الأمر كملاحين يغشون سقطرى في عملهم بالتجارة البحرية بين شرق إفريقيا والخليج العربي ثم ما لبثوا ان استقروا فيها وتزاوجوا بالسكان حتى خفت لونهم الأسود و حققوا مكانة اجتماعية رفيعة متوارثة نظرا لإجادتهم تدريس القرآن إضافة لقيامهم باعمال الإدارة والسكرتارية وصيد السمك وزراعة النخيل والجندية عند سلاطين الجزيرة فكان ان قربهم اليهم السلاطين وجعلوهم وزراءهم مثلما حدث مع الوزير إبراهيم بن خالد التقلي الذي وفد مع شقيقيه تجارا من عدن إلى سقطرى فكان له شأن عظيم في تصريف أمور الجزيرة. وقبيلة تقلي في السودان مسلمون يتحدثون بلغتهم التقلية وهي من اللغات النيجيرية – الكونغولية ومن اتباع الطريقة الصوفية للشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 1166م). أقام معظم النوبان المنسوبين للنوبة السودانية في شمال الجزيرة في مدينتي حديبو وقلنسية. وفي عام 1965م استقال الوزير التقلي وهو من مدينة قلنسية في ظل وضع سياسي مضطرب سبق حصول اليمن الجنوبي متضمنا جزيرة سقطرى على استقلاله من المستعمر البريطاني عام 1967م. ورغم خروجه من المشهد السياسي قام ثوار النظام السياسي اليساري الجديد بعد



الاستقلال عام 1974م بإعدامه مع آخرين بتهمة الإقطاع. واليوم يقوم ابنه بمنصب كبير هو رئاسة فرقة التبليغ الدعوية الإسلامية المعتدلة في الجزيرة وقد أقيم نصب تذكاري للوزير الشهيد جوار مطار سقطرى.

الأخدام شريحة متفرعة من المجموعة السقطرية العربية الأكبر والمنتجة الأصيلة المسماة (البدو) وهم الرعاة العرب دفعها الفقر لان تصبح عمالة في خدمة باقي جماعات سقطرى من المرفهين في مدن شمال الجزيرة وهم من الجبلة الفيزيوجنومية العربية.

*****

رقصة شرح مسيلي

رقصة شعبية مهرية بدأت بالانقراض وهي مختلطة بين الجنسين. وقد سميت هكذا نسبة لكون منبعها وادي المسيلة بمحافظة المهرة الذي يسمى حاليا مديرية المهرة.

يتم هذا الشرح من خلال صفين أحدهما للرجال والآخر للنساء وبينهما ما يسمى ب (المدارة) التي يتم فيها عملية الرقص رجل وامرأة. وللشرح المسيلي شعراء كبار ذاع صيتهم في المهرة وخارجها منهم الشاعر عليان بن رجيب الذي يتصف في شعره بالحكمة والموعظة وكذا الشاعر بن حمد بن سويلم بن حيمد وشعراء آخرون.

هذا الشرح المسيلي يلعبه رجال سود ويشارك فيه عامة الناس لإيقاعه الخاص الجميل الذي يميزه عن باقي الشروحات (الراوي مبروك جمعان الكثيري، 2023م).

*****

رقصة شرح لحجي رجالي سريـع (مسيمبا)

مسيمبا إيقاع سريـع في محافظة لحج بجنوب اليمن، يرتبط باحتفالات الزواج، علما بأن لفظة (سيمبا) تعني في اللغة السواحلية الأسد. كما يعرف الإيقاع بِ (الشرح اللحجي الرجالي السريـع) ويكون بذلك إحدى الأشكال الثلاثة لرقصة (الشرح) اللحجية. يؤدى الإيقاع بالات إيقاع ذات غشاء هي طبول (الهاجر) والطبل الإفريقي الطويل المعروف باسم (المسندو) واثنان من (المراويس) إضافة إلى طبل يعرف ب (الدبة)، على الميزان الإيقاعي 12 على 4 و8.

وجدت الإشارة إلى هذا الإيقاع (مسيمبا) الذي قيل إنه وافد من إفريقية في كتابات الباحث عبد القادر أحمد قائد (ت 2023م) والباحث جابر علي أحمد الأسطى ويعتقد أن إيقاع مسيمبا حملته جموع الرقيق الإفريقي الوافد إلى لحج من شرق إفريقية للعمل كحاشية وجند لسطان لحج في القرن 19 م و20م. كان الأفارقة من صومال ودناكل وأحباش قد جاؤوا للعمل في الجيش حينما حوصرت مدينة الحوطة عاصمة لحج عام 2015 م خلال الحرب الكونية الأولى. والشاعر القمندان (ت 1943م) بدوره يشير إلى إحضار المستعمر البريطاني في عدن للسودانيين كجند ليعينوهم على قتال العثمانيين في لحج خلال الحرب الكونية الأولى في قصيدته **(طلبنا الله ذي ينزل ويطلع)** المكتوبة عام 1917 م إذ يقول: -

وجابوا سود من يميم وسودان

و في عام 1936م قام السلطان عبد الكريم فضل (ت 1947م) شقيق الشاعر القمندان رسميا بإلغاء تجارة الرقيق في سلطنة لحج.



جند أفارقة لدى سلطان لحج

نموذج:

- أهزوجة (جينا من الروضة) للشاعر اللحجي الأمير أحمد فضل القمندان (ت 1936م) والتي تعود على الأرجح إلى زمن حكم شقيقه سلطان لحج عبد الكريم بن فضل العبدلي (ت 1947م) الذي يرد ذكره في النص:

جينا من الروضة

روضة الجنة

والساقية تجري

يا سما صبي

(عبد الكريم) سيدي

يحفظه ربي

من كل متعدي

يا سما صبي



ويذكر الدكتور جمال السيد أن الشاعر اللحجي أحمد علي النصري (ت 1977 م) نظم على منوال هذي الأهزوجة قصيدته التالية:-

جينا وفي الروضة

قمري الجنة

من نظرته تسبي

يا سما صبي



جند أفارقة لدى سلطان لحج

*****

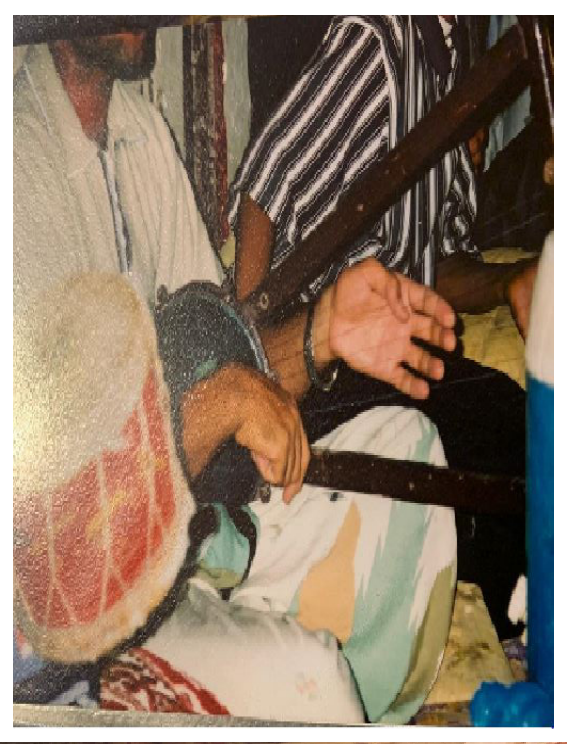
رقصة شرح صوت بامبيلا أو ميلا ميلا

رقصة وفدت على مدن ساحل حضرموت من منطقة سواحل شرق إفريقيا عبر خطوط الملاحة الشراعية العريقة بينهما. و فهمت من كتابات النمساوية جبرويلا براونه أنها رقصة للبحارة في ميناء المكلا وميناء الشحر بساحل حضرموت وأن الجماعة المؤدية لها أحضرت الرقصة أول الأمر من سواحل شرق إفريقيا التي كانت ترتبط مع الشحر والمكلا في زمن السفن الشراعية بموسمين بحريين راتبين جيئة وذهابا.

تتألف البامبيلا من جزئين متتالين:-

- **الجزء الأول:** مقدمة حرة من الإيقاع للحن صوت بامبيلا يؤديها مغني سولو بدون مرافقة إيقاعية وتجيء على شكل ابتهال.

- **الجزء الثاني:** صوت البامبيلا نفسه. وهنا يحدث توظيف كامل لفكرة أو عبارة تتكرر باستمرار في نفس الصوت الموسيقي، غالبًا في نفس طبقة الصوت (ostinato) لألات الإيقاع التي يظل أهمها طبل الهاجر إلى جانب الدربكة والكاسر والمرواس والصنج وهو آلة إيقاعية معدنية مصوتة مع غناء الكورس وتصفيقهم الزخرفي بالأكف. يكون غشاء طبل الهاجر بشد مرتخي للغشاء الجلدي ويضرب عليه بالعصا ويكون مربوطا إلى عنق العازف الذي يطرق عليه وهو في وضع الوقوف. اما من حيث الأداء الحركي فإن فقرة صوت البامبيلا تشهد تنقل سريـع للراقصين الذين قد يصل عددهم إلى 20 راقصًا.







يرتدي راقصو الوسط ملابسا يكسوها الريش وأوراق الأشجار الاستوائية الكبيرة الحجم الملونة كما تلون أجسام الراقصين بصبغات على شكل خطوط مع غطاء للعورة يشبه الازار ويرتدي البعض أقمصة خفيفة في الشتاء. يكون ارتداء الأوراق على طبقات مربوطة من أسفل الذقن مغطية كل الجسم حتى منتصف الساقين بحيث يخيل للمشاهدين ان الراقصين لا يرتدون شيئا تحت أوراق الأشجار ويبدو الراقص كأنه رجل من الأدغال الإفريقية. وهذا مجرد تمويه لمحاكاة الرقصة الأصلية الإفريقية في نموذجها الذي جاءت فيه أول مرة لسواحل اليمن. وعمليا راقصو الوسط يرتدون سروالا يصل للركبة وفنلة كما يضعون طربوشا طويلا على شكل مخروطي على الرأس بحيث يبدون في النهاية كبهلوانات. يشكل الراقصون صفين متقابلين على مسافة بعيدة بينهما. ويتسلل راقصو الوسط أقواسًا بين الصفين وعددهم 2-4 يدورون حول أنفسهم في سرعة كبيرة حاملين الحراب في وضع قتالي يواكب إيقاع طبل الهاجر في الرقصة. ويتشكل راقصو الوسط أحيانا كدائرة أو نصف دائرة. تشمل الرقصة رقصة الجلوس لصائدي الأسماك يعالجون شباكهم مترافقة مع التصفيق للتوقيع الزخرفي بالأكف مع أداء جماعي.



هاجر

من حيث البناء النغمي تقوم البامبيلا على السلم الخماسي الإفريقي ثم تتمدد نحو مقام الناهوند الخالي من ثلاثة أرباع التون الشرقي. وغالبا ما يكون الإيقاع 2 على 4، هذا بالنسبة للتسجيلات التي وقفنا عليها مدونة عند النمساوية جبرويلا براونه والبريطاني بول هيوز سميث.

ويلاحظ على نصوص البامبيلا المغناة انها يمنية واضحة وجريئة ربما تمشيا مع تحرر الأفارقة من القيود في الغزل الحسي وتجيء عادة في سطرين أو أكثر وتشكل عبارة (بوبليني ثوبك الغالي) لازمة تردد كاستهلال يقال بين الفقرات بكثير من النشوة. للأسف لا أستطيع الإشارة إلا إلى 4 تسجيلات خضعت لبعض الدراسة لرقصة بامبيلا حاليًا:

- صوت بامبيلا قدم في مهرجان البلدة بالمكلا عام 2007م لحنه للفنان رشاد برك. سلمه الموسيقي خماسي إفريقي وقد أدخلت على الرقصة الأبواق وأضيفت مؤثرات وأصوات تحاكي الأفيال في الغابة.



- صوتا بامبيلا لفرقة الخيصة في المكلا سجل بترتيب من الباحث الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت 2011م) وبقيادة الفنان أسامة سعيد باسبعات سجلهما البريطاني بول هيوز سميث عام 2002م وأودع المساقين الأول والسابع في المتحف البريطاني بلندن وقد استخدم فيه العازفون طبول هاجر ومرواس وآلة الصنج المصوتة مع التصفيق للزخرفة الإيقاعية وصوت جماعي.

- صوت بامبيلا لفرقة القدس في المكلا دونته بالنوتة النمساوية جبرويلا براونه عام 1993م، واعتنت بشرحه من الناحيتين الإثنوميوزيكولوجية والكوريوجرافية. وهذا نصه:

يا ليل يا رب سلم لي الله

يا بحر خاف الله لا تأخذ الشبان

فترد المجموعة:

بوبليني توبك الغالي

وهناك اثنان من الصيادين يقولان الشعر:

ثوبك غالي هيله ثوبك الغالي

هيل يا مالي هيا يا مالي

قولوا لبدرية لا تشرفي على عثمان

عثمان في الطاقة يتخايل البستان

يا بحر خاف الله لا تأخذ الشبان

خذ لك ثنين بحره والثالث الربان

والرابع الريس لي ماسك السكان

وترد المجموعة بصوت واحد:

يا الله سلامة

في نظرتك يا بو العيون السود لي فيها علامة

يا الله السلامة



أهل الهوى يتراحمون يا خل
وارحمني ولا على العاشق ملامة
البرق لامع ع الجفون
سبحان اللي خصك بالوسامة
يا الله السلامة

- كانت الشحر مهدا لفرقة الفنان والكوريوجرافي علي سعيد علي المصلي (ت 2006 م) التي وظفت إيقاع البامبيلا في رقصاتها مثل المقطع التالي الذي يصف رحلة بحارة الشحر إلى ثغر ممباسا بشرق إفريقيا وثغور الهند:

من جزر الهند نقفنا إلى ممباسا جازعين
الى شواطئ الشحر عدنا بالغنائم عائدين

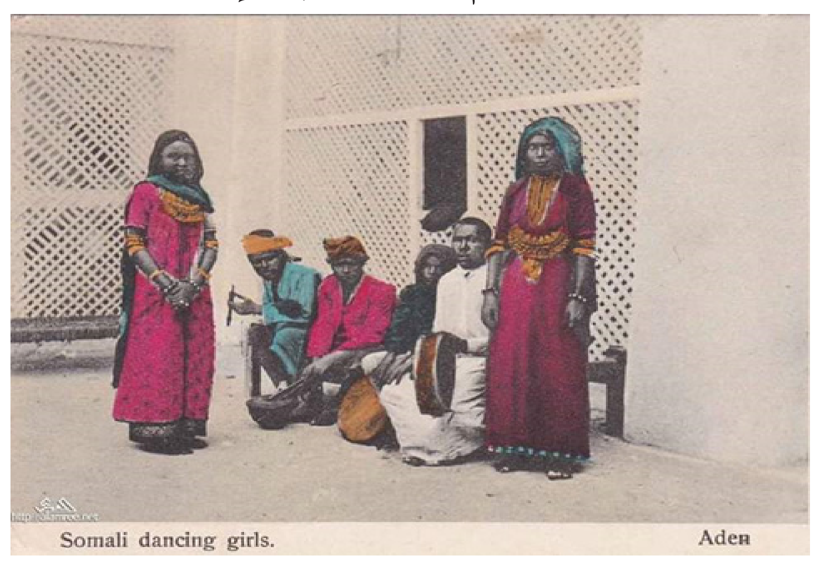


*****

رقصة ساب

رقصة صومالية مختلطة بين الجنسين كانت ترقص في مستعمرة عدن البريطانية في عشرينات وثلاثينات القرن 20 م. والشريحة المؤدية لها فئة دنيا من الصوماليين والصوماليات الذين يقطنون عدن يسمون (ساب) يشاركهم فيها العبيد الأفارقة المحررون في البحر من قبل قطع الأسطول البريطاني ويسمون جماعة (سيدي أخدام). وقد كان كرنفال بربرة السنوي في الصومال في منتصف القرن 19 م مصدرا للزيادة في حضور الرقيق الإفريقي إلى موانيء عدن والمخا والحديدة.

حارب الرقصة الحقوقي العدني محمد علي لقمان (ت 1966م) لما فيها من اختلاط للرجال بالنساء وتعاط للمسكرات خلال الرقص. حشد لقمان جمهورا نحو عام 1923م من وجاهات الطبقة المتوسطة لهذا الغرض وتقدم للحاكم العام البريطاني لمستعمرة عدن برنارد رايلي (ت 1966م) بطلب منعها فكان أن منعت بحجة أنها تصادم الثقافة العربية الإسلامية لمدينة عدن.


Somali dancing girls. Aden

شريحة الساب: ألمح المستشرق البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) إلى التشابه الطبقي -الاجتماعي بين شريحة ساب بالبر الصومالي المقابل لعدن وجماعات (الأخدام) و(السناكم) و(الحجور الصبيان) في اليمن. فكلهم تقليديا يعيش في حماية باقي المجتمع ويعتبر جماعة مهمشة. وقارن سارجنت أيضا ساب الصومال بشريحة (السناكم) في تهامة من حيث اتهام المجتمع لهما بأكل اللحوم غير النقية وعدم مراعاة العادات الإسلامية عامة وتعاطي المسكرات وإحداث الجلبة بالضرب على الطبول. ويقال إن للساب قدرات أرواحية فبعضهم يشتغل بالحديد المعدن اللصيق بطقوس السحر والزار عند الأفارقة لأنهم يعتقدون ان الجان يخافه ومن هنا كان الحديد أهم عند الإفريقي من الذهب (الراوي محمد عطبوش، 2023م)! على أن القبائل الصومالية لا يتزوجون من الساب الذين يتميزون بوضع اجتماعي متدن ويعملون في مهن مجروحة في الثقافة التقليدية الصومالية كحدادين وعمال معادن وصيادين وعمال جلود وأحذية وحلاقين وحرفيين ولهم تسميات فرعية. ان هؤلاء المجاميع يعتبرون بمثابة أرقاء للعشائر الصومالية (النبيلة) لأن ممارسة الرق كانت شائعة في الصومال. وقدرت منظمات حقوق الإنسان حجم شريحة ساب السكاني ب 1% من مجمل الصوماليين. ويشير الأمريكي ماثيو هوبر في بحث جديد إلى أن أكثر عدد العبيد المحررين (سيدي أخدام) قدم إلى عدن في الفترة 1861-1897م.

شرائح قبيلة هبر: هبر تعني أبناء. كانت مجاميع صومالية أخرى في عدن تشارك برقصاتها الخاصة في زيارة المتصوف أبي بكر العيدروس (ت 1508م) بعدن كما أشار الضابط البريطاني فردريك هنتر (ت1898م) صاحب كتاب (نبذة عن مستعمرة عدن البريطانية) الصادر عام 1877 م ببريطانيا وحدد أسمائها بثلاث فرق من قبيلة (هبر) هي:

- هبر جرهاجس
- هبر أول
- هبر تلجيله

وهناك أغان باللغة الصومالية والسواحلية سجلها اثنان من شيوخ الطرب العرب في عدن في النصف الأول من القرن 20 م:

- الفنان أحمد عوض الجراش.
- الفنان إبراهيم محمد الماس (ت 1965).

وينبغي التطرق للغناء الصومالي أو السواحيلي الحديث المتقن في مدينة عدن إذ كان نشاطا واقعا بالفعل ونجومه عديدون في الموسيقى وفي المسرح أيضا حيث عاش عدد من نجوم الطرب الصومالي المعاصر رجالا ونساء في عدن أيضًا وسجّلوا أسطوانات بالصومالية والسواحلية وغيرهما من لهجات إفريقيا. وكانت الشركات التي تهتم بتسجيل أسطوانات الأغاني السواحلية والصومالية هي: اوديون - التاج العدني - سالم (صالح فون) قبل الحرب الكونية الثانية . أما الفنانون فكانوا:-

- حسين ورسيمه الغرافي – صوت صومالي
- محمد حسن بربراوي
- محمد علي حاج الصومالي
- أحمد هاروش
- محمد كاهن اسحق
- محمد على حجي الصومالي

ولأن الحضور الصومالي كان قويا في عدن تسمت بعض مناطقها بتسميات صومالية مثل:

- حافة الشيخ اسحق: تقع بين حي المعلا بعدن وجبل شمسان. يقال إنها سميت تيمنا بولي الله الشيخ إسحاق بن أحمد (ت 1326م) صاحب ضريح ومزار في الشاطئ الصومالي غير بعيد من ميناء (ميط) وهو الميناء الرئيس لمدينة عيرجابو. وقيل إن التسمية جاءت نتيجة استقرار أعداد من قبيلة اسحق الصومالية في ذلك المرتفع بعدن.

- حافة حافون: في المعلا بعدن. وقد أطلق التسمية العمال الصوماليون تيمنا ببلدة رأس حافون في القرن الصومالي الواقعة في شرق الصومال. ويرى بعض الكتاب الإنجليز أن التسمية جاءت اختزالا لتسمية إنجليزية هي (half moon). وهذه أهزوجة كان يغنيها بحارة اليمن وعمان حينما يتوجهون للسواحل الإفريقية الشرقية يغامرون بالتصدي للأمواج المجنونة التي تعترض رحلتهم الملاحية يرد فيها ذكر مرفأين صوماليين هما رأس حافون وبربرة:

بربرة وحافوني

وموجها المجنوني

حافوني وبربرة

وموجها كما ترى

- صومالي بورا: أو جبل الصومال وهي المعلا ذاتها في عدن. والصومال هناك يحترفون مهن عديده كقيادة القوارب وصيد الأسماك والتجارة وقيادة العربات غير النارية ويكثر بينهم افراد قبيلة عيال أحمد.

- القلوعة: إحدى مناطق مدينة عدن، وسميت من قبل الصومال القاطنين فيها، وتعني الانعطاف أو الاعوجاج كما هو حال شارعها الرئيس.



سيدي أخدام في عدن

رقصة ميدينوت

رقصة شعبية مهرية حية حتى اليوم يرقص عليها رجال من سود البشرة. وتلعب الرقصة في مناسبات عدة مثل حفلات أفراح وزواج أبناء الشريحة أو أسيادهم السابقين وتؤدى في عيد الأضحى ملازمة لرقصة الميدان المهرية.

تلعب الرقصة في مناطق شتى من محافظة المهرة مثل مديرية حصوين ومديرية قشن ومناطق من مديرية سيحوت هي عتاب ورضوت الشرقية. وعندما تكون هناك مناسبة زواج لاحد أبناء الشريحة في مديرية سيحوت يأتون للدعوة من قشن وعتاب أو منطقة رضوت الشرقية بصف أو صفوف من الرجال. وعند وصولهم بالزفة يقابلهم صف من الرجال من أهل الزواج ويتبادلون المساجلات الشعرية بشكل سلس وجميل وبسيط وبعض هذه الأبيات طريفة ومفككة في معانيها. وتكون بعض القصائد خليط من الكلمات العربية والمهرية(الراوي مبروك جمعان الكثيري، 2023م).

و الذين يفقعون (يوقعون) على إيقاعات الطبول تكون لهم حركات معينة.

وتكون الرقصة على شكل مدارة يرقص فيها الرجال ولكن في الزواج وأثناء دخول العريس تدخل حلقة من أسرته وأصدقائه وغيرهم فتمتلئ المدارة بهم ويشاركهم الرقص أبناء المنطقة.

أغلب هؤلاء الرجال من أصول إفريقية وبعضهم جاء بهم أسيادهم من تجار المهرة من شرق إفريقية خاصة من سواحل كينيا وتنزانيا فاستقروا عند أسيادهم بالمهرة وتسموا بأسمائهم.

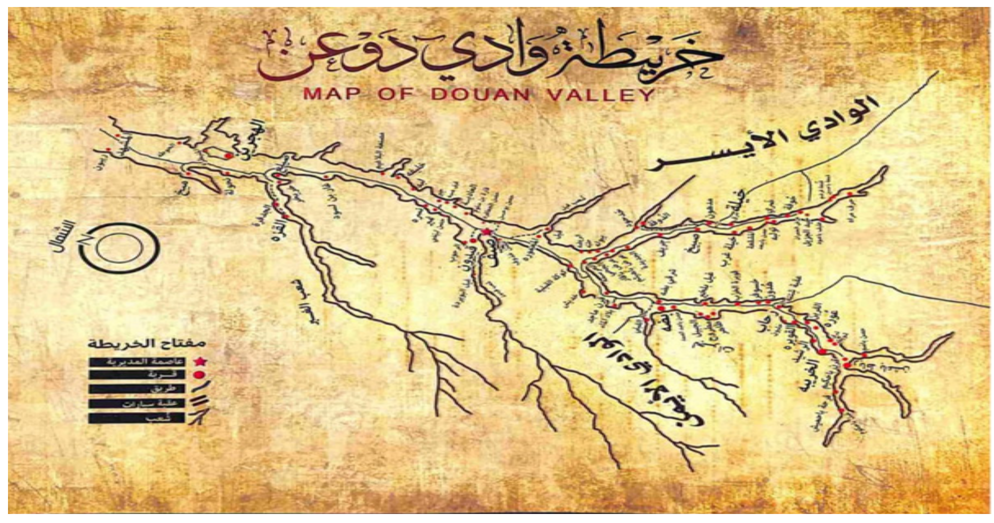
*****

رقصة مدخل عبيد

رقصة منقرضة كانت تتم سنويا خلال زيارة ضريح المتصوف سعيد بن عيسى العمودي (ت 1271م) في بلدة (قيدون) الواقعة على وادي دوعن في محافظة حضرموت. وكان هناك اعتقاد متوارث بين ملاحي حضرموت بقدرة الشيخ العمودي على حمايتهم من أهوال البحر متى استغاثوا به. كان العبيد والعبيد المعتقون الذين جيء بهم في أوقات سابقة من إفريقيا إلى حضرموت هم المعنيين بهذا الجزء من زيارة قيدون.

تشهد البلدة الزيارة السنوية يصاحبها إلى جانب الصلوات والابتهالات سوق تجارية رابحة. تكون الزيارة أواخر شهر رجب. وقيل كان الشيخ العمودي قد اقرها عام 1231 م في حياته وسار المريدون على ذلك بعد مماته ودفنه في ضريحه بالبلدة. وفي وقت ما كان هناك حضور واضح لجماعة من العبيد والعبيد السابقين ذوي الجبلة الفيزيوجنومية الإفريقية وينقسمون إلى قسمين:

- **العبيد المملوكون.**
- **العبيد السابقون.**



وكلا الجماعتين كان يسمى تجاوزا العبيد يحضرون للمشاركة في الرقصة في الزيارة السنوية ولهم بشيخهم إيمان يقولون انه يرفع عنهم التجاوزات السلوكية للعرف العام خلال الزيارة ويحاججون الفقهاء التقليديين في ذلك. ويبدو ان هذه الحساسية بين العبيد والفقهاء المحافظين أدت إلى اجتراح أيام خاصة بالعبيد للزيارة حسبما نفهم من المؤرخ علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد (ت 1962م) فأوشكت الزيارة أن تكون زيارتين. كان المؤرخ الحداد ممن شاركوا في الزيارة ودون عنها ملاحظاته الميدانية في تاريخه المسمى (الشامل في تاريخ حضرموت) عام 1940م. ومن المهم أن نذكر أن الحداد يذكر أن لهؤلاء العبيد رطانتهم التي لا يفهمها الآخرون وهم يتغنون بها خلال طقوس الزيارة مما يدل على أنها بقايا لغتهم الإفريقية الأم.

- الزيارة الأولى:

(زيارة جمعة آل بن زيد): تكون ثالث جمعة في شهر رجب تسمى جمعة آل بن زيد الذين يسكنون وادي عمد إذ يحضرون سنويا إلى قيدون ينشدون ابتهالات أواخر شهر رجب الرجيب. تكون البداية يوم الخميس باهل وادي دوعن والوادي الايسر ومعهم محملهم ثم أهل البادية كل يأتي بمحمله المميز بما فيه. وتعتبر بلدة قيدون خلال الزيارة (حوطة) أو (هجرة) للعلم يحترم فيها بصرامة السلم الاجتماعي ولا يسمح بعدوان أو قتال للثأر بين القبائل الزائرة لها. إلا ان مفهوم الهجرة في شمال اليمن يوازيه مفهوم الحوطة في جنوبها. تأتي الناس من القرى والبوادي المحيطة كما يجيء أهل بلدة الهجرين فيقوم سوق نشط فريد ببضائع مجلوبة من الهند ومن عدن وغيرهما. ومن ذلك الحيوانات إبلا وبقرا وحميرا، والفروش والجلود والملح والحبوب المجلوبة للبيع. يسير إلى الاحتفال أكثر أهل البلد رجالا ونساء وأطفالا ويأتي أهل رقصة (الخابة) ينشدون ويلعبون ويرقصون على الطاسة بحركات (يخبون) فيها أي يسرعون بالمشي لذا سميت الرقصة الفرعية هذي (الخابة).

- **الزيارة الثانية:**

(زيارة مدخل العبيد): تكون في آخر جمعة في شهر رجب وقيل اجترحت حتى لا يشوش العبيد على الزيارة الأولى الأساسية. ورأى علوي بن طاهر الحداد أنها طارئة منذ 70 سنة فقط من زمن وصفه للزيارة التي كانت في الثلث الأول من القرن 20 م أو قبل ذلك بقليل. تأسيسا على ذلك فإن الزيارة الثانية والمعروفة بمدخل العبيد بدأت طقوسها في منتصف القرن 19 م! ومن وحي وصف المؤرخ الحداد للزيارة ننقل ما يفيد أن الموسيقى الشعبية تكون مرافقة للراقصين بالمزامير والطبول وكل الأغاني تشيد بمكانة الشيخ العمودي. و(العبيد الزائرون هم زنوج يتجمعون من القرى ويدخلون إلى البلد بالمزمار والطبل والنقير وجذع شجر يتعبدونه يطلقون عليه اسم جدهم ويكون دخولهم ضحوة الجمعة برفتهم وقد أحاط بهم الغوغاء فيصلون قبة الشيخ سعيد والإمام يخطب خطبة الجمعة فتمتلئ جوانب المسجد بضجيج مزاميرهم ونفرهم وطبولهم ولغطهم برطانتهم وضربهم التوابيت فلا تسمع خطبة الخطيب ولا قراءة الإمام إلا من دنا. وتمتلئ شوارع السوق بالنساء والرجال في زحام يتضاغطون يموج بعضهم ببعض ويصدر عن ذلك أمور يندى لها الجبين وتضحك لها الشياطين فالنساء مزينات يسترن بشقة وبرقع تبدو منه المحاجر وتظهر المتبرجات منهن وهن الأكثر من أعناقهن ونحورهن ما يستجلبن به نظر الرجال اليهن ويتبعهم الفساق مع شدة الزحام وتضاغط الأجسام. وقد حدث ذلك منذ 70 سنة وما كانت النساء بهذه الزيارة ولا كن يخرجن للأسواق بهذه الصفة). وقد قاوم تجاوزات مدخل العبيد الشيخ طاهر بن عمر الحداد حتى أعياه ذلك لظن الغوغاء ان الشيخ العمودي قد أباح لهم ذلك. يصف أحد القيمين على الزيارة فعل مدخل العبيد بقوله: (- يسوكنون - فيه أي يعملون أعمال بهلوانية تشابه أعمال دراويش ومجاذيب الصوفي الشيخ أحمد بن علوان (ت1267م). إذ يأتون برقص شرح أثناء مدخلهم تتخلله تصرفات مجنونة مخالفة لرقص الشرح الحضرمي العادي وكأنهم في حضرة الجن، ويكون هذا الفعل في يومهم المحدد فقط).

- ويخصص يوم السبت حتى يوم الاثنين من ذلك الأسبوع لزيارة مرضى الجذام لضريح الشيخ العمودي. ويختلط الأصحاء بمرضى الجذام فيرقصون ويتغنون حول ضريح الشيخ. وقيل كان الشيخ العمودي قد سمح بذلك في حياته دون وجل من عدوى الجذام ثم بعد وفاته استمر الطقس على ذلك النحو.

- وقد عرج المسرحي والشاعر علي أحمد باكثير (ت 1969م) في مسرحيته (همام أو في بلاد الأحقاف)، وهي أولى مسرحياته، على ذكر رقص مدخل العبيد في قيدون فندد بما فيها من اختلاط للجنسين مع حضور الرقص وآلات الملاهي، وكانت كتابته تلك قبيل عام 1934م. وهذا التوقيت يجعلها تتوافق زمنيا مع مشاهدات المؤرخ الحداد أعلاه.

*****

ليوه أو شرح موالدة

لرقصة الليوه أو شرح الموالدة نطاق جغرافي يمني وخارجي وليوا هو الاسم الشائع للرقصة من ساحل مكران في بلوشستان حتى الكويت والسعودية والبحرين وقطر والإمارات وعمان. وفي جنوب العراق تسمى الرقصة هيوه ويؤديها هناك جماعة تعرف بسودان البصرة. وتمتد الرقصة على كل الساحل اليمني على البحرين العربي و الأحمر خاصة محافظات حضرموت وأبين ولحج وعدن والحديدة. لكن الباحثين لم يجدوا مثل هذا الاسم في فنون ساحل شرق إفريقية خاصة خلال القرن 20 م، وذهب اللبناني ماهو سبيان إلى مقارنات بين رقصة ليوه كما هي اليوم في الإمارات وعمان وبعض الرقص الاجتماعي (ngomo) (dingomaro) (ketmiri) في أرخبيل زنجبار والمنطقة الساحلية من شمال دولة كينيا المتحدرة من ثقافة قبائل البانتو سيما في الجوانب الأرواحية التي تزخر بها إفريقيا بحثا عن معادل موضوعي لليوه هنالك. وبالتقصي التاريخي المتوفر يبدو أن وصول هذا الفن إلى ساحل مكران الباكستاني ربما يضرب إلى القرن 16 م حينما وفدت أعداد متزايدة من الرقيق الحبشي عبر اليمن إلى هناك. وإذا كان هذا الظن في محله فإن بلوشستان تكون قد التقطت هذه الرقصة من إفريقيا قبل وصولها إلى الخليج العربي، فالباحث لوريمر في الجزء الجغرافي من مؤلفه (موسوعة الخليج) يذكر أن وجود الأفارقة الذين زاد استقطابهم للعمل الشاق بالغوص عن اللؤلؤ والعمل الزراعي المرهق في الخليج كان في القرن 18 و19 م ثم تدنى مع تطبيق تحريم الرق خاصة في مستعمرات أو محميات بريطانيا في شمال غرب المحيط الهندي.



فرقة الليوه الشعبية الساحلية عدن

أصل كلمة ليوا في اللغة السواحلية اعتمادا على كيفية نطقها باللسان السواحيلي له أحد معنيين:

- الخمرة والسكر وقد كان شرب الخمرة شائعا بين بعض من يرقصون الليوه أو يؤمونها، لكن المعنى يحتمل أن من يرقص الليوه لا يلبث أن ينتشي نشوة الخمرة دون أن يعاقر منها شيئا!

- اليوم الذي نحن فيه وقد يكون هذا من باب تغيير في تناديهم بعبارة (هيا يا ليوا). يقول حسين سالم باصديق (ت 1996م) في كتابه (التراث الشعبي اليمني) أن أصل الكلمة عربي جاء اختصارا من تنادي البحارة اليمنيين إذا هموا بالتساؤل عن برنامج سهرتهم في ذاك اليوم بقولهم (الليلة واه ؟)، أي الليلة ما عسانا نفعل في سمرنا. ولنا أن نلاحظ أن تسمية الرقصة في مدينة البصرة العراقية هو (الهيوه) وهو فن يخص هناك سودان البصرة وتعتبر الهيوه من الفنون العراقية المجروحة.

يذكر إدريس أحمد حنبلة (ت 1991م) في مقال له في جريدة (الشباب) في عدن في الخمسينات من القرن 20 م أن الليوه فن إفريقي الجذور شائع في بعض حواري ضاحية الشيخ عثمان في عدن.



سعيد نصيب

كما يذكر أحد كتاب صحيفة الأيام العدنية معلومات إضافية عن فرقة الليوه في ضاحية الشيخ عثمان بمدينة عدن فيقول: (واما ليوه وفي نفس المكان من الشارع وعلى يدك اليسرى تقع بيوت المؤسسين مثل الحاج حسين وفي الركن يقع بيت الرجل الثاني مبروك خميس مبروك وفي الوسط بيت سالم علي سعد ابو صلاح. والبقية من الأعضاء مثل المزماز وكراشة وعلي الزغير وعبده كولسم. وهناك يتم العزف والغناء الجميل والرقص الأجمل وكان يتم تحذير الشباب من قبل العم سالم علي ان يحافظوا على الأدب والاحترام حتى يضمنوا في المرات اللاحقة مكانهم في مرافقة الفرقة إلى الأماكن البعيدة أثناء توفر المواصلات). ويرى الكوريوجرافي علي المحمدي في كتابه (الرقصات الشعبية اليمنية) أن رقصة الليوه التقليدية تكون على إيقاع 12 على 4 وأن الراقصين يستخدمون فيها من الملابس: مئزر يشد بحزام على خصر الراقص يسمى في عدن كمر و فانلة بيضاء وطاقية على الرأس تشد بمشدة وهي قطعة من القماش.

سعيد عبد النعيم

ترقص ليوه في زواجات بلدات فقم والشيخ عثمان ومديرية صيرة بمحافظة عدن وفي محافظة لحج ومحافظة أبين ومدينة الحديدة في محافظة الحديدة ومدينة الشحر في محافظة حضرموت. وهي رقصة للذكور في ليلة حناء العريس التي تسبق ليلة الزفاف تمتد عادة من الساعة الثامنة مساء حتى بعد منتصف الليل. واهل العريس يرافقون العريس بالغناء منذ خروجه من منزله إلى ساحة تتسع للآخرين ويكون العريس عاري الصدر ليتحنن كفا وقدما من قبل أحد الحضور ثم تبدأ الرقصة بأهازيــج مفرحة كدائرة غير محسوبة العدد لتمتد لساعات الصبح الأولى حيث يترامى الناس بالحناء في جو بهيج خاصة في الاحياء الشعبية. يكثر في نصوص الليوه الدعاء الإسلامي والوصف المباشر للمرأة وذكر البحر وميناء ممباسا الإفريقي، ويلعب الكورس دورا مهما في الرقصة. يتشكل الراقصون في حلقة دائرية تضم في مركزها عازف المزمار والطبلة وتشرع الرقصة بالدوران في اتجاه معاكس لعقارب الساعة (anticlockwise) والراقصون يواجه بعضهم بعضا كأنما يهيئون لرحلة صيد في البحر ومع اشتداد إيقاعات الطبلة المصاحبة بالمزمار تشتد إيقاعات الرقصة بالتوقيع بضربات الاقدام الحافية على الأرض كأنهم الآن في عرض البحر وفي بدء تحرك الراقصين يشرعون بتحريك ايديهم كمن يضرب المجداف اي انهم يؤدون حركة ضرب المجاديف شروعا بالرحلة ويوغلون من خلال الأهزوجة التي يرددونها (سيمبا ليواه هيا ليواه هيا) ثم يقذفون بأيديهم إلى الإمام بقوة كأنهم يقذفون بالشباك على الماء عددا من المرات وبعدها تبدأ عملية سحب الشباك حيث ترتد ايديهم من الإمام إلى صدورهم مع التفاتة جانبية وتستمر الرقصة تماثل صيدا بحريا بكل امتياز. وفي تشكيلة أخرى في الرقصة يقف طابور من اللاعبين في صفين متقابلين متماسكي الأيدي يرددون مقاطع غنائية معروفة تنتهي دائما بمقطع واحد هو (أوه والله) وبعض الدعاء. وتقوم حركة الرقصة على قرع الطبول، والراقصون يتحركون باتجاه عازفي الطبول، ثم يعودون في صف واحد وحركة واحدة ليتجاوز الصف 20 لاعبا أو بحسب المساحة التي يدور فيها الرقص. ويلاحظ أن الحركة العامة تسير عكس عقارب الساعة وعندما تتشكل الدائرة تجد بعض الراقصين يقفزون إلى وسطها ويأتون بحركات امتداد للجسم إلى



الأمام مع ثني بسيط لليد والرجل اليمنى ثم لليد والرجل اليسرى عند الاستدارة للعودة. وتحمل الرقصة رمزية فرحة الصياد بصيد وفير من السمك يعود به إلى الشاطئ فرحا فتنخرط الناس في احتفاء بسلامة العودة من البحر ويعبرون عن ذلك الفرح برقصة ليوه التي تدور أغانيها عن الابتهال لله من قبل الصيادين في البحر (الراوي أديب قاسم، 2020م).



و يلاحظ الباحث محمد سبأ (أن هناك تماثلا في استخدام الحناء بين نساء اليمن ونساء إفريقيا عامة من حيث استخدام الحناء بنقوش وزخارف باليدين والرجلين والصدر حماية للبشرة من الجفاف والتشقق بالحرارة والشمس مع زينة مكملة للأزياء من حرز وتعويذة من المعادن والأحجار الكريمة والحلي المصنوعة، فالخلاخيل لها شكل ولها وظيفة في الآن ذاته. وكذا الوشم على الذقن وعلى الجبهة وطريقة تصفيف خصلات الشعر واستخدام الهرد أو الكركم

صبغة صفراء على الوجه. وقد يصاحب هذا قراءة الطالع والتنجيم مما تبرع فيه النسوة الدنكليات في عموم اليمن. والمعتقدات الشعبية تؤدي إلى تقارب وظيفي فالحلي تحمي من الجن والعين والحسد وكذا الحرز بأشكاله وأحجامه على الزند أو يربط على العكن أو تتزين المرأة بقلادة يوضع بها تعاويذ أو عود صليب للحماية خاصة المعادن والأحجار الكريمة كالعقيق والعقود والأساور والخلاخيل).



مزمار الليوه

آلات الرقصة

طبول مثل مسندو الأسطواني الذي يعزف واقفا وهو خشبي طويل يضرب باليد وخشبه يستورد من ممباسا أو مومباي. والتسمية سواحلية تعني طبل.

طبول تعزف في وضع الجلوس مثل (كاسر – رحماني – تنك – رنان أو باتو- مرواس) إلخ.

طبل الليوا المسمى بيبا وهو أسطواني معدني سبق استخدامه لزيت الطعام يشد عليه الجلد بصورة مباشرة على صندوقه المصوت، والطبل مصنوع من معدن مفتوح من جهتين ارتفاعه 47 سنتمتر وقطره 34 سنتمتر يثبت



على كل فوهة قطعة من جلد البقر بعد وضعه في ماء مملوح ليسهل إزالة الشعر الموجود بالجلد ويكون التثبيت بواسطة سيور من نفس الجلد تمر عبر الثقوب التي تفتح على محيط الغشائين المتقابلين مكونة بذلك ربطا منتظما ومتناسقا. وتضبط الآلة بشد السيور وأحيانا بتعريض الجلد لحرارة النار ويستخدم الطبل بجلوس العازف واضعا له بين ركبتيه مستخدما يده اليسرى وعصا بيده اليمنى في الضرب على الجلد الكبير الموجود في الفوهة العليا أما الجلد القصير فيعتبر قاعدة الطبل.

مرواس وهو طبل صغير يضرب باليد على جلد أحد وجهيه. والتسمية سواحلية تعني طبل.

رنان أو باتو: قدر نحاسي متداول في المستشفيات يضرب باثنين من المضارب أو المقارع. وباتو سواحلية تعني طبل. يلاحظ ان تسميات مسندو وباتو ومرواس مشتركة مع بعض رقصات الليوه في الخليج العربي وهي ألفاظ سواحلية.

الآلات الموسيقية الهوائية: المزمار مصنوع من قصبتين وبه 5 فتحات مزدوجة، وتتعدد أسماء المزمار في مناطق اليمن المختلفة وليس هناك تصنيف دقيق للفروق التقنية بينها فالتسمية تشيع في حدود منطقة معينة وتختفي في منطقة أخرى. وآلة المزمار أساس رقصة ليوه ويقول عازفو ليوه المحترفون في عدن أن (لا ليوا بلا مزمار!). وعزف المزمار يعتمد على أسلوب التنفس الدائري دون قطع مسار

(Circular breathing method without cutting a path)

من فِرَق ليوه في عدن:

فرقة الجزيرة: تأسست عام 1990م. يؤدي رقصة ليوه فيها 5 من العازفين و2 من المرددين وفنانان مغنيان وتدعى الفرقة لإحياء ليلة الحناء للعريس وهي الليلة التي تسبق ليلة الزفاف، كما تؤدي الفرقة فولكلورا بحريا آخر.

- فرقة الجوارح.



- فرقة الليوه الشعبية السواحلية: سجلت رسميا عام 1982م. وفي عام 2007 م التقيت قادتها كفاحا في حي خورمكسر بمحافظة عدن وكانت بقيادة:

- محمد أحمد غانم المزماز
- مبروك خميس مبروك
- صالح محمد حسن المزماز

أمَّا الكابتن بفريق الهلال صالح محمد حسن المزماز عميد فرقة الليوه الشعبية في عدن فقد تم تكريمه في العام 2008م فأفاد بأن: رقصة الليوه الشعبية جاء بها الأخ عبد الله مبروك من دار السلام عاصمة تنزانيا في أربعينيات القرن 20 م. وقد شكلت فرقة الليوه الشعبية في الشيخ عثمان بعدن من عدد من العقال، وهم: -

- الوالد محمد حسن سعيد المزماز الذي ترأس الفرقة
- محمد عبيد باجنيد
- حسن فنده

يقول: وبدأت فرقة الليوه الشعبية في عدن نشاطها في الخمسينات من القرن 20 م، وكنَّا حينذاك في طور الشباب، وكان الوالد محمد حسن سعيد المزماز يدق على الطبل الكبير المسمى بيبا وهو الأداة الرئيسة في الفرقة، بالإضافة إلى الطبل الطويل المسمى المسندو والمراوس والرنان وهي أداة نحاسية والمزمار والمزماز هو عميد فرقة الليوه الشعبية بعدن. ويسمي الأعضاء أنفسهم (مواليدا) جاء آباؤهم عدن ليعملوا في صناعة الملح قادمين من دار السلام بتنزانيا وكان رائدهم عبد الله مبروك وخميس مبروك الذي حضر في أربعينات القرن 20 م لتتشكل الفرقة في خمسينات القرن نفسه في ضاحية الشيخ عثمان في عدن. كان من رموزها محمد حسن سعيد المزماز ومحمد عبيد الذي رأس فرقة طنبرة عرفت باسم الباكوتة في عام 1949م وحسن فنده. سجلت الفرقة لتلفزيون عدن أكثر من مرة ونصوصها عربية تمتلئ بالمفردات الإفريقية والسواحلية لكن ألحانها إفريقية الجذر والنشأة تؤدى على رقصتهم التي يسمونها أيضا (شرح موالدة). وقد غدا أحد عازفيهم عازفا للكمنجة الحديثة في

أوركسترا الفرقة الموسيقية الحديثة بعدن في ستينات القرن العشرين. وتجمع المولدة قرابة أسرية فهم يتزاوجون فيما بينهم ويعملون بالنجارة وبالملح ولا يرتدون بالضرورة زيا موحدا أو معينا عند أدائهم رقصة الليوه التي يقدمونها زهاء ثلاثة مرات في العام الواحد).

وقد حصلت منهم على مشاركتهم مصورة في حفل محافظ محافظة عدن عام 2007م.

من أغاني رقصة ليوه: لليوه أغنيات مصاحبة للرقصة اكثرها تقليدي متوارث وبعض كلماتها سواحلية غير مفهومة لكن تردد تكريسا لتأصيل توارث الليوه ذاتها بين الأجيال. وهناك أغاني وأعمال فنية تبنى على روح الليوا وتستلهمها في أداء حديث من الفنانين الشباب. فمن المطالع المتوارثة التقليدية للأهازيج المرافقة لرقصة الليوا ما يلي:

نموذج (1) (عدن)

الا ما ليقتو

سيا انباسه

الى ما لجيتو

سيا امباسه

دورت لو

ما لجيتو

سبا انمباسه

دورت له ما لقيته

سي يا ممباسا

هذا الليد بحراني

ما بمشي معه

نموذج (2) (عدن)

نارية حليوه

وانت تاكا نيني

ونسيت ناريه.

نموذج (3) (عدن)

مد الشراع العالية عونك يا رحمن

الزمان الزمان الزمان عفوك يا رحمن

مروا عليا إثنين يابا قطعوا سلامي

الزمان الزمان الزمان عفوك يا رحمن

واحد كحيل العين يا با وواحد حياتي

الزمان الزمان الزمان عفوك يا رحمن

في البنجلة والسوق يابا خلي رماني

الزمان الزمان الزمان عفوك يا رحمن

طياره طارت فوق يا با فيها حبيبي

الزمان الزمان الزمان عفوك يا رحمن

نموذج (4) (عدن)

قام الفنان محمد صالح عزاني (ت 1980م) بتقديم أغنية ليوه مستوحاة من أغنية للفنان الحضرمي محمد جمعة خان (ت 1963م):

قال الفتى بامسلم دوب متسلي والقلب مشطون أما النفس محنونه

لا بي مهمه ولا بي فرق من أهلي وإن كنت مديون ياما ناس مديونه

عبرت جازع أبا المسجد وباصلي حصّلت باشا مع عسكر يزفّونه



الخشم خنجر سلب شاجع ولد قبلي خنجر قديمي وله حدّين مسنونه
والصدر ميدان للخيّال متعلي اربعمائة راس ذي هي فيه مرصونه
وقلت ياباشة الغزلان رخص لي باحضر سمركم وباسمع ما تقولونه
جوب علي قال لا أصلك كما أصلي بانعطي العز والناموس قانونه
جوّبت له قلت ما حد في الهوى مثلي لا قد تعنّيت جبت الوعل بقرونه
صغير السن هيّم بي وخذ عقلي وعاد أمه زادت تكحل عيونه
من يوم يقبل كما قرط الذهب مجلي وأهله في الشح غلبوا لا يبيعونه
خذ بيدي وطلعني قصر متعلي وجاب علكه وماء ورده وصابونه
وقال خايف يعلم حد من أهلي ومن طلع لا مطارحهم يذبحونه
والختم صلوا على من قام بالعدلي على النبي وأهل بيته محمد ذي يزورونه

نموذج (5) (عدن)

أوبريت (قاضي الغرام) عام 1970م من كلمات الأديب العدني أديب قاسم. وقد بناها الفنان احمد محمد ناجي (ت 1985م) على رقصة الليوه وعرضت في سبعينات القرن 20م.

نموذج (6) (عدن)

سمع المطلع الأصلي لهذه الأهزوجة منذ مطلع القرن 20 م في سواحل لحج و أبين وشقرة وحضرموت، لمؤلف مجهول من بيت شعري شعبي واحد تراثي قديم، وقفلة موسيقية لحنية هي (وسرى الليل يا العاشقين) حتى أن اللحن أعجب الشاعر أحمد فضل القمندان (ت 1943م)، والبيت هو: (بدوية خطبها نصيب، رغبانة وبوها غلب)، أو: ألب (بلهجة أبين). و كان أن أوصله الفنان عبد الكريم توفيق (ت 2019م) إلى الموسيقار احمد بن غوذل الذي عرضه بدوره على الشاعر فريد بركات (ت 2019م) ليضع له نصا حديثا مكتملا من20 بيتا جديدا على نفس الوزن و اللحن. وفي العام 1980م غنت الفرقة الوطنية المسماة فرقة الإنشاد أغنية (صبوحة) لأول مرة في تلفزيون

عدن. يقول الشاعر فريد بركات: (وأنا عند توظيف البيت الشعري الشعبي القديم فنيًا بدلت كلمة (بدوية) في مطلع البيت بكلمة (صبوحة) لأعطيها معنى الصباح وما يرتبط به الصباح من قيم وطنية وفنية ومعانٍ خليطة من التعبير الفني والوطني والرومانسي فأصبحت لفظة صبوحة هي السائدة في الأغنية وانتشرت بهذا المعنى الجديد، بعد أن أضَفتُ إليها عشرين بيتًا من تأليفي من ضمنها):-

صبوحة أبوها البليد رابطها لأهل الرتب

صبوحة تحب الصباح ما ترضى بوزنه ذهب

صبوحة تحب النهار تتنفس هواه الرطِب

صبوحة تصد الغريب الغازي قليل الأدب

صبوحة أبوها عنيد يبغاها لابن النصيب

صبوحة تحب الحياة ما تحب الحسب والنسب

تتمنى تلاقي الحبيب من بعد النكد والتعب

وسرى الليل يا العاشقين

كما شاعت أغنية (صبوحة خطبها نصيب رغبانة وأبوها غلب) في عام 1982م حينما غناها الفنان سعيد عبد النعيم خميس فرج (1903 -2010م) في التلفاز الكويتي فانتشرت في دول الخليج العربي.

لكن معلومات أخرى وردت من الدكتور عبد الباسط الغرابي ذكرت أن أصل الأهزوجة كان لحنا إفريقيا شرحيا يؤدى في خمسينات القرن 20 م في حضرموت ضمن الفن المعروف بِ (زامل العبيد) الذي يؤديه عسكر السلطان القعيطي في عيدي الفطر والأضحى وفي مناسبات زواج الأعيان المقربين من السلطان (السركال). والتقطها الفنان عبد الباسط سعيد الغرابي عام 1968م وطورها نغما حتى غدت مقطعا في لحن ثلاثي المفاصل متنوعا ونقلها إلى الشحر وغيل باوزير والمكلا حيث أعجب بها الناس على لحن: (يسجع ولي ما يتفق رايه براي الناس ما يروح الصلاح) وكان اللحن أول الأمر إفريقيا خماسي

السلم الموسيقي وفي الشكل الذي غناه عليه الفنان سعيد نصيب (ت 2020م) ربما. ويقول الفنان سعيد عبد النعيم من ناحيته أن نص اللحن الإفريقي كان (شرنجي شرنجي يا شرنجايا) فكانت الأغنية في الواقع بيتا تراثيا واحدا قديما، يُغَنّى في المدن الساحلية الجنوبية في سواحل أبين وشقرة ولحج وحضرموت، مجهول المؤلف، وهذه هي طبيعة الغناء والألحان التراثية القديمة جدا، أن تكون مؤلفة من بيت تراثي شعبي قديم واحد أو بيتين على أكثر تقدير وهذا ما حدث في أغنية (صبوحة) التي كانت مؤلفة في الأصل من بيت شعري شعبي واحد تراثي قديم وقفلة موسيقية لحنية هي (وسرى الليل يا العاشقين)، والبيت هو(بدوية خطبها نصيب رغبانة وبوها غلب). كما نلاحظ مؤخرا ان الفنان الحضرمي جاسم خير الله بخيت بن نصر قدم أغنية جديدة بعنوان (بغينا المكلا يما) قام بتطوير كلماتها عن السواحلية (شرنجي شرنجي يا شرنجايا) السالفة الذكر وأعطاها لحنا ووضعها في فيديو كليب يستوحي مرفأ المكلا.

وفي أبريل من العام 2019 م انتشرت أعمال ما عرف بالأوركسترا الحضرمية، وهي مقطوعات موسيقية عالمية بنهكة «حضرمية ألّفها الموسيقار الشاب محمد القحوم، مزج خلالها بين فن الأوركسترا بالتراث الموسيقي والإيقاعات اليمنية بشكل عام والحضرمية الشهيرة بشكل خاص، وكانت أغنية «صبوحة» واحدة من المقطوعات التي عزفت في الأوركسترا الحضرمية بماليزيا، لمدة ست دقائق.

نموذج (1) (لحج)

زنجبار بعيده والبابور شمر　　　　لا إله إلا الله يا رب توبة

نموذج (2) (لحج)

ليوه يا ليوه

يا ملنجه

برده برده يا كوز لمبه



نموذج (1) (زبيد - تهامة)

وسط المداره خوزران الرطيب يا ما بحالي

لما لما يا عيالي ما ترحموا حالي

انتو كساكم جديد وانا كساي بالي

عدن عدن يا جماعة كل الرجال باكو

ناس استفادوا وناس وسط البحر ماتو

لا عاد شربوا مداع ولا اكلوا قاتو

اذا معاكم بيس هاتوا

نموذج (2) (الحديدة – تهامة)

(ليوه أيوه) كلمات حديثة للشاعر صبري السقاف ولحن مجدد للفنان حسن علوان (ت 2020 م) غناء مجموعة الفنان حسن علوان.

نموذج (1) (حضرموت)

باني ليوه

بانا مزوري كبسه

باني ليوه

نموذج (2) (حضرموت)

أصله من رقصة زامل العبيد في حضرموت يبدأ بغناء: (رومازه يا رومازه مسيكين الغريب وحده اوه بالله)، وقد حور إلى أغنية ليوه على إيقاع 2 على 4من الموسيقار أحمد بن غوذل وطور كلماتها الشاعر محمد عمر باطويل (ت 2021م) فأصبحت: -

سماره يا سماره

مسيكين الغريب وحده

أوه يالله



وبانت له اماره
وشفت الورد في خده
أوه ياالله
شياكة قعد وسط المداره
وزيدها بما عنده
أوه ياالله
وأشر لي أشاره
وحط يدى علي يده
أوه ياالله
ولكن ما عرفت قصده
أوه ياالله
تلاقينا بحرارة، والله بحراره
وحط يدى علي يده
أوه ياالله
وقال لي شو أخباره
ووضح لى أسباب وده
وودعنا بحراره، والله بحراره
وأكد لي يصون عهده
أوه ياالله
سماره يا سماره
سماره يا سمارة
وربى زينة وحده
أوه ياالله.

رقصات هبري

فهمت من كتابات نفر كريم من الباحثين اليمنيين أبناء منطقة تهامة أن الفن (الهبري)، بضم الهاء، يشتمل على ثلاثة فنون تهامية لثلاث شرائح اجتماعية مختلفة. تسمى عموم هذه الفنون في منطقة تهامة فنون (هبري) وهي تسمية إمَّا أن تكون اسمًا:

- للرقصة ولإيقاع تلك الرقصة وغالبا لهما معا.
- لنمط من الأغنيات في تهامة.
- للعبة شعبية تؤدى في تهامة.

والفنون الثلاثة هي: -

- الفن المخدمي لشريحة الأخدام.
- الفن العبدي لشريحة بقايا العبيد المحررين.
- الفن المريسي لشريحة المزاينة والريسا والحلاقين وأبناء الخمس.

نلحظ هنا أن التسمية بهبري تحشر 3 شرائح مختلفة من الشرائح الدنيا في المجتمع التهامي فيما يشبه الطبقة الاقتصادية الاجتماعية الواحدة باعتبارهم جميعا من ذوي الوصمات الاجتماعية. وهذه الوصمة تنعكس في حقوقهم المدنية في التعليم . الصحة . السكن . المياه النظيفة . الصرف الصحي . الكهرباء - الوظيفة العامة.

وسبب تلك الوصمة هي الجبلة الفيزيوجنومية الإفريقية لشريحة العبيد التي لم تملك حريتها، ولشريحة الأخدام التي تملك حريتها. ثم هناك وصمة الكدح بالأشغال البدنية واليدوية المجروحة لشريحة الريسا وشريحة الأخدام معا علما بان شريحة الريسا ليست من الجبلة الفيزيوجنومية الإفريقية.

ولا مندوحة لنا في مقام الحديث الموسيقي من البحث عن الخصائص الموسيقية المشتركة لفنون هبري بحيث يجوز في هذا المقام ان نحشرها في

مكان واحد. ولعل أطروحات الألماني يورجين السنر هي الأقرب من ناحية علم موسيقى الشعوب لا سيما أنه قد أعطاها وصفا تقنيا في تهامة أسماه أسلوب قرع الطبول التراكمي (Cumulative drumming style of the Tehama) وهي ظاهرة في الإيقاع المتعدد المسمى بوليريتمي (polyrhythmic) وتأتي الموسيقى والرقص كحركات إيقاعية، منعزلة، متعددة الإيقاع بالجسم بتزامن وارتجال وإيقاعات متقاطعة وغناء يقوم على الدعوة والاستجابة (Call and response).

إن ظاهرة هوكيت المتشابكة في الإيقاع تعني إيقاعين أو حتى أكثر من المجاميع الإيقاعية يوقعان على أزمنة إيقاعية مختلفة فيما بينهم لكنهم يكونون مكملين لبعضهم في الاداء الغنائي. (Hocket).

والآلات المستخدمة في رقصات هبري تأتي بأسماء محلية تترادف فتتكرر لكنها عموما:

مجموعة آلات إيقاع أسطوانية أوعلى شكل ابريق غلاية: طاسة - مرفع - طبل - مرد - مشكل - مدف - جبح. وبعضها يقرع بالمطارق.

مجموعة آلات مصوتة: صحفة – منجور - طنجرة.

تختلف الطبول في الجرس (timber) وفي مستوى التسجيل (register) حسب توتر الغشاء وشكله وحجمه.

- مجموعة آلات نفخ بأنبوب واحد: ناي - قصبة - شبابه.

- مجموعة آلات نفخ بأنبوبين اثنين كالمزمار.

- آلة وترية وحيدة هي (طنبره) وتسمى أحيانا (ربابة). ويعزف على طنبره بقرون البقر ولها 5 أوتار من امعاء الحيوان أو النيلون، حيث تتصل بطقس (زار لمبونا). ويعتبر استخدام آلة طنبره الوترية في الرقصة واستخدام آلة المزمار النفخية امرا يؤدي دورا إيقاعيا وليس ميلوديا ويخضع لهيمنة آلات الإيقاع الأخرى من صحفة ومرفع ومدف.

يعمل الجسم البشري بأكمله كأجهزة إيقاعية: ختم القدم - تصفيق اليد - استخدام الحركة الجسدية كجزء لا يتجزأ من التعبير الموسيقي.

فاذا استعرضنا ما يحفظه الناس في تهامة القرن العشرين من أسماء فناني فنون الهبري الثلاثة نجد أسماء وألقابا معا وقد يخلق ذلك تشويشا على الباحث من خارج منطقة تهامة لذا فإنني أقدم هذه القائمة بتحفظ:

- أحمد مجاره

- الثنائي جبر كبه والكحتل: ثنائي لفنانين ضريرين يقصدان الأسواق الشعبية الأسبوعية بالطبل والشبابة القصديرية أو المزمار. لهما أغنية شهيرة هي (شام الله).

- جحوش

- امحمد عبيد المزين المقطف وهو صاحب شهرة في اداء غناء الدان المعنوي على رقصة الهزة الريسي.

- القعمري

- عبده قروش

- زبيطه الزقار

- سالم سلمان قطاب

- سعيد اليماني

- الثنائي أمحمد أحمد رامي ومبارك درويش بكير: ويسمى فنهما المشترك (الرامي البكيري)

- المطوح

- عمر يوسف طرباي: وصف البريطاني اندرسون باكويل والألماني يورجين السنر عزف طرباي بطقس الزار بمدينة زبيد بانه تطبيل ساخن مسعور تحضر فيه (السنكبة) (syncope) الموسيقية أي تأخير النبر في الإيقاع وهي صفة معروفة من صفات التطريب الإفريقي. أساسا جاء طرباي من شريحة الحدادين الوثيقة الصلة بطقس الزار في المعتقد التهامي لدور معدن الحديد في مقاومة



الجان في المعتقد التقليدي (الراوي عطبوش، 2023م). ويجيد طرباي أداء آلة طنبره في طقس (زار لمبونا).



آلتا جوحل وقصبة



الة الطاسة من الخلف



طاسة في وضعية العزف



هاجر في وضعية العزف

أولًا: الرقص المخدمي:

رقصات تخص شريحة الأخدام الاجتماعية التي تأتي في أسفل التراتب الطبقي في المجتمع اليمني. وهم أحرار ليسوا رقيقا مملوكا لأحد، ويمتاز الأخدام بالحضور الطويل في تاريخ اليمن خاصة منطقة تهامة وهم سود اللون ملامحهم الفيزيوجنومية ذات سمة إفريقية. قدر عدد الأخدام في عام 2004م بنصف مليون يتوزعون بين مناطق ومحافظات تهامة وحجة وتعز وصنعاء وعدن وابين وحضرموت. ويتميزون ببشرة داكنة وشعر أسود فاحم بتجعد وقصر وشفاه سفلى سميكة وانف افطس بفتحة كبيرة. والأخدام جماعة يمنية عريقة لها وضع ونسق يشبه الجماعات المنبوذة في التراتب الطبقي والاجتماعي في الهند كما أنهم يشبهون من حيث ترحالهم المستمر جماعات الغجر في أوروبا والنور في الشام. عرفيا لا يسمح للإخذام بامتلاك الأرض كما لا يتزاوج الناس بهم وهم في الحقيقة أقرب ما يكونون إلى المغنيين الجوالين (التروبادور) يشحذ أطفالهم ونساؤهم الناس بغنائهم ورقصاتهم في الأسواق ودوما ما تشاركهم فتياتهم ويدعون الآخرين لمشاركتهم الرقصة من باب المرح وإجزال العطاء المالي. ويسمون في تهامة حينا (سودا) أو (حبشا). يعملون في حراثة وضمد الأرض أي الحصاد والخبيط وهو استخراج الثمرات وبناء العشش وصنع النعال وضرب الطبول وبناء اسوار للبيوت وهناك حبوب طعام يأخذها الخادم يوم الحصاد مكافأة. يعمل الأخدام في تهامة بالمهن الهامشية مثل النقالة والعتالة وخدمة الأعراس والمناسبات وبالتطبيل في المناسبات ويحرمون في العرف التقليدي، وليس في القانون اليمني، من امتلاك الأرض حتى تلك التي يعملون عليها. ويعمل عدد منهم في سلاح المشاة بالقوات النظامية اليمنية.

و ينظر إلى شريحة الأخدام بانها تغاير باقي السلوك اليمني من حيث: الذوق العام - التفضيلات - المظهر العام - تحديد المواقف - الحكم على الأشياء - القيم الاستهلاكية - التمييز الاجتماعي – السلوكيات - المسكن – الثقافة – انعدام الفرصة للتزاوج من باقي شرائح المجتمع.

و في عقد الستينات خاصة بعد ثورة 26 سبتمبر 1962م التي جاءت بأهداف تتقدمها المساواة وإزالة الفروق بين الطبقات قامت وزارة البلديات باستقدام 30 أسرة من ريف زبيد إلى سمسرة معدة بصنعاء للعمل في أعمال النظافة كعمال يتلقون رواتب ثابتة. كما أبدى الرئيس اليمني إبراهيم الحمدي (ت 1977م) حرصا على إنشاء مساكن حضرية لأفراد الشريحة.

لكن ما يعرف حاليا بشريحة المهمشين (marginalized) في اليمن لا يقتصر على جماعات الأخدام بل يضم أعدادًا مهولة (70%) ممن أجبرته حالته الاقتصادية،خاصة عند العودة القسرية من دول الخليج العربي إلى الوطن عام 1990م عقب احتلال العراق للكويت، إلى السكن في مدن الصفيح (المحوى) مع الأخدام ومحاكاتهم في مجمل حياتهم الاجتماعية رغم ان هؤلاء الوافدين يتحدرون من خلفية قبلية. وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة 88 بالمئة من المخيمات التي نشأت عشية حرب الخليج عام 1990م تنتشر في محافظات الحديدة وحجة وتعز وإب، مما مثل معاناة 3 ونصف بالمئة من سكان اليمن بينما الأخدام الأصليون يمثلون زهاء 35 بالمئة فقط من مجمل شريحة المهمشين.

و في إحصاء تقريبي أجري قبل سنوات قليلة برزت الصورة الكمية التالية:

- محافظة الحديدة = 73558
- محافظة حجة = 40789
- محافظة لحج = 5689
- محافظة حضرموت = 3838 (مثلا تجمع الحارشية وهو تمدد جديد)

إجمالي اعداد المهمشين في العام 2004م = 153133

و قد تمكن الفرنسي جان لامبير من ترتيب دعوة لمجموعة من فناني جماعة الأخدام في مدينة زبيد عام 1994 م للسفر إلى فرنسا لإحياء حفلات موسيقية. منح هذا شباب الأخدام شعورًا بالاعتزاز بالذات فاختاروا أن يقدموا أعمالهم تحت شعار (رقصاتنا وطبولنا) وذلك في مؤسسة بيت ثقافات العالم في مسرح دوار الشانزليزيه بباريس خلال مناسبة مكرسة لليمن ذلك العام.

و في رقصات الأخدام إبداع رياضي وتميز تعينهم عليه جبلتهم الفيزيوجنومية وتعلقهم بفنون الأداء منذ الصغر. وهنا احد المستشرقين يصف حفلا لهم في مدينة الزهرة (ربما مصحفة عن السحرت وهي قبيلة من أحزاب حبشت) في تهامة: (في مدينة الزهرة عاصمة وادي مور بتهامة يتألف الرقص من مزيج من تحريك الكتفين والخلط المائل للخلف يتم إجراؤه في الغالب من قبل مجموعة من الأشخاص الذين يتقدمون ويتراجعون عن الموسيقيين، بينما تكون الأذرع مرتبطة أو بشكل مستقل. كلا النوعين من الحركة ينطويان على خفة حركة كبيرة. ويكون أداء الوميض سريعًا لدرجة أن الكتفين يصبحان ضبابيين ويميل وضع المراوغة بحدة إلى الخلف ليوحي بالسقوط). ويسمى هذا في علم الكوريوجرافي أو علم الرقص وضعية هبوط للجذع(Lower torso position).

رقصة كدي: تتطلب براعة عضلية في تحريك الكتفين بسرعة يمينا ويسارا ونجد لها معادلا في رقصات الهضبة الابسينية القريبة عند قبيلة الأمهرا وغيرها.

رقصة كندو: رقصة وافدة مثلها في إفريقيا كثير. تكون الرقصة عند مواسم الحصاد المعروفة بأيام الخير وتؤدى في ليالي السمر. يقوم الراقص أو الراقصة بهز الأكتاف والدق بالقدم على الأرض وعند نهاية الرقص يهبط إلى الأرض فجأة ثم ينهض مع صيحة قوية دون غناء. عادة ما ينتظم المشتركون في الرقص متقابلين ويصدرون صوتا مصاحبا لدبكة على الأرض. ويخرج الراقص الأول من المشهد ليتيح الفرصة لراقص أخر.

رقصة سارية: رقصة مختلطة يقوم بها الأخدام من الجنسين متى وجدت مناسبة تستدعي الفرح فيبدأ الطقس بعد منتصف الليل ليستمر حتى الصباح.

رقصة حبشي: تؤدى في مدينة زبيد بطبلين ومرفع.

رقصة مخدمي: رقصة يؤديها شخصان على إيقاعات سريعة من الطبل تتحرك فيها أجسامهم وارجلهم بخطوات منتظمة وسط حلقة دائرية من الناس لفترة ثم يستبدلان بآخرين وتشيع هذه الرقصة في مناطق تهامة التي تدخل إداريًّا ضمن محافظة حجة.



أغاني امفدايه ان (ام) تعني (ال) التعريف وهو ما يعرف عند أهل اللغة بطمطمانية حمير. اذن هي أغاني (الفداية) وهي أغان طربية راقصة للأخدام على إيقاعات طبول ومصوتة واحدة بتسميات شتى ولكل منها دوره الخاص كما أشار الألماني يورجين ألسنر في تحليله لنمط (التطبيل التراكمي التهامي) وأهمها: مشكل - هاجر - مرد - مكب - دم - طبل - صحفة. (Cumulative drumming style of the Tehama).



يورجين السنر

رقصة طبعة أو زفة:

الكل يرقص الطبيع بطبع الأقدام على الأرض ويكون الامتحان في رقصة (الدقتين) اللتين من المفترض أن تتجلى قوة وبراعة العريس فيهما. ونجد تماثل في حركة الارجل برقصات إفريقية عديدة تقوم على ضرب الأرض بالأقدام والطبع عليها بقوة وهي رقصة تقيس الرجولة والاكتمال الجسماني في ليلة الزفاف وعلى العريس ان يتقنها لهذا الغرض على الأقل وتستخدم فيها طبول متعددة. ومن نصوصها ما تبتدر المغنية:

وا فرع امجنى حقنا لنا

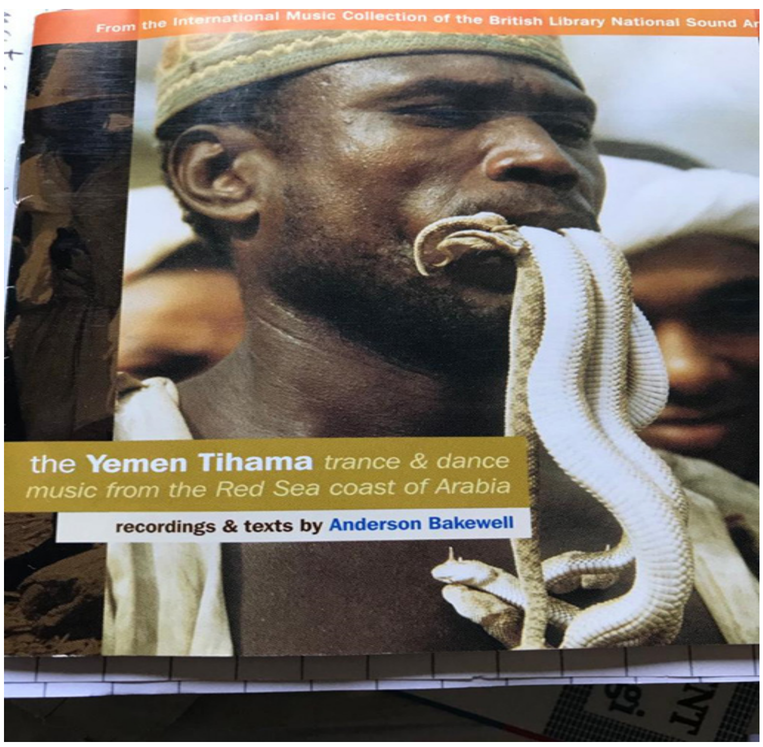
وا فرع امجنى قرشنا سلمنا

يهناه ذا الغزال يهناه

من بلاد بعدي حنا أتينا

فترد عليها بقية النسوة:

(وا فرع امجنى حقنا لنا)



اسطوانة اندرسون باكويل عن فنون تهامة

ثانيًا: رقصة العبدي أو الملأ

كانت الرقصة تتم في زيارة انقطعت بوفاة شريفة بلدة القطيع بتهامة زينة (ت 1997 م) إذ كانت ترعى ماليا ومعنويا هذه الزيارة للولي الخزان. وهي رقصة في زيارة سنوية إلى الولي (أبي القاسم بن أبي بكر بن أبي القاسم بن عمر بن علي الأهدل) الشهير بالخزان أي خازن الأسرار أو محرر العبيد (ت 1620م) بمنطقة (القطيع) بمدينة المراوعة بمحافظة الحديدة بتهامة حيث يتم الرقص المرتبط روحيا بالولي المذكور باستخدام الطبول ويمر الطقس ذاته بمراحل ثلاث:

- **تشريقة**
- **تنشيرة**



- سمرة.



سوق العبيد في زبيد عام 1237م عن مقامات الحريري

كان الشيخ الخزان قد استوطن منطقة القطيع واختط بها زاوية وازدرع بها وأحدث من عمل يديه مزارع عديدة فكون ثروة هائلة صرفها على شراء العبيد وتحريرهم بل وإعطائهم اراض لزراعتها لوجه الله فكانت زاويته ملجأ لكل جائع وعابر سبيل وطالب علم ولا يرد عنها أحد حتى من طالبي اللجوء من ظلم السلطان. ولما مات الولي الخزان عظم الناس ضريحه. وكان للعبيد المحررين شأن عجيب في تعظيمه وزيارته ردا لجميل محرر العبيد فأوجدوا رقصة (العبدي) أو (الملأ) وصاحب ذلك حفلات تنكرية للعبيد يقلدون فيها الأمراء ويلبسون افخر الملابس ويرون مستعبديهم ا أصبحوا مثلهم ويمشون الخيلاء ويرقصون على إيقاع الطبل طيلة ثلاثة هي أيام الزيارة(12و13 و14من شهر ذي الحجة من كل عام) حتى إذا وصلوا إلى الضريـح تمرغوا في الطين

المبلل بكاء على محررهم.

و الأرجح أن هؤلاء العبيد المماليك وافدون هم أو آباؤهم على اليمن من البر الإفريقي. يرى الكاتب جورج برسيفال كاي أنه حتى العام م كان العبيد من مناطق شتى في القرن الإفريقي يجلبون إلى تهامة عبر باب المندب من المناطق التالية: -

- بني شنقول	**- أرومو أو الجالا**
- اواسا	**- دنكاليا أو العفر**
- وارسانجلي	**- جوراتشي**
- جوراجي	**- باريا.**

و تعد الأغنية التهامية المعاصرة (جمل حسين) من فصيلة غناء (العبدي) وتوظف في زيارات الأولياء والصالحين حيث يخرج الجمال بجمله ومعه مجموعه من الراقصين والعامة من الناس بمصاحبه الطبول وينطلقون من مكان معين إلى قبر الولي على شكل الجوقة. والمعالجة اللحنية للأغنية هي للفنان حسن علوان (ت 2020 م) بينما النص المحدث للشاعر علي مغربي الأهدل وجدد فيها مؤخرا الفنان عبد الله آل سهل.



قبر الولي الخزان في بلدة القطيع بتهامة

ثالثًا: رقصات المريسي

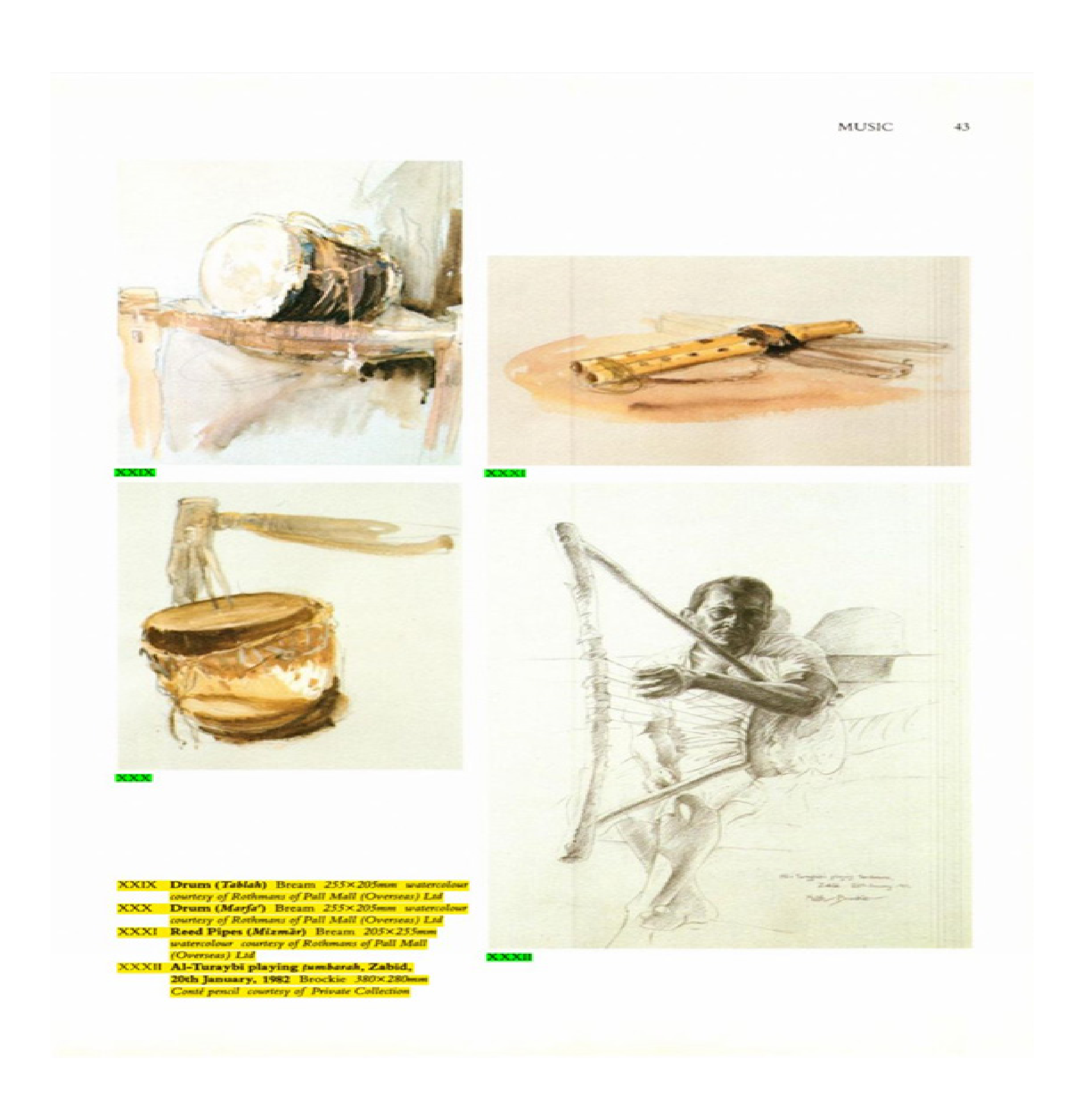
رقصات لشريحة يمنية غير إفريقية الجذر وجبلتها الفيزيوجنومية بيضاء قوقازية إلا أنها كانت تعاني الوصمة الاجتماعية والمكانة المتدنية في التراتب الطبقي للمجتمع اليمني. عرفت الشريحة بعدة تسميات منها: المزاينة والريسا والحلاقين وأبناء الخمس.

غناء (دان معنوي) برقصة (هزة ريسي): (الدان المعنوي) غناء يؤدى في مناسبات الأفراح لهذه الطبقة من طبقات المجتمع في تهامة بصفة خاصة ولكنه مفتوح لمن يرغب من غيرهم لذا برز مغنون لهذا الفن من غير شريحة المزاينة شعرا وغناء. ويستخدم مؤدي الدان المعنوي طريقة شعر الدان في اليمن من حيث صياغة البيت الشعري بالترنم أولا ب (اي دان وانا دان)، بحيث يسبق اللحن مولد البيت الشعري ويكررها حسب اللحن التراثي لها ثم يؤدي المغني غناءه وهو واقف على قدميه ولكل مغن ردادون كورال خاصون به ولكل مؤدي طريقته في أدائه ولحنه المميز. يبدأ المغني في ليلة السمرة بالمخدرة برفع الصوت (واي دانه واناي دانه واناي يدان) ويردد بعده الردادون ما قاله إذا كانت على شكل (شلة) جماعية. وللدان المعنوي ألحان تصل لعشرة منها الطويل والمتوسط والقصير. ويلاحظ على شعر الدان المعنوي تميزه بالمبالغة في المدح مع الإحساس المباشر بالدونية مثل قولهم (سيدي). ويتم التوقيع على طاسة ومرفع والنفخ بمزمار. وتؤدى على نغمات الطبول الرقصة المسماة (هزة ريسي) وقد يستخدم فيها حزام مشكل يلبسه الراقص. ولا يراعي العروض في شعر الدان المعنوي بل هو اقرب للقصيدة السطرية التفعيلية كقولهم: (اليوم ثنتين هنود وردوا). ولا يشترك مع الريسا في الطقس من شريحة الأخدام سوى أخدام ربع المدينة التي يقطن بها أهل العرس ويسمى واحدهم (خادم الربع) فمدينة زبيد مثلا تقسم إلى أربعة أحياء لكل حي أخدامه وهذا يقترب من نظام الحوف في البلدات الحضرمية.

رقصة (هزمة) أو (وزبة): رقصة خفيفة ولون شعري اشتهر به الوزاب سالم سليمان قطاب تؤدى بطبول وقصبة أو ناي. وتكون الرقصة أثناء دراما

المسيرة المسرحية الراقصة المعروفة ب(رقصة المزاينة) عند نهاية سمرة العرس الخارجة من المخدرة بعد ان يكون المشاركون قد اندمجوا في الرقص بهيئات حسنة حتى أذان الفجر. ويتحول الإيقاع فيها حسب موقع المسيرة من بيت الفرح. ويسمى المغني (الوزاب). وتنتهي الرقصة بالتصبيحة عند طلوع الشمس فيحين وقت طقس التباكي كطقس ضروري يستجر فيه المزاينة احزان قهرهم الاجتماعي المتوارث بذرف الدموع وتذكر المظالم الطبقية المتوارثة.

تحايث آلات الإيقاع المحلية والمستوردة



الفنان عمر طرباي وآلات موسيقية من تهامة، من كتاب البريطانية فرانسين ستون عن تهامة عام 1985م

شرح عبيد أو زامل مماليك وموالي أو شرنديله

• كانت أشهر وأهم رقصات شريحة (الحاشية) أو العبيد الجند لدى سلطنات حضرموت القعيطية والكثيرية.

كانت هذي الرقصة تؤدى في حضرموت أيام الجمعة قبل استقلال جنوب اليمن عام 1967م. والمماليك الموالي المعنيين هنا هم من العبيد الافارقة وبعض الهنود المعروفين ككل بحاشية السلطان القعيطي والسلطان الكثيري الذين عادة ما يكونون جندا أو حرسا للسلطان وهم من يتولون حمايته. وذكر لي الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت 2011م) أن لرقصة زامل عبيد اسمًا حضرميًّا آخر هو (شرنديله).



زامل العبيد بغيل باوزير - مجموعة سامي بن شيخان

الزامل لغة الصوت والرجز وتزاملوا أي تراجزوا. وكانت أبيات زامل المماليك تنشد بعد التنصورة أو التعشيرة التي يرددها الجند المتزملون بعد كل وقفة من وقفات رقصة الزامل. وذكرت البريطانية فرايا ستارك (ت 1993م) أنها

حضرت في بلدة حريضة بحضرموت حفلة (شرح عبيد) استخدمت فيه من الآلات الموسيقية الإيقاعية 3 طبول لكن الآلة المركزية والهامة للذوق الإفريقي حسب ما أوردته كانت آلة النفخ أي المزمار. وذكر البريطاني هارولد انجرامز (ت 1973م) انه استمع إلى تنصيرة زامل العبيد في حي العبيد ببلدة تريم اسوة بباقي أحياء المدينة وانهم كان يرأسهم من يعرف بالمقدم عليهم. واضاف انجرامز انه شاهد عرضا عام 1934م في المكلا يؤدي فيه الجند العبيد (الحاشية) مسيرة على إيقاع التمتم tom-tom وطبول الغلاية kettle drums في ساحة القصر السلطاني القعيطي.



و في كتيبه (رحلة الثغرين) الصادر عام 1931 م يورد محمد بن هاشم بن طاهر العلوي (ت1960م) انه حضر مع أبناء المحسن الحضرمي الكبير السيد شيخ الكاف وصول السلطان عمر بن عوض القعيطي (ت 1936م) قادما من عدن إلى المكلا فصدحت الموسيقى وكانت العساكر النظامية مصطفة والأعلام خافقة والشوارع مزدحمة. وهو يذكر أنه حضر عرضًا أقيم أمام السرايا السلطانية للسلطان عمر كحفلة عسكرية رياضية حيث أخذ الضابط محمد يوسف يمرن الجند في الباحة المتسقة تتقدمهم زمرة الموسيقى. وقد أعجب ورفاقه كثيرا بطائفة العبيد وألعابها إذ (عليها يدور محور الحفلة) حسب قوله. وقد كانت الرقصة جزءا من الاحتفالات الرسمية لسلاطين السلطنتين القعيطية والكثيرية في حضرموت. كما ذكر الألماني هانز هلفريتز (ت 1995م) أنه حضر مثل هذا الاحتفال بمعية السلطان عمر بن عوض القعيطي(ت1936م) وقدر عدد الجنود العبيد بجيشه ب 500.



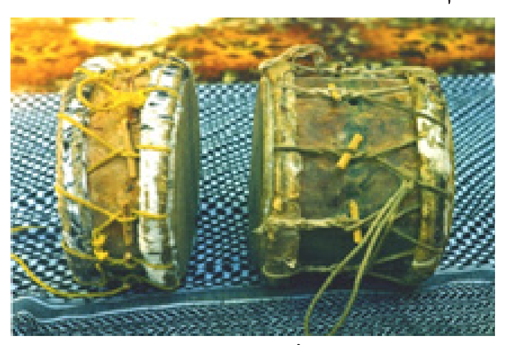
هاجر ومزمار برقصة زامل العبيد في الشحر 1980م

يقوم بهذه الرقصة في حضرموت جند وحرس السلطان وهم عبيد وخدم أفارقة. ويتم استخدام 2-3 طبول، ودف أو رق، وطبل هاجر صغير منتفخ الوسط شبيه بالطبل الهندي ومراويس. اأَّا الآلة المركزية فهي مزمار أو بوق مصنوع مزدوجا من القصب يعزفه محترف بارع. ويستخدمون حينا ودعة أو صدفة بحرية كبيرة تستخدم كصفارة.





ومن الإكسسوارات تستخدم الجنبية (خنجر) ونمشه (سيف). والرقصة حيوية جذابة الألحان تؤدى مع المشي الإمامي السريـع أو الرجوع السريـع إلى الخلف وهذا النوع من الزامل تستخدم فيه آلات الإيقاع والنفخ وكذلك التلويح بالسيوف والجنابي على غير باقي الزوامل اليمنية كما أفادني الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت2011م).



مرفع ومرواس

و في بلدة غيل باوزير يذكر سامي محمد بن شيخان وجود الرقصة خلال الأعياد والزيارات السنوية والموسمية فهي تبدأ موكبها من الجامع في يوم الزينة أول أيام العيد بعد أداء الصلاة ويكون الراقصون في آخر الموكب الذي ينتهي أمام حصن الأزهر مرورا بشوارع غيل باوزير أو عبر السرك اي الشارع الرئيسي.

وفي تريم يذكر الباحث جعفر محمد السقاف أن الجنود الأفارقة يؤدون الرقصة بمناسبة الأعياد ويستخدمون الدفوف وكذا الخنجر المعروف بالجنبية والسيف المعروف بالنمشة ويأتون خلال الرقصة بحركات بهلوانية يقال إنها تحكي أساطير إفريقية أحضرها أجدادهم من إفريقيا. وتردد في الزامل عبارة (يا حبيبي الله الله) عندما يكون الزامل لأجل الفرح بالزواج في مدينة تريم.

و في شبام يمر عبيد السلطان بالشارع العام في يوم العيد حتى وصول السلطان لجامع هارون الرشيد لصلاة العيد.

وفي سيئون يذكر الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت2011م) أن من الزوامل المشهورة في حضرموت زامل خاص بالعبيد يسمى زامل عبيد وهو من الرقصات الوافدة إلى حضرموت. وهو يرى أنه يتضح من خلال الحركة والكلمة أن زامل العبيد من الرقصات التي وفدت إلى حضرموت من إفريقيا تحديدا. ويعتمد هذا الزامل على الحركة السريعة وغالبا يصاحب مواكب السلاطين والولاة عند تحرك مواكبهم في مواسم الأعياد ويوم الجمعة وزيارة بعض الشخصيات المعروفة في المدينة فهو يأتي في نهاية الموكب ملازما لزامل (يافع) والذي يعرف بِ (المرفع) ولا يليه سوى زامل (صور).

ويقوم عبيد الوالي وخدمه بتأدية الرقصة وهي رقصة سريعة تعتمد على الحركات الرأسية في طلوع ونزول ويلاحظ أن ألحانه أقرب إلى موسيقى الزنج وكلماته إفريقية. والرقصة أقرب إلى رقصات المسيرة كالرزحة أو المرجوزة كما أن لأدوات النفخ دورا كبيرا في بث الحماس أثناء الرقصة كالصفارة والبوق وأصداف البحر. ويقول الدكتور مصطفى العيدروس حول زامل العبيد: تتشكل الرقصة في حضرموت بأن ينتظم الراقصون في 4-5 صفوف مترابطي الأيدي دون تصفيق. ويطوح الراقصون بأيديهم المتشابكة إلى الأمام بصورة موقعة بينما العازفون على طبل هاجر صغير ومنتفخ الوسط شبيه بالطبل الهندي و2-3 طبول أخرى يوقعون إيقاعات إفريقية سريعة وخاصة بحيث تجد انها تنحصر في رقصة زامل عبيد ولا يتم استخدامها في أي رقصات أخرى. وعندما يلتفت العازفون لمواجهة الراقصين فإن الراقصين يلتفتون بدورهم إلى الوراء أو يتشكلون في دوائر. وآلة المزمار أساسية في الرقصة وبها 5 فوهات مزدوجة ويترك عزفها لمختص بارع.

وفي الأعراس تبدأ الرقصة بالتحرك من موقع ما إلى منزل العريس قاطعة مسافة كيلومتر تقريبا ثم من هناك ترافقه في طريقه إلى المسجد حيث يتم إجراء عقد الزواج كما هي العادة في الزواج في وادي حضرموت. والرقصة سريعة وقصيرة تحرك فيها الأقدام إلى الأمام والى الخلف. وأحيانًا يخترق العازفون الصفوف ويأخذون بالعزف داخلها كما يشتد التفاعل والانفعال أحيانا بين الراقصين فتراهم يطعنون في الهواء بخناجرهم وكأنما تلبستهم الأرواح.



و في زينة العيد في عهد السلاطين القعطة كان الموسيقيون من الحاشية يطلعون بزاملهم لحصن الحبابة الأميرة حياة (الديولية) عبد الله عمر (ت تقريبا 1946م) زوجة السلطان صالح القعيطي. وفي ثاني أيام العيد يقومون بالزامل للسيد محمد الهدار ثم في ثالث أيام العيد يقومون بالزامل في قصر السلطان مع رقصة البرعة من الجند اليافعيين. وكانت الحبابة تعمل حفل شرح للنساء بالعيد وشرح آخر ثالث أيام العيد خاص بالحاشية. وكانت نور سعيد الحبشية (شريانة شرييته) أخت عامر فرج سعيد الحبشي هي الوصيفة الخاصة والمنشدة للأميرة حياة الديولية. وكانت تغني:

بازكي مدفع تحت داره نجدي

ما على عبد الله عاد قسمه مخفي

والتلد والنوبة كلهم في يدي

و من شريحة الحاشية تبازغ عدد من المبدعين في الأدب والفن منهم:-

- سالم هلال الحبشي وكان عضوًا أساسيًّا في فرقة (بشكة) قاضي الشحر الشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن (ت 1928م).

- عبد النعيم خميس النوبي وكان عضوًا أساسيًّا في جماعة الشاعر الفنان عبد الله محمد باحسن (ت 1928م) يعزف على العود القديم ذي الأوتار الأربعة (القنبوس) وهو والد الفنان المعاصر سعيد عبد النعيم(ت 2010م).

- عبد النعيم فرج الله النوبي وكان من أقدر الناس تعاملا مع المزمار والمدروف وهو والد فنانات الشرح النسائي المعروف ب (رقصة الفلاتي) وخلف أربع بنات هن: فرحة وكانت على طبل الهاجر، غزال وكانت تروس على المرواس، باشه، أما الرابعة فقد تزوجت بالمكلا. (صفحة الباحث عبد الله صالح حداد، فيسبوك).

و تقوم الحاشية بزاملهم في دهينتهم (الحراوة أو الزواج) ويكون مصرح لهم بالاحتفال بإطلاق الرصاص مع الغناء على المزمار والطبلة على غير الطبقات الدنيا في الهيكل الاجتماعي الحضرمي القديم.

و ربما كان الفقيه الحضرمي علي بن أحمد باصبرين (ت 1892م) يشير إلى الرقصة المتأفرقة المسماة (زامل عبيد) في العام 1877 م في المسألة رقم 48 من تأليفه المسمى (الجمل من المهمات الدينية في بعض المرتكب من المناهي الربانية) فقد ذهب إلى تحريم زامل العبيد كونه مناف للإسلام وحمل على آلة المزمار المسمى (عنفيطه) وسمى رسالته في ذلك (الانفتاح في تحريم المزمار وآلات اللهو الأخرى). وقال باصبرين بتحريمها بخلاف مناسبات:-

- الحج.

- الحرب.

- العيد.

وعنفيطه هي مزمار ذو قصبيتين وقال البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) أن عنفيطه باصبرين هي (زيتي) وهو صفارة يستخدمها العسكر في عدن وحضرموت. وأورد الفنان حسن بن طالب العامري مثلا حضرميا يقول: (عنفطي ولا خشعتش). أي زمري وصوتي وإلا أسكتك بالكسر وخشع الصوت هو سكونه.

وهذه النتف الشعرية الطافحة بالألفاظ السواحلية وحينا غير المفهومة لغة من نصوص زامل عبيد هي من باحثين أشير إليهم أدناه وأضيف لهم الباحث هود سالمين عبيد:-

ذكر لي النرويجي لايف مانجر أن الباحث الحضرمي الراحل مصطفى العيدروس نشر مطلعًا لزامل عبيد كالتالي:

عرب يا (مومبو) كواكيا أوه

سيمبا سيمبا ناكوليا

أوه سيمبا كوليا سيمبا سيمبا ناكويليا

أوه و(المامبو) لا يلا ال يا مفوفو

نامطوطو ناكويشاء امطوزي نمارا

هيا يا (بومبي) كوايا هاكويا وا مصلي عليه



سيمبا نكوجا

ناكوندا ناكوندا ناكوندا تعباني

و ذكر لي المؤرخ محمد عبد القادر بأفقيه (ت 2002م) انه حينما كان طفلا في حوطة بمدينة الشحر كان يلقن زامل عبيد كالتالي:طلعت البنديرة بنديرة التركي

في العبر يا عفندي

آيا بانا كويلي

كويلي يا مسيمبا

كويلي كويلي

طمبطوطو نهيمبا يا مسيمبا

كويلي كويلي يا مسيمبا

آيا بان

و ذكر لي الباحث عمر باسلمة أن الفنان سعيد عبد النعيم خميس النوبي (ت 2010م) وضع كلمات لزامل عبيد يبدأ كالتالي:

برياني يا خير بسطي

و ذكر لي الفنان حسن بن طالب العامري انه قدم أغنيته (شنقا شنقاما) في مهرجان الأغنية في عدن في ثمانينات القرن 20 م مستفيدا من مطلع لزامل عبيد كان يغنى في حضرموت. كما ذكر لي أن فرقة سيئون للموسيقى والفنون الشعبية أدت هذه الأغنية بصوت الفنان سالم محيور في مهرجان ببريطانيا في العام 2002 م:

شنقا شنقا شنقاما مليح

واشنقا شنقاما مليح

واشنقا شنقاما

وقد وجدت تسجيلين رسميين لزامل عبيد بحضرموت:-

الأول:: تسجيل الألماني يورجين ألسنر في الشحر عام 1980م. وقد أستخدم في العزف 3 مراويس وطبل هاجر ومزمار. وقد وصف التطبيل فيه بالأسوب التجميعي في حضرموت

(combining drumming style of Hadramout)

ان ظاهرة (هوكيت) المتشابكة في الإيقاع تعني إيقاعين أو حتى أكثر من المجاميع الإيقاعية يوقعان على أزمنة إيقاعية مختلفة فيما بينهم لكنهم يكونون مكملين لبعضهم في الأداء الغنائي الميلودي. (Hocket)

الثاني: تسجيل لفرقة (درة الوادي) وهي فرقة مديرية شبام للموسيقى والفنون الشعبية. والزامل بعنوان (أنا يا مومبي كوايا). باستخدام مزمار ومرواسين ودف في وجود الزفانة الراقصين. وهو من تسجيل المشروع اليمني الألماني للتنمية الحضرية شبام عام 2006م.




*****



رقصة ميدان

رقصة تتم من عبيد سابقين أفارقه الجبلة الفيزيوجنومية يعرفون بجماعة عبيد الولي الشيخ فرج بن علي المدفون في ضريح ذي قبة بميناء قشن العاصمة التاريخية للسلطنة العفرارية بمحافظة المهرة توارثوا النهوض بزيارة تتم مرة كل سنتين خلال بعض أيام عيد الأضحى مع ما يوازيها في كل من:-

- مدينة سيحوت بالمهرة حيث تعرف غرفة كان يجلس الشيخ فرج فيها وهي الآن مستودع لما يعرف ب(عدة) الزيارة وه تشمل آلات الإطراب المستخدمة وبيرق يعرف بعلم الميدان يستعمل خلال الزيارة. ويتحرك بعض المحتفلين في سيحوت إلى قشن سيرا على الأقدام وكان في طليعتهم المعلم الشيخ باعبده أو انه يكون في استقبالهم وهو مفتي محافظة المهرة.

- منطقة الغيل في وادي المسيلة. وهنا من ينهض بالطقس هم أشخاص على صلة اجتماعية بمدينة سيحوت وتدعى رقصتهم (تنجايه سيمبا) وتأتي على شكل نشيد (الزامل). ويأتي هذا النشاط متأخرا بعد شبيهه في كل من قشن وسيحوت.

ويؤدي الرقصة والغناء الجماعي مع جماعة العبيد سكان القرى والارياف القادمين للزيارة التماسا للبركة خاصة في سيحوت حيث الزيارة الأكبر.



طبل الميدان والطبول الصغيرة المصاحبة

قيل إن الشيخ فرج كان أول الأمر عبدا لسيده من آل الجدحي وهم قبيلة مهرية أصيلة تقطن مديرية قشن بمحافظة المهرة وقشن هي العاصمة التاريخية للمهرة. وقد ظهرت علامات الصلاح على العبد فأعتقه سيده بعد أن لمس ذلك ولمس تفانيه في القيام بسقاية مزرعته التي أوكل إليه رعايتها. وقد طلب الشيخ فرج بن علي من سيده أن يبتني له ضريحا وقبة إذا حضرته الوفاة قبله وهو ما قد كان. وهكذا نشأت زيارة للولي الصالح تبركا به وكان أكثر الناس حماسا لها هم خدم آل الجدحي وسلاطين بن عفرار ومشائخ آل باكريت. كان الشيخ فرج عندما يسقى مزرعة سيده من بئر المزرعة يترنم بأنشودة خاصة ينشد بها حتى لا يحس بإرهاق العمل حيث يربط الحبل الذي يتدلى منه الدلو أو ما يسمى بغرب الماء في خاصرته وينشد قائلا عند سحب الدلو مملوءا (أيا تاويه) كما ينشد (ايه تنجايه) عند عودة غرب الماء أو الدلو فارغا حتى أصبح هذان البيتان أساسيان في الغناء المصاحب لرقصة الميدان.

تسمى الرقصة ميدان وهو اسم لطبل إفريقي مخروطي اسطواني طويل يشترى من ميناء ممباسا بكينيا بغشاء من جلد الثور أو البقرة مفتوح من احد الجانبين يزيد عن المتر طولا يشكل محور رقصة ميدان وتقدسه شريحة عبيد الشيخ فرج بن علي. ومن الأمور التي كانت سائدة في الأمس القريب أن أي شخص يريد ان يلمس طبل ميدان للتبرك به عليه أن يدفع رطلا من البن أو أربعة شلنات أو قروش فرنسية فإذا فعل حق له أن يلامسه. ومن العادات أن الأشخاص يأتون بأطفالهم ويجلسونهم على الميدان ويدفعون المطلوب منهم التماسا للبركة. وكان عبيد الشيخ يخوفون الناس من لمس الميدان وإذا لمسه أحدهم عليه أن يدفع نذرا أو ذبيحة للشيخ فرج وإذا لم يفعل يحدث له شيء سيء!.

*****





قبر الشيخ فرج بن علي في قشن

وتستخدم في الرقصة أيضا آلات أخرى متفاوتة الحجم غشاء بعضها من جلد الماعز هي:-

- **رحماني**
- **طاسة مفتوحة بالأسفل**
- **طبلا هاجر**
- **مرواس**

و من عائلة المصوتات (idiophone) حجلة تصنع من حديد بشكل دائري وفيها مجموعة من الحلق وعند تحريكها تعطي صوتا.



إضافة إلى آلة نفخ هوائية هو قرن وعل مثقوب ينفخ فيه.

وهناك الإيقاع الزخرفي متمثلا بالتصفيق الحار بالأيدي خلال الغناء.

تبدأ فعاليات الزيارة في أول أيام عيد الأضحى حيث تقوم مسيرة راجلة إلى قبة ضريح الشيخ في قشن أو غرفة الشيخ في سيحوت حيث تحفظ عدة الاحتفال بما فيها طبل الميدان المقدس.

وفي ثاني أيام عيد الأضحى حوالي الساعة الثالثة والنصف عصرا تتحرك المسيرة رقصا وغناء من مقر العدة إلى ساحل البحر ويستمر هذا الجزء زهاء نصف ساعة تعرف بسمرة العصر يقوم خلالها عبيد الشيح بغمس جزء من طبل الميدان وسائر آلات العدة بماء البحر كأحد طقوس الزيارة للتطهر وتجديد شباب الآلة وتسبح الرجال والنساء في سيف البحر طلبا للبركة. ويعرف هذا الجزء من الطقس ب (التكويسة).



طبل الميدان المقدس



و لا تلبث المسيرة أن تقفل راجعة رقصا وغناء زفا لطبل الميدان من سيف البحر إلى غرفة الشيخ حيث نجد خلال هذا الجزء من الطقس المعروف ب (التنجايه) رجلا أسود اللون يربط مقدمة طبل الميدان في خاصرته بينما تقوم النسوة بحمل مؤخرة طبل الميدان وتكون الطبول الأصغر في مقدمة الزفة التي تتحول رقصا في صحن غرفة الشيخ لربع ساعة لتكون خاتمة النشاط في ذلك اليوم وتودع الآلات والبيرق المحمول في الغرفة.

و في ثالث أيام عيد الأضحى تنطلق المسيرة بآلاتها من غرفة الشيخ في سيحوت إلى منزل وجامع الشيخ المنصب محمد بن عبد الله باكريت (ت 1232م) حاملين أغصان من شجرة الأراك (السواك) على رؤوسهم لتكون الاغصان بركة للأطفال ويقضون برهة هناك يتناولون الشاي ويقرؤون خلالها سورة الفاتحة على روح الشيخ باكريت. وما يلبث القوم أن يقوموا عند الرابعة عصرا بزيارة لأربعة من بيوت المواطنين حيث يستضيفهم أهالي الدور بالشاي والقهوة ويؤدون هناك عرضا لرقصتهم لتسلية الناس. وهذا الالتصاق لمدينة سيحوت برقصة الميدان تترجم إلى وجود ميادين للرقصة بها مقامات للشيخ فرج في منطقتي الغمرة والبلاد الفوقية فنسمع تسميات مثل (ميدان الشيخ فرج) (ميدان باكريت) (ميدان بن عفرار) . وعلمت ان قيوم زيارة سيحوت حاليا هو من أل خميس فرحان.

أما في مدينة قشن فنجد سيرورة مختلفة بعض الشيء عمًّا في سيحوت مع ثبات المفاصل الأساسية للزيارة والرقصة ووجود سمرات تستمر أسبوعًا في مشهد الضريح.



الطنبره أو النوبان أو الدرمامه

هي رقصة ذات جذور إفريقية لها حضور في كل من مدن:-

- الشيخ عثمان وكريتر في محافظة عدن. - الحوطة في محافظة لحج.
- تريم في محافظة حضرموت. - زبيد في إقليم تهامة.

وإنك لتجد فروقا في تفاصيل رقصة طنبره من محافظة يمنية إلى أخرى نتيجة للمرونة التي تتميز بها الفنون الشعبية عموما فيأتي الإخراج النهائي للمشهد مختلفا بعض الشيء من منطقة إلى أخرى. والرقصة موجودة في عدن ولحج وحضرموت وتهامة على الأقل.

الآلة الوترية المميزة للرقصة هي آلة (طنبره) الكبيرة الحجم أو (الأم) وليس شبيهتها آلة (سمسمية) أو (البنت) الأصغر حجما والتي تجد استخدامها في الغناء البحري في اليمن غير المتأثر مباشرة بإفريقيا في هذا المنحى. والطنبره (المعاصرة) في اليمن لعبة شعبية وافدة من أهالي النوبة في السودان. وتمارس الطنبره عادة في الأعياد مثل عيد الفطر وعيد الأضحى وموطنها في حضرموت هو مدينة تريم وهي المدينة الحضرمية الوحيدة التي تمارس هذه اللعبة. وكلا الآلتين الأم والبنت سليل لآلة عرفت في تصاوير شواهد القبور السبئية سيما شواهد القبور من عائلة (الكنارة) أو (الليرة) (lyre) اليونانية الوترية كما تعرف في علم الآلات الموسيقية (organology). وبادر إلى ذكرها في الآثار اليمنية وأورد صورة شاهد القبر الذي احتواها في إفريز مصور الألماني ادولف جروهمان (ت 1977م) الذي أسماها (سمسمية سبئية)!.

طنبره عدن

يبدو أن البريطانيين بعد احتلالهم لعدن عام 1839 م، أخذوا بتطوير البلدة القديمة من حيث البنية التحتية لتكون مركزا عالميا للتجارة الحرة في طريقهم إلى الهند جوهرة التاج البريطاني وزاد هذا الاهتمام بعد افتتاح قناة السويس



عام 1869م. وفي فترة لاحقة عمل البريطانيون على ايجاد نظام للصرف الصحي والإصحاح البيئي في مدينة عدن استجلبوا للعمل به جماعة اطلق عليها خطأ اسم (الجبرت) لأنها كانت مكونة من جماعات من المسلمين في شرق إفريقيا حيث لم يكن في المدينة نظام بالوعات أو أحواض ترسيب وانما اعتمدت المنازل على مراحيض منزلية صندوقية على شكل برميل أسطواني أسفل كل منزل. وقامت بلدية عدن بتنظيم عمل عمال النظافة الذين اسمتهم بالجبرت بحيث يفرغون هذه الصناديق أو البراميل في عربات تجرها حمير أو جمال بشكل يومي تمضي بها إلى جبل مطل على حي كريتر يعرف بجبل النار حيث تفرغ العربات في مكبها الأخير. وربما اضطر البريطانيون إلى استجلاب الجبرت (الافارقة المسلمين) من البر الإفريقي رغم وجود شرائح أخرى في مدينة عدن.

- شريحة الأخدام.

- شريحة سيدي أخدام وهم العبيد الأفارقة المحررون في عدن في الفترة 1861-1897م من قبل الأسطول البريطاني ويسمون (Sidi akhdam).

- المقيمون الصومال ويشكلون نسبة كبيرة من السكان ولديهم تراتب اجتماعي فيما بينهم مع وجود طبقة منبوذة على المستوى الصومالي تعرف باسم (ساب) ولها رقصة خاصة تعرف برقصة الساب.

- المقيمون الهنود ويشكلون نسبة كبيرة من السكان، ومعروف أن في التراتب الطبقي الهندي توجد طبقة المنبوذين الذين يصلحون لمهنة العمل بالصرف الصحي.

- المقيمون اليهود وفي هذا الصدد يذكر البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993 م) أنه بالنسبة لليهود اليمنيين توكل هذه المهمة إلى الطبقة الثالثة المتدنية منهم وهي تنظيف المراحيض وبيع السماد البشري وبالتالي فإن يهود عدن كان لهم اكتفاء ذاتي من هذه الناحية لأن اشتغال الجبرت بجمع الفضلات الادمية كان سيحرم طبقتهم الثالثة من أرباح بيع السماد البشري.

ونلاحظ أنه في عام 1906 م اقترحت وثيقة من الملازم موس بشرطة حكومة مستعمرة عدن وضعت في الأرشيف البريطاني ألا يترك الحبل على الغارب

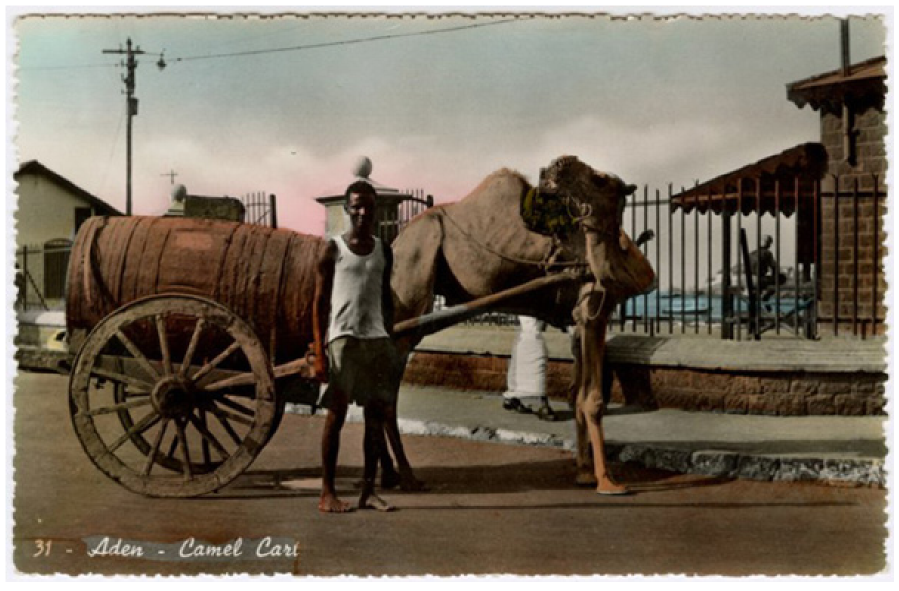


لجماعة الجبرت من عمال البلدية في عدن لأنهم قد تطاولوا في البنيان متكئين على احتكارهم للحرفة وأن هذا الاحتكار ينبغي أن يضرب بفتح مجال التوظيف للعرب ولجماعة الأخدام. ومن أهم ما جاء في الوثيقة المذكورة في إطار النيل من الجبرت قولها إنهم دخيلون على عدن قدموا من وادي رسيان بين زبيد وتعز في شمال غرب اليمن. لماذا وادي رسيان تحديدا؟ أليس هذا اذن اقرار بأن الجبرت بعض مكونات سكان تهامة اليمنية منذ العصر الإسلامي الوسيط كما سبق واوضحنا في التمهيد التاريخي عند الحديث عن الزيالع الجبرت ؟ وفي تعريفه لجماعة الجبرت يقول البريطاني موس أنهم عناصر إفريقية متعددة النسبة من إثيوبيين وصومال البنادر وسيدي أخدام سودانيو(atnadus) ومجاميع أخرى من مرافئ البحر الأحمر وخليج عدن يعملون في تجارة تنظيف البن والروائح وكمنظفين وكناسين وموسيقيين وضعاء وكان الكناسون الجبرت يعزفون الطنبره في زيارة الشيخ أحمد العراقي (ت 1167م) بالتواهي بعدن يومي الخميس والسبت. وفي العام 1906م نفسه تسبب الجبرت في معركة في سوق التواهي بعدن اشترك فيها ثمانون من عناصرهم..كما يرتبط اسم الجبرت رجالا ونساء عند الضابط البريطاني فردريك هنتر (ت 1898م) ثم الضابط موس في عدن بالجنايات من دعارة ولواط وزنا ونشر الأمراض التناسلية وتعاطي الكحول والربا والقمار وخرق البردة (adrub) وهو نظام العزل بين الجنسين.

وفي عام 1908 م زار المغامر الفرنسي هنري دي مونفريد (1879-1974م) عدن وصب في كتابه (مغامرات البحر الأحمر) المنشور في لندن عام 1946م جام غضبه على عمال البلدية الجبرت إذ يقول أنه (لا يفهم كيف يقوم الجبرتي بعمل نتن كهذا ثم يصعد إلى عربته النتنة التي تجرها الدواب فيأكل ويسترخي ويغني قبل ان يدفع العربة إلى جبل النار المطل على حي كريتر لتفرغ ما في بطنها في المكب هناك حيث كهوف ومغارات البوميس). و يذكر أن (الجبرت قدموا عدن من شرق إفريقيا جنوب خط الاستواء حيث يكونون هناك جماعة منبوذة من باقي السكان الأصليين في إفريقيا. ثم يذكر كيف ان الصومال والمسلمين يعافون هذه الحرفة في غياب البالوعات واحواض الترشيح مما يضطر العامل الجبرتي إلى تفريـغ برميل أسطواني أسفل كل منزل



يوميا تقريبا من الفضلات الآدمية في عربته. ويورد أنه شخصيا كان يرتعد خوفا من الجبرت إذا ما أطل شهر صفر من السنة الهجرية الإسلامية ذلك أن الأسر العدنية في عشرينات وثلاثينات القرن 20 م كانت تخشى اختطاف الجبرت لأطفالها سيما في شهر صفر من العام الهجري حيث يشاع أن الجبرت يقومون باختطاف الأطفال إلى بناء بحي المعلا يعرف ببنجلة الشيطان حيث يحولون دماء الأطفال إلى مسكوكات مالية!!!). و(بنقلة الشيطان) هو الاسم الذي أعطاه السكان لمقر المحفل الماسوني في المدينة في حي المعلا ولا ادري إذا كان المغامر الفرنسي كان يعرف ذلك لأن المحفل تأسس طويلا قبل وصوله لعدن. وقد الصق بعض الأهالي في عدن هذه التهمة بالجبرت القادمين من الصومال حسب ظنهم ان فرقا خاصة منهم تجوب الشوارع لخطف الأطفال فكان الناس يحتجبون في المنازل في شهر صفر مما يجعل النسوة تحتفل بآخر أربعاء من شهر صفر حيث يزول الخطر عن أطفالهن كما يعتقدون!



عامل صرف صحي من الجبرت في عدن

و في مقال له في عام 1951 م يصف الأديب إدريس أحمد حنبلة (ت

1991م)(إدريس حنبلة، 1951م) رقصة طنبره والمشتغلين بها في حي الشيخ عثمان في مدينة عدن ويشير إلى أن أول وجود لها هناك كان عام 1800 م حيث كانت تعرف برقصة (نوبان) وان ذلك العام شهد وفود رقيق نوبي من السودان وجند سودانيين يسمون النوبان نسبة إلى بلاد النوبة. وهو يرى أن طقس الزار لصيق برقصة طنبره وكذا رقصة ليوا وقد عرفتا في المدينة منذ ذلك الحين ويقول ان ممارسات الزار في زمانه كن من أصول سودانية أيضا.



أفيش فيلم الجبرتي للمخرج العدني خالد لكرع



فرق الطنبره في عدن:

- **فرقة باكوته:** هي أول فرقة طنبره تكونت من عبيد سودانيين قدموا من منطقة النوبة زهاء العام 1800م إلى عدن ثم استقروا في بلدة الشيخ عثمان. مؤسستها السودانية ريا بنت شايا وشيخها محمد عبيد. توقفت الفرقة فترة للمشاكل التي حدثت حول ممارسة طنبره في مستعمرة عدن ثم تحررت سيدتهم ريا بنت شايا من الحجر الحكومي في عام 1949 م ومن ثم نشطوا مجددا. رئيسها قديما الشيخ محمد عبيد وبعده تنافس كثر دون تعيين لأحد وشكل هذا خطرا على استدامة الفرقة. ان كلمة (سنجك) كانت تطلق حديثا في حي الشيخ عثمان بعدن والسودان على العازف بآلة طنبره الضخمة كما في طقس الزار، إلا ان المنطقة لم تعرفها ككلمة إلا في عصر الدولة الفاطمية بمصر حينما ورد اللفظ مقرونا بذكر الطبلخانة وهي فرقة الموسيقى العسكرية، ثم ورد ذكرها في عصر الدولة العثمانية حينما أصبح معناها خلال الوجود العثماني في السودان خلال القرن 19 م الضابط في القوات غير النظامية التابعة للجيش التركي- المصري في السودان.

- **فرقة (نصرة):** نوبانية نسبة للنوبة. كان شيخها محمد سعيد فنده وخلفه الشيخ علي حسين كراشة. وكان سعيد بنده هو حافظ طنبرتها.

- **فرقة (جمالة):** نوبانية نسبة للنوبة. كان شيخها الخميسي وهو عربي عدني وتلاه العدني محمد سعيد شيباني. ومحمد سعد هو حافظ طنبرتها.

- **فرقة (جارية):** سواحلية وقادرية في طريقتها الصوفية. وخميس باروت هو حافظ طنبرتها.

- **فرقة برت السناسل:** عربية. كان رئيسها محمد عبد الله دربوش.

- **فرقة مشهورة:** جلبها اللحجي ناصر بخيت ومحمد عبد الله دربوش إلى بلدة الشيخ عثمان بعدن. تنازل الشيخ محمد عبيد عن قيادتها وسلمها لصاحبة الطنبره الحقيقية الحرة زينب بنت سالم الرقب بتاريخ 1950م.

- **فرقة (سلا):** سواحلية. رئيسها الشيخ محمد منصور باياسين ورئيس ملعبها الشيخ أحمد حسن سعيد.

- **فرقة جيلانية:** سواحلية.

- **فرقة فتح الخير:** سودانية رئيستها سعود بنت علي حسينة.

- **فرقة صلاح:** حافظ طنبرتها منصور بن يس.

عرفت حافة طنبره ببلدة الشيخ عثمان بعدن حيث عاشت المجاميع النوبية التي أدخلت رقصة طنبره إلى مدينة عدن. (ففي نهاية الركن الآخر من حافة الهاشمي ببلدة الشيخ عثمان بعدن كانت تقع بيوت اللبن في قسم باء والتي تبدأ من شارع بيروت أمام بيت السيد علي وحتى الشارع المقابل لحي عبد العزيز عبد الولي. وشارع الرباط يكون في اقصى الركن وانت ذاهب إلى المدرسة الغربية زمان واليوم إلى سوق شمسان. وعلى يدك اليمين وفي الركن كان يقع بيت سعيد فندا. وهذا الرجل يعتبر امين السر والمسؤول الأول عن الطنبره وكان يوم الاحتفال يتقاطر الراقصون والعازفون بعد صلاة المغرب إلى امام بيت بندا. وعند اكتمال الحضور يفتح بندا الباب ويدخل إلى البيت نخبه مختارة من العقال وأصحاب الخبرة ومن المحافظين على طقوس الطنبره. وفي أثناء إخراج الكراسي الخشبية الكبيرة للعازفين تبدأ صرخات التحذير للحفاظ على الكراسي وكأنها كراس من ذهب أو من زجاج ويتم وضعها في الوسط ومن ثم يتم احضار بقية الكراسي ووضعها على شكل دائرة. وتكون الأرض مرشوشة ومرصعة بالماء من العصر ويبدا الصمت ثم يبدأ العزف على آلة الطنبره وتقرع طبول خفيفة ويبدأ الغناء من القيادة في الوسط ويردد الآخرون أصحاب الكراسي الذين على شكل دائرة ثم الواقفون ويبدا التصفيق المتلائم من العزف والإيقاع وترديد الأغاني باللهجة السواحلية الإفريقية والناس لا تفهم كلمه من الغناء إلا في الختام عبر جملة عربية محفوظة وهي: (يا بدني يا بدني كل عاشق بيبكي وبيغني).

و يقول البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) إن الجبرت يسكنون حارة الجبرت الإثيوبيين في عدن ويصلون للجذب النفسي متى ما رقصوا رقصة تسمى (درمامه). كما يذكر طبل (درمامه) والة (طنبره) وهو ينفي ان يكون الجبرت زنوجا، كما يذكر أن بالحارة مسجد الجبرتي.

و من أهم من عزف الطنبره وطورها الملحن العازف العدني أحمد محمد ناجي (ت 1985 م) وهو يصف طريقة العزف كالتالي: (يتم التصبيع بوضع الابهام بين الوترين الأول والثاني والسبابة على الثالث والخنصر على الرابع والبنصر على الخامس وتقف الوسطى كمايسترو لترقص مع كل نبضة أصبع).

و عند شط ضريح الولي الغدير في البريقة بمحافظة عدن يغتسل العدنيون الهنود بالبحر آخر أربعاء من نحس شهر صفر !

و في الفترة 1923-1932م شهدت مستعمرة عدن جدلا كبيرا هو معركة قانونية بين الطبقة المتوسطة وشيخات طقس الزار ورجال طقس الطنبره وكان للمعركة ابعادها الدينية والإدارية والتجارية. قادها الشخصية الدينية قاضي عدن محمود داؤود البطاح (ت 1982م) والأستاذ المحامي محمد علي لقمان (ت 1966م) والأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج (ت 1974م) والأستاذ محمد عبدالقادر مكاوي والأستاذ سعيد عبد الله خليفة وعبد الله بن أحمد الراضي ممثل امام صنعاء بعدن والشيخ أحمد الهتاري من منطقة التواهي، وعدد من رجال الأعمال كبازرعة والصافي ومن ضباط الشرطة والإداريين ثم لاحقا انضم لهم منصب عدن عبد الله العيدروس، إضافة ل 54 هندي وصومالي وعربي اعتبروه فعل غير ديني لنسوة عدن وبه استغلال مادي وإيهام بالشفاء. وكان رجالات نادي الأدب العربي بعدن قد اطلقوا التماسا للسلطة بمنع طقس الزار لخطورته على نساء المدينة وكذا حظر حفلات الطنبره لما تمثله من إزعاج ومخالفة لمجمل الثقافة المحلية العدنية العربية الإسلامية، وطلبوا ترحيل من لا إقامة شرعية له ولا أملاك من شيخات الزار (العلقات) الحبشيات والإفريقيات وشيوخ الطنبره. ودفع المحامي محمد علي لقمان (ت 1966م) في اتهامه بان مجتمع عدن المسلم يتضرر من التجاوزات اللاأخلاقية التي تتم داخل حفلات الزار والطنبره.

إن وثائق الأرشيف البريطاني (1924 – 1932م) لمستعمرة عدن حكت بالتفصيل الصراع بين المشتغلات والمشتغلين بالزار والطنبره فكان ان غادر أهل الصنعة عدنا إلى منطقة دار سعد وباقي بلاد لحج ليمارسوا أعمالهم هناك خارج حدود مستعمرة عدن وان كانت لا تبعد عنها سوى 24 ميلا.

وبالفعل قامت السلطة البريطانية بتعليق ثم منع نشاط شيخات الزار (علقة – باكوته) بينما استمرت بالسماح لشيوخ الطنبره (عقال الجبرت) وعازفي آلة الطنبره (السناجك) بالقيام بحفلاتهم الموسيقية شريطة الحصول على رخصة رسمية تتطلب اللعب أسبوعيا حتى 10 مساء فقط امام منزل الطنبره في فرقة معينة ودون التسبب في عراك أو صدامات. وثبت بالوثائق ان عددا من نساء شريحة الأخدام كن يشاركن في هذي الحفلات أيام السبت مما اثار استياء قاضي عدن محمود داؤود البطاح (ت 1982م).

وقد قاوم أهل الصنعة في هذه الرقصات هذه الدعاوى واعتبروا الزار وسيلة إفريقية لتمضية الوقت لا يتعارض مع الإسلام ويأتي حفظا للسلام عبر ايجاد دخل للفقراء ومتنفس للمتطببات. مثلا في عام 1924م كان من المنافحين عن الزار امون بنت إبراهيم وأمنة علي وزينب عبد الله وعطية حسن وأمون حسن وفاطمة محمد هررية وسعيد بنده ورجل بياسين وسعيد عبو وخميس بيروت ومحمد سعيد. ودفعوا في الوثيقة رقم 1 بتاريخ 1924م بأصالة رقصة طنبره وأنها كانت قديما في سلطنة العبدلي التي كانت عدن جزءا منها قبل وصول المستعمر البريطاني في عام 1839م. وذكروا في الوثيقة رقم 2 بتاريخ 4 سبتمبر 1932 م ان استخدام الطبول رائج في مدن زبيد والحديدة في تهامة اليمن ونفوا ان تكون لهم صلة بشريحة الأخدام المنبوذة. وقد عرفت هذه المجاميع السوداء عند المستعمرين البريطانيين بالسودانتا (sudanta) المتحدرين من رقيق البحر الأحمر وكانت أهازيجهن مزيجا من السواحلية والارومية والهررية والصومالية.

وتساءلت شيخات الزار عن السبب في التساهل مع المشتغلين على:-

- الزار النسائي السليماني الصباحي المستمر قائلات: (نحن أيضا يمكن ان نؤديه صباحا وضمن نظام البردة داخل المنزل وقد مارسناه بالفعل منذ 26 عاما)؟

- زار الهنود (جمت) المؤدى بصوت منخفض للنساء في البيوت بطبول صغيرة كحفلة خاصة لأتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 1166م)؟



- ولماذا حابيتم رجال الطنبره ومنطقة لحج فالقانون لا يمنع الحفل الموسيقي داخل المنازل الخاصة ؟

و تقدم كل من عبد الرحمن قاضي في 1924 م وشيخ عبد الله بن محمد في 1925 م كعازفي زار يطلبان السماح بعودة ممارسة الزار. ويفهم من الوثيقة رقم 3 بتاريخ 13 سبتمبر 1932م ان أصول المشتغلين من الحبشة وسواحل شرق إفريقيا وان جل ما يفعلوه هو الضرب على الدفوف والتصفيق بالأيدي. وتلتها الوثيقة رقم 4 بتاريخ 17 ديسمبر 1932م. وقد تلى كل هذا قرار للسلطة البريطانية المستعمرة بالمنع الرسمي لطقس الزار بعد عقد من دوران رحى هذه المعارك القضائية المثيرة التي انتهت بخسارة شيخات الزار لحقهن في إقامة هذه الطقوس والتكسب بها حيث انتصرت ارادة خصومهن الذين كالوا لهن تهما مختلفة من ضمنها إزعاج الجيران بأنغام الطنبور وما أسموه بأغنيات التم تم (tom-tom).

طنبره لحج

نشر الفنان صالح عبد الباقي معلومات عن رقصة طنبره في محافظة لحج بجنوب اليمن قائلا ان الروايات الشفهية هناك تشير إلى قدوم الرقصة من مدينة عدن عبر عناصر النوبة السودانيين حوالي منتصف القرن 19 م فهم حسب قوله أول من كون فرقة لرقصة طنبره وأخذوا يتكسبون بإحياء حفلات الأعراس والعزف في بلاط سلاطين لحج لا سيما في أعياد ميلادهم. وهو يذكر أن إحدى أغنيات الرقصة تسمى (مسيمبا) وهي كلمة سواحلية تعني الأسد. ويفيد ان الجنسين قد يشتركان في اداء الرقصة ويحتفظ بآلة طنبره في مكان خاص هو بيت ال(طنبره) ويكون لها قدسية معينة! يذكر صالح عبد الباقي ان هناك حجمان للطنبره الكبير يعرف بالأم والصغير يعرف بالبنت. وقد قامت إدارة مكتب الثقافة في محافظة لحج قبل أعوام بشراء الآلات المتعلقة بالطنبره للحفاظ عليها للأجيال القادمات. يذكر الدكتور جمال السيد أن شعر الطنبره كان مزدهرا في ستينات القرن العشرين في لحج، وأن التنجره هي صفة للعناد والكلام غير المفهوم والتخلق بأخلاق بلاد العبيد المسماة (التنجر)(1400-

1650م) في جنوب غرب جبل مرة وبدارفور بالسودان، وكانوا قدموا إلى هناك من بلاد النوبة بشمال السودان. ثم انهم   جاؤوا لحجا في اليمن بموسيقاهم وبآلة الطنبره معهم.   فطنبره في لحج تعني أيضًا شكلا من الشعر العامي الساخر القريب نوعا ما من الشعر الحلمنتيشي في السودان ومصر.   وهو يقول: (كان للسلطان العبدلي فرقة موسيقية من العبيد تخرج في الأعياد والمناسبات إلى شارع مدينة الحوطة وهي العاصمة تعرض ألعابا ورقصات واغان إفريقية تقوم موسيقاها على الطبول المغربية والإفريقية وآلة الطنبره وتعرف باسم فرقة الطنبوره ولمجيء حرف النون الانفية بين الطاء والباء نطقها العامة طمبوره بالميم ثم (لحجوها) ان جاز التعبير فغدت طمبره). كما يذكر الدكتور جمال السيد ان الشاعر اللحجي عبد الله هادي سبيت (ت 2007م) سخر من الطنبره وأهلها إذ يقول في الطبعة الأولى من ديوانه (الدموع الضاحكة) في الخمسينات من القرن العشرين:

قلبي عبدلي الحب ما هو(طنبري)

يا غارة هوانا بالله احضري

لكن الشاعر الأمير عبده عبد الكريم العبدلي (ت 2006م) ذكر لي شخصيا ان المقصود هم قبيلة (الضنابر) في لحج وليس شيئا يتعلق بالطنبره الآلة.



طنبره الشيخ الجيلاني في لحج



و قدم الباحث محسن كرد معلومات غزيرة عن الطنبره في لحج نظرًا لكونه من سكان حارة وحيدة في مدينة الحوطة حاضرة لحج حيث أقامت اكثر من فرقة لرقصتي الطنبره والليوه. وذكر انه كانت فرقة الليوه والطنبره بلحج تضم المنظمين والعازفين: عبد الله الظاهري وعبد الله فرج ومحمد فرج وعلي فرج و العلوي وناصر بخيت والقبعي وسالم النوبي والمجعلي ووالدة النوبي وسلامة بلعيد ونور الغنا وسلالة وشتنباية وابنتها قبول وكشمبر وأمبام والحسيني (بت الناس) ومحمد قائد صالح (شروي) وزمزم فرج وحسن ابو قرنين وفيصل فرج كبع وماطر وشوعي وخميس وآخرين وأخريات. واكثرهم من حارة وحيدة أو من دار عبد الله بحوطة لحج.و قد عمل كثير من هؤلاء موظفين في مكتب الثقافة وباقي مؤسسات الدولة في لحج فيما بعد في عهد الاستقلال بعد عام 1967م. وكانت بيوت مخصصه تقام فيها الرقصة تستخدم الآت موسيقية عديده منها آلة الطنبره الكبيرة وطبول كبيره ويلبس اللاعبون البسه إفريقية غريبه كما تضع اللاعبات على رؤوسهن ريش النعام. وتقام في هذه الرقصة طقوس وتمتمات مختلطه باللهجة اللحجية والإفريقية. و من البيوت المشهورة حيث كانت تقام لعبة رقصة الطنبره بيت بخيت وبيت فرج. وكان هناك حضور ومشاركات واسعه ومعجبون كثر للعبات الطنبره والليوه في لحج يأتون من مختلف المدن والمناطق من عدن وأبين ولحج ذاتها.

و المشهود ان فرقة الفنون الشعبية في لحج شاركت قبل اعوام في مهرجان بورسعيد الدولي للتراث في مصر وحصدت المركز الأول برقصة طنبره اسمتها (طنبورتنا حبيبتنا). كما ان فرقة الطنبره في لحج ما زالت تقدم عروضها في الزيارة السنوية لمقام الصوفي عبدالقادر الجيلاني (ت 1166 م).

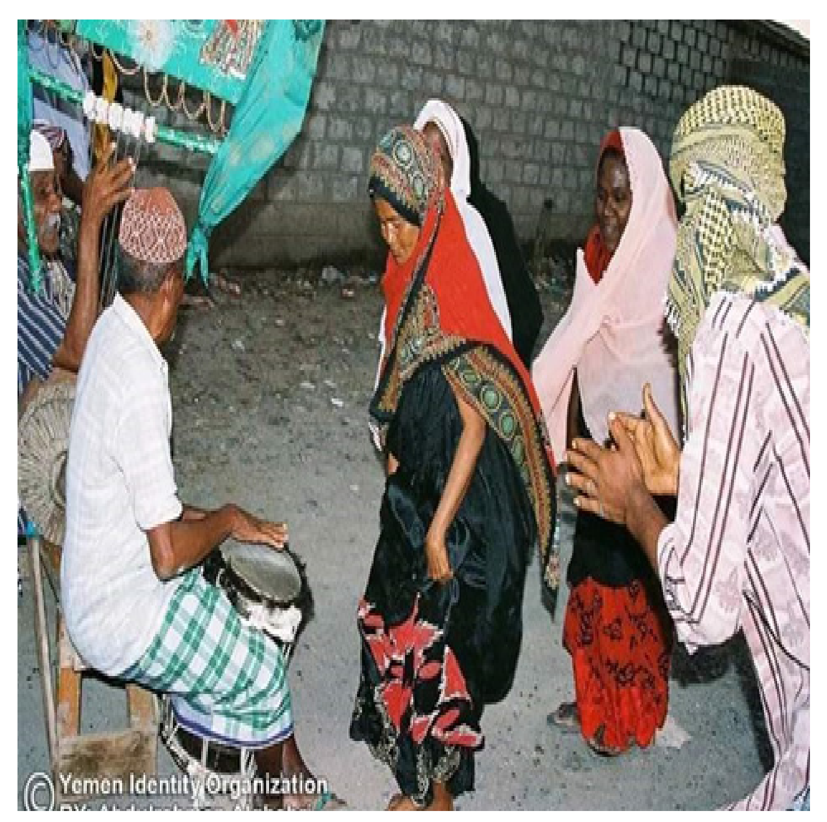


آلة طنبره لحج المشاركة في مهرجان خارجي

و ممن عزف على الطنبره في لحج الفنان الراحل سعيد درينه وهو خال الفنان اللحجي محمد سعد الصنعاني (ت 1991م)، وقد كان المطرب الشخصي ببلاط سلطان لحج علي بن أحمد بن علي العبدلي الذي قتل خطأ عام 1915م خلال الحرب العالمية الأولى.

و ذكر لي الإعلامي البحاثة عادل مبروك (ت 2014م) ان من اشهر نصوص الطنبره في لحج صوت (**نوبان يا بلدينا سي يا بلدينا أكلت الدجاجة ما تنادينا**) وصوت (**الاشي لله يا عبد القادر الجيلاني شي لله لقرية سفيان**).





طنبره لحج

طنبره تريم

بعد غيابها سنوات طويلة تعود لعبة الطنبره إلى الواجهة من جديد في مدينة تريم وذلك من أمام قصر الرناد التاريخي بالسوق العام وهي عودة لها دلالاتها الرمزية والشعبية. نفضت الطنبره غبار السنين لتعود وعشاقها ينتظرونها بشغف كبير. هناك في تريم بحضرموت تتكون إيقاعات الطنبره من طاسة كبيرة وأخرى متوسطة ومرواس إضافة إلى السمسمية ذات الحجم الكبير. تبدأ اللعبة بضرب الإيقاع ثم تكون بداية الغناء أو الأهازيـج بصوت السلام مثل

(أيه.. أيه.. يااااه.. هيا منبولي سلام) و بعض كلمات وألحان وأغاني الطنبره أقرب إلى اللهجة الإفريقية. ومن الأهازيـج الأخرى التي تردد في الطنبره (مكة بيت الله يا رسول الله.. أن شاء الله بانزوره). و(حبشيه متى مي مي.. حبشيه سقيانا مايا). وعندما يبدأ الإيقاع والغناء يشكّل الراقصون دورة كبيرة حول الإيقاعيين ويدورون بانتظام عكس عقارب الساعة (anticlockwise). ويقف كبار السن إلى جوار الإيقاعيين حيث يستلمون الصوت ويبلغونه للراقصين. وغالبا ما يردد في الصوت الأخير أهزوجة (يا فرج بدوي يا ساس النوبة.. اه يا نوبه). ويصف الباحث أحمد ضياء بن علي شهاب في مؤلفه (عادات بادت) رقصة طنبره في مدينة تريم بحضرموت بما معناه: (ربما رافقها العزف بآلة طنبره ويبدأ الراقصون من عند العازف في خط دائري مع حركات عجيبة متزنة تبعا للتوقيعات وأكثر الحركات إلى الوراء ثم يتقدمون إلى الإمام). واذا تأملنا رقصة الطنبره في مدينة تريم نجدها (رقصة زنجية الملامح يتجمع لها الشباب مشكلين دائرة يبلغ قطرها حوالي 18 متر يسير اللاعبون حول محيط الدائرة بإيقاع منتظم على أنغام آلة طنبره وأصوات الطبول النحاسية التي تثير الرعب في نفوس الأطفال أحيانا ويستمر الرقص على أنغام وأصوات الطبول ويطلقون أهازيـج منها (مكة بيت الله ويا رسول الله) ثم تنفصل عرى الدائرة لتتحول إلى صفين يزحف كل صف على الآخر ثم يبتعد عنه وهكذا يستمر الرقص والغناء والناس يتجمهرون من حولهم وما ان تتوالى الإيقاعات حتى تبعث الانتشاء في احدهم فيزعم انه قد ابتلي بالجان حيث يحدث حركات هستيرية مضحكة ويتدحرج على ارض المدارة مهددا الحاضرين حتى ان الذعر يسري في بعضهم ولكن هيهات له ذلك فقد خصص خمسة رجال أشداء من بين اللاعبين لمراقبته وفي نهاية اللعبة يغطى بغطاء ساتر ليغادر الجني رأسه!).

يحتفظ وادي حضرموت بذاكرة شعبية تخص الطنبره حيث نجد ذكرها في الأمثال الشعبية لمدينة تريم مثل:

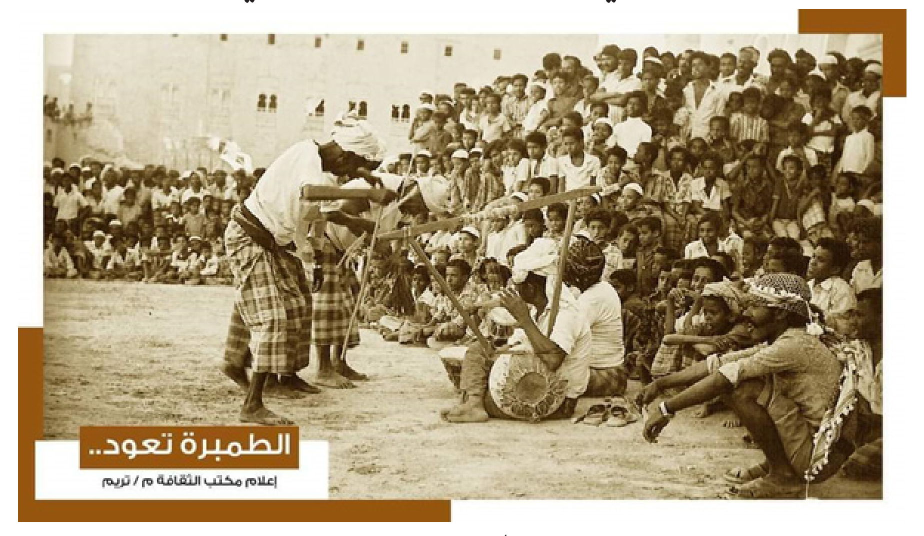
- (محد يعلم الضفدعة السبيح والطنبره)
- (خيط الطنبره مشبوح شبح). والمثل يعني هنا أنه خيط عادل.



و قام البريطاني بول هيوز سميث بإيداع نماذج عن رقصة الطنبره في المتحف البريطاني بلندن كان قد سجلها لفرقة الخيصة في المكلا عام 2002م بمساعدة الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت 2011م) وقيادة الفنان أسامة سعيد باسبعات. في المساق الأول من الأسطوانة رقصة بامبيلا على آلة الطنبره، وفي المساق الرابع رقصة طنبره النار الهندية تتحدث عن رحلة إلى مدينة بومبي بالهند مع بيرق مرتفع، وفي المسار السادس رقصة طنبره أيضًا. وشمل المسار الخامس رقصات أخرى وافدة على حضرموت من إفريقيا.

وفي مدينة المكلا الحضرمية يحل أهل صور في عمان محل الجبرت في عدن في المخيال الشعبي المتوارث. وكانت النسوة الحضرميات على ساحل البحر العربي يخوفن أطفالهن بهذا المعتقد ليسهل عليهن قيادة الأطفال. وفي الأدب الشعبي الحضرمي أهزوجة للأطفال تقول:

صوري تعل شلني
صوري اهلي ما بغوني
صوري قرب الهوري
صوري بيسه وأردي



طنبره تريم

طنبره تهامة

في سبعينات القرن العشرين سجل الفرنسي كريستيان بوخه (ت 2010 م) بمساعدة الألماني يوخن ونزر نماذج من تهامة لرقصة طنبره واصفا موسيقاها أنها لا تخرج عن السلم الخماسي الإفريقي. وقد صدرت له بذلك عن منظمة اليونيسكو أسطوانة مدمجة. وفي ثمانينات القرن العشرين سجل البريطاني اندرسون باكويل نماذج لرقصة طنبره مؤداه في طقس الزار العلاجي من قبل جماعة الأخدام في تهامة بمدن زبيد واللحية وقد صدرت له بذلك أسطوانة مدمجة. وقد ذكر ان سلمها الموسيقي خماسي مأخوذ من البر الإفريقي المقابل. كما اعتبر ان استخدام آلة الطنبره الوترية في الرقصة أو استخدام آلة المزمار النفخية يؤدي دورا إيقاعيا وليس ميلوديا ويخضع لهيمنة آلات الإيقاع الأخرى من صحفة ومرفع ومدف.

و هناك نموذج مطور من إيقاع طنبره في تهامة هو أغنية (يا صبايا البلد) عام 1988م على مقام نهوند وإيقاع طنبره الثلاثي. والنص للشاعر مطهر الارياني (ت 2016م) واللحن والغناء للموسيقار أحمد فتحي.

كاد قلبي يذوب

يا خُضْر الروابي يا صبايا البلد

ما لخلي وعد

باللقا وابتعد

ما لوعد الحبيب

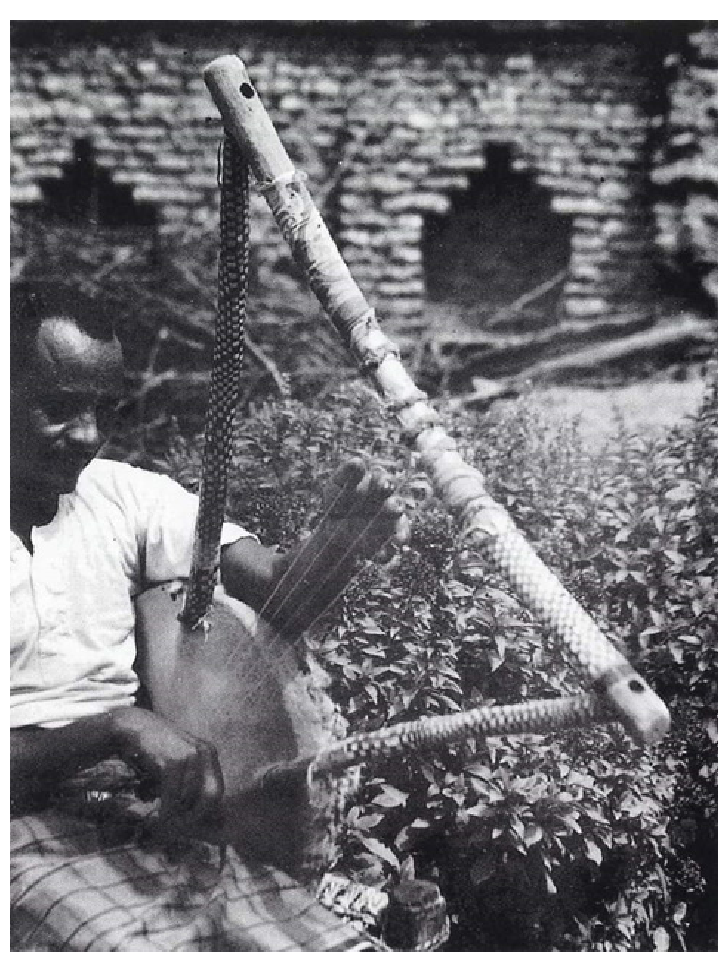
مثل بارق كذوب

دمعي وانتحابي

يشكي لك عذابي

وفي مدينة زبيد بتهامة يتم احتفال في آخر أربعاء من شهر صفر يسمى (محو صفر) المشؤوم.





الة طنبره تهامة

آلات رقصة الطنبره:

تؤدى الرقصة كدائرة عكس حركة عقارب الساعة (anticlockwise).

- أوتار آلة طنبره تقليديا خمسة إلى ستة أوتار لها تسميات متضاربة منها: الشرار- القواد - الرده – الصوت - البوم - الونه، والوتر السادس ويسمى الشرار وهو الأساس الذي تدوزن عليه باقي الأوتار وتكون خامة أوتار الطنبره من الجلد أو النايلون أو أمعاء الجمال. والفرس أو الكرسي هو قنطرة خشبية على الغشاء الجلدي للصندوق الصوتي للطنبره تحمل فوقها الأوتار المعقودة

من أطرافها أسفل المصوت عمودية حتى مفاتيح الشد. والفرمان أو القائم هو ضلع الطنبره. والمخدة ضلع الطنبره الأفقي الأعلى الذي تثبت فيه بالقماش مفاتيح الأوتار الخمسة أو الستة المسماة مزر أو ملازم أو مشدات على شكل حلق حديدية تشد شدا أو ارتخاء. والقدح هو صندوق مصوت للطنبره من قطعة خشب منحوتة ومفرغة على هيئة قدح. قطر فوهة القدح حوالي 37 سنتمتر. ويغطى وجه الصندوق بقطعة من جلد الابقار وتفتح بالوجه اربعة فتحات تسمى عيون فالفتحتان السفليتان تؤديان وظيفة الشمسية حيث تساعد على خروج الصوت وتسمى سماعة والفتحتان العلويتان يخترقهما عمودان كل منهما يسمى قائم أو فرمان وهو ضلع الطنبره ويشكلان مثلث قاعدته عامود آخر يسمى مخدة. الملازم أو المزر أو المشدات هي مفاتيح لأوتار آلة الطنبره. أمَّا طريقة العزف على آلة الطنبره فإن العازف يحمل الآلة أمام الصدر ويؤدي العزف عليها بريشة من قرن الثور في اليد اليمنى بينما تنبر الأوتار بأصابع اليد اليسرى من خلف الآلة.

آلة الطنبره بالسنتمتر في مدينتي زبيد واللحية:

اجزاء الآلة	مدينة زبيد	مدينة اللحية
قطر الصندوق الصوتي	94	48
الضلعان المتقابلان	98	93
القاعدة	90	90
قطر الفتحات	8	7

- طبل كبير يسمى جراب. وطبل صغير يسمى حبشي أو دبه. وكلاهما مصنوع من المعدن ومغشى بالجلد ويوقع عليه بعصا.

- طبل الطنجرة.

- المنجور: مشخشخات مصوتة (idiophone) مجمعة من قطع صغيرة من أضلاف الخراف والماعز والغنم وأصداف بحرية تثبت على قطعة من الجلد أو القماش بخيوط من النايلون أو بسيور من الجلد بعد ثقبها وتأخذ



شكل التنورة النسائية المفتوحة من أحد أطرافها وترص الأضلاف في عدة صفوف بمسافة 2-3 سنتيمتر بين كل ضلف وآخر وتثبت على الراقص واقفا ومستندا على عصا كبيرة ليحفظ توازنه. يلبس العازف المنجور كحزام على خصره بعد تثبيته ويقوم بتحريك الجزء الأسفل من جسمه في حين يبقى الجزء العلوي ثابت وبهذه الحركة ترتطم الأطراف المتدلية بعضها ببعض وبتصادمها تحدث أصواتا عند كل حركة عن طريق الاهتزاز أو اصطدام بعضها ببعض.





عبدالله الظاهري





آلة المنجور في لحج



رقصات شريحة الحجور الصبيان

كانت رقصات شريحة الأحجور أو الحجور أو الصبيان ذوي الجبلة الفيزيوجنومية الإفريقية في محافظة حضرموت تتركز في وادي حجر الدائم الجريان، وهو الوادي الوحيد في ذلك في حضرموت، والذي يمثل قاعدتهم السكانية بين قبائل الوادي العربية والتي يدينون لها بالولاء ويعملون في خدمتها عبر القرون ولكن بصفتهم أحرارا. وقبائل وادي حجر العربية هي: نوح حجر و ابن دغار وبلبحيث وباقطمي والسمحي. والأحجور يمارسون رقصاتهم أيضا حيثما توزعوا في محافظات اليمن. نقول عنهم في صيغة المفرد حجري وحجرية وصبي وصبية.

يبلغ طول وادي حجر بحضرموت 200 كيلومتر ويبلغ عرضه 5-20 متر اما عمقه فلا يتجاوز 2-5 سنتيمتر. ويتركز الأحجور في مصب الوادي المسمى رأس الكلب أو دلتا ميفع. وتمثل زراعة النخيل والذرة والسمسم أهم مزروعات الوادي الذي يضم أيضًا ينابيعا للمياه الحارة تستخدم في التطبيب المحلي كما يستخرج بعض السكان كحولا من عصارة ثمار النخيل. وقد فرض السلطان القعيطي في المكلا نفوذه على الوادي في عام 1900م تقريبًا.



مصب ميفع بوادي حجر

وقد وجدت شريحة العبيد في وادي حجر أيضًا لكنهم كانوا يشاركون في الحروب وحمل السلاح كدأب العبيد بحضرموت حيث ينتسبون لعائلة المالك أو الشيخ مثلهم مثل الصبيان الذين يخدمون في الفرح والترح و الذين أرهقتهم الملاريا المستوطنة على ضفاف الوادي في وادي عمد ووادي حجر والبعض منهم ينصرف للكدح في أشغال دونية خارج الواديين.

يقع الحجور الصبيان في أسفل التراتب الاجتماعي التقليدي في حضرموت، حتى أن شريحة (العبيد المماليك الموالي الحاشية) تعلو عليهم في التراتب درجة فالعبيد في حضرموت لم يقوموا بتنظيف مراحيض الحفر بينما ترك ذلك للحجور الصبيان. ويعتقد البعض أن الحجور الصبيان هم سلالة عبيد حبشية أو سواحلية سابقة أعتقها مالكوها فصاروا أحرارا عتقاء فحدث أحيانا ان خالطوا العرب كما هو في بلاد أبين من خلال تزاوج السكان بمجاميع الحجور التي استقرت في أبين للعمل بالزراعة وغيرها وعرفت هناك بحجور أبين.

و هناك وثيقة تعود إلى عام 1946 م بملفات المقيم السياسي البريطاني بمدينة المكلا عاصمة السلطنة القعيطية تدل على أن قضية زنا بين الحجور قد سويت بتعويض مالي وإعطاء الأخت بدلا كزوجة حسب العرف الذي تعتمده جماعة الحجور. وهذا ما لا يتفق بالضرورة مع المذهب الشافعي الذي يتسيد بلاد حضرموت وهو مؤشر على أن العرف هو الذي يحكم كثيرا من أمور الأحوال الشخصية للجماعات الدنيا في اليمن تسقط فيه بعض السنن الدينية عن العبيد مثل حضور صلاة الجمعة والفروض مثل اداء الزكاة واداء الحج.

كان الأحجور يسمح لهم بسكنى حوافي وادي حجر في بيوت طينية أو خشبية وكانت هذه المنطقة موبوءة بالملاريا لقربها من برك الماء الآسن بالوادي. تقول البريطانية فريا ستارك (ت 1993م) عقب زيارتها حضرموت وشبوة في ثلاثينات القرن 20 م أن أحفاد جماعة الحجور الصبيان ينتشرون في جميع أنحاء وادي حضرموت: (عشيرة البوفلة من ليجرات)، (ظهير)، (عرف مره). !





فريا ستارك

يعمل الحجور الصبيان أساسا في:

- زراعة النخيل وجني التمور والقطن والبن بمقابل نقدي أو عيني في مزارع المجموعات العربية عن طريق الشراكة، خاصة في موسم الحصاد وبعض منهم يملك الأرض الزراعية في ميفع ويقيمون عليها بيوتهم المملوكة منازلا وأكواخا وهو درجة من الاستقلال المادي.

- قطع ونقل الأحجار وجلب الماء والسقاية وهو ما يعرف في اليمن بمهنة الوراد، أوفي بيع الحطب وصيد الأسماك.

- وهناك صبيان يسمون صبيان الجميع يعملون في كل المهن وهناك صبيان العوائل المعروفين بالأخدام ويقتصر عملهم على خدمة أسر معينة.

- وفي التنظيم الاجتماعي كان الأحجور يتبعون اسرا وقبائل عربية حضرمية معينة ويسمون بأسماء سادتهم ويقومون لهم باعمال السخرة التي عادة ما يقوم بها افراد شريحة الضعفاء للشرائح الاجتماعية الحضرمية الأعلى منهم. فالحجور يخدمون الآخرين في مناسبات الزواج والختان والولادة والوفاة والأعياد والاحتفالات مسايرة لواجبات الضعفاء نحو الطبقات الأعلى في نظام الحافة بحضرموت.

- لكن المهنة التي جلبت لهم الوصمة الاجتماعية هي عملهم بتنظيف مراحيض الحفر في حضرموت في الماضي.

وهم انتشروا في مجمل حضرموت وفي المحافظات الأخرى فنجدهم في مناطق شتى مثل مصينعة وبئر على وحريضة وحبان والواحدي والعوالق وابين ولحج والبريقة في عدن بل وقرية قدس جنوب تعز حيث يعيشون مع اقلية يهودية هناك ويتخادمون المنافع.

وللحجور صلات اسرية حتى يومنا هذا في مطلع القرن 21 م ببعض أجدادهم في البر الإفريقي حيث ما زالوا يمدونهم بحاصل تمورهم إلى مدينة دار السلام بتنزانيا ويجلبون منهم الأخشاب والزيوت والتوابل لكننا لا نعرف هل رقصات الحجور مثلا تؤدى هناك أيضا أو ما شابهها! (الراوي سعيد عمر فرحان، 2010م).

وفي دراسة للتنزاني عبد الله بجره تعود إلى عام 1971 م عن التراتب الاجتماعي في بلدة حريضة بوادي عمد بحضرموت بما يشمله معنى التراتب من نشاط اجتماعي كالزواج وسياسي كتوزيـع السلطة والثروة يذكر الباحث ان جماعة الأحجور كانوا يكونون في العام 1967 م ما نسبته 7% من سكان بلدة حريضة بينما تمثل جماعة الأخدام ما نسبته 20 % من مجموع سكان البلدة، وتشكل جماعة دنيا ثالثة هي الحراتين جزءا هاما من العاملين بالحراثة والزراعة وهم ليسوا على جبلة فيزيوجنومية إفريقية. ويذكر أنه حينما أعتق العبيد في حاشية السلطان القعيطي في الأربعينات من القرن 20 م باقتراح من الضابط السياسي البريطاني هارولد انجرامز (ت 1973م) جاء بعض هؤلاء المعتقين إلى بلدة حريضة والتحم بسود اللون فيها وأصبح منهم. ويتركز عمل جماعة الأخدام في حريضة في حرف مجروحة تعتبر اعمالا وضيعة بينما يترك للحجور خدمة الآخرين في مناسبات الزواج والختان والولادة والوفاة والأعياد والاحتفالات من تقاليد وعادات دورة الحياة (life cycle rituals).

وفي العام 1893م يشير الرحالة الألماني بحضرموت ليبو هيرش (1853-1945م) إلى أنه التقى الحجور في الحرشيات بالقرب من سيف المكلا حيث



يعملون كمزارعين وكخدم للبدو و سمع طبولهم في لهو ومرح دام طوال الليل واعتبر (طنبرتهم) رقصا وموسيقى ارقى من رقصات العرب المملة، وذلك في كتابه الصادر ببرلين عام 1896م.

و في مقال نشره اليهودي جويتن عن قرية قدس بمحافظة تعز باليمن توجد إشارة إلى أن الأحجور عرق أسود يقبل العرب المسلمون على الأكل معه لكنهم لا يتزاوجون بهم. والأحجور يتجولون مع بقرهم من مكان إلى آخر بحثا عن العمل الزراعي الموسمي كالحصاد.

كان للأحجور وجود مشهود بمحافظة لحج الخصبة حيث ينشطون في العمل بالزراعة حتى انهم ينافسون الأهالي هناك سيما في موسم الحصاد أو الصراب عندما كان ملاك الأراضي يستأجرونهم للعمل مفضلين إياهم على الفلاحين من لحج ذاتها لنشاطهم وقدراتهم الجسمانية. وقد أورد الدكتور جمال السيد بيتا من الشعر ورد في رقصة الركلة بلحج يقول:

وامصريب صرب صرب

الحجور كردوا العرب

و الأمير أحمد فضل العبدلي الشهير بالقمندان (ت1943م) في كتابة (هدية الزمن في تاريخ ملوك لحج وعدن) يتحفظ على السود والعبيد الذين يأتون إلى لحج للعمل في الزراعة في مواسم الحصاد من وادي حجر بحضرموت فيعرفون في لحج بالاحجور أو الحجور، ويعدد أسرا في لحج لصلتها بهم (باعساس وباكليب وباباء وباهميل وبالحمر وبانفيل وباجبل وباهرب وبايدو وباسهل وباحب وباحيدان وباجامزه وباثابت وباحويج وباحضر وباجناح وباجسير وبامروان وباشعيب وباصليب وبافلاحة وباكندوح). والقمندان يراهم من مماليك الحضارمة الذين أعتقهم سادتهم فتشعب منهم نسل أسود في الجهات الحضرمية يعرف هناك بالصبيان. ولتباعد العرب عن الاختلاط بهم حافظ هؤلاء السود على الوانهم وصورهم الإفريقية وهم الآن (ينتقلون من مقاطعة إلى أخرى كما يقولون بلدنا الخضراء) حسب تعبيره، فالعرب يستخدمونهم في كافة الاشغال الشاقة بأجرة تفوق اجرة العامل العربي. ومنهم من اختلط بالعرب

بالتدريـج. ف(منع بيع الرقيق لا ينحصر في فضيلة احترام النوع الإنساني فقط بل فيه أيضًا سلامة العنصر العربي من هذا الاختلاط المشين بالعقل واللون والصورة فحبذا لو يتحالف أمراء العرب فما بواقي النخاسة في بلاد العرب إلا مصيبة من المصائب الفادحة على أجسامنا وعقولنا وصورنا ولا يبعد ان يكون تكاثر اختلاط العرب بهؤلاء الزنوج من جملة أسباب انحطاط العرب بالنسبة إلى بقية الامم السامية ولا يكفي توقيف الشراذم التي يجيء بها النخاسون من وراء البحر بل ينبغي الانتباه إلى الذين في بلادنا والمختلطين بنا حتى ما قال بعض المؤرخين ان عرب اليمن خلط بلط !). أيضًا جاء في بحث تاريخي في محافظة لحج ان اسر بابجير وباحسن وباعجيرة تعود إلى شريحة الحجور. ويروي القمندان انه ذات يوم قُبالة قصر سلطان لحج بمحاذاة مساكن عبيد السلاطين المحررين وخُدّامهم بكريتر عدن وقعت عجلة الحنطور في حفرة وصُعب على الحصان جَرّها فنزل الحجري يدعو السماء ويصرخ بأعلى صوته:(واغارتك يا أحمد فضل) (واغارتك واقمندان)، وفي ندائه الثاني نبع من وسط الظلمة أربعة من أجلاف خدم الساطين صائحين (لبيك يا سيدي وتاج راسي) وقاموا برفع العربة بما فيها وصهل الحصان فأكمل القمندان عودته الميمونة.

و قد جاء كلام القمندان في التعليق أعلاه على قرارات الدولة العثمانية بالتعاون مع المستعمر البريطاني لعدن بتجريم تجارة العبيد في الجزيرة العربية والاتجاه لعتقهم عام 1881 م باتفاقية بين تركيا وبريطانيا. وفي عام 1857م كان قد نشر فرمان السلطان العثماني بإلغاء الرق الذي لم يعجب شيوخ الجزيرة واقيال اليمن فثاروا على الفرمان. وفي عام 1890 م كانت اتفاقية بروكسل الدولية تلزم الدول بحظر تجارة الرق وقد شملت دولا إسلامية هي زنجبار والعثمانيين وإيران.

و يعود القمندان لتناول أخبار الأحجور الحربية فيقول في كتابه غير المنشور (تاريـخ حياتي) المدون عام 1938م: (الأميرلاي وجيشه لم يأبهوا بما جرى واستمروا في سيرهم لي أن وصلوا قرية زائدة ولقوا مقاومة من آل المعرار وآل



حيدرة لأن الحجور أهل باعجير قاوموا بشدة وقتلوا منهم الكثير وجرحوا وكان على رأسهم عوض هادي باعجير. كما تبعهم آل بادبا الحجور إلى موقع بين الخداد والقريشي وقتلوا منهم 250 مقاتلًا وجرحوا 700. وما أن وصلوا إلى قرية القريشي حتى قاومهم رجاله الكرام من آل النوم وتبعتهم وآل الشاؤوش سكان القريشي).

أمَّا في أبين فكان السلطان حسين بن أحمد الفضلي (ت 1924م) قد تصالح عام 1887م بعد خروجه من المعتقل في الهند مع المستعمر البريطاني للجنوب العربي على إلا يتدخل في أمور السلطنة الفضلية التي كان على رأسها ابنه سلطانا. ورغب السلطان حسين في التفرغ للزراعة فسكن منطقة باشحارة واستقدم المزارعين من جماعتي الحجور (حجور أبين) والزبود (قادمون من زبيد بتهامة). وشيئا فشيئا تحولت المنطقة إلى زراعية بنشاط هؤلاء الحجور فإذا بمدينة زنجبار تمتد اليوم لتشمل في احيائها تلك المناطق التي كانت من قبل قرى لعشائر مثل باشحارة وعمودية والمحل والخاملة الخ. فحاليا حي سواحل وكان إلى الجنوب وحي دار السلام وكان إلى الشمال بالقرب من شمس الدين وباشحارة تعتبر من احياء زنجبار. وكان افتتاح مشروع دلتا أبين لزراعة القطن والفواكه عام 1950م ابان الاستعمار البريطاني لجنوب اليمن فرصة كبيرة للشغيلة من احجور وزبود عبر نظام المشاركة في المحاصيل.

ذكر الشاعر الشعبي سالم خير من بلدة شقرة بأبين وهو معاصر للسلطان عبد القادر بن أحمد بن حسين الفضلي (ت 1927م) جزيرة مقاطين:

قال سالم خير باهوّك وبازمّل وبتذكّر زماني

بطرح المرسى على ساحل مقاطين

و افادني الدكتور سعيد بايونس أنها كانت سوقا لبيع العبيد بعد جلبهم من إفريقيا. ويقال إن الكلمة من مقطعين الأول (مقا) وتعني العبيد والثاني (طين) وتعني أرض.

رقصة السكينكو أو التقمراية

رقصة للحجور الصبيان في بلدة ميفع بوادي حجر بحضرموت. تسمى الرقصة سكينكو وتستخدم في الرقصة آلة نفخ (ناي) ومن اسمائه هناك مدروف وابو عشرة وقد يصنع من قرن وعل مثقوب من الخلف. وتستخدم آلات إيقاع (طاسة ومرواس). وتسمع في نصوص الرقصة الكلمات (السواحلية) الدخيلة. تمثل الرقصة زفة عروسة على ظهر جمل لكن أكثر الراقصين يكونون رجالا. وللمرأة دور كبير في مجتمع حجور وادي حجر وكأنما أخذوا مسحة من النظام الأمومي الإفريقي. والنساء قد يشاركن في رقصة سكينكو فإذا تكاثرن تحولت الرقصة نسائية بحتة تسمى عندئذ(تقمراية). وفي محاولة لتفسير تسمية سكينكو التي يرقصها تقليديا الصبيان الحجور قيل انها اشتقت من كلمة (سكني) وتعني جنية بالمحكية الحضرمية فالجنية تسمى أم الصبيان أما الصبيان الحجور فجان من أولادها.



رقصة زفة العروس على ظهر الجمل أو السكينكو



رقصة الحضبة

رقصة للحجور الصبيان في بلدة ميفع بوادي حجر بحضرموت. ولفظة حضبة تعني لحافا يوضع على من يقوم بدور المريض في هذه الرقصة ويحمل راقدا على ما يشبه السرير والذي يسمى بدوره (معتلة) وتكون له أربعة أطراف يحمل من خلالها. وشعر الحضبة أراجيز رصينة محبوبة سرعان ما تشيع بين سكان الوديان المجاورة مثل وادي دوعن الذي تربطه بوادي حجر التجارة وصلات الأهالي. وقد يحوي شعر الحضبه بعضا من كلمات إفريقية. يأتي الإيقاع الشعري السريع ليساير حركة الرقصة التي تأتي على شكل مسيرة راجلة سريعة. يسمى الغناء حضبه ولهم به ولع ورغبة عارمة يكادون لا يملونه. وصفة الرقصة ان يجعلوا سريرا من سعف وبوص وأشجار يمدونها ويجعلون في جانبيها خشبتين يحملون عليهما من يقوم بدور المريض مثل شيخ كبير السن كما تحمل الجنازة من أربعة أطراف. ثم يتداول حمل المعتلة أربعة بعد اربعة مع الرقص والتوقيع و(الطبع) بأرجلهم ورفع أصواتهم بالشعر الذي يأتي به شاعرهم. تصاغ أغنيات الحضبه باقتفاء مرجوزة من بيتين مع لحنهما للشاعر الشحري سالمين بن عمر بن مسلم (ت 1779م) كان قد قالهما في مدح بسالة بحارة ميناء الحامي بساحل حضرموت هكذا:-

(1)

بن مسلم قال بالناطور خايل ساعية

نتخت من (زنجبار)

وسطها شبان لي ما يحسبون التالية

يطعمون الحلو قار

فمن نصوصهم المولدة على هذا الأسلوب الغنائي:

(2)

بو زعيمة قال نتخ بربري من (بربرة)

يا البوابر بطحوه



هو بلا ذيله ولكنه ملقي عتوره
عالمصابي دحدحوه

(3)
بو زعيمة قال نتخ سيل من بعد العشا
عطل الوادي عطال
(حجر) عطلها وجزول يعلم الله شيء بها
والعلمية والسفال

وقد أورد الدكتور مسعود عمشوش نقلا عن السويدي كارلو دي لاندبرج (ت 1924م) مقطعا من مرجوزة تقول:

الليل يلهاجس سرى يا أهل القلوب السالية
ورجال في حل اللقا ما يحسبون التالية



صورة مريض منقول على سرير شعبي خلال رقصة الحظبة بوادي حجر



رقصة شرح صوت الحجور

لفظة شرح وردت عند الشاعر الحضرمي عمر عبد الله بامخرمة (ت 1545م) بمعنى الرقص واللعب والفرح. ففي شرح الحجور تسمى الأغنية المرافقة للرقصة (صوت) وبالتالي هي صوت شرح (الحجور الصبيان).

يذكر محمد بن هاشم بن طاهر العلوي الهاشمي (ت 1960م) في كتابه (رحلة إلى الثغرين) في عام 1931 م أنه عشية السبت عمل الحجور رقصتهم المزعجة امام قصر السادة الهاشميين ال الكاف برقص مخيف تنفر منه الأذواق السليمة بهيئة منكرة اشبه شيء بما نراه في السينما من رقص زنوج إفريقيا حول سور النار الذي يقيمونه عند افتراسهم القرابين البشرية. ويستنتج محمد بن هاشم من ذلك ان الحجور تجري في عروقهم دماء زنجية فهم مولعون بهذه الرقصة العنيفة لا يملونها يمضون أغلب الليل فيها وأن هذه الطبيعة الزنجية تجدها فيهم.

والصحفي عبد الله بن أحمد بن عمر بن يحي العلوي الهاشمي صاحب مجلة (عكاظ) بحضرموت سابقا والسكرتير العام يومئذ لجماعة الدفاع عن السادة العلويين بالقاهرة قرض شعرا كتاب محمد بن هاشم المسمى (رحلة إلى الثغرين) الصادر عام 1931 لكونه ذكره بحب السيد علي بن حسن العطاس لما اسماه (صوت الحجور):

أجدت للثغرين وصفا كما أجدت في شرح أغاني الحجور

كما أورد محمد بن هاشم في كتابه (رحلة الثغرين) صورة فتوغرافية للرقصة التقطها اثنان من أبناء المحسن الكبير شيخ الكاف عام 1931م.

ورقصة شرح الحجور رقصة مختلطة بين الجنسين تتميز بحماس الراقصين بشكل ملحوظ تشترك فيها المرأة مع الرجل إذ تقف النساء قبالة الرجال ثم يأخذون في الغناء والرقص والالتحام والتفارق معهم. والشرح عندهم هو فعل ان يجتمعوا رجالا ونساء فيغنون ويرقصون ويدورون على توقيع الطبل الوحيد في الرقصة وقد يمضون أغلب الليل في ذلك. يتخذ المتفرجون شكل

دائرة كبيرة ويصفقون تبعا لضربات الطبل ويغنون بصوت مرتفع جدا ويكون في وسط الدائرة اثنان أحدهما امرأة تمسك بيد الرجل فيرقصان وجها لوجه محاذيين محيط الدائرة.

ومن الأشعار التي تتناول هذي الشريحة التي أخذت تتحرر من ارثها الاجتماعي العتيق مدحا وقدحا الأشعار التالية:

- هذه من قصيدة للشاعر الحجري الحضرمي سعيد فرج باحريز (ت 1987م) تذكر اصله الحجري وتدافع عن خلقه الحسن:

حقيق نا من حجر واصلي قال بو سالم صِبي
لكن شرعي زين ما جي في الشروع القاصرات

- هذه من قصيدة الشاعر الحضرمي حسين أبو بكر المحضار (ت 0002م) وقد تحولت كسائر أشعاره إلى أغنية فيها ما يعيب على الحجور وهي أغنية (عادت علينا ليالي جميلة) التي غناها الفنان ابوبكر سالم بلفقيه (ت 7102م):

بعض الميادين فيها رويله
وخيول زينه كل بها يعرض بخيله
ما هي (لحجري) ولا (بن هبيله)
ما تصلح إلا لفارس من الفرسان
لي رتبوا في رسب والسفيله
بأسلاب بلجيك ما حد معه بو فتيله
بعض السلب زين ما شي مثيله
تسمع قروحه ولا تنكر الدخان

ومن الأبيات المتداولة في شقرة بمحافظة أبين:

حَكَمْنا عَلَى ٱلحجْرِي لَه ٱلحجْرِيَةْ
وٱلعَبْد لَهْ جارِيَةْ وٱلصَّوْملِي صَوْملِيَّةْ

- وهذه قصيدة للشاعر عبد الله سعيد ٱلْخُدْشِ (ت1990م) تدين تمكين الزعيم اليمني اليساري سالم ربيع علي (ت 1978م) لجماعة الحجور في جنوب اليمن:

يَا ٱلمسَائيل ٱلجدد[1]

بَا لِشْكِي عَلَيْكُمْ يَا ٱلْمِسَائيل ٱلْجِدِدْ
لِشْكِي عَلَيْكُمْ شَبْعَةِ ٱمْسُودَان وٱمْسَوْدَا
لَا عَدْ حَدْ صَرَبْ مَعْنَا وَلَا مَعْنَا نَصَدْ
لَا طِين مَصْرُوبَةْ ولَا عَدْ طِين مَنْصُودَا
وسَوُّوا كُلِّ شِي فِينَا وَلَا قُلْنَا إدِدْ
يِحَاسِبُون ٱلنَّاس لَا شَاهِدْ ولَا ٱشْهُودَا
سَوُّوهُمْ يِهِينُون ٱلْكَرَامَةْ بٱلْعَمَدْ
وٱلسُّلْطَهِ ٱلْجَبَّار تِدْعَمْهُمْ عَلَى هُو ذَا
دِي هُو مَحْتَرَمْ لَا حَصَّل ٱلسُّلْطَةْ زِهِدْ
وٱلْخَام نَفَّذْ سُلْطِتَهْ مِنْ دُون مَزْهُودَا
تَحَمَّلْتُو وشَلَّيْتُو مِنَ ٱحْمَالِ ٱلْبَلَدْ
وٱصْبَحْ مَعَاكُمْ كَمْ مِنَ ٱحْمَرْ عَيْن مَفْقُودَا
أَنَا قَدْ لِي بَطَا صابِرْ عَلَى عَيْر ٱلرَّمَدْ
وٱلْيَوْم أُوجِسْ حَالْتِي بٱلْخَيْر مَوْعُودَا
أَنَا بَا قُول يَا ٱلْمَعْبُود يَا ٱلْفَرْد ٱلْصَّمَدْ
إنَّكْ تِسَاوِيهَا لْنَا يَا فَرْد مَعْبُودَا

---

(1) - مصدر القصيدة: تسجيل بصوت الشاعر نفسه.

تْسُوق لِنَا بْسُلْطَةْ دِي تْسَانِدْنَا أَبَدْ
وُبَا لْسَوِّي بَكْلِنَا لَا حَيْث بَا لُودى
يَا مَا آدَمِي صابِرْ عَلَى قَطْب ٱلْكَبِدْ
حَدْ عَدَّمُوهَ ٱهْلَهْ وحَدْ لَهْ مَال مَعْدُودَا
وحَدْ رَجْمَةْ وحَدْ كَرْفَةْ وحَدْ جِرْبِةْ فِقِدْ
بَسِيط بَا يِخْرُجْ بَهَا لَا شِي بِصِرْ مَوْزَا
لَازِمْ بَا يَقَعْ مَخْلَصْ لِنَا مِنْ كُلِّ بُدْ
ومِنْ مَعَهْ شِي بَا يَقَعْ مِنَّهْ بِتَزْيُودَا
وُعادَكْ بَاتِحَاسِبْنَا عَلَى دِي فِي ٱلسَّنَدْ
وِشْ بَا يِخَارِجْ بُوك يَا لَهْوَجْ بَرِ ٱمْهُوجَا
قَال ٱلْخُدْش مَا ذَا ٱلْحِين يَا ٱلْحَدَّاد حِدّْ
وكَلِّمِ ٱلنَّجَّار يِرْجَعْ يُنْجُر ٱلْعودَا
وٱلْحَجْرِي يِصَلِّحْ مُنْخُلَهْ يِعْمِدْ وَلَدْ
ولَا سِلِم يِرْجَعْ عَلَى مِلْبَاجَه ٱلْعوْجَا
قَدْ تُبْتُو مِن ٱلْهَدَّات مِنْ يَوْم ٱلْمَهَدّْ
قُلْتُو يُرُدُّوا ٱلْقَبْيَلَةْ لِلْحَرْب وٱلْجُودَا
يَا مَا بِي ويَا مَا بِي عَلَى كَمْ مِنْ أَسَدْ
مَا بِي عَلَيْهُم دِي عَلَيْهُمْ هَزِّتِ ٱلنَّوْدَا



- وهذه قصيدة للشاعر أحمد سعيد بلعيدي (السعيدي) (ت 2010م) ينتقد فيها فعل الزعيم اليمني اليساري سالم ربيع علي (ت م1978) بمساواة العبيد والحجور بسادتهم:

سَالِمْ لَطَمْ لَطْمَةْ[2]

اِلْيَوْمَ يَا ٱللّٰهْ طَالَبَنَّكْ
شَعْنَا تَعَبْنَا بَٱمْنَصَادَةْ
مَحْرِزْ رَجَعْ مِنْ بَعْدِ مَا ٱخْطَا
قَدْنِي قَرِيبَ ٱرْشَنْ مَعَاهُمْ
هَاذي ٱمْسَنَةْ بَا ٱصْبُرْ عَلَيْهُمْ
سَالِمْ لَطَمْ لَطَمَةْ وهَبَّتْ
لَا كَانُ هُو حِجْرِي كَمَا ٱوَّلْ
سُلُّوتِ حِجْرِي لِلسَّعَيْدِي
وِٱلدَّابِيَةْ حِجْرِي صَهَارِي
تِرَجِّعِ ٱحْجُورِي عَلِيَّهْ
بَٱثْنَيْنَنَا نَا وِٱلصَّبِيَّةْ
مَا بَاقِيَ ٱلَّا هِلْ سَرِيَّةْ
مَا عَادِ فِي دَلْقَةْ قَوِيَّةْ
وِٱمْثَانِيَةْ بَيْجُونِ لِيَّهْ
لَا جَابَ بُوهَا مَسْأَلِيَّةْ

---

(2) - مصدرها: سعيد ناصر علي حميد. هذه القصيدة جزء من مساجلة بين الخدش والسعيدي، لكننا لم نجد إلا ما قاله الخدش وبيتًا مما قاله االسعيدي هو:

هذه السنه فيها شقينا	كبّر على بوها ســـنيّه
واكبر على سالم ربيع	دي كبّر حجوري عليه



بَا آخْرُطْ بَعَارِي هُو وُخَيَّهْ
وَانَا مَعَيْ سَالِمْ سَرِيَّةْ
مَظْلُوم بِرْ عَذْبَةْ مَعَيَّهْ

وقال الشاعر عبد الله سعيد الخدش (ت 1990م):

كُلَّيْنِ يِصْبِحْ بِاسْمَهْ مِنَّنَا مِنْدَعِي
يِعْرِفْ طَرِيقَهْ وِيِعْرِفْ مَوْقَفَهْ حَيْثِ كَانْ
هَذَا قَبِيلِي وُذَا سَيِّدْ وُهَاذَا وَلِي
وُذَا بَقَارةْ وُذَا كَابِرْ بَرَاسَهْ قَرَانْ
هَاذَاكِ حِجْرِي وُهَاذَا عَبْدِ لِلدَّيْوِلِي
وُذَاكَ حَلْحُولَ بَنَّهْ مِنْ فُشُولِ آمْعِتَانْ
يَا دِي حَكَمْتُو مَعَا سَالِمْ رَبَيَّعْ عَلِي
خَذْتُو رَجَاجِيلِ بِآلْخَافِي وُشِي بِآلْبَيَانْ

وبعد اغتيال الزعيم سالم ربيع علي يد رفاقه اليساريين عام 1978 قال الشاعر عبد الله سعيد الخدش (ت1990م) قصيدة يعرض فيها بالزعيم سالم ربيع علي لأنه اعتمد على الطبقات المسحوقة التي شبهها في قصيدته بالحمير (نسبة إلى سواد بشرتها) وشجعها ولم يعتمد على القبائل ولكن هذه الطبقات خذلته:

حد حصل بهم ضابط وحد حصل وسام
و حد طلع فوق الفضا لا ما دريتو به
طلع فوق الفضا وقال با يعمد امام
لاكنهم جوا له رجال الله ورجوا به
لما حط جوف الأرض واتحطم حطام
ما شي لكم مرثاة يا حنشان مسبوبه



يا مدوع شع امحداق زادوا في الاشام

زادوا عليك الناس لما سوك في الخوبه

و عاده با يبر الشهر من بعد الظلام

و با يعود الحق من طالب لمطلوبه

ورد عليه الشاعر أحمد على العنوبة (ت 2005م) منساقا في نفس اتجاه الخدش ومفسرا لمن يقصدهم الخدش في قصيدته بهذا المطلع:

مسود صادها في أمكلو من تحت الحزام

مسكين مسود ما درى منين جاء صوبه

يا مسود تقدم كل ساعة للأمام

خُذ حُكم دي قد بوك واجدادك حكاموابه

يا مسودان والله انّا عدمناكم عدام

ما عاد وقع لي دي على قلبي ودي لوبه

شفنا تلّوكم مسود كما الليل امظلام

والارض شفناها كذا قالب ومقلوبه

انا ما عاد با أمسودان حتى في الحمام

لا عاد با مسود ولا عاد بيت مكسوبه

و قد ذكر السويدي كارلو دي لاندبرج (ت 1924م) لعب ودحرجة ورقص وغناء اسمه (الدردبة) للزنوج في دثينة في أبين لكنه لم ينسبها للاحجور أو غيرهم.

*****

رابعًا رقصة الزفين السواحيلي المكلاوي

الزفن هو الرقص، وهي رقصة في سواحل حضرموت كمدن المكلا وغيل باوزير والشحر.

أفادني الكوريوجرافي سعيد عمر فرحان (ت 2011م) أن رقصة الزفين المكلاوي في مدينة المكلا وبلدات ساحل حضرموت وفدت من سواحل شرق إفريقية مع نسوة تعود اصولهن إلى سواحل شرق إفريقيا. والزفين السواحيلي أو الزفين المكلاوي رقصة نسائية تؤدى في الأعراس تتميز يإيقاعاتها السريعة، يتم فيها ترقيص العروس. ورقص العروس فقرة مهمة رئيسة من فقرات حفل العرس النسائي الذي يقوم بعيدا عن الحفل الرجالي الموازي للعريس ورهطه.

كانت المرأة الحجرية تقوم بترقيص العروس وتسمى (المشترحة أو الزافنة أو صاحبة الطبل) ويسمى الرجل الحجري بالحفلة الموازية (المشترح). والشرح لغة هو الرقص واللعب والفرح.

يرى البريطاني روبرت سارجنت (ت 1993م) ان المشترحة والمشترح كانا تقليديا ينحدران من جماعة (الحجور) أو من طبقة (العبيد).

ويصاحب المشترحة آلات إيقاع ذات غشاء هي طبول (الهاجر) واثنان من (المرواس) وآلات إيقاع مصوتة هي (خلخال) في قدم الراقصة. يأتي الميزان الإيقاعي للرقصة على 4 على 4. وفي حالة المشترح الرجل تستخدم أيضا آلات نفخ (مدروف). والمشترحة والمشترح يكافئان ماليا وعينيا مكافأة مقدرة من أهل العروس والعريس.

يبدأ الزفين بإيقاع بطيء يتحول إلى السريع، وتكون الراقصات خلاله بمواجهة بعضهن البعض؛ حيث يأخذن 3 خطوات نحو الأمام بواسطة القدم اليمنى مع جعل القدم اليسرى شبه ثابتة من أجل أن يكون ثقل الجسد عليها، يليه عودة القدم اليمنى للخلف خطوة وحيدة، وهكذا. وترافق حركة نعيش الشعر عادة رقصة الزفين، تقوم فيها النساء بتحريك ضفائر شعرهم يمينا



ويسارا على إيقاع الطبول السريعة، وكلما تطيل المرأة الحضرمية مدة هذه الحركة دل هذا على قوتها، ففي الأمر مفاخرة بين النساء.



زفين مكلاوي

*****



رقصة زار – أو اسم

كانت رقصة الزار تؤدى ضمن طقس أرواحي يعرف ب(الأسم). ويذكر حمزة لقمان (ت 1995م) ان تسمية رئيسة حفلة الزار ب (العلقة) ات من جذر حبشي إذ تعني هناك صاحب الرتبة العسكرية. وفي السودان يطلب من رئيسة الحفلة وتعرف ب (الشيخة) أن تقوم بتشخيص نوع الروح المتقمصة للمريض أو المريضة بالزار من خلال استنطاق ما يعرف ب(العلق). ويسمى شيخ الزار ب (العارف) كونه يعرف تشخيص نوع الزار. ويكون هناك صندوق يسمى (العلبة) يحتوي على أدوات الطقوس والبخور. ويعرف عازف آلة الطمبرة في طقس الزار ب (السنجك).

و هناك تفسيرات للفظ الزار:-

- اشتق اللفظ من زار يزور زيارة باعتقاد أن الزار زيارة لروح معينة إلى بدن المصاب أو المصابة.

- ورد في قاموس الملك الرسولي الأفضل عباس بن المجاهد الرسولي العربي - الحبشي الذي حكم اليمن في الفترة (1363 – 1376 م) ألفاظ آلات اللهو واربابها يومئذ وما يقابلها في اللغة الحبشية:

طنبور يقابله بالحبشية (حراره).

الجن يقابله بالحبشية (زار).

الرقص يقابله بالحبشية (زفن).

- السار لفظ صومالي يعني الروح الشريرة. وقد وثقت اللفظ مصادر في هضبة ابسينيا منذ القرن 16 م وربطت بين تسمية الزار وأحد الآلهة في الديانة الاجاوية القديمة في إثيوبيا المسمى (جار).



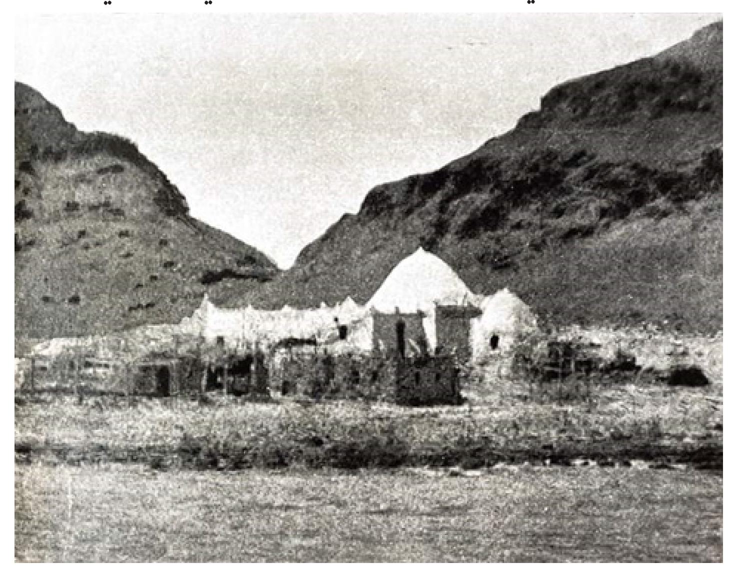
كانت مناطق انتشار الزار في اليمن تتوزع بين المرتفعات الجبلية حيث يقدم هناك من خلال رقصة أخرى تسمى (المزمار)، وبين بلدات تهامة (زبيد والمخا واللحية ومحل الهندي بوادي مور) ومحافظتي عدن ولحج حيث يكون على شكل غناء تطهري تنفيسي وبحضور وسيط يعمل بين الروح الزائرة والمزور.



عازفون دناكل في عدن عام 1856م

كان الزار أسلوبا شائعا للتطبيب الشعبي في اليمن لكن حركة الاستنارة الاجتماعية في النصف الثاني من القرن 20 م حدت منه على اكثر من صعيد. وحاليا تتم ممارسة الزار في نطاق ضيق ويحاول القائمون به التكتم على حفلاته وطقوسه التي ينظر إليها الجيل الجديد بكثير من الريبة كما لا يقرها التيار الديني السلفي. ويفسر الدكتور التجاني الماحي (ت 1970م) الزار فيقول: (ان سلوك النساء المميز في الزار قد يجد تفسيرا وفق الأسس النفسية العلمية الحديثة مثل الإيحاء والانقسامات النفسية والتقمص والاستهواء النفسي والاستفراغ العقلي والإفصاح عن رغبات كامنة والشعور بالجماعية والتمثيل أو الدراما العلاجية). ويعلق الدكتور أحمد الصافي

بقوله: (أن الموسيقى جانب هام في الزار من خلال دورها في طقوس التفريغ العاطفي والترويح النفسي فموسيقى الزار نسيج متشابك من الإيقاع والنغم والغناء والجو الطقسي الغني الذي يعطي هذه الموسيقى قوة التأثير وتساعد هذه الألحان على الترويح عن النفس وضبط الحركة الجماعية وتخفيف الجهد البدني وتعميق الإحساس الديني والسعي للانجذاب).



قبر شيخ الغدير في البريقة في عدن

و يصف الدكتور حمود العودي حفلة الزار في الهضبة اليمنية بقوله: (تقام حفلات الزار ويحصل فيها الرقص ودق الطبل على ما يلائم صاحب الزار من التلحين والترنيم). ويورد الكوريوجرافي علي محمد المحمدي اشتقاقات للفظ زار في وصفه لرقصة (المزمار) بمحافظة صنعاء حيث تكون الآلات المستخدمة المزمار والطبل والصحن. فالرجل الراقص على موسيقى المزمار وهو الذي يستوطنه (الزار) أو (الزواري) يسمى (المزور) والاعتقاد عند الممارسين أن الزار يمكن أن يأتي في شكل جنية أو ساحرة أو كائن شيطاني لكنه غير شرير! إلا أنه طروب يشبع رغبته العارمة في الرقص من خلال المزور. كما يعتقد البعض ان الزار كائن في النباتات العطرية ويكون طروبا شديد

الانفعال بالموسيقى والغناء يقتفي الطرب ليشبع رغبته فيه أنى كان فيلبس المزور ويدفعه إلى الرقص الخارج عن حدود المعقول فيتجلى بالرقص الخطير بالخنجرين (الجنبية) في حالة عصبية تنتهي به إلى الإغماء فيعطى العطور والروائح ليفيق. ولا يصل إلى مرحلة الزار أو (التَّزَوُّر) في الرقصة إلا الذي يدعي ذلك وتقر له العامة بذلك. ويجري في اعتقادهم أن المُزوَّر يكون شابا وسيما أو رجلا قويا شغوفا بالنساء ميالا إلى الطرب والغناء والعطر والرياحين والزهور، فيحدث أن تتعلقه امرأة شهوانية شريرة تريد أن تستحوذ عليه إلا أنه لا يستجيب لها، ولذا فإنها (تُزوِّره) بطريقة ما، وربما كان ذلك عن طريق غصن ريحان تودع الكائن الشيطاني فيه، وتقدمه له فيستنشقه، ويدخل من أنفه ليحتل رأسه وسائر جسده. ويصبح المزور مغرما بالغناء والرقص إذ لا يسمع عن مناسبة فرح أو احتفال في المناطق المجاورة إلا وتوجه إليه، ولا تعقد جلسة سمر وغناء إلا وحضرها. وقد يكون المزور منهمكا في عمل ما أثناء النهار فيسمع صوت آلة المزمار فيترك كل شيء ويتوجه إلى مصدر الصوت ليرقص حتى يتزور. ويصبح المزور معروفا في محافل الرقص فيبادر إلى مراقصته الشباب، فيرقص مع الأول والثاني والثالث منهم وهكذا حتى يشعر مراقصه الأخير أنه قد بدأ يتزوَّر فيخلي يده ويجلس، وهنا تتركز أنظار الحضور على (المزور) ويعطونه (جنبيتن) فيحملهما في يديه، ويخرج وهو في حالة انفعال شديد على كل قواعد الرقص المعروفة، فيفسح الناس له الساحة ويسرعون في الإيقاع، فيشرع بالرقص العنيف وكأنه قد أصبح تحت سيطرة (الزار) الذي يتصرف بكل أعضاء جسده كيفما شاء، ويتلاعب بالجنبيتين في يده بطريقة خطيرة، ويستمر على هذه الحالة حتى يهدأ الزار ويخمد جسد المزور في شبه إغماء فيشممونه العطور حتى يفيق.

يصف الدكتور عبد الله مقبل معمر الحكيمي حفلة الزار في تهامة بقوله: (عند الموعد المحدد تبدأ الجلسة بدق إيقاعات الرقص لكل نوع من أنواع الزار المختلفة وبالطبع فإن البداية تكون إيقاع الزار الذي يملكه الشيخ نفسه ليقوم الشيخ للرقص أولا. ويستمرون في ذلك إلى أن يتوقف الشيخ عن الرقص فيتحول الإيقاع إلى نوع آخر. وكل شخص من الحاضرين يستمع إلى الموسيقى

التي تتناسب مع الزار الذي لديه أو (صاحب رأسه) كما يسمى فيقف للرقص عند وصول النغم المناسب له. مع العلم هنا أن الرقص لا يقتصر على المريض فقط بل يكون لعامة الحاضرين فالجلسة تكون جلسة زار عامة وكل من يسمع الإيقاعات الموسيقية يرقص عليها، فإذا أتت نوع الموسيقى التي تنسجم مع نوع الزار الذي أصيب به المريض فانه يقف للرقص لتستمر الموسيقى بالتكرار والحدة حتى يقع المريض مرميا على الأرض، وإذا حدث وتوقفت الموسيقى قبل وقوعه على الأرض فانه يصاب بحالة تشنج عصبي لا يفيق منها إلا عند إعادتها. لهذا فإن الإيقاعات الموسيقية تستمر حتى وقوع المريض على الأرض فيقترب منه الشيخ الذي يتحاور مع الزار عن طريق المريض وفي حالة رفض مصدر الزار التحاور مع المريض فانه يعود إلى الشيخ الذي يسلمه شريط كاسيت مسجل عليه جلسة الزار وعند سماع ذلك الشريط على مقربة من مكان المصدر وبحيث يسمع المصدر الشريط إلى أن يصل إلى نوع الموسيقى التي بها يطرب نوع الزار الذي يحمله فتحدث له حالة هيجان شديد وتشنج مصحوب بصراخ عنيف وتستمر هذه الحالة إلى أن يطلب السماح من المريض ويتفقان ويتعاهدان على الصداقة الدائمة). والدكتور عبد الله مقبل معمر الحكيمي يشير إلى أنه في طقس الزار يكون الشيخ ذكرًا وتكون العلقة أنثى وأنه بينما من يعرف بالشيخ الصغير يحتاج لجلسة الزار ليتعرف على صاحب راس المريض ثم يبدأ طقس العلاج بينما الشيخ الكبير يشخص المرض دون حاجة لجلسة الزار ليقوم مباشرة بعملية التحكيم بين الطرفين بعد طلبات يكون على المريضة أو المريض تحقيقها لإرضاء الزار الذي حل بها. فالروح تفصح للشيخ عن اسمها ومكان أصلها وسبب التملك ورغباتها ثم يذبح لها الهدي. ويتم هذا التعرف من خلال الحلم الذي يزور الشيخ بعد حوالي 10-15 يومًا.

خريطة لعدن الصغرى أو البريقة

و يقول الدكتور فهد الشعيبي عن حفلة الزار في تهامة: (تقرع لها الطبول ومنها طبل الليوا وبعد كل فقرة يطلب المريض تغيير الإيقاع أو الأغنية أو السرعة احيانا وتصدر منه أصوات وكلام غير مفهوم ونجده تارة يرقص وأخرى يتمايل وتظهر انفعالاته على كل جزء من جسمه خاصة وجهه ونظراته ويستمر لمدة ساعات قد تصل إلى أربع أو خمس ساعات بعدها يقع على الأرض).

و من أنواع الزار في تهامة:-

- الزار (العزاوي).هو الزار الخدمي نسبة لشريحة الأخدام وهو الرائج في منطقة شام تهامة أي شمالها.

- الزار (الهشي) وهو لأقوام وشعوب غير محددة.

- الزار (القادري) نسبة للشيخ عبد القادر الجيلاني(ت 1166م).

- الزار (الرفاعي) نسبة للشيخ أحمد الرفاعي (ت 1182م).

- الزار السوداني نسبة للسودان في منطقة اللحية بشمال تهامة ويكون دوما على السلم الموسيقي الخماسي المماثل للموسيقى السودانية.

إضافة إلى زار العسيري والجبلي والتهامي والصومالي و الحبشي المسمى العسكري لمعروف بعنفه وبتحكمه بِ 12 متاري.

و يصف البريطاني اندرسون باكويل والألماني يورجين السنر أسلوب عزف الفنان عمر يوسف طرباي في طقس الزار بمدينة زبيد بانه (تطبيل ساخن مسعور تحضر فيه (السنكبة) (syncope) الموسيقية أي تأخير النبر في الإيقاع وهي صفة معروفة من صفات التطريب الإفريقي). ويذكر أن الفنان طرباي يأتي من شريحة الحدادين الوثيقة الصلة بطقس الزار في المعتقد التهامي والإفريقي لدور معدن الحديد في مقاومة الجان. ويجيد طرباي أداء آلة الطمبره في طقس زار (لمبونا). ويذكر اليوناني جراسيموس ماكريز ان(لمبونا) كانت جارية عاشت بقرب ميناء سواكن بالسودان خلال الحكم العثماني في القرن 19 م. ويكون العزف على أوتار الطمبره بقرون البقر وهي 5 أوتار من امعاء الحيوان أو النيلون. وقد يشترك الجنسان في رقص الزار في تهامة بحضور أطفالهم ويستمرون حتى ما بعد منتصف الليل.



و هذا نموذج من موسيقى الزار في تهامة:



- أغنية (واه يا جيلاني عبد القادر الجيلاني شي لله يا عبد القادر)، وهي أغنية زار (قادري) نسبة للصوفي عبد القادر الجيلاني (ت 1166 م) دون نوتتها الموسيقية الدكتور فهد الشعيبي في مدينة زبيد في تسعينات القرن 20 م على السلم الموسيقي الخماسي من درجة (الدوكاه) وبإيقاع (2 /4) وبمصاحبة آلات الطمبرة وطبل الليوا والمزمار ذي الفتحات المزدوجة الخمس أو آلة الشبابة أو الناي بست فتحات ويكون تصنيعها من البلاستيك أو الخشب أو المعدن. كما يكون عزف الآلات الهوائية على طريقة التنفس الدائري. ويقر الدكتور فهد الشعيبي التسمية التي قدمها الفرنسي كريستيان بوخه (ت 2010 م) في سبعينات القرن 20 م لأوتار آلة الطمبرة التهامية في مدينة زبيد فقط، اما في ثغر اللحية فأوتار الطمبرة عند الشعيبي تكون ستة بدلا عن الخمسة. ويحمل العازف آلة الطنبرة أمام الصدر ويؤدي العزف عليها بريشة من قرن الثور في اليد اليمنى بينما تنبر الأوتار بأصابع اليد اليسرى

من خلف الآلة. والواقع أن بعض التهاميين يؤنسنون آلة الطمبرة الموسيقية ويعتقدون أن لها قوة الاتصال بالأرواح لذا يعتنون بها. ويكون طبل المديف مايسترو على كافة الطبول وهو طبل اسطواني خشبي يوضع واقفا خشبي لينقر عليه بعصا وبالكف. ويذكر البريطاني أندرسون باكويل أن آلتي الطمبرة والمزمار تؤديان دورا وظيفيا إيقاعيا وليس ميلوديا في الزار.

توصف موسيقى الزار بأنها ذات طابع زنجي يتجلى مع مصاحبة الآلات الإيقاعية ويتناول الباحث علوان مهدي الجيلاني طقس الزار بتهامة فيقول أن الابن درويش (ت 2018م) ورث في التسعينات من القرن 20 م من ابيه مساوي ميادين بها زقارون ومزمار مع طبول مشكل ومرد وصحفة والطمبرة مع طابع الرقص الإفريقي والمريسي تعزف ل 3 أيام ويتناولون اللحم النيء ويشربون بعض الدماء من الاضاحي مع المغني شبيه المريسي . واشتهر الفنان علي إبراهيم العقيلي الذي بدأ مزارعا وبرع في زار الطنبره في ميناء اللحية وتأتي الحركة الأولى كدائرة عكس حركة الساعة وعقاربها (anticlockwise). وورث الفنان أحمد جماعي الملقب بيش ابيه الذي أخذ المهنة عنه.

يكون اللحن بين السلم الخماسي الإفريقي والجنس في الموسيقى العربية أو ما يعرف في المصطلح ب التترا كورد. وتكون نصوص غناء الزار بكلمات عربية غير مكتملة المعاني وضعيفة مفككة. ويلعب الإيقاع والأداء الحركي دورا مركزيا في الزار إلى جانب ما يرافق الطقس من استخدام للروائح النافذة والملابس الخاصة والذبائح المطلوبة وطقوس أخرى كي تتمكن المعالجة أو المعالج من تحقيق الوفاق بين المريض و الروح الزائرة.

الزار في عدن

يصف حمزة علي لقمان (ت 1995م) حفلات الزار في مدينة عدن (أحياء كريتر والشيخ عثمان والبريقة) في ثلاثينات القرن 20م بأنها: (حفلات يدور فيها الرقص والغناء على دقات الطبول الصاخبة ويقوم المريض بالرقص العنيف). وتقسم أرواح الزيران حسب بلد الأصل والدين والعرق وتكمن الفروق في الملابس المتباينة والايماءات والسلوك والمجوهرات والأقمشة



والهدايا والرقص والغناء المصاحب. والملاحظ ان لكل واحد من أرواح الزار زيه الخاص وعلى المريضة ان تحافظ على هذا الزي وان تحضره معها وتلبسه في كل حفلة من حفلات الزار. وتلبس بعض النسوة كتقليد مثل العصابة على الرأس مصنوعة من قماش حرير مطرز وخاتم مطعم بفص احمر. وكانت نسوة افارقة يؤدونه بأهازيج سواحلية وأرومية وصومالية وهررية مثل الفنانة امون إبراهيم وامنة علي و زينب عبد الله وعطية حسن. وأسمت البريطانية دورين انجرامز(ت 1997 م) أرواح الزار في عدن ب(أولاد الماما). وهناك صورة فوتوغرافية لدناكل في عدن يؤدون طقس الزار مستخدمين آلة طنبره وآلة منجور تعود للعام 1856م، وكانت نساء الدناكل معروفات باشتغالهم بكشف الطالع وإظهار المسروقات. ويذكر البريطاني روبرت برترام سارجنت (ت 1993م) ان المرأة في عدن إذا أتاها الزار مرارا وكان بينهم الزار (الحبشي) قيل عنها أنها صاحبة (الاسم) وهذا يفيد الخبرة والأسبقية. وفي كتابه (أستاذ المرأة) عام 1949م يدين الشيخ محمد بن سالم بن حسين البيحاني الكدادي (ت 1972م) الشعوذة والمحرمات المرافقة لطقس الزار.

وعندما يمرض شخص، فإنه يذهب أو تذهب إلى (العارف) وهو شخص قادر على اكتشاف سبب المرض، في شعيرة تدعى (الاسم) يضحى فيها بكبش ويؤكل ويتم تحديد شخص ليقود طقوس الزار. ويحضر عدد من المناصب والمنصوبات، وعندما يتم اكتشاف الروح، يُنصح المريض بما يجب القيام به، كالامتناع عن الطعام، والامتناع عن تداول أو طبخ بعض الأطعمة وأن يحافظ على النظافة ويستعمل عطورا معينة ويمتنع عن الجماع في أوقات محددة وأن يحضر كل اجتماعات الزار.

حينها يكون المريض أحد ال«مزورات» (أو المزورين) ويحق له الرقص في الشعائر. و يعاقب المزور من قبل الروح بالمرض أو الجنون أمام الجميع إذا ارتكب خطيئة.

ويذكر البريطاني اوليفر مايرز (ت 1966م) أن النظام الأرواحي للزار في مدينة البريقة في عدن في منتصف أربعينات القرن 20 م كان يقوم على التسلسل التالي من أعلى إلى أسفل:-



- الولي
- منصب أو شيخ
- مجذوب أو جن

ثم منصب ثم علقات ثم مزورات ، والمجاذيب يكونون علقات (رأس) ومزورات. ويكون للولي خدامه من الجان وبدورهم يكون لهم خدمهم من الشياطين. ويكون لكل جني حجر يستخدم مذبحا للقربان عند زيارته.

يقع قبر الولي الرئيس في البريقة ويعرف ب(ولي الغدير) في الطرف المقابل من خليج البريقة قرب جبل إحسان. ويحتوي المبنى المربع ذو القبة المقوسة على مصلى كحجرة صغيرة على الجنوب. أما القبر نفسه فيحتوي قبر الولي أحمد بن أحمد الزيلعي (ولي اللحية) وابنه. وفي وقت الزيارة التي تستمر يومين وليلتين وتكون دائما في شهر شعبان كانت السمة الرئيسة للاحتفال هي موكب الراقصين المجاذيب من شريحة الحجور الصبيان المصحوب بالرقص والعزف بالخناجر والذي ينتهي بدخول الموكب إلى الضريح برفقة كل من يستطيع التزاحم للدخول وفي الاحتفال يتم الرقص بالخنجر مرتين، كلاهما على قطاع بري صغير في الجرف فيجرح الراقصون المجاذيب الحجور الصبيان أجسادهم وألسنتهم بسكاكين، ويرقد أحدهم على الأرض بينما يطعنه الآخرون حتى يحاكي الموت !

وتقول القصة أن ولي عدن أبو بكر العيدروس (ت 1508 م) أصطحب ولي الغدير(أحمد بن أحمد الزيلعي) من أبيه (أحمد الزيلعي) الولي في بلدة اللحية بتهامة إلى عدن ومكن له في البريقة قبل أن تعرف بهذا الاسم وكان الابن صاحب كرامات صوفية كما أنجب ولدا صالحا هو المدفون إلى جوار أبيه في الضريح. الضبّاط جن أسماؤهم: الجرف أو أبو قيامة جبل بركاني أسود أعلاه قلعة قديمة تصل إليها عبر درج حجرية كثيرة وفي سفحه الشرقي ساحل صغير صخري لا يصلح للسباحة لكن يصلح للجلوس والتمتع بالمنظر وهنا يوجد قبر الولي أحمد الزيلعي وابنه. وفي يوم زيارة ولي الغدير يجتمع المناصب والمنصوبات للاحتفال، وبعد وصلة من الرقص، بإمكان هؤلاء نداء أي روح من

الأرواح كأن يتمنوا زيادة محصول الأسماك، والتي بدورها يمكن ان تتلبّس أي امرأة حاضرة،مما من بين المشاركين أو من المنصوبات. ويتم رمي القرابين للرياح الأربع في طقس يسمى التَنفيح.

و من أنواع الزار في عدن:-

- (الخبتي). تصاحب رقصاته حركة طعن بخنجر الجنبية وتسمى الحركة (الجذبة) وكثيرا ما يصاحبها اكل للجمر من قبل المجاذيب. ويسمى طبل هؤلاء المجاذيب (السامر).

- (الحبشي الحسيني) نسبة إلى الشيخ حسين في منطقة الصبيحة.

- (القيومة) بالقرب من بلدة بير أحمد وهي شيخه ومعالجة زار.

- امنواب (النائبة) وهي شيخة أو جنية قرب بلدة الدريمية ومنصوبتها معالجة زار بارعة.

- الشيخ (فرج) صاحب العبيد وضريحه داخل منزله بالشيخ عثمان حيث تحمل إليه آلة الطنبرة سنويا في شهر رجب من الراقصين العبيد.

- (الحجرة) وهي جنية تنتمي إلي حجور ولمنصبها حجر الحجرة وهو مذبح قرب جبل الكسارة المسمى الجبل الأخضر.

- (المعجز) في جبل إحسان وهي جنية لها منصوبتها الشهيرة ب (الجوحلة) ولمنصوبتها زيارة في بلدة الشيخ عثمان في مزار مزين ببيارق حمراء وبيضاء وطبلة اناء يمني ويكون علاجها بالزار عبر البصق والنفث على العضو المصاب ثم التنفيح بالطعام بالجهات الاربعة. ويُحفظ البيرق في منزلها إلى جانب الطبلة الابريق، ويبقى العَلَم يرفرف على العصا. وتكون قوة الشفاء بحول الله وبحول معجز.

- احتفال زار سنوي كبير يقام في الدريمية عند وصول التمور الأولى من البَصرة و الموسم الأكثر شعبية للجميع ويستمر الاحتفال ليومين وليلتين. ويحضره أشخاص من جميع الأنحاء حينما تأخذ المنصوبة المعروفة ب (الجوحلة) التي تفتتح رقصة (التنعاش) بحركة الرقبة و بطبلة ابريق وببيرق من



اللونين الأحمر والأخضر ويذبح خروف للضيافة مع طعام وشراب للحاضرين. ويقام رقص محلي فيرقص الرجال والنساء معا وقد تمكن البريطاني اوليفر ميورز (ت 1966م) من حضور جزء من هذا الاحتفال في شهر ديسمبر من عام 1946م.

- احتفال زار ذكرته الإيطالية تزيانا باتان من وحي بحثها الميداني في اليمن للعامين 1992م و1993م خاصة في مدينة البريقة. وهي تنفرد بوصف حي لمناسبة ما زالت حية من مناسبات الزار هي حفل الزار السنوي الضخم المقام في قرية عمران الساحلية التي يقطنها الصيادون. ويكون في الأسبوع الاخير من شهر شعبان الذي يسبق شهر رمضان من كل عام هجري ويسمي (الزار العمراني) كما يسمى محليا (الزار البحري) نسبة لبلدة عمران التي يعيش فيها صائدو السمك ولهذا الحفل روحان أسطوريان أحدهما عسكري أسود ينحدر من الجند الرقيق.ويقام الحفل بغناء ورقصات وينتهي بـ «زيارة حج» إلى الجزيرتين صليل الكبرى وصليل الصغرى. فهناك نوعان من الأرواح: روح الفارس الكبير وهو ولي أبيض البشرة ويقيم في جزيرة صليل الصغرى.و روح الفارس الصغير وهو روح جن لجندي أسود ينتمي إلى جماعة العبيد العسكريين ويقيم في جزيرة صليل الكبرى. وتتم زيارتهما في الأسبوع الأخير من شهر شعبان كزيارة حج إلى الجزيرتين يشارك فيهما أهل القرية والأتباع من مدينة عدن ومحيطها ومن مناطق أخرى في اليمن رافعين البيرق الأحمر والأخضر، وهما اللونان العزيزان على كل أرواح الزار. ويلتصق الزار (البحري العمراني) برقصة (الركلة) في بلدة عمران بساحل البريقة التي يعيش سكانها على صيد الأسماك. وقد طرأ تحديث في رقصة الركلة التقليدية في عدن حينما أخذ فنان حديث هو المنولوجست الفكاهي فؤاد الشريف (ت 2020م) بالبناء عليها فكانت أغنيته (يا أهل امبريقه هبت تجارتكم هب المريكان قلبلكم شنجم). كما غنى الفنان فؤاد الشريف (ت 2022م) (منولوج الزار) الساخر الذي صاغه الشاعر عبد الله غالب عنتر و لحنه الفنان محمد مرشد ناجي (ت 2013م). وهناك زار عمراني بحري يسمى (عبد اللطيف ساكن البندر قال للبحر يا سالم).

و نشر البريطاني آر. سكيني عام 1917 م ما يفيد ان إيقاع (النوبي) نسبة إلى النوبة إيقاع لرقصة طنبرة الزار وانه كان قد أحضره لليمن جند سودانيون تم تجنيدهم في اليمن. ويشير الدكتور جمال السيد إلى الزار في محافظة لحج في أغنية (يا مسرع البرهان) التي تغنيها الفنانة أم مراد(ندية) وهي عازفة على الطبلة ومغنية شعبية مشهورة من قرية بيت عياض بلحج تدربت علي يد عمتها (سرورة) الأكثر خبرة بطقس الزار:-

حيّا بكـم حيّـا * حيّا بمن جـانا بالعطر والريحـان * يا مَسْرَع البرهـان

يا سيـدنا إلياس * لَ أنته صليب الرأس سلّي على الكربان * يا مَسْرَع البرهـان

(الزار) يبأ عقـدة * ومقرمـة شينه لو هو من الشجعان * يا مَسْرَع البرهان

المصطكى جبته * ما عاد قصّـرته لي هو بخور الدار * يا مَسْرَع البرهـان

وفي الفترة 1923-1932م شهدت مستعمرة عدن جدلا كبيرا هو معركة قانونية بين الطبقة المتوسطة وشيخات طقس الزار وعقال وسناجك طقس الطنبره وكان للمعركة أبعادها الدينية والإدارية والتجارية. قادها الشخصية الدينية قاضي عدن محمود داؤود البطاح (ت 1982م) والأستاذ محمد علي لقمان (ت 1966م) والأستاذ أحمد محمد سعيد الأصنج (ت 1974م) والأستاذ محمد عبد القادر مكاوي والأستاذ سعيد عبد الله خليفة وعبد الله بن أحمد الراضي ممثل امام صنعاء بعدن والشيخ أحمد الهتاري من منطقة التواهي، وعدد من رجال الأعمال كبازرعة والصافي ومن ضباط الشرطة والإداريين ثم لاحقا انضم لهم منصب عدن عبد الله العيدروس، إضافة ل 54 هندي وصومالي وعربي اعتبروه فعل غير ديني لنسوة عدن وبه استغلال مادي وايهام بالشفاء. وكان رجالات نادي الأدب العربي بعدن قد اطلقوا التماسا للسلطة بمنع طقس الزار لخطورته على نساء المدينة وكذا حظر حفلات الطنبره لما تمثله من إزعاج ومخالفة لمجمل الثقافة المحلية العدنية العربية الإسلامية، وطلبوا ترحيل من لا إقامة شرعية له ولا أملاك من شيخات الزار (العلقات) الحبشيات والإفريقيات وشيوخ الطنبره. وقدم المحامي محمد علي لقمان (ت 1966م) في اتهامه ان مجتمع عدن المسلم يتضرر من التجاوزات اللاأخلاقية التي تتم داخل حفلات الزار والطنبره.

إن وثائق الأرشيف البريطاني (1924 – 1932م) لمستعمرة عدن حكت بالتفصيل الصراع بين المشتغلات والمشتغلين بالزار والطنبره فكان ان غادر أهل الصنعة عدنا إلى منطقة دار سعد وباقي بلاد لحج ليمارسوا أعمالهم هناك خارج حدود مستعمرة عدن وان كانت لا تبعد عنها سوى 24 ميلا.

وبالفعل قامت السلطة البريطانية بتعليق ثم منع نشاط شيخات الزار (علقة – باكوته) بينما استمرت بالسماح لشيوخ الطنبره (عقال الجبرت) وعازفي آلة الطنبره (السناجك) بالقيام بحفلاتهم الموسيقية شريطة الحصول على رخصة رسمية تتطلب اللعب أسبوعيا حتى 10 مساء فقط امام منزل الطنبره في فرقة معينة ودون التسبب في عراك أو صدامات. وثبت بالوثائق ان عددا من نساء شريحة الأخدام كن يشاركن في هذي الحفلات أيام السبت مما اثار استياء قاضي عدن محمود داؤود البطاح (ت 1982م).

وقد قاوم أهل الصنعة في هذه الرقصات هذه الدعاوى واعتبروا الزار وسيلة إفريقية لتمضية الوقت لا يتعارض مع الإسلام ويأتي حفظا للسلام عبر ايجاد دخل للفقراء. مثلا في عام 1924م كان من المنافحين عن الزار امون بنت إبراهيم وأمنة علي وزينب عبد الله وعطية حسن وأمون حسن وفاطمة محمد هررية وسعيد بنده ورجل بياسين وسعيد عبو وخميس بيروت ومحمد سعيد. ودفعوا في الوثيقة رقم 1 بتاريخ 1924م بأصالة رقصة طنبره وأنها كانت قديما في سلطنة العبدلي التي كانت عدن جزءا منها قبل وصول المستعمر البريطاني في عام 1839م. وذكروا في الوثيقة رقم 2 بتاريخ 4 سبتمبر 1932 م ان استخدام الطبول رائج في مدن زبيد والحديدة في تهامة اليمن ونفوا ان تكون لهم صلة بشريحة الأخدام المنبوذة. وقد عرفت هذه المجاميع السوداء عند المستعمرين البريطانيين بالسودانتا (sudanta) المتحدرين من رقيق البحر الأحمر وكانت أهازيجهن مزيجا من السواحلية والارومية والهررية والصومالية.

و تساءلت شيخات الزار عن السبب في التساهل مع المشتغلين على:-

- الزار النسائي السليماني المستمر قائلات: (نحن أيضا يمكن أن نؤديه صباحا وضمن نظام البردة داخل المنزل وقد مارسناه من 62 عامًا)؟



- زار الهنود (جمت) المؤدى بصوت منحفض للنساء في البيوت بطبول صغيرة كحفلة خاصة لأتباع الشيخ عبد القادر الجيلاني (ت 6611م)؟

- ولماذا حابيتم رجال الطنبره ومنطقة لحج فالقانون لا يمنع الحفل الموسيقي داخل المنازل الخاصة ؟

و تقدم كل من عبد الرحمن قاضي في 1924 م وشيخ عبد الله بن محمد في 1925 م كعازفي زار يطلبان السماح بعودة ممارسة الزار. ويفهم من الوثيقة رقم 3 بتاريخ 13 سبتمبر 1932م ان أصول المشتغلين من الحبشة وسواحل شرق إفريقيا وان جل ما يفعلوه هو الضرب على الدفوف والتصفيق بالأيدي. وتلتها الوثيقة رقم 4 بتاريخ 17 ديسمبر 1932م. وقد تلى كل هذا قرار للسلطة البريطانية المستعمرة بالمنع الرسمي لطقس الزار بعد عقد من دوران رحى هذه المعارك القضائية المثيرة التي انتهت بخسارة شيخات الزار لحقهن في إقامة هذه الطقوس والتكسب بها حيث انتصرت إرادة خصومهن الذين كالوا لهن تهما مختلفة من ضمنها إزعاج الجيران بأنغام الطنبور وما أسموه بأغنيات التم تم (tom-tom).



*****

قائمة المراجع والمصادر

مصادر أولية وثانوية

كتب:

- أحمد الشرجي الزبيدي (ت 1488م)، طبقات الخواص، القاهرة، 1903م
- أحمد الواصل، الفنون المهاجرة في استعادة المعمورة الثقافية وموسيقاها، كتاب مجلة الفيصل، عدد 489 و490، الرياض
- أحمد ضياء بن علي بن شهاب، عادات بادت بحث تاريخي لعادات قديمة ذهبت خاصة في منطقة تريم من حضرموت اليمن، تريم للنشر والتوزيـع، 2004م
- أحمد عبد الله فضل، عدن في كتابات الرحالة الألماني مالتزان، في: عدن في أدبيات الرحالة وكتابات المستشرقين، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر،2019م
- أحمد فضل العبدلي (ت 1943م)، هدية الزمن في أخبار لحج وعدن، تحقيق ابو حسان خالد ابا زيد الاذرعي، صنعاء، عن طبعة القاهرة 1932م
- أحمد فضل القمندان (ت 1943م)، تاريخ حياتي، غير منشور
- أحمد محمد سعيد الأصنج (ت 1974م)، نصيب عدن من الحركة الفكرية، دار الشورى، القاهرة، 1934م
- آدم يحي أحمد، تهاميات أوراق من الموروث الشعبي، صنعاء، 2005م
- اديب قاسم، ادب الأطفال: دراسة في أصل الظاهرات الشعرية الغنائية عند الأطفال العرب، دار الشرعبي للطباعة والنشر، صنعاء، 1994م
- إسماعيل بن محمد الوشلي (ت1936م)، نشر الثناء الحسن على بعض ارباب الفضل والكمال من أهل اليمن وذكر الحوادث الواقعة في هذا الزمن، تحقيق: إبراهيم أحمد المقحفي، مكتبة الارشاد، صنعاء
- اسمهان عقلان العلس، الموروث الثقافي للمرأة العدنية، 2010م



- أوليفر مايرز(ت 1966م)، فلكلور عدن الصغرى تقرير استخباراتي بريطاني يوثق لبقايا الوثنية في عدن منتصف القرن العشرين، ترجمة وتعليق محمد عطبوش، دار عناوين، القاهرة، 2023م

- برترام توماس(ت 1950م)، العربية السعيدة عبور الربع الخالي من الجزيرة العربية، تعريب وتحقيق: صبري محمد حسن، القاهرة، 2018 م

- جيمس ثيودوربنت (ت 1897م) ومابل بنت (ت 1929م)، حضرموت 1893 -1894م، تعريب: محمد حسين الجحوشي، 2019م

- جاسم محمد بن حربان، من التراث الشعبي الزار، وزارة الإعلام، مملكة البحرين، 2005م

- جعفر ظفاري (ت 2009م)، عرف الخزامى دراسات في التاريخ اليمني، جامعة عدن، 2008م

- جعفر محمد السقاف، لمحات عن الأغاني والرقصات الشعبية في محافظة حضرموت، دار الفارابي، بيروت، 1983م

- حسن محمد علي زغبي، أسلوب أحمد فتحي في صياغة أعماله الموسيقية، ماجستير، كلية التربية الموسيقية، جامعة حلوان، مصر، 2019م

- حسين سالم باصديق(ت 1996م)، في التراث الشعبي اليمني، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1990م

- حسين عبد الله العمري، الأمراء العبيد والمماليك في اليمن بحث تاريخي مقارن بين الشرق والغرب حتى القرن العشرين، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1989م

- حكاية أغنية صبوحة خطبها نصيب تاريخ من التطوير للحن والكلمة، الموقع بوست، 4 ديسمبر 2021م

- حمزة علي إبراهيم لقمان(ت 1995م)، أساطير من تاريخ اليمن، بيروت، 1988م

- حمزة علي إبراهيم لقمان(ت 1995م)، خواطر من صميم الواقع، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن، مطلع أربعينات القرن 20 م



- خالد الأهدل، الشعر الشعبي اليمني في تهامة، 2006م

- دانيال فإن در ميولين (ت 1989م) وه. فون هيسمان، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، تعريب: محمد سعيد القدال، جامعة عدن، عدن، 1998م

- داود سالم بازي، مظاهر الحياة الاجتماعية في مجتمع زبيد من المهد إلى اللحد، منتدى الحديدة للعدالة والسلم، 2020م

- دورين انجرامز (ت 1997م)، أيامي في الجزيرة العربية، تعريب: نجيب سعيد باوزير، دار الصالحية، حضرموت، 2014م. عن الطبعة الإنجليزية 1970م

- رزق سعد الله الجابري، الحضارم في شرق إفريقيا، دار حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، 2011م

- رنزو مانزوني (ت 1918م)، اليمن رحلة إلى صنعاء 1877-1878م،تعريب: الصندوق الاجتماعي للتنمية، صنعاء، 2011م

- سامي محمد بن شيخان، نفحات وعبير من تاريخ غيل باوزير، 2005م

- سرجيس فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده قرن 4 -12م، تعريب: عبد العزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2004م

- سعيد عمر فرحان (ت 2011م)، الازياء والإيقاعات والآلات الشعبية في أمثالنا وأشعارنا الشعبية، غير منشور

- شوقي عبد القوي عثمان، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (661-1498م)، سلسلة عالم المعرفة، عدد 151، الكويت، يوليو 1990م

- صادق عمر مكنون، انجرامز سلطان حضرموت غير المتوج اثر انجرامز في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية في حضرموت 1934-1944م، تريم للدراسات والنشر، 2018م



- صلاح البكري(ت 1993م)، تاريخ حضرموت السياسي، الجزء الأول، القاهرة،1936م

- طه حسين هديل، إثر النشاط البحري في تنوع التركيبة السكانية لمدينة عدن القرن الثاني عشر إلى الخامس عشر الميلادي، في: الندوة العلمية الأولى دور عدن البحري عبر التاريخ 2017م، مركز عدن للدراسات والبحوث التاريخية والنشر، دار الوفاق، عدن، 2018م

- طه حسين هديل، الحياة الاجتماعية في اليمن في عصر الدولة الرسولية 1229-1454م، جامعة عدن، عدن، 2010 م

- طه حسين هديل، الصلات العلمية بين اليمن والأقطار الإسلامية الأخرى القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، في: طه حسين، المنتقى من تاريخ اليمن الإسلامي دراسات وأبحاث، شركة دار البيروني للنشر والتوزيع، عمان، 2021م

- عادل سالم مبروك(ت 2014 م)، حوار مع نزار غانم، برنامج البث المباشر بإذاعة لحج، الحوطة، 25 نوفمبر 2007م

- عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي(ت 2007م)، زبيد والفقيه مطير، مؤسسة هائل سعيد للثقافة والعلوم، تعز، 2010م

- عبد الرحمن عبد الله الحضرمي(ت 1993 م)، تهامة في التاريخ، المركز الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2005م

- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، أهل بلال جذور الإسلام التاريخية في الحبشة، كتاب سنار عاصمة الثقافة الإسلامية، الخرطوم، 2016م

- عبد القادر أحمد قائد(ت 2023م)، القمندان والأغنية اللحجية إيقاعاتها رقصاتها مقاماتها الموسيقية دراسة تحليلية، مهرجان القمندان الثالث، لحج، فبراير - مارس 1997م

- عبد القادر أحمد قائد(ت 2023م)، نشوء وتطور الأغنية اللحجية قراءة موسيقية في نشوء وتطور الأغنية اللحجية، مكتبة خالد بن الوليد، صنعاء، 2013م



- عبد القادر محمد الصبان(ت 1999م)، عادات وتقاليد في الاحقاف، منشورات المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف، المكلا، 1980م، انظر الفصل 2 العادات والتقاليد الأعراف والفصل 3 الزواج عادات تقاليد أفراح ألعاب زواج

- عبد الله البردوني(ت 1999م)، الثقافة الشعبية تجارب وأقاويل يمنية، دار المأمون، القاهرة، 1988م

- عبد الله خادم العمري(ت 2021م)، الأدب الشعبي العربي من مهد التواصل إلى قمة الترابط والخصوصية اليمنية، 2003م

- عبد الله خادم العمري(ت 2021م)، الزيارات والأولياء في تهامة، 2004م

- عبد الله خادم العمري (ت 2021)، الشعر الشعبي المغنى في تهامة دراسة وتحليل، اشراف: جون لامبرت، المركز الفرنسي للآثار البحوث الاجتماعية، صنعاء، 2006م

- عبد الله سعيد الخدش (ت 1990م)، القرون الجليلة (ديوان)، جمع ودراسة: سعيد محمود بايونس، ضبط وتقدَّيم: سالم عبد الرب السلفي، جامعة أبين، الطبعة الثانية، 2019م

- عبد الله صالح الحداد، رجال الشحر في شرق إفريقيا من خلال أدبهم الشعبي، المكلا، 2006م

- عبد الله محمد الحبشي، الأدب اليمني عصر خروج الأتراك الأول من اليمن 1635-1879، الدار اليمنية للنشر والتوزيـع، 1986م

- عبد الله مقبل معمر الحكيمي، الزار في اليمن، في: ورشة البعد الروحي في العلاج: اسهام طقس الزار في الطب التقليدي الإفريقي، المعهد العالمي الإفريقي، جامعة الخرطوم، الخرطوم، يناير 1988م

- عبد الله هادي سبيت (ت 2007 م)، ديوان الدموع الضاحكة، دار الجنوب للطباعة والنشر، عدن، 1957م



- عبد الودود مقشر، الزرانيق ودورهم في تاريـخ اليمن الحديث دراسة تاريخية سياسية خلال الفترة الزمنية 1849-1918م، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عدن،2007م

- عبد الحميد حمام، تاريـخ الموسيقى العربية قبل الإسلام، وزارة الثقافة، عمان، 2022م

- عبد الله سعيد الجعيدي، حضرموت: قراءات في النصوص التاريـخ - الصحافة - المؤلفات، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا، 2021م

- عبد الله سعيد الجعيدي، الاوضاع الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية في حضرموت 1918-1945م، 2010م

- عبد الله مقبل معمر الحكيمي، الزار كأحد الأساليب العلاجية التقليدية في المجتمع اليمني، في كتاب: المؤتمر الرابع العربي للطب النفسي في صنعاء، صنعاء، ديسمبر 1989م

- عبده بدوي (ت 2005م)، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1988م

- عبده علي عثمان(ت 2020م)، الصلات الثقافية بين اليمن والمستوطنات الحضرية في شرق إفريقيا، في: ندوة التحركات البشرية والهجرات اليمانية إلى الشام وشرق وشمال إفريقيا قبل ظهور الإسلام وبعد ظهوره، المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، الرباط، 2005م

- عبده هارون، الدر النضيد في تحديد معالم وآثار مدينة زبيد، صنعاء، 2004م

- عثمان محمد عبد الله، الجالية الصومالية بعدن، 2014م

- عصام الدنمي، أساطير البر في عدن بين قصص الجن وكرامات الأولياء، معهد الشارقة للتراث، الشارقة، 2022م



- علوي بن طاهر الحداد(1962م)، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، الجزء الثالث، تحقيق: محمد يسلم عبد النور، 2016م، عن طبعة سنغافورة 1940م

- على بر غانم، عروبة سقطرى حجرًا وشجرًا وبشرًا منذ القدم، وزارة الثقافة، صنعاء، 2011م

- علي بن حسن العطاس (ت 1758م)، قلائد الحسان وفرائد اللسان، الجزء الثاني، تحقيق: أحمد بن عمر العطاس، د.ت

- علي سالم اليزيدي، أميرات المكلا صفحات منسية عن قصة حياتهن وأول تمرد ضد القصر، المكلا،2019م

- علي سالم سعيد بكير باغيثان، رجال وكتب، دار حضرموت للطباعة والنشر، المكلا،2002م

- علي محمد المحمدي وياسمين ابو القصب الشلال، الرقصات الشعبية اليمنية، الجزء 1، وزارة الثقافة، صنعاء، 2015م

- علي ناصر محمد، الطريق إلى عدن، دار المدى، 2019م

- عمر علي باسلمة، علي سعيد علي ذلك الرجل الذي عرفته خواطر، د.ت.

- فريا ستارك (ت 1993م)، البوابات الجنوبية لجزيرة العرب رحلة إلى حضرموت عام 1934، تعريب: وفاء الذهبي، تحقيق: أحمد ايبش، المجمع الثقافي، ابوظبي، 2013م

- فلاديمير مير شنيروف، مشاهدات وانطباعات البعثة السينمائية السوفيتية الألمانية لليمن 1929م، تعريب: سعيد الدبعي، جامعة عدن،2010م

- فهد محمد الشعيبي، آلات الموسيقى الشعبية واستخداماتها في اليمن، ماجستير، المعهد العالي للموسيقى العربية، القاهرة، 1995م

- فهد محمد الشعيبي، الأغنية الشعبية بمنطقة تهامة بمحافظة الحديدة باليمن، دكتوراه، المعهد العالي للموسيقى العربية، القاهرة، 2001م



- فهد محمد الشعيبي، الآلات الموسيقية المستخدمة في مصاحبة الغناء الشعبي بمنطقة تهامة، في: الندوة العلمية الأولى للموسيقى اليمنية، صنعاء، 27-29 يوليو 1997م

- فهد محمد الشعيبي، معجم مصطلحات الموسيقى الشعبية اليمنية، 2009م

- كرامة مبارك بامؤمن، الفكر والمجتمع في حضرموت، صنعاء، 2006م

- لوديفيك وليم كريستيان فإن دن بيرخ (ت 1927م)، حضرموت والمستوطنات العربية في الأرخبيل الهندي 1886م، تعريب: مسعود سعيد عمشوش، عدن،2019م.

- ليو هرش (ت 1945م)، رحلات إلى جنوب البلاد العربية وبلاد المهرة وحضرموت، ترجمة عبد الكريم الجلاصي، الشارقة، 2018م

- مبارك سالمين، الليوا والطنبره في عدن، في: أوراق فلكلوريات عدن، إصدارات بيت الموروث الشعبي 4،صنعاء، 8-9 سبتمبر 2007م

- مجموعة مؤلفين، حضرموت فصول من التاريخ والنقوش والديانة، تعريب: خالد عوض بن مخاشن،2020م

- مجموعة مؤلفين، العرب والقرن الإفريقي جدلية الجوار والانتماء، تحرير: النور حمد وعبد الله الفكي البشير وعبد الوهاب القصاب، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2013م

- محمد بركات، توظيف التراث الموسيقي الشعبي اليمني في تعليم العزف على آلة العود للمبتدئين، دكتوراه، أكاديمية الفنون، القاهرة، 2007 م

- محمد بلعيد، النشاط البحري وأثره في عدد من الظواهر الاجتماعية في عدن القرن العاشر حتى مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، في: محمد بلعيد، المرفأ المأنوس في تاريخ ثغر عدن المحروس دراسات في تاريخ عدن الإسلامي، مكتبة الوراق، عدن، 2021م



- محمد بن هاشم (ت 1960م)، رحلة السلطان عمر بن عوض القعيطي رحلة إلى الثغرين الشحر والمكلا مشاهدات ومناظر اجتماع وسياسة وتاريخ وفكاهة، مطبعة حجازي، 1931م

- محمد بن هاوي باوزير، الصلات الحضارية بين العربية الجنوبية والقرن الإفريقي قبل الإسلام دراسة من خلال المعطيات الأثرية والنقشية والمدونات التاريخية، المؤتمر الأول الدولي العرب في إفريقيا قبل الإسلام، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء ومركز الحصن للدراسات والبحوث، أبوظبي والرباط،2015م

- محمد سالم بيحاني (ت 1972م)، أستاذ المرأة، 1949م

- محمد سالم شجاب، علي بن مهدي ومأساة الأخدام في المجتمع اليمني، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2004م

- محمد سبأ، أفريقانية المرأة في المناطق الساحلية من اليمن، المؤتمر العلمي الدولي الثالث بعنوان الفن الإفريقي أيقونة الإبداع الإنساني، اصدارات أكاديمية الفنون، القاهرة، ٢٠٢١ م

- محمد سبأ، اليمن وإفريقيا جسور التواصل الثقافي والفني، المؤتمر العلمي الدولي الثاني بعنوان المرأة - الإفريقية ايقونة القارة السمراء، إصدارات أكاديمية الفنون، القاهرة، ٢٠٢٠ م

- محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م)، الإقطاعيون كانوا هنا، دار الهمداني، عدن،1985م

- محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م)، الشهداء السبعة، دار الهمداني، عدن، 1980م

- محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م)، مسرحية حرب الإرادي أو النصر لنا، حضرموت، د.ت

- محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م)، المعلم عبد الحق الشاعر الشعبي الأول، دار الهمداني، عدن، 1983م

- محمد عبد القادر بامطرف (ت 1988م)، في سبيل الحكم، دار الهمداني، عدن، 1983م

- محمد علوي عبد الرحمن باهارون، الحكيم اليمني الشاعر الحميد بن منصور الفلاح والملاح، غير منشور

- محمد علي الشهاري، اليمن في ظل حكم الإمام المهدي صاحب المواهب 1686 -1718م، جامعة صنعاء، 2006م

- محمد علي عطبوش، أساطير الحدادين العرب، والشيطانة اليمنية (البدة)، غير منشور

- محمد علي لقمان (ت 1966م)، عدن تطلب الحكم الذاتي، مطبعة فتاة الجزيرة، عدن،1954م

- محمد عوض محروس، حضرموت والجوار القبلي التحالف والمواجهة، 2012م

- مسعود عمشوش، لهجة حضرموت في كتابات كارلو دي لاندبرج، عدن، 2020م

- مطهر الإرياني (ت 2016 م)، المعجم اليمني في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية، مؤسسة الميثاق للطباعة والنشر، 2012م

- نادر كاظم، تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م

- ناصر صالح يسلم حبتور، اليزنيون موطنهم ودورهم في تاريخ اليمن القديم، جامعة عدن، 2002م

- نجيب عبد الرحمن شميري (ت 2019م)، الأقليات العرقية في عدن القوانين المحاكم العادات 1839-1967م، صنعاء، 2012م

- نعمان عبد الله الحكمي، فئة الأخدام في اليمن دراسة شاملة عن الأخدام في اليمن تسميتهم وأصولهم توزيعهم السكاني أوضاعهم ومشكلاتهم البرامج المقترحة لدمجهم في المجتمع، تعز، د.ت.



- هارولد انجرامز (ت 1973م)، حضرموت تقرير حول الحالة في حضرموت سياسيا اجتماعيا اقتصاديا 1934-1935م، تعريب: سعيد عبد الخير النوبان، جامعة عدن، عدن، 2001م

- هانز هليفريتس (ت 1995م)، قادني الفضول حول العالم رحلة موسيقية مصورة لاقتفاء الأثر، معهد الآثار الألماني، صنعاء، 2007م

- هناء عبد الكريم، الجاليات في عدن، عدن، 2008م

- يحي محمد جحاف (ت 2022م)، العادات والتقاليد في محافظة حجة، مركز عدن للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2014م

- يوسف فضل حسن، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الإفريقية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1985م.

دوريات

- إدريس أحمد حنبلة (ت 1991م)، حركة الطنبرة في الشيخ عثمان، صحيفة الشباب، عدد 67، عدن، 10 مارس 1951م

- ادم بمبا، الثقافة الإفريقية مؤثرات واتجاهات، قراءآت ثقافية، عدد 26، ابريل 2018م

- اديب قاسم، مجلة الفنون،عدن، فبراير 1984م

- بدر الدين عبد الرزاق، الطمبرة كشكل من أشكال العلاج التقليدي الشعبي في السودان، مجلة دراسات يمنية، صنعاء، اكتوبر- ديسمبر 1990 م

- جابر علي أحمد، إيقاعات شعبية في رحاب تجديد الغناء في اليمن، مجلة الثقافة، عدد 8، صنعاء، يوليو 2007م

- جعفر ظفاري(ت 2009م)، عقدة اللون الأسود، مجلة الثقافة الجديدة، عدن، مارس 1974م

- جعفر محمد السقاف، الأغاني والرقصات الشعبية في وادي حضرموت، مجلة الثقافة الجديدة، عدن، يناير 1974م



- جمال الدين محمد إدريس، جذور العلاقات التاريخية بين العربية الجنوبية الغربية (اليمن) والقرن الإفريقي ادلة اثرية، مجلة سبأ، عدد 14 و15،جامعة عدن، عدن، يوليو 2007م

- جمال السيد، في الحلمنتيشي والطنبره، مجلة الحكمة، عدد 177، عدن، نوفمبر 1990م

- حسين أبو بكر العيدروس، لمحات من فنون الرقص الشعبي اليمني، مجلة الموروث، عدد23، الشارقة، سبتمبر 2021م

- حوار مع قادة فرقة الليوا الشعبية بعدن محمد غانم المزماز ومبروك خميس مبروك، صحيفة الأيام، عدن، 27 يناير 2007م

- دي ارنولد وأي فاسيير، الأخدام في اليمن اصولهم وعاداتهم 1850م، تعريب: عبده علي عثمان، مجلة دراسات يمنية، عدد 1، صنعاء، سبتمبر 1978م

- سامي شرف الشهاب، تاريخ البن اليمني قراءة في الدليل الأثري والنقشي والرواية التاريخية،مجلة جامعة الملكة اروى،العدد 25، صنعاء، يوليو- ديسمبر 2020م

- سعيد عمر فرحان (ت 2011م)، الرقص في مدينة المكلا أواصر محبة، دورية الفنان، المكلا، د.ت.

- سعيد عمر فرحان (ت 2011م)، الموروث الشعبي اليمني احياؤه والحفاظ عليه، صحيفة الثقافية، تعز، مايو 1999م

- سعيد عمر فرحان (ت 2011م)، تأملات في رقصات وأهازيج وادي حجر، مجلة المكلا، عدد 4، المكلا، يوليو 2009م

- سعيد عمر فرحان(ت 2011م)، الجذور التاريخية للزوامل اليمنية، مجلة الثقافة، عدد 35، صنعاء، أبريل 2000م

- سيف علي مقبل، ضحايا الصدام السياسي وموضوع الغزو الحبشي، مجلة الحكمة، عدد 57، عدن، 1977م



- صالح مبارك عصيان، الصراع على الحكم والتسلط وأثره على الحياة العامة بحضرموت في القرن الثالث عشر الهجري، مجلة حضرموت الثقافية، عدد 20، الحلقة الأولى، المكلا، ابريل- يونيو 2021م

- صحيفة النهضة، عدن، 15 يونيو 1950م، مقال ناقد لشحاذي شريحة معن بدثينة.

- طه حسين هديل، الرق في اليمن القرن 9 -11 م، مجلة كلية الآداب، جامعة عدن، عدد 8، عدن، نوفمبر 2011م

- عبد الله أبو الغيث، الصراع الدولي وأثره على تحول تجارة، طريق اللبان صوب البحر الأحمر، مجلة القلزم العلمية للدراسات ا لتاريخية والحضارية، عدد 7، الخرطوم، يونيو2021م

- عبد الله مقبل معمر الحكيمي، جلسات الزار في تهامة، مجلة اليمن الجديد، عدد 7، صنعاء، 1988م

- عبد الرحمن عبد الله الحضرمي (ت 1993م)، ضحايا الصراع السياسي في اليمن، مجلة الحكمة، عدد 54، عدن، 1976م

- عبد الله سعيد الجعيدي، ثورة العبيد في حضرموت،مجلة دوعن، عدد 12، ديسمبر 2010م

- عبده عثمان غالب(ت 2021م) وسامي شرف الشهاب، تهامة في عصور ما قبل التاريخ وصلاتها الحضارية بشرق إفريقية، مجلة القلزم العلمية للدراسات الآثار ية والسياحية، مركز دراسات دول حوض البحر الاحمر، عدد 2، الخرطوم، يونيو 2021م

- علوان مهدي الجيلاني، طقوس الزار المرغوب والمرهوب، مجلة أقلام عربية، عدد 72، نوفمبر 2022م

- علوان مهدي الجيلاني، لم يكن زقارا كان موسيقارا، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، عدد 86، صنعاء، يناير2009م



- علوي عبد الله طاهر(ت 2020م)، جماعة الطنبرة الشعبية في عدن، مجلة المسار، عدد 17، عدن، مايو 1984م

- عمر علي باسلمة، لمحات من حياة الفنان سعيد عبد النعيم الفنية، مجلة سعاد، عدد 10، الشحر، 2011م

- عمر محفوظ باني، وتريات بلاغية، مجلة المكلا، عدد 6، المكلا، ابريل/ يونيو 2010م

- عوض أحمد حسين شبا، الأصل الأكسومي للأسرة الملكية في مملكة المقرة رؤية نقدية تحليلية، عدد 2،مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، الخرطوم، يونيو 2020م

- محمد عبد الله عميران، المعتلة آلة نقل المرضى في الماضي، مجلة التراث، عدد 14، حضرموت، يناير 2007م

- محمد عوض محروس، البحر في تراث حضرموت، مجلة افاق التراث الشعبي، عدد 2، الحلقة 2، المكلا، ديسمبر 2009م

- محمد ناصر العولقي، محضاريات، مجلة الدحيف تراث شقرة، أكتوبر 2020م

- مطهر علي الارياني (ت 2016م)، لماذا سمي المندب مندبا، مجلة الاكليل، صنعاء، يناير 2012م

- معمر الهادي القرقوطي، العلاقات التجارية بين مدينتي عدن وزيلع في العصر الإسلامي، مجلة التراث، جامعة الزاوية، عدد 11، ليبيا، يناير 2014م

- نجود عبد الله سعد ناجي، نجران في التراث السرياني منذ وصول النصرانية وحتى عشية دخول الإسلام دراسة نقدية في ضوء المصادر الموازية(419-610م)، دورية كان التاريخية، سنة 13، عدد 49، سبتمبر 2020م.

- هشام علي بن علي(ت 2019 م)، رامبو في عدن والساحل الإفريقي، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة، عدد 9، صنعاء، 1994م



- هنري مونفريد، مغامرات في عدن، في: مغامرات في البحر الأحمر، الفصل العشرون، تعريب: مسعود عمشوش، مجلة التواصل،جامعة عدن، عدد 2، عدن، يوليو 1999م

- وثائق بريطانية الرق في جنوب الجزيرة العربية، مجلة اليمن، جامعة عدن، عدد 11، عدن، مايو 2000م

- يسلم سالم حراز، فرقة الطبالة السلطانية القعيطية للأعياد والمراسيم الرسمية بمدينة شبام حضرموت، مجلة حضرموت الثقافية، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، عدد 23،المكلا، يناير - مارس 2022م

الرواة

- د. سعيد القميري،مركز اللغة المهرية للدراسات والبحوث، الغيضة.

- مقدم زيارة الميدان فايز بن خميس بن خويدم بن مقدم.

- مبروك جمعان نصيب عيسى الكثيري، مدير مكتب الآثار والمتاحف بمديرية سيحوت بمحافظة المهرة، نقلا عن خادم توفيق خيري.

- سعيد عمر فرحان (ت 2011م)، المكلا.

Discography

- Anderson Bakewell، Recordings and Texts the Yemen Tihama Trance and Dance Music from the Red Sea Coast، Topic Records Tscd، New Tracks - -،.

- Anderson Bakewell، the Afro-Arabian Crossroad Music of the Tehama on the Red Sea North Yemen، Lyrichord Llst، Jacket Notes،.

- Layith Abdulamir and Henri Lecomte. Music from the Heart of Yemen. Color، Sound (English)، Min. Production: Films Du Village. Distributor or Other Source: Films Du Village، / Rue De Prairies، Paris،.



- Paul Hughes Smith، Seven Records of African Music in Hadramaut، Al-Khaissa Ensemble، Deposited at the British Museum Library،.

Archive documents

- Aden Records in the Delhi Archives for the Year، Sab of African Side of Red Sea Extl، July، P-،.

- Aden Residency Records، India Office Library، British Library، Especially Series R//A and R //E.

- Harold Ingrams to Colonial Secretary Nairobi، Number //، October، And to Chief Secretary Dar-Es-Salaam، Number ///، February، And to the Political Secretary Aden، Number C///، March.

- Harold Ingrams، Memorandum on Slavery and the Slave Trade in the Aden Protectorate، In: Thomas to Co، Number، January.

- Harold Ingrams، Slavery and the Slave Trade in the Hadramaut، June.

- Harold Ingrams، Slaves in Hadramaut and East Aden Protectorate Summary، Number، May

- M. Awad، Slavery in South Arabia، Confidential Report & Annex، United Nations، New York، June

- Sayoun Archive، Hadhramout، Section Ii، Nos.،

- Tanzania National Archives، Dar Es Salaam، Secretariat، British Government Repatriating African Slaves from Hadramaut to Tanganyika Territory،. Governor Tanganyika to Lloyd، Confidential Co //، August.



- Transactions of the Bombay Geographical Society، Vol. VII.

- Zabid slave market drawing، Paris، Bibliothèque nationale de France، Ms. Arabe، folio.

Books and Articles

- Abdulla Bujra، the Politics of Stratification a Study of Political Change in South Arabian Town، Oxford،

- Alessandro gori، the family bonds across the sea the aqili/zaylai lineage connecting Yemen and the horn of Africa، in: Nouvelles Chroniques du manuscrit au Yemen، number، July.

- Ali Jihad Racy، In the Path of the Lyre the Tanburah of the Gulf Region، Musike ()،

- Ali Mazrui، Afrabia Africa and The Arabs in The New World Order، Ufahamu Journal of African Studies، ()،

- Amélie Chekroun. Entre Arabie et Éthiopie chrétienne: le sultan walasma ‘Sa‘d al-Dīn et ses fils: Pouvoirs chrétiens et musulmans XIe-XVe siècle، Automne.

- Anderson Bakewell، ‘Music’، In: Francine Stone (Editor)، Studies on the Tehama the Report of the Tehama Expedition and Related Papers، Longman،

- Andrew J. Eisenberg، African Music in Context Institutions Culture Identity/Ethnomusicology in East Africa Perspectives from Uganda and Beyond، Ethnomusicology Forum،

- Andrew J. Eisenberg، The Resonance of Place Vocalizing Swahili Ethnicity in Mombasa Kenya، Phd، The Graduate School of Arts and Sciences، Columbia University،

- Benjamin Reilly، Slavery Agriculture and Malaria in the Arabian Peninsula، Ohio University Press، Series in Ecology and History،

- Bradford G. Martin، Arab Migrations to East Africa in Medieval Times، The International Journal of African Historical Studies، /،.

- C. F. Beckingham، Some Notes on the History of Socotra، In: Bidwell، R. L. And Smith، G. R. (Editors)، Arabian and Islamic Studies، Articles Presented to R.B. Sergeant on His Retirement from The Sir Thomas Adam's Chair of Arabic at The University of Cambridge، London، Longman،

- Carlo De Landberg (-)، Glossaire DatîNois، Premier Volume، Leiden،

- Clifford Pereira، Nineteenth Century European References to The African Diaspora in The Arabian Peninsula، in: Uncovering the History of Africans in Asia، Shihan De Silva Jayasuriya & Jean-Pierre Angenont (Editors)، Leiden،

- Delores Walters، Perceptions of Social Inequality in the Yemen Arab Republic، Phd، New York University،

- Doreen Ingrams (D.)، A Survey of Social and Economic Conditions in the Aden Protectorate، Eritrea Government Press،

- Drusilla Dunjee Houston، Wonderful Ethiopians of the Ancient Cushite Empire Book One Nations of the Cushite Empire Marvelous Facts from Authentic Records، The Universal Publishing Company، Oklahoma City Okla USA،



- E. Vallet، "Pouvoir، commerce et marchands dans le Yémen rasulide (-)، Phd، Université Paris Panthéon-Sorbonne،

- Edward Alpers et Al، Redefining African Regions for Linking Open-Source Data، History in Africa، Volume،

- Edward Alpers، Recollecting Africa Diasporic Memory in The Indian Ocean World، African Studies Review، Volume، Number، Cambridge University Press، April

- Edward Alpers، the African Diaspora in The Northwestern Indian Ocean: Reconsideration of an Old Problem، New Directions for Research، Comparative Studies of South Asia Africa the Middle East، /،

- Edward Alpers، The Somali Community in Aden in The Nineteenth Century، Northeast African Studies، Volume، Number \، Michigan State University Press،

- Edward Harthorn، Slavery in Oman and the Southern Arabian Peninsula: Travelers› Perspectives،.

- Erich Moritz von Hornbostel & Robert Lachmann، Asiatische Parallelen Zur Berbermusik، In: Zeitschrift Für Vergleichende Musikwissenschaft Jg. Mit Notenbeispielen، Berlin،

- F Hunter، an Account of the British Settlement of Aden in Arabia، London،

- Freya Stark، A Winter in Arabia a Journey through Yemen، London،

- Gabriele Braune، Art. Yemen، In: Mgg Online، New York،

- Gabriele Braune، Küstenmusik in Südarabien Die Lieder

Und Tänze an Den Jemenitischen Küsten des Arabischen Meeres، Arabische Texte، Transkriptionen، Peter Lang، Frankfurt Am Main،

- George Hatke، Africans in Arabia Felix Aksumite Relations with Himyar in The Sixth Century CE، Phd، Princeton University، Princeton،.

- George Hatke، South Arabian Christianity a Crossroads of Late Antique Cultures، Center for Religious Studies، Ceu Budapest، November

- George Hatke، the Aksumites in South Arabia an African Diaspora of Late Antiquity، In: Johannes Preiser-Kapeller، Lucian Reinfandt and Yannis Stouraitis (Editors)، Migration Histories of the Medieval Afroeurasian Transition Zone، Brill،

- George Percival-Kaye، the Red Sea Slave Trade، the Anti-Slavery Reporter، Volume، Series VI،

- Gerasimos Makris، Changing Masters Spirit Possession and Identity Construction among Slave Descendants and Other Subordinates in the Sudan، Northwestern University Press،

- Gerasimos Makris، Creating History a Case from the Sudan، Sudanic Africa، Volume، Bergen،

- Gokh Amin Al-Shaif، Middle East Political Science Black and Yemeni Myths Genealogies and Race، University of California، Sancta Barbara

- Hans Hilfritz، Land without Shade، Kenneth Kirkness (translator)، New York،، Chapter: Music and Dance in South Arabia



- Harold Ingrams، Arabia and the Isles، London،

- Heinrich Von Maltzan (-)، Pariah Caste in Sudarabien، Foreign Countries Series، Number،

- Heinrich Von Maltzan (-)، Reise Nach Südarabien Und Geographische Forschungen Im Und Über Den Südwestlichsten Theil Arabiens، Chapter،، First edition. Visit Was in -

- Henri De Monfried (d.)، Red Sea Pearl Fishing، National Geographic Magazine، Volume، With Photographs،

- Henry De Monfried، Sea Adventures، London،

- Ho Engseng، the Graves of Tarim Genealogy and Mobility across the Indian Ocean، University of California Press،

- Huda Seif، Moralities and Outcastes Domination and Allegories of Resentment in South Yemen، Phd، Department of Anthropology، Columbia University،

- Hussein Ahmed، From Slaves to Elites the Ethiopian Muslim Diaspora in Arabia and Muslim India، Journal for Islamic Studies،،

- I.M. Lewis، the past and the present in Islam: The case of African survivals، Temenos، XIX،

- Iain Walker، Hadramis Shimalis and Muwalladin Negotiating Cosmopolitan Identities between the Swahili Coast and Southern Yemen. Journal of Eastern African Studies،

- Ismael M. Montana، Slavery in the Middle East and North Africa، In: Damian A. Pargas - Juliane Schiel (editors)، The Palgrave Handbook of Global Slavery throughout History، Palgrave Macmillan،

- J. H. kawabena Nketia، the music of Africa، Newyork،

- J. R. Wellsted Travels in Arabia، Volume، /

- Jacques Laurioz، Notes Sur Les Pratiques Relatives Aux Genies Zar En Territoires Francais des Afars ET Des Issas، Pount، Djibouti. ;،:-

- Janie Cole، the black Indian Ocean Slavery، Religion and identity (–)، th January webinar، Yale institute of sacred music symposium.

- John Lambert، Review of Studies on the Tihama Trance and Dance Music from the Red Sea Coast of Arabia by Anderson Bakewell Including Francine Stone Ethnography Article Pages - with Notes on Zar and Ziyarah، Yearbook for Traditional Music، ICTM، Volume، Jan

- John Lambert، The Afro Arab Crossroad Music of the Tehama on the Red Sea North Yemen by Anderson Bakewell، Ethnomusicology، Volume، Number، Spring – Summer

- Jonathan Miran، Ethiopia، Arabia and Red Sea Slave Trade، Published Online April

- Jonathan Miran، Mapping Space and Mobility in the Red Sea Region -، History Compass.

- Jonathan Miran، Zabid Translocal Histories between Yemen and Northeast Africa، In: th International Conference of Ethiopian Studies، Warsaw، - August



- Jonathan Ward، thoughts on “Somali Music in the -rpm era”،www.excavatedshellac.com/category/somalia،th July.

- Josef Kassel (Died)، the Quad Sail،

- Joseph Henninger، Pariastämme in Arabien، In: Joseph Henninger، Arabica Varia Aufsätze Zur Kulturgeschichte Arabiens Und Seiner Randgeschichte، Switzerland،

- Jurgen Elsner، A Wind Instrument of Its Own the Mizmar of Yemen، In Studia Instrumentorum Musicae Popularis Iii (New Series). Gisa Jähnichen (editor). Mv-Wissenschaft Münster،

- Jurgen Elsner، Ein Musikalischer Zaubergarten - Der Jemen des Hans Helfritz Ein Halbes Jahrhundert Danach،، In: Jemen Report Mitteilungen der Deutsch-Jemenitischen Gesellschaft E.V.، Jg.، Heft

- Jurgen Elsner، From the Father onto the Son: The Drummers of Yemen، In: th ICTM World Conference، Vienna Austria، - July

- Jurgen Elsner، Gabriele Braune Küstenmusik in Südarabien Die Lieder Und Tänze an Den Jemenitischen Küsten des Arabischen Meeres، Yearbook for Folk Song Research، Typoscript S،

- Jurgen Elsner، Historical Sources and Recent Musicological Findings by Fieldwork on the Musical Culture of Yemen، Wien،.-..



- Jürgen Elsner، Interregional Construction Characteristics of Yemeni Kettledrums، In: ICTM Meeting، Greece،

- Jurgen Elsner، Rhythmic Structure and Drum Improvisation in Yemen، In: Garland Encyclopedia of World Music، Volume، The Middle East، Hrg. V. V. Danielson، S. Marcus and D. Reynolds، London، Abb. Und Notenbeispiele،

- Jurgen Elsner، Tasa and Mirfa`: Two Flat-Bottomed Kettledrums of Yemen: In: Studia Instrumentorum Musicae Popularis I (New Series). Gisa Jähnichen (editor). Verlagshaus Monsenstein Und Vannerdat Ohg Münster،

- Jurgen Elsner، Wedding Music in The Hadramaut، In: Omani Traditional Music and The Arab Heritage، Isam Mellah (editor)، Publications of The Oman Centre for Traditional Music، Volume،

- K.H. Numan Et Al، Sabaeans on the Somali Coast، Arabian Archaeology and Epigraphy، Suppl.،

- Kwesi kwaa prah (editor)، reflections on arab-led slavery of Africans، the centre for advanced studies of African society (CASAS)، book series no.، Cape Town،.

- Ladislas Faragó، the Riddle of Arabia،

- Lamya Khalidi، Settlement Culture Contact and Interaction along the Red Sea Coastal Plain Yemen the Tihama Cultural Landscape in the Late Prehistoric Period - BC، Phd، University of Cambridge

- Leila Ingrams and Richard Pankhurst، Somali Migration to Aden from the th to the st Centuries، in: Uncovering the History of Africans in Asia، July



- Leila Ingrams، African Connections in Yemeni Music، Musike the International Journal of Ethnomusicological Studies، Number، Sounds of Identity، The Hague

- Lidwien Kapteijns and Jay Spaulding، Women of The Zār and Middle-Class Sensibilities in Colonial Aden -، Sudanic Africa، Volume، Bergen،

- Linda Boxberger، on the edge of empire Hadramawt Emigration and The Indian Ocean s–s، State University Of New York،

- Luca Nevola، Black People White Hearts Origin Race and Color in Contemporary Yemen، Antropologia، Volume، Number N.S.، April

- Magdalena Moorthy- Kloss، African Ancestry as A Fragile Marker of 'Otherness' in Medieval Yemen، University of Leeds، International Medieval Congress،...

- Magdalena Moorthy -Kloss، Race and the Legacy of Slavery in Yemen، Journal of History and Anthropology، Published Online January

- Magdalena Moorthy Kloss، Slavery in Medieval Arabia، in: Damian A. Pargas & Juliane Schiel (editors)، The Palgrave Handbook of Global Slavery throughout History، Palgrave Macmillan،.

- Magdalena Moorthy- Kloss، the Impact of Medieval Slavery on Racialist Discourse in Yemen.

- Magdalena Moorthy-Kloss، Race in the Medieval MENA Region، Middle East Studies، Association Annual Meeting،...، SADA، Montreal

- Magdalena Moorthy-Kloss، Slaves at the Najahid and Rasulid Courts in Yemen - and -، Phd Thesis، University of Vienna،

- Maria Bulakh & Leonid Kogan، The Arabic-Ethiopic Glossary by Al-Malik Al-Afḍal an Annotated Edition with A Linguistic Introduction and A Lexical Index، Handbook of Oriental Studies، Section The Near and Middle East، Volume، October

- Marina De Regt، From Yemen to Eritrea and Back a Twentieth Century Family History، Northeast African Studies، :، Michigan State University Press،

- Matthew S. Hopper، After Slavery: Captured Slave Ships and the Relocation of Liberated Africans to Aden، -. In: Slavery and Post-Slavery in the Arabian Peninsula At the crossroads of literature and social sciences conference، Bruxells، October

- Matthew S. Hopper، Slaves of One Master Globalization and Slavery in Arabia، In the Age of Empire، Yale University Press،

- Michael Nixon، African Music-Makers in The Indian Ocean، South African College of Music، University of Cape Town

- Michel Frishopf، Review of cd the Yemen Tihama Trance & Dance Music from the Red Sea Coast of Arabia Topic Records، Asian Music، Fall/Winter /

- Mikhail Rodionov، the Western Hadramawt: Ethnographic Field Research –،

- Mohammed Ali Lokman، Men Matters and Memories، (Editor) Ahmed Hamdani، Aden،



- Mustafa Aidarous، Borrowed Words in Hadramout a Study in Language and Cultural Communication in the Indian Ocean، In: Conference of the North West Indian Ocean as a Cultural Corridor، Stockholm University، - January

- Najwa Adra، Dance and Glance Visualizing Tribal Identity in Highland Yemen Visual Anthropology، In: Cooperation with the Commission on Visual Anthropology،: -،

- Najwa Adra، Social Exclusion Analysis in Yemen، World Bank and DFID، January

- Najwa Adra، the State of Dancing Traditions in the Arabian Peninsula، In: Conference on Music in the World of Islam. Assilah Morocco، - August

- Neil van der Linden، The Musical Diaspora from East Africa across the Arab peninsula. In: Slavery and Post-Slavery in the Arabian Peninsula At the crossroads of literature and social sciences confrence، Bruxells، October

- Oliver Myers (d.)، Little Aden Folklore، Journal of French Institute for Oriental Archeology، Bifao، Cairo،

- Omer Ali، the African Diaspora in the Indian Ocean World،

- Paul Bonnenfant، Les Descendants des Akhdâm À Zabid Pauvreté Dépendance Et Exclusion، In: B. Destremau، A. Deboulet and F. Ireton (Eds)، Dynamiques De La Pauvreté En Afrique du Nord Et Au Moyen-Orient، Paris،

- Paul Hugh-Smith، The Yemen Tihama Trance and Dance Music from The Red Sea Coast of Arabia، Song Lines، September/October

- Perry، Craig. Slavery and the Slave Trade in the Western Indian Ocean World. In The Cambridge World History of Slavery، vol.: AD –، edited by Craig Perry، David Eltis، Stanley Engerman، and David Richardson. Cambridge: Cambridge University Press،.

- R. Skene، Arab and Swahili Dances and Ceremonies، Journal of the Royal Anthropological Institute of Great Britain and Ireland،،

- Richard Pankhurst، Across the Red Sea and Gulf of Aden Ethiopia's Historic Ties with Yemen، Africa، Rome،،،

- Robert Sergeant، Prose and Poetry from Hadramawt، London،

- Robert Sergeant، Some Notes on African Slaves in Arabia، In: Workshop on Far Sea Trade of Slaves Over the Indian Ocean and Red Sea in the th Century، SOAS، London، - December، (Unpublished)

- Robert Sergeant، South Arabia and Ethiopia African Elements in The South Arabian Population، Proceedings of the rd International Conference of Ethiopian Studies، Volume، Institute of Ethiopian Studies، Haile Sellassie University، Addis Ababa، June

- Robert Sergeant، South Arabia in Commoners Climbers and Notables، A Sampler of Studies on Social Ranking in The Middle East، A.A.O Von Nieuwenhuijze، Ed،

- Robert Sergeant، Tehama Notes، Arabicus Felix Luminosus Britannicus Essays in Honor of A.F.L. Beeston on His Eightieth Birthday، Alan Jones (editor)، Reading،



- Robert Sergeant، the Ma›n Gypsies of the West Aden Protectorate، In: Anthropos، Bd، H /،

- Roger Blench، Using Diverse Sources of Evidence for Reconstructing the Prehistory of Musical Exchanges in the Indian Ocean and Their Broader Significance for Cultural Prehistory،

- Ronald Codrai، Songs in Aden and the Protectorates، In: Annals of Aden Port، Aden Port Trust، -

- Samuel Miles (D.)، Royal Geographical Society Journal، Number، & Number،

- Sayyid Hurriez، I. M. Lewis، Ahmad Al-Safi (Editors)، Women's Medicine the Bori Zar Cult in Africa and Beyond، Edinburgh،

- Scott Reese، Imperial Muslims Islam Community and Authority in the Indian Ocean -، Edinburgh،

- Serge Elie، A Post-Exotic Anthropology of Socotra a Mesography of an Indigenous Polity in Yemen، Volume I،

- Shelomo Dov Goitein، Portrait of Yemenite Weavers Village، Jewish Social Studies، Volume، Number، January

- Shihan De Silva Jayasuriya، Indian Oceanic Crossings Music of the Afro-Asian Diaspora، African Diaspora ()، University of London، November

- Sophia Pandya، Yemenis and Muwalladin in Addis Ababa Blood Purity and the Opportunities of Hybridity، Journal of Arabian Studies Arabia the Gulf and the Red Sea،، Number، June

- Suzan Miers، Britain and the Ending of the Slave Trade، Longman، London،.

- Suzan Miers، Slave Rebellion and Resistance in the Aden Protectorate in the Mid-Twentieth Century، In: Slavery and Abolition، Volume، Issue، Slavery and Resistance in Africa and Asia،

- Sykes، J. and Byl، J. (eds.) Sounding the Indian Ocean: Musical Circulations in the Afro-Asiatic Seascape. Oakland: University of California Press،.

- Tamon Baba، Notes on Migration Between Yemen and Northeast Africa During th-th Centuries، In: Ann Regourd & Nancy Um (Editors)، From Mountain to Mountain Exchange Between Yemen and Ethiopia Medieval to Modern، Chroniques Du Manuscript au Yemen، And Special Issue، -

- The Medieval Red Sea a Gathering، Aix-En-Provence Maison Méditerranéenne des Sciences De l'Homme، Tuesday، March، See () Amelie Chekroun، Rasulid Documentation for The History of the Walasma Dynasty () Zacharie Mochtari De Pierrepont، Ethiopian Scholars and Their Descendants in The Narrative Construction of Medieval Western Arabia: An Assessment (VIIe-IXe/XIIIe-Xve S (

- Thomas Vernet. Slave trade and slavery on the Swahili coast (-). B.A. Mirzai، I.M. Montana et P. Lovejoy. Slavery، Islam and Diaspora، Africa World Press،.

- Tim Carmichael، Diaspora in Yemen، in: R. S. Hamilton (Editor)، Routes of Passage Rethinking the African Diaspora، Michigan State University Press،



- Tiziana Battin، Possessione Degli Spiriti in Yemen، In: Divination Magie Pouvoirs au Yemen، (Editor) Anne Regourd، Quaderni Di Studi Arabi، Volume، Instituto Per L، Oriente، C.A. Nallino،

- Vaisali Krishna Kumar، Arab Influence and Its Impact on Indian and East African Coastlines، School of Planning and Architecture، New Delhi، May

- Wilfred Thesiger، A Journey Through the Tihama the Asir and The Hijaz Mountains، Geographical Journal،، Number /، October–December

- Will Sumits، Musical Migrations along the Maritime Silk Roads Gambus Taarab Zar، UNESCO Round Table Musical Atlas of the Silk Road، September

- Yousuf Dadoo، Linguistic and Cultural Affinities: The Case of Arabic and Ethiopian Languages،.

- Zacharie Mochtari de Pierrepont، Ethiopian Islam the Abyssinian connection? Abyssinian-related scholars in the Yemeni and Medieval Red Sea environment (th-th centuries)، Remmm Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée،، Bruxells University، October.

*****



ثانيًا: أبحاث أ. محمد سبأ

الفصل الثالث

اليمن وإفريقيا جسور التواصل الثقافي والفني

مقدمة البحث

يحتل اليمن الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية، وارتبط تطور إقليم اليمن الجغرافي الطبيعي والجيولوجي بشدة، بأقاليم شرق إفريقيا ناهيك عن قرب المسافة بين اليمن ودول شرق إفريقيا، وتكاد القارتان تلتقيان عبر مضيق باب المندب، حيث لا تتعدى المسافة بين القارتين عند المضيق، بعض الكيلومترات – كما في صورة رقم (-1-2-3) لخريطة اليمن - وتختصر هذه المسافة أيضا جزيرة (ميون) اليمنية، الوقعة في المضيق والملاحظ لتضاريس وطبيعة اليمن الجغرافية، وشرق إفريقيا، يلاحظ تشابه إلى حد يقترب من التطابق، في المناخ والأمطار والطبيعة الجغرافية فاليمن تتساقط عليها الأمطار صيفًا، كما هو حال دول شرق إفريقيا، ونتج عن هذا التشابه تفاعل طبيعي مع البيئة والتقاء في الكثير من العناصر الثقافية، ناهيك عن الهجرات التي انتقل فيها السكان من اليمن إلى إفريقيا، والعكس صحيح أيضا، وقد نقل هؤلاء المهاجرون الكثير من عناصر الثقافة الشعبية.

وقد ظلت الهجرات المتتالية بين اليمن وشرق إفريقيا، مستمرة منذ عصور موغلة في القدم، وكانت هذه الرحلات سببًا، في أول إندماج بين العنصر الإفريقي والعربي، عند أقامة السبئيين عدد من المدن التجارية في الحبشة، ثم تلاها حكم الحبشة لليمن قبل الإسلام، وهناك الكثير من الأسباب، التي أدت إلى اندماج عناصر ثقافية مشتركة، ما بين اليمن وإفريقيا، بحكم الجغرافيا وارتباط المصير.

وقد استمرت العلاقات الثقافية والفنية بين اليمن وإفريقيا في تقدم على مر العصور خاصة في فترة الفتح الإسلامي والذي كان له الأثر الكبير في إندماج عناصر الثقافة الشعبية ليس في مصر فقط بل في أغلب دول إفريقيا حيث كان اليمنيون هم رواد تعليم اللغة العربية في هذه الدول التي استوطنوها ونقلوا معهم لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومنهم من عاش وأستوطن في دول شرق

إفريقيا وفي مصر والسودان ودول المغرب العربي وليس هذا فقط فقد كانت هناك هجرات عكسية من دول إفريقيا إلى اليمن كما في فترات الحكم الفاطمي والأيوبي الذي كان مقرة في إفريقيا وشمل اليمن وعدد من الدول الإسلامية والعربية.

ولا عجب أن نجد تشابهًا كبيرًا في عادات وتقاليد ولهجات دول إفريقيا مع عادات وتقاليد ولهجات اليمن فقد كانت اليمن ودول الجزيرة العربية رائدة تعليم اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي وعلى العكس أيضًا لا غرابة أن نجد العناصر الثقافية الإفريقية أيضا في اليمن والجزيرة العربية فقد عاد الكثير من هؤلاء المهاجرين إلى بلدانهم الأم ونقلوا معم العديد من عناصر الثقافة الشعبية الإفريقية.

ولا تخلو اليمن من عائلات من أصول إفريقية استقرت في اليمن، منها على سبيل المثال الحبشي والصوملي والإرتيري والمغربي والمصري والنوبي والنوبه وقد نقلت هذه الهجرات الكثير من عناصر الثقافة الشعبية إلى اليمن ولا عجب أن نشاهد في الجانبين الكثير من التشابه في عناصر الثقافة الشعبية كالرقصات والعادات والتقاليد المشتركة وفي هذا البحث يحاول الباحث تسليط الضوء على معظم العناصر الثقافية المشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية مستعينًا بالعديد من الأمثلة والأدلة المادية والثقافية المشتركة.

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في الإجابة على التساؤلات التالية:

- هل هناك عناصر ثقافية مشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية وما أسباب انتقال هذه العناصر ؟

- هل أثرت الهجرات الإفريقية إلى اليمن على الثقافة الشعبية اليمنية وهل نقل المهاجرون اليمنيون جزءًا من ثقافتهم إلى دول القارة الإفريقية ؟

- ما هي الشواهد والأدلة الثقافية المشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية وهل ما زالت مستمرة في وقتنا الحاضر في اليمن وإفريقيا ؟



فروض البحث

- يفترض البحث ان الهجرات المتبادلة منذ القدم بين اليمن ودول القارة الإفريقية قد ساهمت في نقل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية.

- يفترض البحث أن الجغرافيا وقرب المسافة قد ساعدت بشكل كبير في نقل العناصر الثقافية بين اليمن وبعض دول القارة الإفريقية.

- يفترض البحث أن الأحداث التأريخية المختلفة على مر العصور كان لها دورًا في انتقال بعض عناصر الثقافة الشعبية بين اليمن وبعض دول إفريقيا واستمرارها إلى وقتنا الحاضر .

أهداف البحث

يهدف البحث الحالي إلى معرفة عناصر الثقافة الشعبية المشتركة بين اليمن ودول قارة إفريقيا خاصة تلك الدول التي لعبت الجغرافيا والأحداث التاريخية دورًا كبيرًا في تواصل وتداخل العناصر الثقافية ومعرفة الأسباب التي أدت إلى هذا التواصل على مر العصور كما يهدف البحث إلى تقديم معلومات عن الثقافة العربية المشتركة بين كل من الدول العربية في القارة الإفريقية والأسيوية على حد سواء.

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث في كونه يُقدِّم معلومات عن نماذج من عناصر الثقافة الشعبية اليمنية والإفريقية والتي انتقلت بين الجانبين لأسباب تأريخية أو دينية أو حوادث وكوارث طبيعية وما تلى ذلك من تداخل في ثقافة اليمن الشعبية وبعض دول إفريقيا وبالتالي يتيح معلومات للمهتمين في البحث عن أصول هذه العناصر وتوثيقها أو تنميتها ويقدم البحث معلومات للمهتمين في معرفة تفاصيل حول العلاقات الثقافية بين اليمن وقارة إفريقيا.

حدود البحث

حدود مكانية في اليمن وبعض دول القارة الإفريقية التي تربطها باليمن علاقات جغرافية أو تأريخية وحدود زمنيه في أهم الفترات والمحطات التأريخية التي أدت إلى تداخل في الثقافة والموروث الشعبي منذ القدم وحتى بداية القرن الواحد والعشرين وحدود موضوعية في العناصر الثقافية التي ما زالت مستمرة إلى وقتنا الحاضر.

مناهج البحث

يستخدم البحث كل من المنهج التاريخي من خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية بهدف الكشف عن تاريـخ أهم هذه العناصر الثقافية والفنون كما يستخدم البحث المنهج المقارن للمقارنة بين عناصر الثقافة الشعبية الينية والبعض دول القارة الإفريقية بما يخدم إيصال المعلومة.

*****

التاريخ والجغرافيا وأسباب التواصل الثقافي والفني بين اليمن ودول القارة الإفريقية

لعبت الجغرافيا وقرب المسافة بين اليمن ودول شرق إفريقيا دورًا هامًا في انتقال الكثير من عناصر الثقافة الشعبية والفنون من اليمن إلى دول القارة ألإفريقية أو العكس من دول إفريقيا إلى اليمن حيث تعتبر اليمن أقرب دولة أسيوية للقارة الإفريقية من ناحية الجنوب بالإضافة إلى وقوعها وتحكمها بأهم الطرق التجارية القديمة على مر العصور «ويرى الكثير من علماء الجيولوجيا، أن تضاريس اليمن جزءًا من القاعدة الإفريقية القديمة، وأن شبه الجزيرة العربية، انفصلت عن القارة الإفريقية، في الزمن الجيولوجي الثالث، قبل حوالي 45 مليون سنة»[1] وكانت اليمن قديمًا تصدر البخور والمر واللبان والتوابل، إلى الكثير من معابد إفريقيا، وخاصة معابد الآلهة المصرية القديمة، وقد سمى المصريون القدامى اليمن بأرض الآلهة وما زالت الكثير من الشواهد المادية موجودة في كل من المتاحف اليمنية والمصرية.

وقد وعثر في اليمن عدد من القطع والتحف المهداة من ملوك مصر إلى ملوك اليمن القديم، أشهرها معثورات جبل العود وسط اليمن وأما أشهر الشواهد الأثرية في مصر، تابوت التاجر اليمني (زيد إل) الذي كان يجلب البخور من اليمن إلى معابد الآلهة في مصر القديمة، وقد عثر على تابوته بالقرب من هرم صقارة حيث كرمة ملوك مصر بأن دفن في مقابرهم، وكتب على تابوته، بخط المسند اليمني القديم، الوظيفة التي كان يقوم بها، وهذا دليل على عمق التواصل الثقافي بين اليمن ومصر منذ أقدم العصور، كما هو دليل على كرم أبناء الحضارة المصرية وحرصهم على تسجيل الحقوق لأصحابها منذ القدم.

---

1 - شاهر جمال آغا- جغرافية اليمن – للشطر الشمالي – الطبعة الأولى - دمشق – مكتبة الأنوار بدمشق – مكتبة لطف يحيى العبالي – 1983م.

ويذكر الأستاذ مطهر الإرياني في(المعجم اليمني 1996) «قامت اليمن بدور المعبر البري، في انتقال الإنسان ما بين إفريقيا وأسيا، ولعل أول شواهد على العلاقات تعود لفترة قديمة من تاريـخ الشعبين، عندما أقام تجار من مملكة سبأ مستعمرة تجارية بشمال إثيوبيا حاليًا، ونقل هؤلاء التجار نظام الكتابة اليمنية القديمة (خط المسند) لتلك المناطق»[2].

ولم يقتصر التواصل الثقافي والفني على الجانب المادي فقط ففي ستينات القرن الماضي نشرت مجلة الفنون الشعبية في عددها الأول مقالًا بعنوان (اليمن في قصصنا الشعبي) لأحد رواد الكتابة في مصر وهو الكاتب محمد فهمي عبد اللطيف، وأورد في المقال أسباب نيل اليمن نصيب كبير في الأدب الشعبي في مصر وأورد أمثلة من الأساطير والقصص والسير الشعبية، المتداولة بين اليمن ومصر، وأشهرها أسطورة (الملاح الغريق) وسيرة سيف إبن ذي يزن وقصص الفارس الكرار والبطل المغوار ومعاذ إبن جبل وفتوح اليمن[3].

حيث تحكي أسطورة الملاح الغريق الرحلات المصرية القديمة التي كانت يبعثها ملوك مصر إلى بلد الآلهة «اليمن» والتي كانت تتكرر كل أربعة أشهر بمعدل ثلاث مرات في السنة وذلك بهدف جلب البخور والعطور ومواد التحنيط وهو ما تأكدة جداريات رحلات الملكة حتشبسوت التي وثقت رحلاتها إلى بلاد بونت الواقعة بين اليمن وإفريقيا والتي ربما يقصد بها جزيرة سقطرى الواقعة بين اليمن والقرن الإفريقي وتؤكد الكثير من الدلائل أن بلاد بونت كانت هي جنوب الجزيرة العربية اليمن وعمان والمنطقة المقابلة لها من القرن الإفريقي والصومال وهي البلدان التي تشتهر بأشجار البخور والعطور.

---

2 - عبد الوهاب العمراني – رؤية يمنية في أدب الرحلات

3 - محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – ع- الأول – س الأولى – يناير 1965م ص40





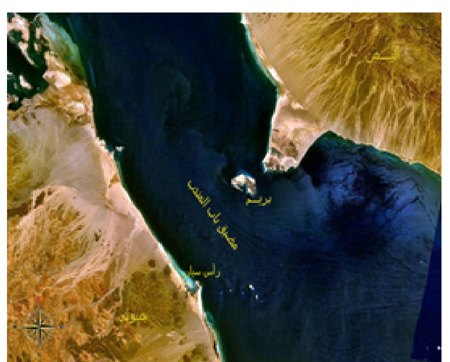
صورة رقم (1) توضح قرب موقع اليمن من إفريقيا



صورة(2) خارطة توضح موقع اليمن بالنسبة لدول إفريقيا







صورة رقم (3) خارطة توضح موقع جزيرة بريم (ميون) من مضيق باب المندب

الشواهد الأثرية المشتركة بين اليمن وإفريقيا

خلفت الحضارات القديمة الكثير من الشواهد التي تدل على عمق التواصل الفني والحضاري بين اليمن وبعض دول القارة الإفريقية وقد وجدت في اليمن العديد من القطع الأثرية والتحف الفنية التي يعود مصدرها إلى فترات التواصل مع هذه البلدان وقد حظيت الحضارة المصرية ودول شرق إفريقيا (الحبشة) بالنصيب الأكبر من هذه الشواهد والآثار ويعود ذلك إلى عدة أسباب منها:

- قرب المسافة بين اليمن ودول شرق إفريقيا خاصة الحبشة ولعبت التجارة دورًا هاما في تواصل وتقارب الفنون والثقافة على مر العصور كما حصلت الكثير من الهجرات بين اليمن وبلدان شرق وشمال إفريقيا مما أدى إلى تقارب في الكثير من عناصر الثقافة الشعبية.

- نفوذ الحبشة الذي امتد إلى خارج الجغرافيا الإفريقية في فترات تأريخية متعددة فقد أمتد حكم الأحباش إلى اليمن، واستطاعت الحبشة حكم اليمن لفترة تصل إلى خمسين عامًا في بداية القرن السادس الميلادي ويرى بعض المؤرخين أن حكم السبئيين في اليمن قد سبق ذلك وأمتد إلى بعض أجزاء بلاد الحبشة في فترات القوة والتوسع،»وورد ذكر الحبشة في العديد من النقوش اليمنية القديمة بلفظ (حبشت - أحبشم- أحبشن) كما في النقش المدون بنص

رقم (EMMAG 631) والذي يوضح أحد المعارك بين الأحباش واليمنيون في عصر الملك شعر أوتر كما جاء في شرح جواد علي حيث يوضح أن كاتب النص هو قطبان أوكان من بني جرت أحد قواد الملك شعر أوتر ملك سبأ وذور ريدان[4].

وقد جدت العديد من الشواهد الأثرية في بلاد الحبشة أثيوبيا حاليًا تَلقَّب فيها ملوك الحبشة بألقاب ملوك اليمن، ويرى البعض أن هذه النقوش تدل على امتداد حكم اليمن إلى بلاد الحبشة مؤكدين ذلك ببعض النصوص التي أوردت بطولات ملوك اليمن خارج الجزيرة العربية «حيث عثر على نصوص تعود إلى القرن الرابع الميلادي 317م تَلقَّب فيها ملوك الحبشة بلقب ملك أكسوم وحمير، ويرى بعض الباحثين أن تسمية الملك الأكسومي بتلك الألقاب إنما جاءت على اعتبار وقوع بلاد العرب الجنوبية في عهدة ضمن نفوذ الدولة الحبشية وبذلك أصبحت بلاد العرب الجنوبية تابعة لحكومة أكسوم»[5].

ويذهب بعض الباحثين أسباب سيطرة الأحباش على اليمن آنذاك إلى هدف ديني وهو نشر الديانة المسيحية في شبه الجزيرة العربية والذي ما زالت أثارها وكنائسها قائمة إلى وقتنا الحاضر في اليمن مثل القداس والكعبة التي بناها أبرهة الحبشي في اليمن « ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى ما ذكره (بأفقيه) حول إرجاع نص رقم (28) من مجموعة الكهالي والذي يرجع تاريخ تدوينة إلى تلك الفترة والذي يتحدث عن علاقات سلمية مع حكومة أكسوم في ذلك العهد»[6].

4- عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبة الجزيرة العربية والحبشة – من القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشي في اليمن – رسالة ماجستير- في التاريخ القديم – جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات لإسلامية – قسم الدراسات التاريخية والحضارية ص84و85

5- نفس المرجع السابق – العلاقات بين بين شبه الجزيرة العربية والحبشة- ص 132

6- مرجع سابق -عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبة الجزيرة العربية والحبشة- ص134

«وقد أكدت اكتشافات البعثة الألمانية سنة (1905) في حفرياتها قرب أكسوم مجموعة كبيرة من الآثار هي عبارة عن عدد من الأعمدة والمسلاّت ذات الطابع السبئي. وفي الفترة بين عامي (1953-1954) اكتشفت في (أزبي ديرا) -أقصى شرق هضبة تتجري على تمثال حجري لملك يرتدي رداءً ثمينًا مزينًا، وهو جالس على كرسي، وعند قدم التمثال كتابة بالسبئية. كما اكتشف في مدينة (أفا/ تحا) (avA) معبد للإله شمس السبئي، كما دلت المعالم المعمارية والصناعات الفنية على تمازج الثقافة السبئية في الحبشة.

كما اكتشف معبد للإله القمر «سين» وهو الإله الذي سنجده عند كل الحضارات في المنطقة العروبية، والمُلاحِظ لما خلَّفته الحضارة اليمنية وحضارات دول شرق إفريقيا وخاصة الحبشة سيجد تشابهًا كبيرًا في نمط العمارة والبناء بالأحجار وفي طريقة التصميم للمعابد والمباني كما تتشابه الكتابات والنقوش حيث وجدت الكثير من النقوش بخط المسند اليمني في أثيوبيا وليس في أثيوبيا فقط ففي اليمن أيضًا يوجد أثار قديمة تعود إلى عصر الحكم الحبشي لليمن وأشهر هذه الآثار كعبة أبرهة الحبشي في صنعاء وليس هذا فقط، فهناك تشابه أيضًا في التراث غير المادي، حيث يوجد شبه كبير في الأزياء والرقصات الشعبية والعادات والتقاليد وهناك الكثير من الدلائل التي تدل على تواصل قديم بين اليمن وبلدان إفريقيا من أقصى الشرق إلى الغرب.

*****





صورة (2 - 3) على اليمين نموذج من التماثيل اليمنية وعلى اليسار كتابات ونقوش بخط المسند اليمني القديم[7].

وقد عثر على الكثير من القطع الأثرية المتطابقة في كل من اليمن وإثيوبيا التي تشترك مع اليمن في الكثير من الآثار المادية وربما تعود هذه القطع إلى فترات توحد فيها الحكم بين اليمن وهذه البلدان وامتد النفوذ من جانب إلى آخر لفترات ليست بالقليلة كما تدل على ذلك القطع التي تعكس تداخل كبير بين هذه البلدان.

وقد كشفت التنقيبات على نصوص خطت بالقلم السبئي العربي الجنوبي والذي أصبح هو الخط الحبشي آنذاك ويجمع ولفنسون بين تطور الكتابة الحبشية والعربية ويذكر أن الكتابة الحبشية مرت بثلاث مراحل وهي:

- كتابات منطقة يحا (yaha) وتمثل أقدم نماذج الكتابة الحبشية
- كتابات نصوص أكسوم وتشبه الخط السبئي المتأخر
- كتابات تظهر فيها اللغة الجعزية والتي تأثرت بالخط السبئي[8].

7- مصدر الصور الدكتور والباحث الأثري اليمني عبد الله ظافر

8 - مرجع سابق _عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبة الجزيرة العربية والحبشة.




صورة (4 - 5) نقوش وتماثيل من حضارة الحبشة ونلاحظ أنها لا تختلف عن التماثيل اليمنية القديمة

أمّا بالنسبة للعناصر الثقافية المشتركة بين اليمن والحبشة فهي أسطورة العائلة المقدسة في أثيوبيا والتي تعود إلى الملكة بلقيس ملكة دولة سبأ في اليمن في عهد نبي الله سليمان والتي يعتقد الأثيوبيون أنها تزوجت بنبي الله سليمان وأنجبت منه ولدًا عاد إلى أثيوبيا،اخذ معه تابوت العهد وأصبح ملگا عليها.

ويرى الكثير من الباحثين أن العلاقة بين اليمن ودول إفريقيا كانت بسبب العلاقات التجارية وطرق التجارة القديمة وكذلك الموقع الهام بالنسبة للتجارة العالمية منذ القدم حيث تعتبر اليمن ملتقى لقارات أسيا وإفريقيا والهند وكانت هناك مدن إفريقية عاش فيها التجار اليمنيون وعلى العكس تردد الكثير من التجار الأفارقة على اليمن وعاشوا وقطنوا المدن الجنوبية والساحلية من اليمن وبمحاذاة سواحل دول شرق إفريقيا.

*****



البخور سر التواصل الثقافي بين حضارة مصر واليمن

حظيت الحضارة المصرية بالنصيب الأكبر من الشواهد والحقائق الأثرية في اليمن حيث ذكرت مصر في الكثير من النقوش اليمنية كما أطلق المصريون القدماء على اليمن أرض الآلهة، وتوجد العديد من الشواهد التي ما زالت آثارها باقية إلى وقتنا الحاضر في كل من اليمن ومصر، وقد استدل الباحث ببعض الشواهد والقطع الأثرية المادية التي ينبغي الاستعانة بها، حيث يرى الكثير من الباحثين أن الاستعانة بالتراث المادي مهم جدًا لتأكيد التواصل الثقافي والعكس صحيح، فقد يستعين الباحث بعناصر ثقافية غير مادية من أجل تأكيد ما هو مادي.

ومن المعثورات الأثرية التي تؤكد علاقة الترابط بين اليمن ومصر منذ أقدم العصور «عدد من القطع الأثرية التي وجدت في اليمن التي ربما أهديت من ملوك مصر إلى ملوك اليمن القديم، اشهرها معثورات جبل العود وسط اليمن وكان من بينها تمثال مصغر لأبو الهول صورة رقم (6)»[9].

وأمَّا أشهر الشواهد الأثرية في مصر، فهي تابوت التاجر اليمني (شرح إل) الذي كان يجلب البخور من اليمن إلى معابد الآلهة في مصر القديمة، وقد عثر على تابوته بالقرب من هرم صقارة (صورة رقم (7) وقد كرَّمَهُ ملوك مصر بأن دُفِن في مقابرهم، وكتب على تابوته بخط المسند اليمني القديم الوظيفة التي كان يقوم بها، وهي جلب البخور من اليمن إلى مصر، وهذا دليل على كرم أبناء الحضارة المصرية وحرصهم على تسجيل الحقوق لأصحابها منذ القدم، كما هو دليل على عُمق التواصل الثقافي بين اليمن ومصر منذ أقدم العصور.

ويعتقد بعض الآثاريين أن بلاد بونت التي ذكرت في النقوش المصرية القديمة

---

9 - يوسف الشريف - اليمن واهل اليمن اربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م ص23-

«هي المنطقة الواقعة في مضيف باب المندب بين اليمن ودول شرق إفريقيا وأنها تطلق على الساحل الأسيوي اليمني والإفريقي في نفس الوقت معتمدين في ذلك على أشكال المساكن والبشر وأنواع الحيوانات والأسماك».

وقد وجدت في رسومات الدير البحري للملكة حتشبسوت لوحة جدارية في معبد الملكة حتشبسوت توضح استقبال ملك بونت وزجته لوفود مصر وإهدائهم للزوار كميات من البخور صورة (8).

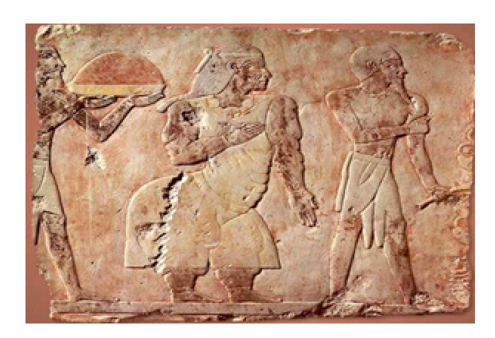
وتتشابه أشكال الأشجار والمدرجات الزراعية في جدارية بلاد بونت مع الأشجار والمدرجات الزراعية في جبال اليمن الخضراء حيث برع المزارع اليمني في تحويل الجبال إلى مدرجات زراعية منذ أقدم العصور كما يؤكد ذلك لون بشرة ملك ملك بلاد بونت وزوجته وهو اللون الأسمر العربي الفاتح وليس اللون الأسمر للبشرة السوداء للقارة الإفريقية والذي رسمه المصريون في رسوم أخرى لقارة إفريقيا بلون أسود وهو ما يؤكد أن ما قصد به اليمن وليس دولة إفريقية أخرى فلو كان المقصود بلاد إفريقية أو الصومال لكان الفنان المصري قد لونها باللون الأسود كما فعل في الكثير من الجداريات التي توضح معارك الفراعنة مع دول إفريقيا والحبشة.



صورة (6)تمثال مصغر يشبه تمثال أبو الهول عثر عليه في اليمن[10].

10- مصدر الصور الباحث في التاريخ اليمني الأستاذ معمر الشرجبي





صورة (7) لوحة جدارية في معبد الملكة حتشبسوت توضح استقبال ملك بونت وزوجته لوفود مصر وإهدائهم للزوار كميات من البخور



صورة (8)رقم توضح تابوت التاجر اليمني الذي دفن في هرم سقارة في مصر[11]



صورة (9) توضح نقل أشجار البخور من قبل جنود البعثة المصرية[12]

11- مصدر الصورة الباحث اليمني الأستاذ معمر الشرجبي

12- مصدر الصور ويكبيديا الموسوعة الحرة

الهجرات المتبادلة بين اليمن وإفريقيا

لعبت الهجرات المتتالية بين اليمن ودول إفريقيا دورًا هامًا في تداخل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية فقد كانت هناك هجرات يمنية قديمة إلى دول إفريقيا وعلى العكس أيضًا كانت هناك هجرات إفريقية إلى اليمن وقد لعبت الأحداث السياسية والكوارث الطبيعية دورًا هامًا في هذه الهجرات وكانت أول هذه الهجرات عند تهدم سد مأرب وحادثة سيل العرم التي أدت إلى هجرة الكثير من القبائل اليمنية إلى دول إفريقيا كما أدى الجفاف وشح الأمطار إلى هجرات إفريقية عديدة إلى اليمن وأيضا العكس فقد حلت فترات جفاف في اليمن أيضًا وأدت إلى هجرات متتالية من اليمن إلى دول إفريقيا وخاصة حوض نهر النيل لما يتمتع به من خصوبة في التربة وتوفر للمياه على مدار العام.

والملاحظ لعناصر الثقافة الشعبية والفنون للمدن اليمنية المطلة على البحر الأحمر وخليج عدن سيجد الكثير من التشابه بينها وبين العناصر الثقافية والفنون في دول شرق إفريقيا كما نقل اليمنيون المهاجرون إلى دول إفريقيا المقابلة لليمن في الجانب الأخر من البحر الأحمر العديد من العناصر الثقافية والفنون الشعبية اليمنية وهو ما يظهر بوضوح في الرقصات الشعبية والأغاني ونمط العمارة الساحلية وبعض من الأزياء والعادات والتقاليد المشتركة.

*****

الفتح الإسلامي ودوره في تمازج الثقافة والفنون بين إفريقيا واليمن

سكنت الكثير من القبائل اليمنية في عدد من البلدان الإفريقية بعد الفتح الإسلامي مثل بلاد الحبشة ومصر والسودان ودول المغرب العربي فقد كان اليمنيون الغالبية الكبرى لفاتحي هذه الدول كما أوردت الكثير من المراجع التأريخية وكتب الفتوحات وقد استقرت القبائل اليمنية في هذه الدول بغرض تعليم الناس اللغة العربية والدين الجديد.

ويؤكد الباحث محمد جمال سباق الحويطي في كتابة (صعيد مصر ووجه الشبه مع الجزيرة العربية بقوله: «لقد نقل الفاتحون العرب الكثير من مظاهر حياتهم الاجتماعية والبيئية وموروث أجدادهم الثقافي إلى موطن استقرارهم الجديد وتميز أهل الصعيد بالصفات العربية وهي من خصائصهم الاجتماعية والأخلاقية عبر التاريخ والتي اشتهروا بها بين الحضارات والأمم من الشهامة والنخوة وإكرام الضيف والجود والعفو عند المقدرة وإغاثة المحتاج ونجدة الملهوف وقد عرف عن الصعيد أن الرجل في أيام الناصر محمد بن قلاوون وما بعدها كان يمر من القاهرة إلى أسوان فلا يحتاج إلى نفقة بل يجد في كل بلد وناحية عدة دور للضيافة إذا دخل دار منها أحضر لدابته علفها وجيء له بما يليق من الأكل ونحوه[13]

*****

13 - محمد جمال سباق الحويطي - لمحة عن صعيد مصر ووجه الشبه بينه وبين الجزيرة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع – 2017م ص 80

نماذج مشتركة من التراث الثقافي غير المادي بين اليمن وبعض دول إفريقيا

تعتبر العمامة من الأزياء التي لا يستطيع العربي الإفريقي التخلي عنها في أغلب الدول وهي كذلك من جزء الأزياء الرجالية في اليمن ولا يستطيع الرجل اليمني مفارقتها في أكثر أقاليم اليمن كما تتشابه عادات وتقاليد الزواج في بعض دول إفريقيا مع العادات والتقاليد في الريف اليمني من الكرم وإقامة الولائم في الأفراح وفي طقوس الزفاف وليالي الفح مثل ليلة الحناء والذهاب للحمام وكسوة العروسة ونقشتها وهذا ينطبق على اليمن وكثير من دول القارة الإفريقية.

كما يستخدم الحناء للرجال فهناك ليلة الحناء للعريس في اليمن وبعض دول إفريقيا وهناك عادة مشتركة تقام في حفلة حناء العريس حيث يقوم الشباب خلالها بإعداد وعاء كبير من الحناء يخلط بالماء يتم تحنئة العريس منه ومن ثم يقوم الشباب بالرقص واللعب وغسل بعضهم بالحناء وهذه عادة موجودة في الأفراح في كل من السودان والنوبة واليمن بنفس الطريقة حيث يقوم أصدقاء العريس بغسل وتمريغ بعضهم بالحناء مع الرقص والمرح كما في صورة رقم (14).





صورة (10 - 11) حناء للعروسة في اليمن [14]

14- مصدر الصور الإخباري الأستاذ طاهر عبد الحق





صور (12 - 13) على اليمين صورة للحناء اليمني للأيدي وعلى الشمال صورة للحناء السوداني

وقد انتقلت بعض هذه العناصر الشعبية عبر الهجرات اليمنية إلى الكثير من دول إفريقيا أثناء الفتح الإسلامي « وذلك لأن جنود الفتح الإسلامي كان أغلبهم من القبائل اليمنية وقد استوطن هؤلاء اليمنيون في هذه الدول بعد الفتح وانصهروا مع أهلها»(15)

15- محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – مصر – القاهرة – العدد الأول يناير – 1965 م ص 42



صورة (14) ليلة الحناء في بعض أقاليم اليمن وغسل العريس وأصدقائة بالحناء[16]

كما كانت هناك هجرات معاكسة من دول إفريقيا إلى اليمن فعلى سبيل المثال انتقلت الكثير من العائلات المصرية إلى اليمن خلال فترة الحكم الفاطمي والأيوبي في اليمن « فقد فرضت هذه الدول سلطانها الديني والسياسي على مصر واليمن وكان أن دانت اليمن كلها بالولاء لمصر وتم إنشاء الرسل والسفارات بين البلدين وزاد التبادل التجاري بينهما على نطاق واسع وكان أن رحل الكثير من التجار من مصر إلى اليمن واستوطنوا مدنها وأنشؤوا فيها متاجر كبيرة لتصدير البضائع إلى مصر وأصبحت العملة المصرية هي السائدة في اليمن»[17].

وفي هذه الفترات انتقلت الكثير من العائلات ذات الأصول المصرية والإفريقية للعيش في اليمن وكان غالبيتهم من أهالي الجنود والحرفيين الذين انتقلوا للبناء والعمل في اليمن ولذلك نجد في اليمن بعض القبائل بألقاب مصرية مثل قبيلة (المصري والنوبي والصعيدي) وهناك قبائل بأسماء إفريقية أخرى مثل الصوملي والأثيوبي والحبشي والإرتيري... إلخ.

16- مصدر الصورة الأستاذة غادة الحداد فنانة تشكيلية من اليمن والصور من حفل زواج شقيقها في محافظة الحديدة.

17- محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – مصر – القاهرة – العدد الأول يناير – 1965 م ص 43



بلدان المغرب العربي واليمن

لم تكن دول شرق إفريقيا هي البلدان الوحيدة التي امتزجت ثقافتها بثقافة اليمن فقد امتدت التأثيرات المتبادلة بين اليمن وإفريقيا إلى دول المغرب العربي في أقصى الشمال للقارة الإفريقية فقد ذكرت العديد من المصادر والمراجع التاريخية الهجرات اليمنية القديمة والتي تعود إلى آلاف السنين والتي انتقل فيها اليمنيون القدامى إلى بلدان المغرب العربي « وخلال هذه العصور الموغلة في القدم كان للعرب القحطانيين أهل اليمن دولة ترتبط بعلاقات سياسية وتجارية مع بلاد الهند وشواطئ إفريقيا الشرقية وكانت السفن اليمنية تحمل البضائع الهندية إلى أرض سبأ وحضرموت ومنها تنقل إلى الحبشة ومصر وسوريا وحتى إفريقيا الشمالية.. وفي أواخر الألف الثالثة قبل الميلاد غزا المغرب أبرهة إبن الرائش أحد ملوك العرب البائدة الملقب بذي المنار والذي ترجح جماعة المؤرخين أنه ذو القرنين المذكور في القرآن الكريم وقبل رجوعه منه خلف به أقوامًا كثيرين يقال أنهم جدود قبيلة صنهاجة وقبيلة كتامة ومن ذلك الحين بدأت الاتصالات تجري بين دولة اليمن والبلاد المغربية بواسطة مصر»(18)

وكانت للهجرات التي تلت الفتح الإسلامي لبلدان المغرب العربي ذات تأثير كبير على العناصر الثقافية والفنون واللهجات لهذه الشعوب فقد استوطن اليمنيون في عدد من بلدان المغرب العربي وتذكر المصادر التأريخية أن الرحالة والمهاجرون اليمنيون قد انتقلوا إلى بلدان المغرب العربي وكان غالبية هؤلاء المهاجرون من اليمن ومن أشهر الشخصيات المغربية التي تعود أصولها إلى اليمن العلامة عبد الرحمن بن خلدون « وهو ولي الدين عبد الرحمن بن محمد

18- عبد الوهاب بن منصور – قبائل المغرب – الجزء الأول –الطبعة الأولى – الرباط – المطبعة الملكية بالرباط – الكتاب حاصل جائزة المغرب للكتاب عام 1968م وهي سنة الطبع والنشر ص 254



بن الحسن بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي حيث كان أصله يرجع إلى العرب اليمانية في حضرموت»[19]

وقد نقل العرب إلى دول المغرب العربي بعض من عاداتهم وتقاليدهم وامتزجت الكثير من عناصر الثقافة الشعبية العربية واليمنية بالثقافة المغربية الأصيلة، وعلى سبيل المثال «يذهب أحد الدارسين إلى أن وجود الشعر الشعبي في بلدان المغرب العربي يعود إلى انتقال نماذج تضارعه من الشرق وتمتد حتى القرن الرابع الهجري بينما يرى أخر أن ظهور القصيدة الشعبية في الجزائر كان مع الفتح الإسلامي وذلك في قولة « وبالنسبة للجزائر يمكن القول إن الشعر غير المعرب جاء مع الفتح الإسلامي ثم انتشر بصورة قوية واضحة بعد مجيء الهلاليين إلى الجزائر حاملين معهم لهجاتهم المتعددة حيث تغلغلوا في الأوساط الشعبية وساهموا في تعريب الجزائر بصورة جلية اعترف بها كثير متن الدارسين حتى صار الأدب الشعبي منذ ذلك الوقت ثمرة من ثمار الثقافة القومية»[20].

ويرى كاتب البحث أنه من الجدير بنا أن نعرف أن الشعر الشعبي موجود في كل الحضارات وإن اختلفت اللغات وطرق التعبير فليس من المعقول أن يكون الشعر الشعبي في بلدان المغرب العربي وليد الفتح الإسلامي وربما كان هناك أنواع أخرى من الشعر باللغات لمغربية القديمة وربما قصد هؤلاء الباحثون الشعر الشعبي العربي الإسلامي وليس الشعر الشعبي المغربي بشكل عام فالمتأمل للموشحات اليمنية على سبيل المثال سيجد الكثير من التشابه في الطريقة والأداء بينها وبين الموشحات المغربية والأندلسية كما تورد بعض المراجع التأريخية أن الحضارم اليمنيون كانوا من أكثر المهاجرين إلى بلدان المغرب العربي وما يؤكد هذه المعلومة هو هجرات أجداد المؤلف التونسي عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي.

19- محمد عبد الله عنان - ابن خلدون حياته وتراثة الفكري – تصدير محمد صابر عزب- الطبعة الرابعة – القاهرة – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – 2006م.

20- عبد الحق زريوح بحث منشور بعنوان- من فنون الثقافة الشعبية الجزائرية: الحوفي والحوزي الماهية والجذور التاريخية - الملتقى الدولي – الثقافة الشعبية العربية رؤى وتحولات –من 11 إلى 13 أكتوبر 2016م ص351- إلى 366 موقع الاقتباس ص 354



كما تذكر الكثير من المصادر أن القبائل اليمنية شاركت بعدد كبير من الجند في فتوحات بلدان المغرب ويعود ذلك إلى الإسلام المبكر لأهل اليمن وكذلك العدد الكبير لليمنيين آنذاك».

فلمَّا بزغ نور الإسلام انخرط اليمنيون في جيوش الفتح الإسلامي الذي توالى زحفها حتى تخوم الصين ومشارف غرب أوربا عبر دخولها مصر وهكذا عندما فتح طارق بن زياد الأندلس متقدمًا جيش المسلمين لم يجد سوى (شال) يتلفع به مجاهد يمني ورفعه عاليًا بديلًا عن العلم إعلانا بالنصر وتأكيدًا على الدور الجهادي الجسور الذي نهض به اليمنيون في سجل الحضارة الإسلامية»[21]

ولا غرابة أن تجد الكثير من التشابه في اللهجات اليمنية مع لهجات بلدان المغرب العربي فقد ذكرت الكثير من المصادر أن المشاركين في الفتح من الجيوش العربية انتقلت غالبيتها للعيش في بلدان المغرب العربي وأصبحوا جزءًا من مجتمعاتها وعاشو متحابين مع مكونات المجتمعات المغربية من الأمازيـغ وغيرهم بل وتعاونوا على إكمال بقية الفتوحات الإسلامية في بلاد الأندلس وأوربا.

ولولا فضل هؤلاء المغاربة ما فتحت هذه البلدان وعندما استقرت هذه القبائل استدعت إليها عشائرها من اليمن والجزيرة العربية وأستقر بهم الحال في بلدان المغرب العربي واندمجوا مع هذه المجتمعات وأصبحوا جزءًا من النسيج الاجتماعي المغربية ولم تتوقف رحلات اليمنيون والعرب إلى بلاد المغرب والأندلس بل استمرت لمئات السنوات فقد كانت الهجرات المتتالية مستمرة على مدى القرون المتلاحقة وأشهر هذه الهجرات هي هجرة الهلاليين الذين سكنوا بلدان المغرب العربي وتركوا ورائهم نموذج من أشهر السير الشعبية العربية وهي السيرة الهلالية وتعتبر قبيلة بني هلال من القبائل المنتشرة بكثرة في اليمن في الوقت الحاضر وينتسب إليها شخصيات سياسية بارزة أشهرها الشهيد عبد القادر على هلال الذي تولى منصب المحافظ لعدد من المحافظات الكبرى في اليمن وهي صنعاء وحضرموت وإب.

21- يوسف الشريف - اليمن واهل اليمن اربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م ص29

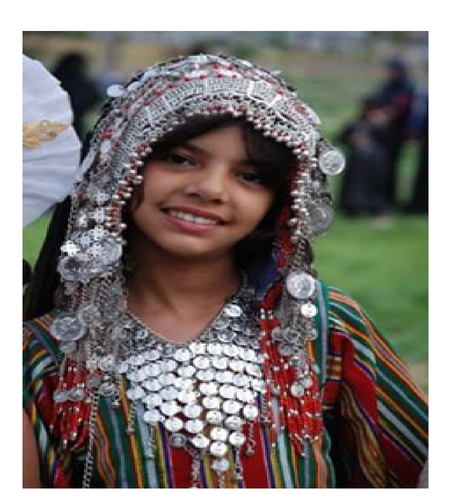


ولعل أبرز ما حير الباحثين في التراث الشعبي اليمني هو التشابه الكبير في الأزياء والحلي اليمنية والمغربية والذي لا يستبعد الكثير منهم وجود صلات وتأثيرات متبادلة بين اليمن وبلدان المغرب العربي والتي ربما تعود إلى التبادل التجاري أو الهجرات أو ربما نتيجة إلى تشابه البيئات وتوفر الخامات المتشابهة في هذه البلدان وربما كان للديانة اليهودية وحفاظها على موروثها القديم دورًا هامًا في تشابه أنماط الحلي للحضارات القديمة في اليمن ودول المغرب العربي.



صورة (15) يمنية بالزي التقليدي من عاصمة اليمن القديم مأرب





صورة(16 - 17) فتيات يمنية بالزي التقليدي والحلي اليمنية



العمارة بفروع وأغصان الأشجار

يوجد تشابه كبير بين نمط العمارة الشعبية للمناطق الساحلية في اليمن والمناطق الساحلية لدول شرق إفريقيا المقابلة للساحل اليمني حيث تبنى المنازل من الطين وأغصان الأشجار بنفس الطريقة وتصل إلى حد التطابق ماعدا بعض الرسومات من الداخل التي تضاف على العشة اليمنية وربما كان لها علاقة ببعضها.



صورة (18) شكل العشة للعمارة السواحلية اليمنية من الخارج



صور(19) العشة في اليمن من الداخل

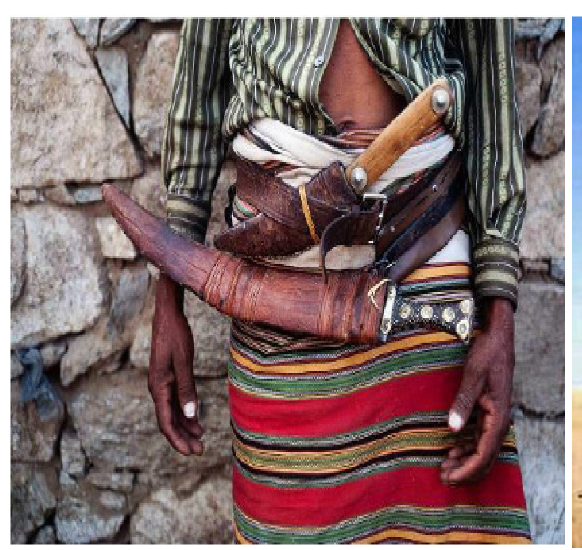
الخنجر نموذج مشترك بين اليمن وبعض دول القارة الإفريقية

كما يوجد تشابه كبير من حيث الأزياء الشعبية لليمن وبعض القبائل التي يعتقد الكثير من الباحثين أنها تعود لأصول عربية من جنوب الجزيرة العربية انتقلت إلى الحبشة حيث يرتدي الرجل الخنجر المعروف بالجنبية في اليمن في كل من البلدين وهذا يدل على مدى التواصل الحضاري والثقافي بين اليمن وهذه البلدان منذ أقدم العصور كما في الصور رقم(20 - 21)



صورة (20) الخنجر اليمني (الجنبية) الزي التقليدي في اليمن



صورة (12) الصورة على اليمين لشاب أثيوبي يضع في وسطة خنجر يشبه الخنجر الذي يرتديه الرجل اليمني في الصورة التي على الجهة اليسرى.

*****

النتائج

- هناك الكثير من العناصر الثقافية المشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية وتزداد هذه العناصر كلما اقتربنا من الشرق وفي الدول المحاذية للبحر الأحمر والتي تتقابل فيها السواحل اليمنية مع السواحل الإفريقية.

- لعبت الهجرات المتتالية من إفريقيا إلى اليمن ومن اليمن إلى دول إفريقيا دورًا هامًا في نقل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية.

- كان للفتح الإسلامي دورًا كبيرًا في نقل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية اليمنية إلى دول إفريقيا والمغرب العربي.

- يوجد الكثير من العناصر الثقافية والفنية اليمنية ذات تأثيرات إفريقية خاصة في المحافظات الساحلية.

- تعتبر اليمن من أكثر الدول العربية ألأسيوية تأثيرًا وتأثرًا بالثقافة الإفريقية بحكم الجوار وقرب المسافة والتحكم بالممرات البحرية.

- توصل البحث إلى حصول مصر ودول شرق إفريقيا والحبشة على النصيب الأكبر من التأثير والتأثر بالثقافة الشعبية لليمن.

*****



التوصيات

- يوصي البحث بمزيد من الدراسات على الثقافة الشعبية العربية لدول القارة الأسيوية والإفريقية وتأكيد وحدة الثقافة والمصير المشترك.

- يؤكد البحث على أهمية دراسة الثقافة الشعبية من أجل التكامل وليس الاختلاف فالثقافة الأسيوية والإفريقية العربية وغير العربية مليئة بالجمال الذي يجعلنا مكملين لبعضنا.

- يوصي البحث بمزيد من الدراسات التي تسلط الضوء على الأسباب التي أدت إلى التواصل الثقافي والفني بين دول القارة الأسيوية والإفريقية.

*****

المراجع

1- شاهر جمال أغا- جغرافية اليمن – للشطر الشمالي – الطبعة الأولى - دمشق – مكتبة الأنوار بدمشق – مكتبة لطف يحيى العبالي – 1983م

2- محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – ع- الأول – س الأولى – يناير 1965م ص40

3- عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – من القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشي في اليمن – رسالة ماجستير- في التاريخ القديم – جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات لإسلامية – قسم الدراسات التاريخية والحضارية ص84و85

4- فكري آل هير – حول الأصل والنشأة العروبية (عوربة الحبشة والسودان ومصر)19 يونيو 2016م – MAKAICIOUD

5- يوسف الشريف - اليمن وأهل اليمن أربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م ص23

6- محمد جمال سباق الحويطي - لمحة عن صعيد مصر ووجة الشبه بينه وبين الجزيرة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع – 2017م ص 80

7- عبد الوهاب بن منصور – قبائل المغرب – الجزء الأول –الطبعة الأولى – الرباط – المطبعة الملكية بالرباط – الكتاب حاصل جائزة المغرب للكتاب عام 1968م وهي سنة الطبع والنشر ص 254

8- محمد عبد الله عنان - ابن خلدون حياته وتراثه الفكري – تصدير محمد صابر عزب- الطبعة الرابعة – القاهرة – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – 2006م



9- عبد الحق زريوح بحث منشور بعنوان- من فنون الثقافة الشعبية الجزائرية: الحوفي والحوزي الماهية والجذور التاريخية - الملتقى الدولي – الثقافة الشعبية العربية رؤى وتحولات –من 11 إلى 13 أكتوبر 2016م ص351- إلى 366 موقع الاقتباس ص 354

*****

الإخباريون

- مصدر الصور الباحث في التاريخ اليمني الأستاذ معمر الشرجبي.
- عبد الوهاب العمراني – رؤية يمنية في أدب الرحلات.
- الدكتور والباحث الأثري اليمني عبد الله ظافر.
- المصور الأستاذ طاهر عبد الحق.
- الأستاذة غادة الحداد فنانة تشكيلية من اليمن والصور من حفل زواج شقيقها في محافظة الحديدة.

*****

الفصل الرابع

الثقافة الإفرويمنية للمرأة

في المناطق الساحلية باليمن

خلفية البحث

لعبت الهجرات المتبادلة بين اليمن ودول القارة الإفريقية، المحاذية للسواحل اليمنية، دورًا كبيرًا في تشكيل ثقافه شعبية متقاربة، بين الجانبين. يمكن أن نطلق عليها، الثقافة (الإفرويمنية) وعلى مر العصور، امتزجت الكثير من العناصر الثقافية كالعادات والتقاليد، والأغاني والرقصات الشعبية، بالإضافة إلى عناصر أخرى، مثل الأزياء والحلي وزخارف العمارة والحرف والفنون، وأنتقل البعض منها من إفريقيا إلى اليمن أو العكس، فعلى سبيل المثال تتقارب طقوس ليلة الحناء في تهامة اليمن، مع طقوس ليلة الحناء، في دول شرق إفريقيا، كأثيوبيا والصومال وإرتيريا وجيبوتي والسودان.

كما تتشابه الرقصات والأغاني الشعبية، في مناسبات المرأة، في المناطق الساحلية في اليمن، مع الرقصات الشعبية، في دول شرق إفريقيا،كما تتشابه القرى من حيث البناء بأغصان النبات والقش حتى أن الزائر لبعض المدن والقرى اليمنية الساحلية، سيعتقد من الوهلة الأولى، أنه في قارة إفريقيا، وليس في قارة أسيا، التي تنتمي إليها اليمن جغرافيًا.

ولم تكن هذه التلاقحات الثقافية لتتشكل، لولا مجموعة من الأسباب، فقد عرفت اليمن بالتجارة منذ أقدم العصور، ولعبت التجارة دورًا هامًا ساعد على أنتقال الكثير من العناصر الثقافية. من اليمن إلى إفريقيا أو العكس، كما لعب الموقع الجغرافي، دورًا أساسيًا في تشكيل الثقافة الإفرويمنية، فاليمن أقرب الدول الأسيوية للقارة الإفريقية، ويمكن رؤية الجانب الأخر من القارة الإفريقية، من قُبالة السواحل اليمنية لجزيرة ميون، التي تقع بالقرب من مضيق باب المندب، كما يمكن الانتقال بالقوارب العادية والمتوسطة، خلال ساعات من الزمن

وفي مراحل متعددة من التاريخ انتقلت الكثير من العائلات اليمنية، للعيش في الجانب الإفريقي، كما انتقل الكثير من سكان القارة الإفريقية، إلى المدن

اليمنية، خاصة الساحلية منها، إما بحثًا عن العمل، أو هربًا من الحروب والصراعات، وبمرور الزمن نشأت علاقات وطيدة وصلت إلى الزواج والتصاهر بين القبائل اليمنية والشرق إفريقية وكنتيجة طبيعية لهذه العلاقات تشكلت عناصر ثقافية مشتركة وتشكلت نماذج جديدة تستند على عناصر ثقافية من الجانبين وسوف يعرض البحث الحالي، أهم عناصر التثاقف بين اليمن والقارة الإفريقية ويركز البحث على رصد عناصر الثقافة الشعبية التي تشارك فيها المرأة اليمنية، في عدد من المناطق الثقافية، من خلال تناول أوجة الشبه، خاصةً في المدن اليمنية المطلة على البحر والمحاذية للسواحل الإفريقية، وهي مدن البحر الأحمر وخليج عدن، مثل الحديدة والمخا وعدن وحضرموت، وهي المدن التي كانت أوفر حضًا، في هذا التواصل والتثاقف على مر العصور.

مدخل جغرافي

تقع اليمن في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ويحدها من الشرق سلطنة عمان ومن الشرق البحر الأحمر ومن الجنوب البحر العربي. ومن الشمال المملكة العربية السعودية فاليمن دولة ساحلية يحيط بها الماء من جهتين حيث تمتد السواحل اليمنية على البحر الأحمر والبحر العربي لأكثر من 2500 كم وتقع خلف هذه السواحل العديد من الدول الإفريقية أقربها: إرتيريا وجببوتي وإثيوبيا والصومال وقد ساعد قرب المسافة في حصول الكثير من الهجرات المتبادلة بين الجانب الإفريقي واليمني، وتشكلت بموجبها ثقافة شعبية مشتركة، تتركز بشكل أكبر في المدن الساحلية اليمنية، التي تقابل السواحل الإفريقية، حيث استقرت الكثير من العائلات الإفريقية فيها، وانصهرت بالمجتمع اليمني، وأصبحت جزءًا من نسيجها الثقافي.

ولأن المرأة جزء هام من المجتمع وكونها جزء هام من حاملي التراث- إن لم تكن الأكثر حفاظًا عليه- فقد نقلت المرأة الإفريقية القادمة إلى اليمن والعكس صحيح، الكثير من عناصر ثقافتها الشعبية، وحافظت عليه على مر العصور وورثته للأجيال.





صورة (1) خارطة توضح موقع مضيق باب المندب الذي تتحكم به اليمن



صورة (2) توضح موقع اليمن بالنسبة للقارة الإفريقية

مدخل تأريخي

منذ العصور القديمة، وحتى وقتنا الحاضر، جرت في اليمن، ودول القارة الإفريقية، الكثير من الأحداث التأريخية، التي أدت إلى تمازج العنصر الإفريقي، بالعنصر اليمني، وكانت أول هذه الأحداث: تهدم سد مأرب في اليمن، الذي أدى إلى انتقال الكثير من القبائل اليمنية، إلى دول القارة الإفريقية، «ويشير

المؤرخون مثل إسترابون هارولد ما كمايكل إلى أن تهدم سد مأرب في عهد دولتي معين وسبأ سبب بهجرة الكثير من اليمنين ووصل البعض منم حتى بلاد الحبشة والنوبة»[1] ولم تتوقف الهجرات على هذا الحدث فقط فقد تلا ذلك الكثير من العلاقات التجارية والأحداث الاقتصادية التي أدت إلى انتقال الكثير من عناصر الثقافة الشعبية «ويورد الأستاذ مطهر الإرياني، في(المعجم اليمني 1996) «أن اليمن قامت بدور المعبر البري، لتنقل الإنسان بين إفريقيا وأسيا، ولعل أول الشواهد على هذه العلاقات، تعود لفترة قديمة من تاريخ الشعبين، عندما أقام تجار من مملكة سبأ، مستعمرة تجارية شمال إثيوبيا حاليًا، ونقل هؤلاء التجار نظام الكتابة اليمني القديم، (خط المسند) لتلك المناطق»[2].

وبالعودة إلى الأدبيات الأثيوبية، وأساطير الحبشة والتي تزعم «أن الملكة بلقيس ملكة دولة سبأ في اليمن، قد تزوجت من نبي الله سليمان، ورزقت منه بولد، وبعد هذا الزواج حصل أن قَدم نبي الله سليمان إلى اليمن وأثيوبيا لإخضاعهما لسلطته، حينها أعجب بشعبية الملكة بلقيس وحكمتها، وولاها حكم اليمن وإثيوبيا، وأتخذ لها من أثيوبيا مقرًا للحكم، وعندما كبر ابنه تولى الحكم بعدها، وهكذا توارث الأحباش سلالة نبي الله سليمان ومنه جاءت الأسرة السليمانية، ما يقارب ثلاثة ألف عام وحكمت هذه الأسرة إثيوبيا من العام 950 قبل الميلاد، إلى العام 1974م»[3] وما زالت لهذه الأسرة قدسيتها في الثقافة الشعبية الأثيوبية، ومنها كان النجاشي حاكم الحبشة، الأسرة التي اشتهرت في العصر الإسلامي الأول.

1- نزار عبد غانم – جسر الوجدان بين اليمن والسودان- ص16

2- عبد الوهاب العمراني – رؤية يمنية في أدب الرحلات.

3 - الدكتور عبد الله ظافر باحث في التأريخ والحضارة اليمنية.



صورة (3) ملكة سبأ «ماكيدا» حسب المعتقدات الإثيوبية

مدخل اجتماعي

يتكون المجتمع اليمني من اليمنيون الأصليون وهُم العرب سكان البلد الأصليون منذ القِدم بالإضافة إلى اليمنيين من أصول إفريقية وهندية وهؤلاء تزيد نسبتهم كلما اتجهنا للمدن الساحلية، وقد سكنوا اليمن منذ القِدم على فترات متباعدة ولا يختلفون عن المجتمع اليمني في رابطة الدم أو النسب فهم جزء لا يتجزأ من المجتمع أما الفئة الثالثة فهي فئة (المهمشين)(4) وهم من سكان البلد اليمنيون أيضًا إلا أن هذه الفئة لم تمتزج نسبة كبيرة منها بالمجتمع اليمني إلى وقتنا الحاضر بالرغم من حملهم للجنسية اليمنية وقد أدت مجموعة من الأسباب على رأسها الدين والقبلية والعرقية إلى تكوين جدار كبير من العزلة فرضها المجتمع عليهم وبالرغم من وجود هذه الفئة في مختلف المحافظات اليمنية وليس الساحلية فقط فقد حافظوا على عزلتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي لا يعرف عنها المجتمع اليمني سوى القليل

4- فصيل من المجتمع اليمني ذو بشرة سمراء يطلق عليهم في اليمن فئة(الأخدام أو المهمشين) وهي فصيل حاضر بنسبة تقدر بخمسة مليون في مكونات المجتمع اليمني ولكنها لم تندمج بالمجتمع.

ومما لا شك فيه أن أبناء هذه الفئة عند قدومهم لليمن في عصور قديمة جدًا وربما كان لهم دور ريادي أكبر ونقلوا معهم الكثير من المعتقدات والعادات والتقاليد التي يتميزون بها ويعتقد الكثير من الباحثين أنهم من بقايا الإحتلال الحبشي لليمن – فترة ما قبل الإسلام _ والذي ساهم في انتقال فئة كبيرة من الأحباش إلى اليمن بينما يذهب آخرون إلى أنهم رما من بقايا الدولة النجاحية التي كانت تحكم في منطقة زبيد في اليمن وكان حكامها من أصول إفريقية بينما يذهب آخرون إلى أن هذه الفئة خليط من القبائل العربية اليمنية التي هاجرت أثناء امتداد الحكم اليمني للأراضي الحبشية وعاد البعض منها لليمن بعد مئات السنين ولا يتسع الوقت وموضوع بحثنا للتطرق لهذا الموضوع بشكل أكبر وربما نتطرق له في دراسات قادمة.

وفي إطار دراستنا هذه سنتطرق إلى الفئة التي اندمجت بالمجتمع اليمني منذ القدم وتربطها بالمجتمع اليمني رابطة الدين والنسب والزواج وهم الفئة التي تعيش الحياة الشعبية اليمنية بكل تفاصيلها إذ أن نناول الفئة الأخرى من اليمنيين (المهمشين) تحتاج إلى الكثير من الدراسة والتعمق في تفاصيل هذه الشريحة من المجتمع والتي ما زالت الدراسات حولها نادرة جدًا .

مدخل اقتصادي

لعب الدور الاقتصادي دورًا هامًا في هجرات الكثير من الأسرات من دول شرق القارة الإفريقية إلى اليمن أو العكس وكان تحسين الدخل الاقتصادي هدف رئيسي بسبب الجفاف والقحط والحروب التي كانت تحصل بين الحين والآخر بين القبائل ومكونات المجتمعات القديمة في دول شرق القارة الإفريقية وكذلك في المجتمع القبلي في شبه الجزيرة العربية الذي عرف بالحروب والثأرات بين القبائل على مر العصور وقد تبع تلك الهجرات تثاقف في الكثير من عناصر الثقافة الشعبية وحصل ذلك بانتقال هذه العائلات للعيش في المدن الساحلية لليمن»[5].

5- يتطرق البحث إلى التثاقف في الجانب اليمني ولي العكس من حيث تأثير اليمنيين على الجانب الإفريقي وهو تأثير كبير أيضًا يحتاج إلى دراسة متخصصة.



وقد أعقب هذه الهجرات الكثير من الصلات التجارية «وهاجر بعض اليمنيون أولًا إلى الدول المحاذية للسواحل اليمنية ووصلوا إلى جنوب منطقة قبائل البجة بشرق السودان وتزاوجوا بينهم وأدخلوا معهم لغة الجعز السامية التي تطورت عنها لغة التقرى.. ويذكر هاملتون مجيء اليمنيون إلى السودان ومصاهرتهم لقبائل البجة في فترة ما قبل الميلاد ويعزوه إلى نقص في الغذاء في بلادهم وقلة الكلاء وانقطاع الأمطار الموسمية التي تعتمد عليها بلادهم وقد نقل هؤلاء المهاجرون تراثهم وثقافتهم ومعتقداتهم إلى تلك البلدان وعملوا على الحفاظ عليها مر العصور»(6)

ويرى الأستاذ علي عبد عثمان في كتابة دراسات في المجتمع اليمني « أن تشابه أسماء المدن والأماكن والجبال والوديان والأبار وأسماء القبائل ليس صدفة ولكنة يدل على العلاقات المتبادلة التي تكونت بين مجتمعات البحر الأحمر خلال فترات تأريخية طويلة فالمدن التي نشأت قبل الإسلام كانت محطات تجارية بين مجتمعات الجزيرة العربية ودول شرق إفريقيا.. ومثلت مجتمعات سكانية مستقرة وتزايدت هذه الهجرات من الجزيرة العربية إلى شرق إفريقيا وكذلك من السواحل الإفريقية إلى جنوب الجزيرة العربية»(7).

وبالنسبة للمدن الساحلية في اليمن فقد امتزجت الثقافة الشرق إفريقية بالثقافة اليمنية بشكل كبير وتكونت أنماط جديدة تتناسب والبيئة الجديدة التي يعيشون فيها.

*****

6- نزار عبد غانم – جسر الوجدان بين اليمن والسودان- ص 16 -. 17

7- عبد علي عثمان - كتابات في التاريخ الإجتماعي للمجتمع اليمني- الطبعة الأولى 2011م.

نماذج مشتركة من التراث الثقافي (الإفرويمني)

تأثرت الكثير من عناصر الثقافة الشعبية اليمنية بالثقافة الشعبية الإفريقية ولا سيما في المناطق الساحلية ومن هذه المؤثرات على سبيل المثال ما هو مرتبط بالمعتقدات والمعارف والعادات والتقاليد والأزياء والرقصات والأغاني الشعبية ومنها ما هو مرتبط بغير ذلك من العناصر الثقافية المشتركة وفي إطار بحثنا يمكن أن نتناول بعض الأمثلة منها وسنركز على النماذج التي ترتبط بالمرأة بالذات وهي كالتالي:

أولًا: المعتقدات الشعبية.

توجد الكثير من المعتقدات الشعبية المتقاربة بين القارة الإفريقية واليمن وخاصة في المناطق الساحلية من اليمن فعلى سبيل المثال يعتقد الكثير من أبناء مدن تهامة أن للحلي قدرة على حماية الإنسان من مس الجن والعين والحسد وغير ذلك وتتشابه هذه المعتقدات مع المعتقدات الإفريقية وهذا التأثير «بحكم أن منطقة تهامة جغرافيًا مقابلة للساحل الإفريقي فقد انتقلت الكثير من المعتقدات الإفريقية إلى اليمن فعلى سبيل المثال تلبس المرأة اليمنية الحروز بأشكالها وأحجامها على الزند أو تربط على العكن أو على شكل قلادة تتزين بها النساء وكان يوضع داخل هذه الحروز تعاويذ أو عود الصليب»(8).

أمَّا من حيث شكل هذه الحلي والمكان الذي تلبس علية فلا يمكن الجزم بشكل قاطع أن المعتقدات المرتبطة بهذه الحلي إفريقية خالصة أو يمنية خالصة ففي الحضارة اليمنية ينتشر هذا المعتقد بشكل كبير وخاصة فيما يتعلق بقدرات الحماية والحفظ التي تتميز بها المعادن والأحجار الكريمة كالعقيق وغيره كما لا يمكننا إغفال هذا التشابه في وظائف تلك المعتقدات حيث يوجد في المناطق الساحلية لليمن الكثير من الحلي والمصوغات التي تتشابه من حيث الشكل والوظيفة إلى حد كبير مع تلك الحلي الموجودة على

8- منقول بتصرف - مسح وتوثيق الحرف التقليدية اليدوية في مدينة زبيد – الجزء الأول ص 49.



الجهة المقابلة لليمن من القارة الإفريقية خاصة ما تتزين به المرأة كالعقود والأساور والخلاخيل ومكملات الأزياء وإن كانت غالبية الدلائل تؤكد أن الحلي ومنتجاتها مصدرها اليمن بحكم شهرة اليمن بالصناعات الفضية والتي ما زالت قائمة للوقت الحاضر وكم يقال إن الانتشار دليل للأصل إلا أن التأثير من حيث المعتقد ربما نتج عن الهجرات المتبادلة بين اليمن وبعض دول القارة الإفريقية.



صورة(4) نماذج من الحروز والأقراط التي يعتقد أبناء المناطق الساحلية في اليمن بحمايتها لهم



صورة(5) فتيات بالحلي اليمنية ويظهر تشابه الأزياء وتسريحة خصلات الشعر وشكل الحلي مع النماذج الإفريقية



الزار

من أشهر المعتقدات والطقوس التي تعود بجذورها لدول القارة الإفريقية المحاذية للسواحل اليمنية يُعد طقس الزار من المعتقدات التي لا شك أنها ذات تأثيرات إفريقية خاصة في الحبشة التي يعتقد الكثير من الباحثين أنها الموطن الرئيسي لطقوس الزار وبالرغم من انتشار الاعتقاد بالجن في الحضارة اليمنية منذ العصور القديمة إلا أن الاعتقاد بالجن اتخذ أشكالًا أخرى في اليمن تختلف من حيث الطقوس والممارسات المتعلقة بها عن تلك الطقوس التي تنتشر في بعض بلدان الشرق الإفريقي.

الموسيقى والأغاني الشعبية الإفرويمنية

تأثرت المناطق الساحلية اليمنية بالموسيقى والأغاني الإفريقية ومع مرر الزمن تكونت فنون موسيقية وغنائية إفرويمنية « ونحن إذا كنا لا نستطيع تأكيد مثل هذا التأثير فإننا لا نستطيع أيضا أن ننفيه ولعل ما ينبِّه إلى تلقي الساحل اليمني الساحل اليمني لمؤثرات إفريقية موسيقية ما ذكره لنا المؤرخ اليمني محمد عبد القادر بامطرف في كتابة (الشهداء السبعة) حينما عرج على وصف مدينة الشحر، فذكر أن بالمدينة مرقص تجلب راقصاته من جزيرة لامو المواجهة للساحل الإفريقي الشرقي وذكر إبن المجاور الدمشقي (1290م) أن نساء لامو يجئن إلى الشحر وعدن»[9].

ومن أهم الدلائل التي تؤكد تمازج الموسيقى والأغاني الإفريقية واليمنية وجود بعض المصطلحات والكلمات الإفريقية التي تدخل في نسيج هذه الأغاني كما توجد بعض الآلات الموسيقية المشهورة في الثقافة الإفريقية مثل آلة الطنبورة والسمسمية التي تستخدم في عزف بعض الأغاني في المناطق الساحلية من اليمن كما في مدن سهل تهامة» ولأن مناطق تهامه الساحلية في اليمن كانت حقل دراسة أندرسون باكول. فقد عني بوصفه آلة السمسمية

9- نزار عبده غانم – وحدة التراث والأدب لليمن ودول الخليج العربي- مجموعة من الباحثين –الكتاب الأول – ط (1) - بيروت – مؤسسة دار الكتاب الحديث – دار الثقافة العربية الشارقة – 1996م – البحث المشارك في الكتاب (بعنوان الموسيقى الخماسية بين اليمن والخليج) ص 113.



الشائعة الاستعمال في تهامة وذهب غلى وجودها في الهند أيضًا كما لاحظ أنها اصغر حجمًا من الطنبورة ودلل على عراقة تأريخها في اليمن بغناء للبحارة اليمنيين عليها يسمونه(نوبيه) وأشار إلى أنها ذات خمسة أوتار تصنع من الأسلاك ويعزف عليها بأجزاء من سلال الشاي أو بنصف موسى. بينما تصنع أوتار الطنبورة الخمسة من النايلون أو من أمعاء الحيوان ويعزف عليها بقطعة من قرون الأبقار وعلى كلٍّ فإن طابعها العام واحد وأغانيها تقوم أساسًا على السلم الخماسي»[10].

وهناك الكثير من الأغاني في المناطق الساحلية لليمن لها جذور تمتد إلى الجانب الإفريقي وعلى العكس انتقلت بعض الأغاني اليمنية إلى الجانب الإفريقي ويمكننا أن نتعرف على هذه الأغاني من خلال تتبع المصطلحات الواردة فيها «وقد دلل الأستاذ جعفر محمد السقاف بدلوه في الحديث عن الطنبورة ضمن مقالته(الأغاني والرقصات الشعبية في وادي حضرموت الحافظة الخامسة) والتي نشرتها مجلة الثقافة الجديدة بعدن. بوجود كلمات إفريقية مثل: (نامطوطو، نكويشاء، أمطوري نمارا، وبالتعريب. وانسيم ريـح نسنس على المحبين يا عبد الله»[11].

الرقصات الشعبية

إن المتأمل في الرقصات الشعبية النسائية للمدن الساحلية في اليمن يكتشف للوهلة الأولى أن بعض هذه الرقصات ذو مؤثرات إفريقية ولا يمكن الجزم بعدم التأثر في أسلوب الرقص فعلى سبيل المثال في رقصة الليوة المعروفة في بعض المناطق الساحلية في اليمن «ترقص بثلاث طرق: ليوة طبيعية – المتاري – الدنكارو أو الدندو وإذا قدمنا تحليل أغنيات رقصة الليوه، سنجد أنها تقدم دليلًا أخر على زنجية هذا الفن فهذه الرقصات تدور أساسًا حول صفات الحبيب وفراقه ووداعه وتسودها عاطفة الألم والنواح والبكائية»[12].

10- مرجع سبق ذكره- نزار محمد غانم – وحدة التراث والأدب لليمن ودول الخليج العربي- مجموعة من الباحثين ص 118.

11- نفس المرجع. ص 120

12- مرجع سبق ذكره- نزار محمد غانم – وحدة التراث والأدب لليمن ودول الخليج العربي- مجموعة من الباحثين ص 114.

ومما لا يدركه البعض عن رقصة الليوا نها رقصة قادمة من إفريقيا وكانت ترقص في مدينة عدن من قبل الزنوج(الجبرت) وهم فئة يمنية أصيلة وإن كانت ملامحهم تقترب من الملامح الإفريقية ويشير بعض المؤرخين أن هذه الرقصة وجدت في جزيرة سقطرى وكانت ترقص من قبل سكان المنطقة وبهذا يمكن القول أن رقصة الليوا في اليمن استطاعت أن تقولب نفسها على ثقافة جديدة مختلفة عن المحيط الذي قدمت منه في فترات غير معروفة ربما لعبت الهجرات والتجارة دورًا في نقلها وقد اشتهرت هذه الرقصة في اليمن وفي عدن بالذات وأصبحت من أهم الرقصات التي ترقص في الأفراح والمناسبات المختلفة(13).



صورة (6) رقصة من تهامة وهي رقصة مشهورة تظهر عليها مؤثرات إفريقية.

13- علي محمد صالح المحمدي – ياسمين أبو القصب الشلال- الرقصات الشعبية اليمنية ط(1) صنعاء- صندوق التراث والتنمية الثقافية2015م.



وهناك رقصات يمنية امتزجت بالرقصات الإفريقية بمرور الزمن ودخلت فيها آلات يمنية وآلات إفريقية ويظهر ذلك من خلال أسلوب الرقص والحركات التي تبدأ ببطء وقد يستخدم فيها الخنجر اليمني كبعض الرقصات اليمنية ثم تبدأ بالتصاعد والحدة والسرعة حتى تتحول إلى رقصات إفرويمنية كما في رقصات الحماسة في تهامة والتي تأثرت في بعض حركاتها بالرقصات الإفريقية.



صورة (7) رقصات تهامية تشتهر بها مدينة الحديدة الساحلية في اليمن

قد أورد الأستاذ جعفر محمد السقاف في حديثه عن الأغاني الحضرمية والرقص البدوي الذي يرقصه الجنود الإفريقيون ويقول أن الطنبرة يقدمها الجنود الإفريقيون (عبيد وحرس الحاكم) في مناسبات الأعياد وخاصة في تريم ويستخدمون في الرقصة الجنبية والسيوف وطمشة، ويضاف إليها رقصة زامل العبيد/الشبرح/البرعة.

*****



الآلات الموسيقية

تتشابه الآلات الموسيقية التي تحضر في أغلب الأغاني والرقصات في المدن الساحلية اليمنية مع آلات الموسيقى الإفريقية وقد تشترك معها في الوظيفة آلات يمنية كالمزمار والطبول والمرافع ونلاحظ في بعض الأغاني والرقصات أن العزف بهذه الآلات المصاحبة يكون بطيئًا في أول الأغنية وكذلك بالنسبة للرقصات وتتسارع حدتها كلما اقتربت من النهاية وهذه الخاصية تشتهر بها الموسيقى والرقصات الإفريقية. ويذكر الدكتور نزار عبده غانم «أن فن الليوة أو الليوا جاءت من قبيلة الليوا في كينيا وهي فن إفريقي بكل ملامحه وأدائه وصيحاته وأهازيجه وإيقاعاته ويستدل على جذوره السواحلية بكثرة المفردات السواحلية الأصل في نصوص غنائة وإن خالطتها بعض المفردات العربية.. والليوة رقصة جماعية تؤدى بغير مناسبة لغرض التسلية وقضاء وقت الفراغ أما الآلات الموسيقية المستخدمة فتكون من آلة نفخ خشبية هي الصرناي أو السورني كما تعرف بالهند وثلاثة غلى أربعة طبول مختلفة الأحجام يضرب عليها بالعصى في بعض المناطق وبالأيدي في مناطق أخرى ولهذه الطبول أسماء كثيرة: السباقة – السندو- الشجنا- الباتو- تشبوة أو جبوة- كاسر – جاعد فالسندو والجاعد طبول كبيرة والتشبوة طبل وسيط والكاسر أصغرها حجمًا»(14).

14- مرجع سبق ذكره- نزار محمد غانم – وحدة التراث والأدب لليمن ودول الخليج العربي- مجموعة من الباحثين.





صورة (8) فرقة شعبية يمنية تمثل فئة من المجتمع اليمني تعزف على الآلات اليمنية الإفريقية

وتزداد حدة الرقصات والموسيقى اليمنية عندما نتأمل في موسيقى ورقصات الساحل الغربي لليمن المحاذي للسواحل الإفريقية بينما تقل حدة هذه الرقصات في سواحل البحر العربي حيث تتميز بأنها أكثر هدوءًا وربما كان للهجرات المتعددة إلى القارة الهندية وبعض دول القارة الأوربية دورًا في ذلك خاصة فيما يتعلق بإقليم حضرموت.

*****

الأزياء الشعبية

تتقارب أشكال الأزياء التقليدية الشعبية اليمنية في المدن الساحلية من حيث الوظيفة والتصميم من الأزياء المتداولة في دول شرق القارة الإفريقية خاصة تلك الأزياء التي ترتديها المرأة في المناطق الساحلية وقد لعبت الهجرات المتبادلة والتجارة دورًا رئيسًا في نقل هذه النماذج من الأزياء وخاصة لدى العائلات المنحدرة من أصول إفريقية والتي تنتشر في عدد من القرى في المدن الساحلية لليمن.

وفي بداية القرن العشرين كانت الكثير من القبائل اليمنية ذات الأصول الإفريقية تحتفظ بعاداتها وتقاليدها وأزيائها ونلمح ذلك من خلال مذكرات الرحالة الأجانب الذين زارو اليمن في تلك الفترات فعلى سبيل المثال ورد في مذكرات البعثة السينمائية السوفيتية التي زارت اليمن في العام 1929م في كتاب (فلاديمير شنيدروف) «أن أفراد البعثة كان يشاهدون النساء العربيات تتجول في أسواق الحديدة بالشيادر بينما يجري صبيان أشباه عراة أو عراة تمامًا تزين وسطهم خرزات زرقاء وتعتبر هي اللبس الوحيد والوسيلة الوحيدة لتفادي ضربة العين»[15].

ويبدوا أن أفراد البعثة السوفيتية قد شاهدو صبيان يمنيون ينحدرون من أصول إفريقية وهم يعيشون في اليمن منذ عصور قديمة حيث تورد انطباعات البعثة في صفحات متفرقة من الكتاب أن هذه الفئة قد امتزجت بالمجتمع اليمني وهم جزء لا يتجزأ منه وأنهم مندمجون مع اليمنيين ويتزاوجون معهم وليس بينهم وبين اليمنيين أي فروق من حيث الدين أو التميز وأوردت مذكرات البعثة أن هناك فئة من العمال الأفارقة الجدد الوافدون للعمل لا يتمتعون بما يتمتع به الإفريقيون الذين سكنوا اليمن منذ القدم إلا أن الثقافة الإفريقية ما زالت ممارسة في بعض الطقوس التي وردت ومنها الأزياء والمعتقدات والرقصات غير ذلك.

15- فلادمير شنيدروف – ترجمة سعيد الدبعي –مشاهدات وانطباعات البعثة السينمائية السوفيتية الألمانية1929م. ط(1) صنعاء - إصدارات جامعة عدن - 2010م.



ولم تتوقف التمازجات الثقافية الشعبية اليمنية والإفريقية على الأزياء في الجانب اليمني فقط فهناك تأثير يمني أيضًا على الأزياء في الجانب الإفريقي حيث ترتدي بعض القبائل من سكان دول شرق إفريقيا الخنجر اليمني المعروف منذ القدم مثل قبائل العفر والبيجا في الحبشة والسودان والذين تعود أصولهم إلى قبائل يمنية هاجرت منذ عصور قديمة وامتزجت بالعنصر الإفريقي وأصبحت جزءًا منه.



صورة (9) لنساء يمنيات يظهر في ملامحهن وأزيائهن التمازج الإفرويمني

كما يرتدي الرجال في بعض المناطق الإفريقية المحاذية للسواحل اليمنية الإزار العربي اليمني الذي يعرف في اليمن(المعوز) وقد يحل مكانه في بعض المناطق الفوطة التي تتصل ببعضها وهي تؤدي ذات الوظيفة.

*****

الحناء ثقافة إفرويمنية مشتركة

يعد صبغ الجسد بالحناء في اليمن بالنسبة للمرأة ثقافة راسخة منذ عصور قديمة ولا يُعرف في الحقيقة الأصول الحقيقية لانتشاره فقد وجدت البعثات الأثرية عينات منه حيث كان يوضع بجوار الموتى وهي عادة ما زالت منتشرة إلى وقتنا الحاضر وما يمكن الجزم به في هذه الحالة هو أن الحناء عنصر مشترك في الثقافة اليمنية والإفريقية منذ القدم.

وتتشابه طقوس ليلة الحناء للعروس في اليمن وبعض دول إفريقيا وهناك طقوس مشتركة تقام في حفلة حناء العروسة حيث يخصص يوم كامل لطقوس الحناء (ليلة الحناء) حيث تغتسل العروسة في ذلك اليوم ومن ثم تتوجه إلى المنقشة التي تقوم بنقش جسد العروسة بصبغة الحناء التي تتوزع على شكل زخارف ونقوش على مواضع متعددة من الجسد كاليدين والرجلين والصدر وأحيانًا أعلى الظهر.

كما تقوم نساء العائلة والجيران بنقش أجسادهن بالحناء كنوع من المشاركة للعروسة حيث يحتفل الجميع بالحناء وتتنافس الفتيات على اختيار أجمل زخرفة على الجسد ومواضعه المختلفة.

وتعتقد الكثير من النساء اليمنيات أن للحناء قدرة على حماية الفتاة من العين والحسد كما أن له القدرة على حماية البشرة من الجفاف والتشقق، ولم يقتصر الحناء على النساء فقط فهناك طقوس حناء للرجال أيضًا خاصة في المناطق الساحلية من اليمن تقل كلما اتجهنا للوسط وهناك طقس يتشابه إلى حد كبير مع طقوس الحناء في المناطق الإفريقية حيث يقوم أصدقاء العريس بإعداد وعاء كبير من الماء الذي يخلط بكمية كبيرة من مسحوق الحناء ومن ثم يقومون بالرقص واللعب وغسل بعضهم البعض بصبغة الحناء وهذه عادة موجودة في الأفراح في بعض مناطق اليمن الساحلية وكذلك في بعض دول إفريقيا كالسودان وجنوب مصر والدول المحاذية للسواحل اليمنية.





صورة (10) ليلة الحناء في بعض أقاليم اليمن وغسل الشباب وأصدقائه بالحناء[16].

وبالنسبة لطريقة زخرفة الحناء على جسد المرأة في اليمن فهي لا تختلف كثيرًا عن أماكن نقش الحناء للمرأة الإفريقية أما من حيث التشكيلات والوحدات الزخرفية المناسبات التي تصبغ فيه النساء أجسادهن ففي ليلة حناء للعروسة في اليمن يتم تجهيز إناء كبير من عجينة الحناء وتقوم أحد النساء الماهرات بصبغ جسد العروسة بينما تقوم النساء الكبيرات بوضع كميات منه على راحة اليد من دون الحاجة للنقوش بينما تهتم الفتيات الشابات والصغار بحناء جسدهن بطريقة النقوش والزخرفة والتي تحتاج إلى أدوات خاصة لتنفيذها كأن توضع صبغة الحناء داخل كيس بلاستيكي مخروطي ينتهي بفتحة صغيرة تساعد على وضع الصبغة بطريقة تشبه الكتابة بالقلم أو أن توضع صبغة الحناء على كليشة بلاستيكية لاصقة منقوش عليها الزخارف والنقوش بطرقة التفريغ بحيث يوضع عليها الحناء فيغطي الأماكن المراد نقشها ويترك الأماكن

16- مصدر الصورة الأستاذة غادة الحداد فنانة تشكيلية من اليمن والصور من حفل زواج شقيقها في محافظة الحديدة.

الأخرى من دون صبغة وهي الطريقة الأكثر انتشارًا في اليمن في الوقت الحاضر وذلك لسهولتها ولتوفر هذه الكليشات المزخرفة في غالبية المحلات حيث تصنع وتباع جاهزة كما يوضع الهرد أو الكركم على الوجه في بعض مناطق اليمن وهي عادة مشهورة في الجانب الإفريقي أكثر من الجانب اليمني.



صورة (11) حناء تضعها امرأة من اليمن [17].



صور (12) صورة للحناء اليمنية

17- مصدر الصور باسكال وماريا ماريشو.



كما تنتشر في بعض المناطق الساحلية من اليمن الكثير من القرى التي ما زالت تحتفظ بالأزياء التي تتطابق إلى حد كبير مع تلك الأزياء التي تظهر بكثرة في الجانب الإفريقي وعلى الرغم من قدم استيطان الهجرات الإفريقية في المناطق الساحلية اليمنية إلا أنها ما زالت تحافظ على الكثير من الملامح الإفريقية وربما لعب استمرار الهجرات والتجارة والتواصل وكذلك التزاوج وصلة النسب مع الجانب الإفريقي دورًا في بقاء تلك الملامح.

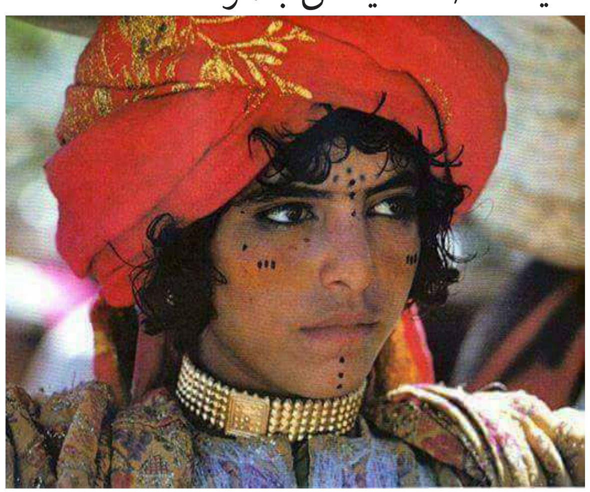
كما تضع النساء في بعض مناطق اليمن مسحوق الكركم وهو عبارة عن صبغة صفراء اللون يوضع مسحوقها الممزوج بالحليب على البشرة بهدف تنعيمها والحفاظ عليها من التشقق أو التقشف الناتج عن الحرارة والشمس ونشاهد هذه العادة منتشرة بكثرة في دول شرق القارة الإفريقية.



صورة(13) على اليمين امرأة إفريقية وعلى اليسار نساء من اليمن والكل يضعن الكركم على الوجه بنفس الطريقة.

كما نلمح في بعض القرى الساحلية والجبلية لليمن بعض المؤثرات الإفريقية فقد كانت النساء إلى وقت قريب تتوشم في مواضع من الوجه كالدقن والجبهة كما تتوشم النساء الإفريقية وعلى الجانب الأخر من دول شرق القارة الإفريقية توجد مؤثرات يمنية كذلك على الأزياء الإفريقية وخاصة الحلي ومكملات الزينة وهذه الملامح تظهر أكثر في القرى وبين القبائل العربية

التي استوطنت مدن وقرى السواحل الإفريقية منذ عصور قديمة وصارت تربطها باليمن علاقات النسب حيث كان بعض أبناء هذه القبائل يعودون لليمن ويتزوجون من أبناء عمومتهم وعلى العكس تزوج البعض منهم من نساء إفريقيات وهو ما ساعد تمازج العنصر الإفريقي باليمني وأسهم في تمازج الكثير من العناصر الثقافية خاصة ما يتعلق بالمرأة.



صور(14) فتاة يمنية تضع الهرد والكركم وتتوشم بنقاط باللون الأسود كنوع من المقارنة بالوشم لإفريقي



صورة(15) فتاة بزي العروس من عدن في عرض لأزياء في العام م ويظهر على الزي التأثر بالأزياء الإفريقية





صورة (16) يمنية ترتدي أزياء اقرب للأزياء الإفريقية وهو زي ينتشر بكثرة بين نساء المناطق والقرى الساحلية

*****

النتائج

- لعبت التجارة والهجرات المتبادلة بين اليمن ودول شرق القارة الإفريقية دورًا كبيرًا في تمازج الثقافة اليمنية مع الثقافة الإفريقية وتعتبر اليمن من أكثر الدول العربية ألأسيوية تأثيرًا وتأثرًا بالثقافة الإفريقية بحكم الجوار وقرب المسافة والتحكم بالممرات البحرية.

- هناك الكثير من العناصر الثقافة الشعبية المشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية وتزداد هذه العناصر في المدن والسواحل المحاذية للبحر العربي والأحمر والتي تتقابل فيها السواحل اليمنية مع السواحل الإفريقية.

- كان للفتح الإسلامي دورًا كبيرًا في نقل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية اليمنية إلى دول إفريقيا والمغرب العربي.

- تظهر بعض المؤثرات الإفريقية على بعض عناصر الثقافة الشعبية للمرأة اليمنية في المناطق الساحلية خاصة في المناطق التي استوطنتها قبائل إفريقية منذ عصور قديمة.

*****



التوصيات

- يوصي الباحث بمزيد من الدراسات المتخصصة في دراسات العلاقات الثقافية والحضارية بين اليمن ودول القارة الإفريقية فالثقافة الأسيوية والإفريقية العربية مكملة لبعضها.

- يوصي الباحث بالعمل على إيجاد وسائل متعددة للتواصل الثقافي والعلمي بين الدول العربية في قارة إفريقيا وقارة أسيا وعقد مزيد من المؤتمرات التي تعني بدراسة الثقافة الشعبية العربية التي تعكس التواصل الثقافي والفني.

*****

المراجع

1- شاهر جمال أغا- جغرافية اليمن – للشطر الشمالي – الطبعة الأولى - دمشق – مكتبة الأنوار بدمشق – مكتبة لطف يحيى العبالي – 1983م

2- نزار عبد غانم – جسر الوجدان بين اليمن والسودان- الطبعة الأولى- صنعاء – 1994-2000م

3- عبد علي عثمان - كتابات في التاريخ الاجتماعي للمجتمع اليمني- الطبعة الأولى2011م.

4- عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – من القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشي في اليمن – رسالة ماجستير- في التاريـخ القديم – جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات لإسلامية – قسم الدراسات التاريخية والحضارية.

5- مسح وتوثيق الحرف التقليدية اليدوية في مدينة زبيد التأريخية – الجزء الأول ط(1) الفريق الوطني للمسح – الصندوق الاجتماعي للتنمية – مطابع صنعاء الحديثة للأوفست -2011م

6- نزار محمد غانم – وحدة التراث والأدب لليمن ودول الخليج العربي- مجموعة من الباحثين –الكتاب الأول – ط الأولى - بيروت – مؤسسة دار الكتاب الحديث – دار الثقافة العربية الشارقة – 1996م – البحث المشارك في الكتاب (بعنوان الموسيقى الخماسية بين اليمن والخليج) ص 113.

7- علي محمد صالح المحمدي – ياسمين أبو القصب الشلال- الرقصات الشعبية اليمنية ط(1) صنعاء- صندوق التراث والتنمية الثقافية2015م.

8- فلادمير شنيدروف – ترجمة سعيد الدبعي –مشاهدات وانطباعات البعثة السينمائية السوفيتية الألمانية1929م. ط(1) صنعاء _- إصدارات جامعة عدن - 2010م.



9- فكري آل هير – حول الأصل والنشأة العروبية (عوربة الحبشة والسودان ومصر) 19MAKAICIOUDيونيو 2016م.

10- يوسف الشريف - اليمن وأهل اليمن أربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م ص23

1- محمد جمال سباق الحويطي - لمحة عن صعيد مصر ووجه الشبه بينه وبين الجزيرة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيـع – 2017م.

2- عبد الوهاب بن منصور – قبائل المغرب – الجزء الأول –الطبعة الأولى – الرباط – المطبعة الملكية بالرباط – الكتاب حاصل جائزة المغرب للكتاب عام 1968م وهي سنة الطبع والنشر.

3- محمد عبد الله عنان - ابن خلدون حياته وتراثه الفكري – تصدير محمد صابر عزب- الطبعة الرابعة – القاهرة – مطبعة دار الكتب والوثائق القومية – 2006م.

4- عبد الحق زريوح بحث منشور بعنوان- من فنون الثقافة الشعبية الجزائرية: الحوفي والحوزي الماهية والجذور التاريخية - الملتقى الدولي – الثقافة الشعبية العربية رؤى وتحولات –من 11 إلى 13 أكتوبر 2016م.

*****

الفصل الخامس

الفنون المشتركة بين مصر واليمن

الفنون المشتركة بين مصر واليمن

المقدمة

تشترك مصر واليمن بنماذج متعددة من الفنون أهمها فنون الأدب الشعبي بما فيه من أساطير وسير شعبية وحكايات،وأغان وغيرها من الفنون الشعبية كما تتقارب المعتقدات الشعبية بين الحضارتين، فإيزيس وأوزوريس هما الشمس والقمر في الحضارة اليمنية وتقديس الثور والوعل والكباش والغزلان نماذج مشتركة بين الحضارتين منذُ القدم،وقد وثقت الآثار اليمنية والمصرية نماذج متعددة من الأدب المشترك بين الحضارتين بل ووثقت لأقدم حكاية شعبية مصورة تعكس نموذجًا هامًا لأدب الرحلات، وأقدم هذه الفنون هي قصة رحلة المصريين القدماء إلى بلاد بونت، وهي حكاية مصورة نحتت رسومها على جدران معبد الدير البحري في مدينة الأقصر التاريخية في عصر الملكة المصرية حتشبسوت التي أرسلت عددًا من الجنود والخبراء إلى بلاد بونت (أرض البخور) والتي لا شك يقصد بها اليمن،وأجزاء من القرن الإفريقي وهي أقدم حكاية مصورة في التاريخ،وتحكي نموذجًا حيًا وقائمًا على عمق التواصل الثقافي والحضاري بين مصر واليمن إذ تصور هذه الحكاية استقبال ملك بلاد بونت (أرض البخور-اليمن) للجنود المصريين في بلاده وهو يرتدي الإزار والخنجر (الجنبية) على خصره بنفس الطريقة التي مازال اليمنيون يرتدونها إلى وقتنا الحاضر كما تصور السلع والبضائع التي جلبها المصريون معهم للملك كهدايا وبالمقابل تصور الجدارية العملاقة مواصفات بلاد بونت بمدرجاتها الزراعية وجبالها ووديانها وخيراتها المتعددة بما فيها أشجار البخور التي أهدى ملك اليمن معظمها في أوعية كبيرة من الفخار لنقلها إلى مصر،وتصور الجدارية عائلة ملك بلاد بونت وزوجته البدينة وبناته الممشوقات والفاتنات،وجنوده وهم ينقلون البخور في أكوام إلى السفينة المصرية القادمة لنقل البضائع والحيوانات النادرة من اليمن إلى مصر مقابل الخناجر والذهب وتعكس هذه الحكاية المصورة مدى ترابط الشعبين ثقافيًا وحضاريًا على مر العصور إذ

تعود هذه الجدارية المصورة إلى عصر الملكة حتشبسوت التي سادت بينهما علاقة طيبة مع بلاد بونت والتي لا شك يقصد بها اليمن وأجزاء من القرن الإفريقي التي كانت خاضعة لنفوذ اليمنيين آنذاك تجاريًا كدولة عظمى وقوية في المنطقة.

كما كان لانتقال اليمنيين الأوائل إلى دول شرق إفريقيا والهند دورًا في استيلائهم على طرق التجارة العالمية وبالتالي انتقالهم إلى مصر سواء في هجرات بغرض البحث عن مواطن جديدة - أو بفعل التجارة والتواصل المشترك أو بفعل تغيرات فارقة كتهدم سد مأرب قديمًا ودخول الإسلام مصر لاحقًا والذي انتقل معه عشرات الآلاف من اليمنيين آنذاك وسكنوا صعيد مصر وحضرها،ومع مرور الزمن تشكلت نماذج جديدة من الأدب المشترك بين البلدين أشهرها سيرة سيف بن ذي يزن التي تحكي بطولات الملك اليماني الهمام وصراعه مع الأحباش العدو المشترك لمصر واليمن ناهيك عن السيرة الهلالية وسيرة الأميرة ذات الهمة التي تعود أصول أبطالها إلى اليمن، وهذه الحكايات بالرغم من أن أبطالها وأحداثها تدور بين مصر واليمن وبلاد الشام بشكل رئيسي إلا أن تأليفها كان في مصر حيث نقلت القبائل اليمنية تراث أبطالها ورموزها الشعبية إلى البلدان الجديدة التي وصلوا إليها وتشكلت سير شعبية تمزج بين رموز وأبطال الموطن الأصلي مع رموز وأبطال الموطن الجديد وقد نتج عن هذا التواصل الحضاري بين البلدين تثاقف كبير سيما في مجالات الأدب الشعبي الذي يعبر مدى الترابط والتلاحم بين حضارة مصر واليمن، وقد أدى هذا التلاقح بين الحضارتين إلى تمازج كبير في مجالات متعددة من الأدب الشعبي المشترك بين الثقافتين على رأسها السير الشعبية والحكايات والأمثال والحكم وطرق الري والزراعة والأزياء الشعبية والعادات والتقاليد والفنون المشتركة بين الثقافتين ويسعى هذه البحث للتعريف بنماذج التراث الثقافي المشترك في مجال الأدب الشعبي خاصة بين الثقافة المصرية واليمنية.

*****



الهجرات المتبادلة بين مصر اليمن

لعبت الهجرات اليمنية إلى دول إفريقيا ومصر – بالذات- دورًا هامًا في تداخل الكثير من عناصر الثقافة الشعبية اليمنية والمصرية وأقدم هذه الهجرات كانت بعد حادثة سيل العرم وتهدم سد مأرب الأول والذي انتقلت معه الكثير من القبائل اليمنية إلى دول إفريقيا حول نهر النيل لما يتمتع به من خصوبة التربة وتوفر المياه على مدار العام وتؤكد المصادر التاريخية أن اليمنيين هاجروا إلى أرض النيل منذُ عصور قديمة، واستمر هذا التواصل كعلاقات تجارية حتى جاء الإسلام وانتقل مع الفتح الإسلامي لمصر الكثير من اليمنيين وساهمت سمعة اليمنيين الطيبة بشكل كبير في تقبل المصريين دخول الإسلام إذ اختار عمر بن العاص جيش فتح مصر من اليمن لحكمته ومعرفته بمدى طيب العلاقات بين المصريين واليمنيين وكذلك لإدراكه فهمهم لبعضهم البعض من حيث اللغة حيث أن اليمنيين يفهمون لغة المصريين من خلال التجارة،وقد استجلب المشاركون في فتح مصر عائلاتهم إليها بعد تغلبهم على جيوش الروم التي كانت تحتل مصر آنذاك وسكنت هذه القبائل الجيزة بل وسميت بالجيزة لتجاوز القبائل اليمنية العرف بالبناء فيها إذ لم يكن المصريون يسكنون فيها لوقوعها ناحية الغروب التي تمثل أرض الأموات حسب المعتقدات المصرية فكانوا يتخذونها مقابر لموتاهم،وكانت القبائل اليمنية أول من اجتاز النيل واخترق هذا العرف وسميت أحياء قديمة في الجيزة بأسماء قبائل ومناطق يمنية وما زالت تحمل نفس التسميات إلى يومنا هذا ومنها: حي مراد نسبة إلى قبيلة مراد التي تعود أصولها إلى محافظة مأرب شمال اليمن وعلى رأسها قائد جيش فتح مصر (شُريك بن سمي المرادي) ويُنسب إليه بناء جامع همدان الأثري في الجيزة والذي يسمى حاليًا بجامع (أمير الجيوش) نسبةً لقائد جيش فتح مصر الصحابي الجليل شُريك المرادي»[1] ويُنسب حي همدان إلى قبائل همدان في صنعاء ويقع بجواره حي يافع نسبة لقبائل يافع القادمة من مناطق يافع وسط اليمن.

1- محمد جمال سباق الحويطي - لمحة عن صعيد مصر ووجه الشبه بينه وبين الجزيرة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيـع – 2017م.

وما زالت العديد من العائلات المصرية سيما (في الصعيد) تحمل نفس الألقاب في مصر واليمن إلى وقتنا الحاضر ومنها هنيدي والقبيصي وجهينة والأحمر والحميري والشلح وغلاب واليماني والحضرمي والحمادي وبني مراد وبني يافع وبني عمر وبني حماد وبني مزاحم وبني عبد الهادي وغيرها الكثير لا يتسع المقام لذكرهم.

الوجود المصري في البحر الأحمر واليمن

بدأ الوجود المصري في البحر الأحمر منذ فجر العصر الفرعوني وذلك على نحو ما يؤكده تاريخ مصر المكتوب والمنقوش بالهيروغليفية واتخذ هذا الوجود طابع الاهتمام بتجارة البحر الأحمر ولا سيما مع بلاد اليمن وأضفى المصريون القدماء طابعًا جليلًا على مفهوم حماية تجارة البحر الأحمر حيث كان الاعتقاد السائد لديهم أن بلاد بونت هي أرض الآلهة وحرص المصريون القدماء منذ الأسرة الأولى على إرسال بعثاتهم التجارية إلى بلاد بونت ومع هذا التبادل التجاري ظهرت العديد من فنون الأدب الشعبي المشترك بما فيها من أساطير وحكايات شعبية،ووزاد نشاط مصر التجاري في البحر الأحمر في عهد الأسرة الخامسة (2449-2345ق.م) حيث أرسل أحد ملوكها وهو (ساحورع) أسطولًا إلى بلاد بونت وجلب منها حسبما سجلته النقوش ثمانيين ألف مكيال من المر وستمائة مثقال من الذهب والفضة وألفين وستمائة ساق من نباتات ثمينة واتخذت الرحلات التجارية في البحر الأحمر طابعًا منتظمًا ودوريًا خلال الأسرة السادسة حتى أن أحد أشراف تلك الأسرة ويدعى (خوى) سجل على مقبرته في أسوان (لقد سافرت مع سيدي الأمير رئيس بيت المال (نبتى) إلى بلاد بونت أحد عشر مرة.

وبلغ النشاط التجاري المصري أوجه في البحر الأحمر في عهد الملكة حتشبسوت (1503- 1482ق.م) حيث أمرت في العام السادس من حكمها بإبحار خمس سفن ضخمة إلى بلاد بونت لإحضار منتجات تلك البلاد وسجلت أحداثها على جدران معبدها بالدير البحري،ويرجح أن الملكة حتشبسوت أمرت – أيضًا- بحفر قناة تربط النيل بالبحر الأحمر عبر وادي الطميلات وهي

القناة التي ظلت قاعدة للوجود المصري بالبحر الأحمر وطريقه الملاحي حتى حلت مكانها قناة السويس.

ودعم رمسيس الثاني دور مصر في تأمين البحر الأحمر وذلك حين خصص سفنًا لنقل النحاس من مناجم سيناء وسفنًا أخرى لجلب محاصيل بلاد الصومال وبلاد العرب وغدا البحر الأحمر بوابة عبور بين مصر واليمن ؛إذ كان اليمنيون يجلبون البضائع من الهند والصومال وكانت اليمن تمثل عبر مضيق باب المندب مركز نشاط تجاري بينها وبين مصر، وكذلك مثلت ملتقى للتجار من القرن الإفريقي والصومال والهند ودول شرق إفريقيا بحكم موقعها الجغرافي الواقع بين هذه البلدان وقد أطق عليها المصريون اسم بلاد بونت نسبة لعدد من وديانها التي ما زالت تسمى بالبون إلى وقتنا الحاضر.





صورة (1) على اليمين ملك بلاد بونت يرتدي (الجنبية) «تصوير الباحث - المتحف المصري» وعلى اليسار تمثال لملك يمني يرتدي الجنبية «المتحف الوطني بصنعاء»

«وزاد الوجود المصري في البحر الأحمر قوة رهيبة –أيضًا- بعد الفتح الإسلامي لمصر حيث أمر الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- بإعادة حفر القناة التي كانت تربط النهر بالبحر منذ عهد الملكة حتشبسوت وهي القناة التي صار يطلق عليها اسم (خليج أمير المؤمنين) وساعدت هذه القناة

على تنشيط التجارة ليس بين مصر واليمن فحسب بل بين مصر وسائر أقطار البحر الأحمر،ومن خلفها بلدان المحيط الهندي» [2] وقد أسهم انتقال الكثير من اليمنيين للحياة في مصر بعد الفتح الإسلامي لها إلى تطور هذا التواصل الوثيق بين البلدين،وهذا أدى إلى ظهور العديد من عناصر الأدب الشعبي المشترك بين البلدين سيما في مجال السير الشعبية التي سنفرد لها عنوانًا خاصًا يتناول أهم وأشهر هذه السير وأسباب انتشارها وتداولها كتراث مشترك بين البلدين»[3].

الأساطير الشعبية المشتركة بين مصر واليمن:

لا تخلو الأساطير المصرية واليمنية من تراث شعبي مشترك بين البلدين وقد أسهم العمق الحضاري والثقافي بين الحضارة المصرية واليمنية في ارتباط العديد من الأساطير القديمة بالبلدين أرضًا وإنسانًا وأشهر هذه الأساطير الآتي:

- أسطورة طائر العنقاء

تقول الحكايات والأساطير القديمة إن هناك طائرًا كان يزور اليمن في فترات متباعدة جدًّا، ويعد هذا الطائر من الطيور المقدسة التي لا تظهر للعيان إلا نادرًا. ويقال إنها طيور بيضاء لها عنق طويل، أسفله تاج أبيض، وكانت تأتي لليمن وإلى جزيرة سقطرى للحصول على اللبان من أشجار اللبان المنتشرة في اليمن، فتصارع مع الثعابينَ المجنحة التي تنتشر في جبال وصحارى اليمن التي تحمي الشجرة المقدسة، كونها أشجار تخص عطور وبخور الآلهة.

«وقد وثق الإغريق واليونان، هذه الأسطورة إذ ذكرها المؤرخ الإغريقي هيرودوت في كتبه عن رحلاته التي قام بها في القرن الخامس قبل الميلاد، وذكر فيها وجود هذا الطائر في أماكن تواجد الشجرة المقدسة في اليمن في كلٍّ من حضرموت وظفار وجزيرة سقطرى، وذكر أن هذه الأرض تسكنها الآلهة،

2- مصر ودول حوض البحر الأحمر والقرن الإفريقي - تقرير لجنة الشؤون العربية والخارجية والأمن القومي – القاهرة _ بحث منشور على شبكة الإنترنت بهذا العنوان ص ،12. 13

3- شاهر جمال آغا- جغرافية اليمن – للشطر الشمالي – الطبعة الأولى - دمشق – مكتبة الأنوار بدمشق – مكتبة لطف يحيى العبالي – 1983م.



وأن هذه الطيور تسكن معها في هذه الأرض. ولهذا الطائر أسماء مختلفة في أساطير أخرى حول العالم،فيسمى أحيانًا طائر (الفينيق) حيث تقول الأسطورة الفينيقية إنه يظهر كل خمسمائة عام، وسمى بطائر الفينيق نسبة إلى رحلته إلى أرض فينيقيا (أرض لبنان) وقبل موته يذهب إلى مصر ليموت عند الإله رع في معابد مصر القديمة، ويتحول إلى رماد ثم تخرج دودة صغيرة من بين هذا الرماد وتنمو حتى تصبح طائر عنقاء جديدًا يسافر مرة أخرى إلى أرض الآلهة في اليمن ثم إلى فينيقيا ثم إلى مصر»[4].

هذه الحكاية تبدو عليها التأثيرات الفينيقية والمصرية القديمة، ويقول العرب في أمثالهم أن « المستحيلات ثلاثة: الغُول، والعَنقاء، والخل الوفى»،،وهو مجرد مثل قد لا ينطبق على الحقيقة، فيعتقد الكثير من الباحثين أن الغول ربما قصَدَ بها العرب الغوريلا الكبيرة التي كانت تعيش في جبال الجزيرة العربية، وأن هذا الطائر ربما كانوا يقصدون به نوعًا من الطيور المهاجرة التي تنتقل من بلد إلى آخر في فترات متباعدة، ومنها طيور نادرة لا تظهر إلا كل دهر، وربما كان الناس قديمًا يرون هذه الطيور في رحلاتها فينسجون لها هذه الأساطير، وجزيرة سقطرى اليمنية من الجزر التي تحتوى على عدد كبير من الطيور النادرة التي لا توجد في مناطق أخرى من العالم.

- زواج الآلهة في اليمن القديم

كان الإنسان اليمنى القديم يتأمل في الجبال الشاهقة ليلًا فيرى الكواكب والنجوم تضيء من حولها، فعبد النجوم واعتبرها الآلهة الحقيقية له، فقد كان يراقب الظواهر المختلفة من حوله وينسج حولها الكثير من الأساطير التي انقرضت واختفت من الذاكرة لاحقًا واعتبرها اليمنيون خرافات محرمة بعد دخول الإسلام. ومن هذه الأساطير والمعتقدات أن اليمنيين قديما كانوا يعتقدون أن الإله القمر هو الأب وأن الآلهة الشمس هي الأم وأن كوكب الزهرة الإله الابن الذي جاء من تزاوج الشمس والقمر.

4- محمد سبأ - حكايات من التراث الشعبي اليمني – صنعاء - مكتبة خالد بن الوليد- 2022م.

«وكان اليمنيون القدامى يعتقدون أن ظاهرة الكسوف والخسوف هي زواج الآلهة حيث رويت الكثير من الأساطير حول زواج القمر بالشمس، واعتقدوا أن أكثر النجوم نتجت عن هذا الزواج، ونسجوا عنها الكثير من الأساطير، فمثلًا كانوا يعتقدون أن نجوم الثريا هي بنات الآلهة الشمس والقمر ونتجت من تزاوج الشمس والقمر، الذي نتج عنه – أيضا- أجمل ما في السماء، وكانوا يصفون المرأة الجميلة بأنها من بنات الثريا، تشبيهًا لها بجمال النجوم من بنات الآلهة الجميلة،وكانوا يعتقدون أنهن سبع أخوات وُلدن معًا وتجمعن بجوار بعضهن في السماء وكذلك كانوا يعتقدون أن نجم سهيل نتج عن هذا التزاوج وهو نجم البركة والخير في اليمن، ويسمونه (سهيل اليمن) وارتبط بسقوط الأمطار التي يعتمد عليها غالبية اليمنيين في الزراعة»[5].

- أسطورة (جعة هليوبوليس)

ورد في كتاب أساطير فرعونية أسطورة بعنوان (جعة هليوبوليس) وتحكي هذه الأسطورة «أن الآلهة رع عندما كبر في السن ودبت الشيخوخة إلى جسده الإلهي لم يعد الناس يخافونه كما كان في الماضي، وكانوا يضحكون ويتغامزون إذا مر بهم قائلين (انظروا إلى رع لقد أصبح شيخًا إن عظامه أصبحت ترن كالفضة وقد تصلب لحمه فأصبح كالذهب وأصبح شعره في زرقة اللازورد وأخذ رع يستشعر المهانة كلما استمع إلى همسهم الخبيث وضحكهم المستهتر وذات يوم دعا إليه الآلهة الذين يحفون بموكبه وصاح فيهم (إتوني بابنتي وقرة عيني الآلهة شو وتفنوت وجب ونوت والإله العظيم نون الذي يسكن نهر المجرة وسط السماء فذهب الرسل ودعو هذه الآلهة سرًا حتى لا يعرف المستهترون الموجودون في قصر الآلهة رع بذهابهم فاستمروا في تغامزهم وضحكهم إلى أن حفت الآلهة المقبلون من شتى الجهات حتى مست جباههم الأرض قائلين (مرنا نطعك أيها الإله العظيم) فأشار عليه الإله نون أن يعاقبهم على استهزائهم بأن يرسل عليهم ابنته (سخمت) حتى لا تدع منهم حيًا.

5- محمد سبأ حكايات من التراث الشعبي اليمني – صنعاء - مكتبة خالد بن الوليد- 2022م.



،وتكلم رع فقال انظر إنهم سيفرون إلى الصحارى والجبال ويختبئون فيها وعندئذ أقبلت(سخمت) والتي يسمونها هاتور أشرس الربات على الإطلاق وانطلقت إلى أرض الشمال والجنوب وذبحت جموع الخارجين والثائرين وأطل رع على الأرض من السماء فراعته أنهار الدماء فصاح بابنته كفى – كفى وليحل السلام يا هاتور فضحكت هاتور كما تضحك اللبوة،وصاحت بحق حياتك يا رع إنني أنفذ قضائك في الناس وقلبي بذلك سعيد واستمرت فيما هي عليه ولم تتوقف عن تذبيح الناس وأطل رع مرة أخرى من عليائه وشاهد الأمر فذهل لأنهار الدماء فنادى بالرسل الخفاف الذين يسرعون كالريح العاصف،وقال لهم: اذهبوا إلى جزيرة فيلة أسرعوا عجلوا،وأحضروا لي الثمار التي تجلب النوم وينبغي أن تكون هنا قبل الفجر فأسرع الرسل سرعة الريح العاصف وبلغوا جزيرة فيلة وأحضروا الثمرة التي تجلب النوم وكانت الثمرة حمراء قرمزية كأن عصيرها لون دماء البشر (ربما يقصد شجرة دم الأخوين في سقطرى»»، وحملوها إلى هليوبوليس مدينة رع وجرشت نساء المدينة الشعير وصنعوا منه جعة ومزجوا عصير الثمرة بالجعة فأصبحت كلون الدماء وصنعوا منها سبعة آلاف مكيال وخمروها حتى لاح الفجر وعندما أشرق الفجر أصدر رع أوامرة بأن تحمل هذه الجعة إلى حيث المذبوحين من الرجال والنساء وصبوها في الحقول قبل أن ينقشع الظلام،وفي الصباح أقبلت سخمت المتوحشة مستعدة للذبح والتقتيل وشاهدت الدماء فظنت أن تلك الدماء الجارية من صنعها ومالت على الجعة وأخذت تشرب منها وتشرب حتى ثملت وأمعنت في الضحك لأن النشوة قد لعبت في رأسها وبدأ مفعول الثمرة يجلب النوم إليها حتى لم تعد تستطيع التذبيح والتقتيل فأخذها رع وحمى الناس من غضب الربة المتوحشة وهكذا أنقذ رع البشر من الفناء[6].

أليست هذه الأسطورة تتطرق إلى أشجار جزيرة سقطرى المسماة ب(دم الأخوين والتي تفرز صمغًا يشبه الدم عندما يخدش جذعها ناهيك عن ذكرها وتحديدها بأنها جزيرة وليس أرض أخرى وكذلك جاء في الأسطورة أنها بعيدة

6- كمال الدين الحناوي _ أساطير فرعونية من تأريخنا القديم – الطبعة الأولى _ بيروت – منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت – لا يوجد تاريخ على الكتاب.

وتحتاج إلى الآلهة الخفاف المسرعون كالريـح العاصف وهذا يدل على أن الجزيرة المقصودة كانت بعيدة عن مصر كثيرًا كما أن جزيرة سقطرى اليمنية قد وردت في الكثير من الأساطير التي تتحدث عن بلاد بونت ناهيك عن شكل الشجرة المصورة في جدارية حتشبسوت كما هي في الوقت الحاضر ومن خلال هذه الأسطورة وغيرها كأسطورة الملاح الإغريقي والتي تصف جزيرة الثعابين التي وصل إليها هذا البحار ومن المعروف أن جزيرة سقطرى معروفة باحتوائها على أنواع متعددة من الثعابين ما زالت متوفرة بكثرة إلى وقتنا الحاضر،وقد وصف هيردوت أرض اليمن بأنها الوحيدة التي تنتج البخور واللبان والمر وتنمو فيها أشجار البخور التي تحرسها الثعابين الطيارة.

- أسطورة شجرة دم الأخوين

تنتشر أسطورة دم الأخوين في الكثير من مناطق اليمن نوردها هنا كما سمعناها من الرواة في محافظة إب وسط اليمن. يقول الراوي معلقا على شجرة دم الأخوين في سقطرى إنه بعد نزول آدم -عليه السلام- في الهند ولد له أربعة توائم، فكان كل توأمين منهم ولدًا وفتاة، وهم هابيل وقابيل ولكل منهما أخت ولدت معه، فكان شرع والدهم آدم أن يزوج ذكر هذه البطن لأنثى البطن الأخرى، ولكن قابيل رفض ذلك، وكان يريد الزواج من أخته التي ولدت معه، رافضًا الزواج من توأمة أخيه هابيل التي لم تكن بجمال توأمته التي ولدت معه، ونزغ الشيطان في قلب قابيل أن ينتقم من أخيه، فاشتكاه هابيل إلى والده آدم فحكم بينهم بأن يتقربوا إلى الله بقربان، فمن تُقبِّل منه فله أن يتزوج الأخت الجميلة.

وفى يوم من الأيام، أراد هابيل التقرب إلى الله بقربان فأخذ ماعزًا من خير أغنامه وقرر أن يبحث عن مكان معزول يتقرب فيه إلى الله على انفراد، فسافر في البحر فلما وجد جزيرة في منتصف البحر، وهى جزيرة سقطرى اليمنية، أحس أنها مكان مناسب للتعبد وتقديم القربان إلى الله بعيدًا عن الأنظار، فوسوس الشيطان إلى أخيه قابيل وأعلمه بمكان أخيه، فأخذ قربانًا من مزرعته- بعضًا



من القمح والشعير- واتجه إلى الجزيرة لاحقًا بأخيه هابيل، وقرب قربانه في المكان نفسه، وكان قربان هابيل من طيبة نفسه مكتملًا لم يأكل منه شيئًا، بينما كان قربان قابيل ناقصًا، فهو لم يختر أفضل ما عنده، كما أنه لما جاع أكل منه، فنزل ضوء من السماء وأخذ قربان هابيل دون قربان قابيل، فعرف أن أخته ستكون من نصيب هابيل، وأنه لن يحظى بالزواج منها، فوسوس له الشيطان قتل أخيه هابيل في هذه الجزيرة النائية، وكان هابيل قد قدم قربانه تحت شجرة كبيرة أغصانها كثيفة يجلس بجوارها ويستظل بها ويتمسك بجذعها ويتوسل إلى الله أن يتقبل منه، وبينما هو يناجي ربه كان قابيل يراقبه من بعيد ويتربص به، فتناول حجرًا حادًّا ورمى به رأس أخيه هابيل، ما أدى إلى قتله، وفر قابيل من الجزيرة وهو على ثقة بأن أحدًا لن يعلم بما حدث في هذه الجزيرة المعزولة النائية عن والديه[7].

«سالت دماء هابيل تحت هذه الشجرة وشربت من دمائه فتجمعت أغصانها وتشابكت فروعها مرتفعة إلى السماء كما هي الآن في الجزيرة، كأنها تناجي ربها حزنًا وكمدًا أن يتدارك الموقف، وما زالت أغصان هذه الشجرة متشابكة مرتفعة إلى السماء كما هي في شكلها الحالي في الجزيرة، وتبدلت عصارتها البيضاء التي كانت تفرزها كبقية أشجار اللبان في الجزيرة وتحولت إلى صمغ أحمر يشبه الدماء بسبب شؤم هذه الحادثة، ولذلك ما زالت هذه الشجرة على حالها تفرز صبغة حمراء عند خدش جذعها إلى وقتنا الحاضر»[8]. وتروى هذه الحكاية بهذا الشكل في أغلب مناطق اليمن عند تعليل سبب إفراز شجرة دم الأخوين لهذا الصمغ الأحمر، ويقال سميت فيما بعد بـ(شجرة دم الأخوين) نسبة إلى أول قطرة دم تسيل في العالم، بين أول أخوين في التاريـخ وقد بقيت هذه الشجرة واحدة من معجزات الخالق عز وجل على هذه الأرض كدليل على هذه الجريمة، ويقال إن لها الكثير من الفوائد العلاجية، ويعتقد البعض أن فوائدها الكثيرة تعود إلى كونها شربت من دم ذلك الولد المطيع المحبوب من الله ووالديه.

7- محمد سبأ - حكايات من التراث الشعبي اليمني – صنعاء - مكتبة خالد بن الوليد- 2022م.

8- محمد سبأ حكايات من التراث الشعبي اليمني – صنعاء - مكتبة خالد بن الوليد- 2022م.



صورة (2) شجرة دم الأخوين في جزيرة سقطرى اليمن

*****

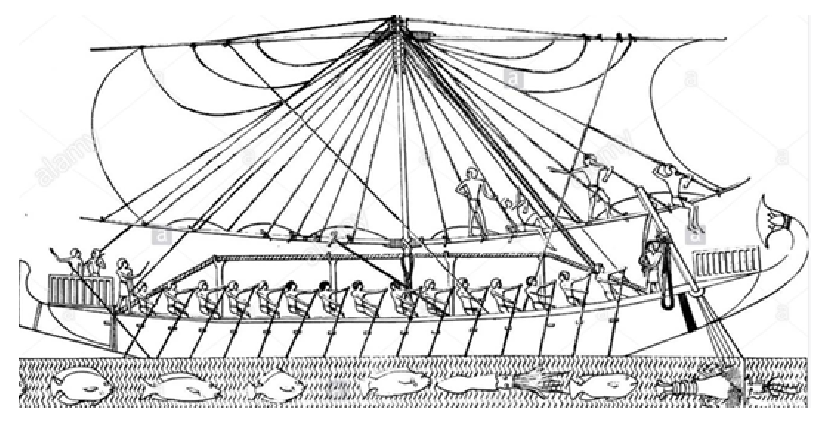
الحكايات الشعبية المشتركة بين مصر واليمن

- حكاية الملاح المصري الغريق

جاء في قصة الملاح الغريق بإحدى برديات مكتبة القصر الملكي « والتي تعود إلى تاريخ الدولة الوسطى بأن بطل الرواية كان في طريقه إلى مناجم الملك نحو أرض الآلهة وقد استهل رحلته إلى بلاد بونت عن طريق نهر النيل معظم الرحلة،ثم عن طريق البحر»[9] بهدف جلب بخور الكندر (عنتيو) الطازج أو الأخضر الفاخر الذي ينحصر نمو أفضل أشجاره على مرتفعات أرض الإله باتجاه الشرق وهذه الحكاية توفر لنا معلومات عن مدى تميّز الأدب المصري القديم بالقدرة على استخدام الخيال، فيسرد الكاتب المصري رحلة إلى جزيرة مهجورة، ثم أحداث غرق السفينة وجميع من فيها ونجاة شخص واحد وقد وردت هذه الحكاية في بردية اكتشفها العالم (فلاديمير جولينشيف) عام 1880م ،وهى موجودة في متحف لينجراد وأعطاها عنوان (قصة مصرية قديمة) وقرأها في (مؤتمر المستشرقين) ببرلين عام 1881م وهذه القصة تتشابه مع قصص وردتْ بعد ذلك في الأوديسة وفى ألف ليلة وليلة،وقصة السندباد البحرى الواردة في ألف ليلة وليلة هي الأكثر شهرة عن الإنسان المُغامر الذي وصل إلى جزيرة مهجورة، ويسبق الأدب المصري القديم الذي تناول رحلة المغامرات والمخاطر ما كتبه هوميروس في الأوديسة، ثم ما جاء بعد ذلك في ألف ليلة وليلة، إذ أن ما ورد في البرديات المصرية من قصص وأساطير، ومن بينها قصة (الملاح التائه) أو (الغريق) وفق ترجمة سليم حسن في المرتبة الأولى على الصعيد العالمي وهو الأمر الذي أكدته عالمة المصريات (كلير لالويت) في كتابها (نصوص مقدسة ونصوص دنيوية من مصر القديمة- المجلد الثانى- الأساطير والقصص والشعر) حيث ذكرتْ تأثر الأدب اليوناني بالأدب المصري، خصوصًا ما كتبه هوميروس في الإلياذة والأوديسة.

9- مرجع سابق كريستيان ديروش نوبلكور – حتشبسوت عظمة وسحر وغموض – ص172.

وأنّ البرديات المصرية سبقتْ ما كتبه هوميروس عن أدب الرحلات والمغامرات فكتبتْ أنّ (مصر عرفت العديد من الروايات من هذا النوع. روايات شاعتْ وانتشرتْ في جزيرة (فاروس) التي كان قد انقضى زمن طويل والإغريق يتردّدون عليها (وقت) تأليف وتجميع مختلف قصص الأوديسة وإذا كانت وقائع جزء بأكمله من الأوديسة تدور على أرض مصر، ولو بطريقة غير مباشرة على الأقل، فلا شكّ أنّ الأمر لم يكن صُدفة).



صورة (3) توضح تخطيط من منحوتات رحلة المصريين إلى بلاد بونت (الدير البحري) الأُ قصر

فى مقدمة البردية يقول بطل القصة بعد عودته إلى أرض الوطن «(إنّ فم الإنسان هو الذي يُنجيه) ثم بدأ القصة بوصف السفينة التي يبلغ طولها مائة وعشرون ذراعًا وعرضها أربعون ذراعًا،يقودها مائة وعشرون ملاحًا من أمهر ملاحي مصر. وذكر كاتب البردية أنهم كانوا يعرفون من أين تهب العاصفة قبل وصولها إلى مكان السفينة، إذْ كانوا ينظرون إلى قبة السماء ليعرفوا طريق مسيرتهم. ثم هبّتْ عاصفة ونحن ما زلنا في البحر. غرقتْ السفينة وغرق البحارة الذين كانوا معى. بقيتُ لمدة ثلاثة أيام وحيدًا ولم يكن لى رفيق غير قلبي. وأنا مُتعلق بلوح خشبى مما بقي سليمًا من بقايا السفينة. أخذتْ الأمواج تتقاذفني إلى أنْ ألقتْ بي إلى شاطئ مهجور. لم يكن أمامي إلاّ أنْ أنام في ظلمات الوحشة فوق رمال الشاطئ. وعندما أشرقتْ الشمس ملأ ضياؤها وجهى فاستيقظتُ.



شعرتُ بالجوع فبدأتُ أبحث عن أي ثمار تؤكل. كان الشاطئ يمتلئ بأشجار التين وعناقيد العنب كأنها تتدلى من السماء، وأشجار عالية كثيفة مُتشابكة الأغصان وغريبة الشكل أكلتُ وشبعتُ. سمعتُ صوتـًا مُدويًا كصوت الرعد ورأيتُ الأشجار تهتز وأوراقها ترتعش. ثم غطتني سحابة معتمة حجبتْ عني ضوء الشمس. وعندما رفعتُ رأسي رأيتُ أمامي ثعبانـًا طوله يقترب من الثلاثين ذراعًا. وجسمه فضي به نقوش ذهبية.

سألني الثعبان: (من أنت أيها الصغير؟ وكيف وصلتَ إلى هنا؟ ومن أتى بك إلى جزيرتي؟) لم أستطع أنْ أرد عليه. كان لساني كالمقيد بالحبال. فتح الثعبان فمه وحملني بين فكيه وزحف بى إلى كهفه. وألقاني في ركن من الكهف ولم يُصبني بأي سوء. تكوّر الثعبان وتشكل على هيئة الهرم المُدرّج وسألني: (أيها الصغير. من أنت؟ وكيف وصلتَ إلى مملكتي؟) أخبرته أننى كنتُ القائد لسفينة ملك مصر للبحث عن مناجم الذهب والأحجار الكريمة. وحكيتُ له ما حدث من غرق السفينة. كنتُ أقول الحق ووجهتي الإله (رع) الذي يُشرق على الكون. عندئذ قال لى الثعبان: (لا تخف أيها الصغير. ولا تدع وجهك يصفر ما دمتَ قد جئتَ إليّ. انظر لقد حفظك الإله حيًا ليُحضرك إلى جزيرة الطعام الوفير) ثم يحكي أن الثعبان العملاق لديه قدرة التعرف على الغيب، وبالتالي عرف مصيره ومصير مملكته، وعرف أنّ نهاية مملكته مكتوبة في لوحة القدر، وتحدّد موعدها ولن يستطيع الثعبان أنْ يفلت من قدره. فقال الثعبان (لأنني أعلم الغيب وأرى ما سيحدث لي ولمملكتي، وما يخبئه المستقبل، وقد عرفتُ أنك ستصل إلى أرض مملكتي في ذلك اليوم وعلمتُ بمصير من كانوا معك، وأنت لم تقل غير الصدق. عندما سألتك: من أنت وكيف جئت لكى أعرف هل ستكون صادقـًا في كلامك أم لا. وأطرق الثعبان قائلًا سوف تعيش معى بين إخوتي وأبنائي وعددهم خمسة وسبعون ثعبانـًا وفتاة واحدة جميلة. وسوف تجد في جزيرتي كل ما يشتهيه قلبك. وسوف تأتى سفينة تائهة بعد أربعة شهور لتحملك إلى أرض مصر. ثم قال له: (ما أشد فرحة من يقص ما جرى له بعد أنْ تمر عليه الكارثة. وسأقص عليك شيئـًا مماثلا. ذلك أنني كنتُ مع إخوتي وأطفالي، هذا غير بنت امرأة مسكينة. ثم انقضّ شهاب علينا فماتوا

جميعًا وأنا نفسى كدتُ أموت معهم فإذا كنتَ شجاعًا فاكبح جماح قلبك على أنك ستضم أطفالك وتُقبّل زوجتك وترى منزلك. وهذا أحسن من كل شيء وستصل إلى مقر الملك وتسكن هناك وسط أولادك،فقال الملاحُ للثعبان: (سأحكى للملك عن قوتك وعظمتك وسأعمل على أنْ يجلب إليك كل خيرات مصر خصوصًا بخور المعابد التي يسر لها كل إله وسأقص ما حدث لى وما شاهدته) بعد ذلك أتتْ سفينة كما تنبأ الثعبان ذهب الملاح وتسلق شجرة طويلة ورأى أولئك الذين كانوا فيها وذهب وأخبر الثعبان، فقال له: (اذهب بسلام للوطن أيها الصغير، وشاهد أطفالك واجعل لي اسمًا حسنًا في مدينتك وهذا كل ما أبغي) ثم أعطاه الكثير من الهدايا،وقال وهو يودع البطل: (لا تأت إلى هنا مرة ثانية لأنك لو عدتَ فلن تجدني، ولن يكون لجزيرتي أي وجود لأنها ستصير ماءً)»[10].

وقد أشار بعض العلماء عن أوجه التشابه بين أوصاف الجزيرة المذكورة وجزيرة سقطرى اليمنية فهي جزيرة نائية تحتوي على الكهوف،ومن التشابه في وقائعها ما ورد بها من أوصاف ومقارنتها بما جاء في برديات كهنة هيليوبوليس ومتون (أهرام المايا والأوزتيك في أميركا) وكذلك ما جاء في كتاب أفلاطون (التيمابوس) ووثائق قدماء الفينيقيين، وأنّ (قارة الأطلنتس) الواردة في تلك الوثائق كان يُطلق عليها (جزيرة الثعبان) كما جاء في البردية المصرية. وكما انتهتْ القصة المصرية بقول الثعبان للبطل:((لا تعد إلى هنا مرة ثانية)) كذلك انتهت قصة السندباد البحري بالتنبيه على عدم العودة،وعن هذه القصة كتب سليم حسن (تـُعد هذه القصة من القصص النادرة التي وصلتْ إلينا كاملة غير منقوصة. فقد جاء في نهايتها (لقد كـُتب هذا الكتاب (البردية) من البداية إلى النهاية).

10- يُنظر - محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – ع- الأول – س الأولى – يناير 1965م.

حكاية دخول البن اليمني إلى مصر حكاية ظريفة مرتبطة بوصول مشروب البن إلى القاهرة، ويقال لاحظ طلاب الأزهر أن الطلاب اليمنيين الذين يدرسون معهم يتناولون مشروبًا داكن اللون فائحَ الرائحة مرَّ المذاق، وأنهم يحرصون على تناوله أوقات الامتحانات فيساعدهم على السهر والمذاكرة، فطلبوا من اليمنيين توفيره لهم، فجلبوه وعلموهم طريقة تحضيره،فأصبح غالبية الطلاب يشربونه ليساعدهم على السهر، كما انتشر في المقاهي المجاورة للأزهر وفى القاهرة القديمة.

ويقال إن مشكلة كبيرة حصلت، حين بلغ هذا الأمر مشائخَ الأزهر وقيل لهم إن غالبية الطلاب أصبحوا يتناولون البن اليمني ليساعدهم على الدراسة والسهر، وإن الكثير من المقاهي في القاهرة أصبحت تعرفه وتقدمه للناس، فأصدر شيخ الأزهر آنذاك (وهو أحمد السنباطي) فتوى بمنع تناول البن بأي صورة مهما كانت الظروف، واستدل على ذلك بأنه يؤثر على العقل، وتحول البن إلى موضوع للمناقشةِ والجدل، واشتهر أمره حتى بلغ خُطَب الجمعة ودروس المساجد، وأصدر الأزهر قرارًا بمنعه، وأمر بتحطيم المقاهي التي تقدمه للطلاب، واعتبره من المحرمات. فكانت هذه الفتوى سببًا في حدوث شغب أقفلت على أثره كل المتاجر التي كانت تبيع البن، وحُطمت بعض المقاهي التي كانت معتمدة على القهوة لجلب الزبائن وأفلست، واحتج الناس والزبائن الذين كانوا يتوافدون إليها، ونددوا بشيخ الأزهر. ويقال إن أحد طلاب الشيخ أقدم على قتل أحد التجار المصريين الذين كانوا يجلبون البن من اليمن ويبيعونه، فانتفض التجار وثارت ثورتهم واعتبروا أنه مشروب عادى لا يستحق كل هذا المنع، ولم يجدوا منه شيئًا يؤثر على العقل، وأعدوا مكانًا للاعتصام وعزاءً للتاجر كذلك أمام بوابة الأزهر[11].

وأثناء العزاء أحضر التجار البن وشربوه وتبادلوه بينهم، وأصروا على أنه مشروب عادى لا حرام فيه، وقيل إن الوالي التركي آنذاك وصله الخبر وأمر بعزل شيخ الأزهر السنباطي وأمر بتعيين شيخٍ جديد للأزهر خلفًا له، وعندما

11- محمد سبأ - حكايات من التراث الشعبي اليمني – صنعاء - مكتبة خالد بن الوليد- 2022م.

جاء شيخ الأزهر الجديد أفتى بأن القهوة والبن مشروب عادى لا ضير فيه، وبذلك عاد انتشاره في المقاهي، وجربه غالبية المصريين لما سمعوا قصته على الملأ، فأعجبهم واستجادوه ووجدوا أنه لا يذهب العقل ولا ضررَ منه. ومرت الأيام وأضافوا إليه السكر المنتشر بكثرة في مصر وأصبح شرابًا يقدم للضيوف في الأفراح والمناسبات المختلفة. ومنذ ذلك الحين أصبحت القهوة شيئًا أساسيًا في حياة المجتمع المصري.

السير الشعبية المشتركة بين مصر واليمن

جسدت سيرة سيف بن ذي يزن أول ظهور لها في مصر كسيرة بطولية مدونة قبل ما يقارب ألف عام،وتقع السيرة في أكثر من ألفي صفحة تستلهم رموزها وأبطالها من رموز الحضارة المصرية واليمنية وتُنسب السيرة كأدب شعبي بأنها سيرة شعبية مصرية وليست يمنية مع أن بطلها يمني وهو الملك سيف بن ذي يزن الذي يلقبُ في السيرة بفارس اليمن(البطل الكرار والفارس المغوار)،وقد راجت في البيئات الشعبية في مختلف الأقطار العربية»[12] سيرة التُبع اليماني سيف بن ذي يزن بالرغم أنها تناقش الوجود اليمني في مصر بعد الإسلام إلا أنها اختارت أبطالها ورموزها من فترة ما قبل الإسلام سواءً في مصر أو اليمن ويرى العديد من الباحثين أنها ألفت في مصر في فترة ما بعد الحكم الأيوبي في مصر في عصر المماليك فهي نموذج حي قائم ومتوارث يعكس مدى تمازج الثقافتين العريقتين إذ تجمع السيرة بين المعتقدات اليمنية والمصرية القديمة كما تضع السيرة عدوًا مشتركًا للحضارتين فقد احتل الأحباش اليمن وحاولوا قطع ماء النيل عن مصر في ذلك العصر فتألفت السيرة كنوع من الرد على هذا العدو الأزلي للحضارتين.

12- مرجع سابق _ محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – مصر – القاهرة – العدد الأول يناير – 1965 م ص44

ليأتي بطل السيرة الهُمام الملك سيف بن ذي يزن ويحرر مياه النيل من



سطو الأحباش بسيفه البتار كما حرر اليمن قبل ذلك من سيطرتهم باعتبارها أرض واحدة ولها عدو واحد مشترك كما لا تخلو السير الشعبية المتداولة في أغلب الدول العربية من ذكر اليمن وأبطالها وهجرات أهلها ويجدر الإشارة هنا إلى أن هناك عدد من السير والحكايات الشعبية المشهورة في مصر كان لليمن النصيب الأكبر منها وهي:

1- فتوح اليمن الكبرى وما جرى للإمام علي الفارس الكرار والبطل المغوار -كرم الله وجهه- مع عدو الله رأس الغول البطل المهول.

2- قصة الصحابي الجليل معاذ بن جبل وإقامته بين أهل اليمن سبع سنين يبث فيهم الدعوة ويهديهم إلى الإسلام.

وسيرة سيف بن ذي يزن كتبت لهدف ديني وهدف سياسي ثم هي قصة الوحدة التي كان يمثلها صلاح الدين الأيوبي... وكانت قصة رأس الغول أو فتوح اليمن مجاوبة لقصة سيف بن ذي يزن لأنها من وحي الصدام الذي نشأ بين صلاح الدين الأيوبي والمختلفين معه من اليمن فكاتب القصة يرجع الفضل في إسلام اليمن إلى الإمام علي بن أبي طالب،ولا تنطبق أحداثها على فتوح اليمن، والحقيقة أن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أرسل الإمام على واليًا على اليمن وقد استجاب اليمنيون لدعوة الإسلام إثر وصلوها إلى مسامعهم وأقبلت وفودهم على المدينة ومكة لإعلان إسلامهم[13].

ويرى الباحث أن سيرة سيف بن ذي يزن مثال قائم لعمق التواصل الثقافي بين مصر واليمن لعدة أسباب وهي كالتالي:

1- إن المتأمل في سيرة سيف بن ذي يزن سيجد أن المؤلف ملم بالتاريخ اليمني كما لو كان المؤلف مطلع على تاريخ وحضارات اليمن القديم،وبالرغم أن تدوين السيرة كان في مصر إلا أن أحداثها تجري كما لو كان مؤلفها ملم إلمامًا شاملًا بتاريخ اليمن وعلى علم تام بكل شبر فيها وهذا يدل على عمق التواصل

13- مرجع سابق _ محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – مصر – القاهرة – العدد الأول يناير – 1965 م ص45 .

الثقافي والفني بين مصر واليمن والذي زاد بشكل كبير في عصر الفتح الإسلامي حين انتقلت المئات من القبائل اليمنية للحياة في مصر ولا شك أن السيرة ظهرت في بدايتها بين أبناء القبائل اليمنية ممن توطنوا في مصر وانصهروا مع شعبها وأصبحوا جزءًا منها فمزجوا بين ماضي مصر وطنهم الجديد وماضي اليمن وطنهم القديم.

2- ربطت سيرة سيف بن ذي يزن بين رموز الحضارة المصرية ورموز الحضارة اليمنية فنجد السيرة تستعين بأدوات السحر المستلهمة من الحضارة المصرية كما تستعين بقدرات الجن والأخيرة مستلهمة من الحضارة اليمنية إذ أن مفردات الطلاسم والسحر رموز مشهورة في الأساطير والحكايات المصرية القديمة ومن أمثلتها اللوح السحري والصولجان وكتاب النيل وهذه الأدوات السحرية تنقذ البطل سيف في الكثير من المواقف ومن الرموز والأساطير اليمنية القديمة التي وردت في السيرة الاستعانة بالجن وقدراتهم الخارقة – الزواج بين البشر والجن وحكايات ملوك اليمن الذين كان بينهم وبين الجن نسب وصهر ومن أمثلتها زواج سبأ الأول بجنية أنجبت له الملكة بلقيس التي التقت بنبي الله سليمان وأيضًا تربية الغزالة الجنية للملك سيف بن ذي يزن الذي تولت رضاعته بعد أن وجدته طفلًا مرميًا في الغابة وهي بهيئة غزال والمعروف أن اليمن يغلب على تاريخها وتراثها قصص الجن وعالمهم الخفي،وتشير الكثير من المعتقدات اليمنية إلى مشاركة عالم الجن للبشر على عكس الحضارات الأخرى التي كانت تؤمن بشراكة البشر الآلهة نفسها كما في الحضارة المصرية واليونانية ؛لذلك ربط المؤلف البلدين في آن واحد.

3- تمكن مؤلف السيرة سيف بن ذي يزن من المزج بين موروث وحضارة مصر واليمن وهو استرجاع للذاكرة من خلال استحضار بطولات سيف في التغلب على الأحباش في اليمن في فترة ما قبل الإسلام بهدف شحذ الهمم للدفاع عن مصر وحمايتها من تهديد الأحباش الذين هددوا بقطع مجرى النيل آنذاك حيث كانت السيرة حينها تقوم مقام وسائل الإعلام والتوجيه المعنوي في وقتنا الحاضر إذ كان الناس يتسامرون لسماعها واستخدمت لأغراض بث روح الوطنية والدفاع عن الوطن.



4- إن العداوة التي كانت بين الحبشة ومصر في عصر تأليف السيرة وتهديد الأحباش لقطع مياه النيل ربما استدعى جلب شخصية بطل من أصول يمنية وهو سيف بن ذي يزن اليمني الذي حارب الأحباش وتخلص منهم في اليمن قديما وربما هدفت السيرة إلى شحذ الهمم للتعبير عن استعداد المصريين ومن اندمج معهم في مصر من القبائل اليمنية لحماية مصر من أخطار الأحباش الذي يهددون بقطع مجرى النيل.

5- إن الأماكن التي ذكرت في سيرة سيف بن ذي يزن توحد المصير للبدان العربية فالبطل يتنقل بين مصر واليمن وبلاد الشام وغيرها من البلدان وهذه الأماكن لا يمكن أن يلم بها إلا شخصيات طافت هذه البلدان وهي ترمز إلى قيادة اليمنيين للفتوحات الإسلامية فقد أخذ اليمنيون على عاتقهم نقل الدين وتعليم اللغة العربية في الأقطار الجديدة.

6- إن اختيار البطل اليمني سيف بن ذي يزن في السيرة لم يكن عبثًا وربما أراد الراوي من خلال هذا الاختيار توطيد العلاقة بين العرب الفاتحين ممن انصهروا في المجتمعات التي وصلوا إليها وأصبحوا جزءًا منها ومحاولة إثبات شجاعتهم وما لهم من الفضل في حماية أوطانهم المشتركة والجديدة.

7- تنطبق السيرة في غالبية أجزائها على حكايات الفتح الإسلامي ونشر الدعوة سواءً في الدول العربية أوخارجها وقد استلهم مؤلف السيرة قصص البطولات التي خاضها الفاتحين ضد الروم وفارس وغيرهم،ووظفها في بطل أسطوري واحد وهو سيف بن ذي يزن فعلى سبيل المثال تتشابه قصة ذهاب سيف لإنقاذ زوجته منية النفوس في مدينة البنات مع قصص فتوحات واقتحام حصون الروم في مصر وكأن الراوي الشعبي استلهمها من بطولات الفاتحين وتضحياتهم،وقد رمز بجيش البنات إلى حكام الروم في ذلك الوقت وكذلك رمز بالأخت نور الهدى إلى من إلى من يقف مع هؤلاء الحكام كما يتشابه لقاء سيف بعدد من الأبطال الذين قدموا له العون في التغلب على جيش الروم مع التعزيزات التي أرسلت إلى مصر بهدف التغلب على جيوش الروم التي تحصنت في حصون منيعة مثل حصن بابليون والإسكندرية والبهنسا ويأتي المنقذ (قان

شاه) وهو اسم فارسي ربما رمز به إلى إسلام بلاد فارس وما حصل من تكاتف المسلمين من كل الأقطار في الفتوحات.

8- إن اللغة التي دونت وكتبت بها السيرة تحتوي على كثير من المصطلحات باللهجة العامية اليمنية فهي تستخدم كلمات متداولة في اليمن مثل (أيش قال هذا؟) أو أيش هذا؟ الذي تكلمت عنه ومصطلح (أيش) كلمة متداولة بكثرة في لهجة اليمني العامية وتحل محل مصطلح (إيه)المتداول بكثرة في مصر.

9- طريقة سرد الأشعار في السيرة تشبه طريقة سرد الأشعار في مؤلفات اليمن القديمة والتي تحكي قصص الملوك في اليمن وورد البعض منها في كتب سبقت تأليف السيرة بأكثر من قرنين مثل كتب الهمداني (330) هجرية والذي يورد أشعار كثيرة بنفس اللهجة وطريقة السجع والبلاغة كما تحتوي السيرة على جمل أقرب للهجة اليمنية والأشعار الشعبية التي يتداولها الناس في الأفراح والأعراس حيث يتبادلون التحية بالشعر بنفس الطريقة التي وردت في السيرة،وهذا يدل على انسجام الثقافة اليمنية مع الثقافة المصرية.

10- ذكرت سيرة سيف بن ذي يزن أحداث تاريخية موجودة في كتب التاريخ اليمني ومنها بشارة سيف بالنبي وإسلام سيف به وإدراكه موته قبل ظهور نبوته وإبلاغ جده عبد المطلب أنه لو كان حيًا وقت بعثته لنصره بماله وجنده وأن أنصاره سيكونون من جلدته من يثرب (المدينة المنورة) حيث يسكن الأوس والخزرج الذين أصولهم يمنية وهم محل عزته.

11- في السيرة إبراز تاريخ اليمنيين وأفضالهم في نشر دين الإسلام واختار الراوي سيف بن ذي يزن كرمز آمن بالإسلام قبل البعثة ولكونه أخرج الأحباش من اليمن وهو الضرر الذي كانت مصر تعاني منه وقت تأليف السيرة حيث كانت مصر على خلاف مع الأحباش ذلك الوقت مما استدعى لجلب شخصية سيف بن ذي يزن الذي هزم الأحباش في اليمن قديمًا ومزجها الراوي بأحداث الثقافتين المصرية واليمنية بدرجة رئيسية ومن بعض الثقافات الأخرى في جزء بسيط،وهذا ما يؤكد أن السيرة كانت لمؤلف ربما مصري من أصول يمنية.

كما لا يخلو التراث الثقافي في اليمن من تأثير الثقافة المصرية فقد انتقلت لليمن عدد من العائلات المصرية في فترات متعددة منها المصري والنوبي



والصعيدي وغيرها وقد نقلت هذه الهجرات الكثير من عناصر الثقافة الشعبية إلى اليمن ولا عجب أن نشاهد في الجانبين الكثير من التشابه في عناصر الثقافة الشعبية كالرقصات والعادات والتقاليد المشتركة وفي هذا البحث يحاول الباحث تسليط الضوء على معظم العناصر الثقافية المشتركة بين اليمن ودول القارة الإفريقية مستعينًا بالعديد من الأمثلة والأدلة المادية والثقافية المشتركة إذ نجد ذلك واضحًا في مختلف الفنون وكما يقول ابن خلدون إن الموال فن عراقي المنشأ ترعرع في الجزيرة العربية وحين وصل إلى مصر فعلوا به الأفاعيل وأدخلوه في الكثير من مجالات الحياة،وعلى مر العصور كان لمصر ومبدعيها فضل كبير في الحفاظ على تراثنا وتاريخنا العربي بشكل عام،وفي مصر حافظ كل العالم على جزء من تاريخه فلا يوجد بلد في العالم إلا وله حكاية تقبع في مكان ماء من أرضها فمصر أم الدنيا لأنها حاضنة تاريـخ كل الشعوب.

حظيت الحضارة المصرية بالنصيب الأكبر من الشواهد والحقائق الأثرية في اليمن حيث ذكرت مصر في الكثير من النقوش اليمنية كما أطلق المصريون القدماء على اليمن أرض آلهة البخور وتوجد العديد من الشواهد التي ما زالت أثارها باقية إلى وقتنا الحاضر في كل من اليمن ومصر وقد استدل الباحث في هذا البحث الموجز ببعض من الشواهد والقطع الأثرية المادية التي ينبغي الاستعانة بها حيث يرى الكثير من الباحثين أن الاستعانة بالتراث المادي مهمة جدًا لتأكيد التواصل الثقافي والعكس صحيح فقد يستعين الباحث بعناصر ثقافية لا مادية من أجل تأكيد ما هو مادي.

ومن المعثورات الأثرية التي تؤكد علاقة الترابط بين اليمن ومصر منذ أقدم العصور «عدد من القطع الأثرية التي وجدت في اليمن التي ربما أهديت من ملوك مصر إلى ملوك اليمن القديم، أشهرها معثورات جبل العود وسط اليمن وكان من بينها تمثال مصغر لأبي الهول»(14).

14- يوسف الشريف - اليمن وأهل اليمن أربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م ص23

وأمَّا أشهر الشواهد الأثرية في مصر، فهو تابوت التاجر اليمني (زيد إل) الذي كان يجلب البخور من اليمن إلى معابد الآلهة في مصر القديمة، وقد عثر على تابوته بالقرب من هرم صقارة (صورة رقم 7) وقد كرَّمه ملوك مصر بأن دُفِن في مقابرهم، وكتب على تابوته بخط المسند اليمني القديم الوظيفة التي كان يقوم بها، وهي جلب البخور من اليمن إلى مصر، وهذا دليل على كرم أبناء الحضارة المصرية وحرصهم على تسجيل الحقوق لأصحابها منذ القدم، كما هو دليل على عمق التواصل الثقافي بين اليمن ومصر منذ أقدم العصور.

ويعتقد بعض الأثريين أن بلاد بونت التي ذكرت في النقوش المصرية القديمة «هي المنطقة الواقعة في مضيق باب المندب بين اليمن ودول شرق إفريقيا وأنها تطلق على الساحل الأسيوي اليمني والإفريقي في نفس الوقت معتمدين في ذلك على أشكال المساكن والبشر وأنواع الحيوانات والأسماك»[15] وقد وجدت في رسومات الدير البحري للملكة حتشبسوت لوحة جدارية في معبدها توضح استقبال ملك بونت وزوجته لوفود مصر وإهداءهم للزوار كميات من البخور.

*****

15- عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – من القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشي في اليمن – رسالة ماجستير.



المراجع

1- شاهر جمال آغا- جغرافية اليمن – للشطر الشمالي – الطبعة الأولى - دمشق – مكتبة الأنوار بدمشق – مكتبة لطف يحيى العبالي – 1983م

2- كمال الدين الحناوي _ أساطير فرعونية من تأريخنا القديم – الطبعة الأولى _ بيروت – منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت – لا يوجد تاريخ على الكتاب.

3- عبد المعطي بن محمد عبد المعطي سمسم- العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والحبشة – من القرن السادس قبل الميلاد وحتى نهاية العصر الحبشي في اليمن – رسالة ماجستير- في التاريخ القديم – جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم الدراسات التاريخية والحضارية.

4- محمد جمال سباق الحويطي - لمحة عن صعيد مصر ووجه الشبه بينه وبين الجزيرة العربية – الطبعة الأولى – القاهرة – مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع – 2017م.

5- محمد فهمي عبد اللطيف – اليمن في قصصنا الشعبي – مجلة الفنون الشعبية – ع- الأول – س الأولى – يناير 1965م

6- مجموعة باحثين- التاريخ القديم – جامعة أم القرى – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – قسم الدراسات التاريخية والحضارية.

7- يوسف الشريف - اليمن وأهل اليمن أربعون زيارة وألف حكاية – الطبعة الأولى القاهرة – دار الشروق 2007م

*****

الفصل السادس
اليمن بلاد بونت

مقدمة

اختلفت وجهات النظر لدى العلماء الأثريين في الشرق والغرب حول موقع بلاد بونت التي ظهرت في رسومات بعثة الملكة حتشبسوت والموجودة حاليًا في معبدها في الدير البحري والتي أطلق عليها الأثاريون (جدارية بلاد بونت) وهي أطول وأكبر لوحة مرسومة في الحضارة المصرية القديمة وذهب البعض إلى تصنيفها بأقدم لوحة قصصية في التاريـخ وحول تحديد موقع البلاد المقصودة في هذه الجدارية التي تورد القصة بأن المصريون القدماء قد ذهبوا إليها بعدد كبير من الأساطيل والجنود وأستقبلهم ملكها هو وزوجته وحاشيته وتبادلوا معهم الهدايا والذهب والمجوهرات والبخور وغيرها، وقد ذهب البعض إلى تحديد البلد المقصودة في الجدارية بأنها بلاد الصومال بناءً على ما جاء به العالم الأثري (ويلسون) الذي قدَّم عددًا من التبريرات حول اقتناعه بأنها الصومال، ومنها قوله إن الأشجار والأكواخ الظاهرة في رسوم جدارية بلاد بونت في الدير البحري مصر تشبه تلك الأكواخ التي نشاهدها في الصومال حاليًا وكذلك ذهب البعض الأخر إلى القول بأن بلاد بونت هي جنوب الجزيرة العربية (اليمن وسلطنة عمان) حاليًا واستندوا إلى ذلك بشهرة اليمنيين والعمانيين بالتجارة والبخور والعطور والتوابل منذ القدم كما ذهب البعض إلى تحديد بلاد بونت الواردة في الآثار المصرية بأنها دول شرق إفريقيا بما فيها من أثيوبيا وجيبوتي وأرتيريا والسودان وأستند أصحاب هذا الرأي إلى تحديد مسار الرحلة الذي ذكر في النقوش باتجاه الجنوب وبحكم وجود أشجار البخور واللبان في بعض هذه الدول وذهب فريق أخر إلى تحديد بلاد بونت في الجزيرة العربية وأنها في شمال الجزيرة العربية أو مكة واستدلوا على ذلك بذكر البدو والصحراء في خط سير الرحلة وفي هذه الدراسة سنضع بين أيدي القارئ أدلة قاطعة لتحديد بلاد بونت وسندعم ذلك بالأدلة المادية من خلال النقوش الواردة في الحضارة المصرية واليمنية والتي يمكننا أن نستدل من خلالها على البلدان التي كان المصريون القدماء يجلبون منها ما يحتاجون من مواد البخور والعطور والتحنيط، وسوف نناقش أراء الباحثين حول هذه

الرحلة التي اتسمت بأهداف تجارية بهدف جلب مواد البخور والعطور ومواد التحنيط والمعادن والحيوانات والأشجار وغيرها من المواد التي كان المصريون يحتاجون إليها في ذلك العصر، وقد اعتمدت هذه الدراسة على تحليل وترجمة نصوص خط المسند اليمني القديم، سواء تلك الموجودة في اليمن أو تلك النقوش التي وجدت في الطريق التجاري الذي يمُر على هذه البلدان، فضلاً عن نقوش الحضارة المصرية، والرجوع لكل الآراء السابقة للعلماء الذين حددوا موقع بلاد بونت بأماكن متعددة ومناقشتها والكشف عن مواقع القوة والضعف والمبررات التي استندوا إليها، وسنعرض في هذا المبحث عددًا من الموضوعات التي تدل على أن بلاد بونت في اليمن، ويمكن تفصيلها كالآتي:

تسمية بلاد بونت

جاء في معجم الصحاح «البَوْنُ: الفضل والمزية يقال بانَهُ يَبونُهُ ويَبينُهُ، وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ وبَيْنٌ بعيدٌ، والواو أفصح. فأمَّا في البعد فيقال: إنَّ بينهما لَبَيْنًا لا غير. والبُوانُ بكسر الباء وضمها: عمود من أعمدة الخباء والجمع بُونٌ بالضم. والبانُ: ضربٌ من الشجر طيِّب الزهر.»[1].

فالبون جمع (بان) ومفردها (بانه) (نت) شجر من الفصيلة البانية ينمو ويطول في استواء واعتدال وتُشبَّه به الحِسَان في الطول واللين، بَون بُون (مفرد) بُعْد أو مسافة بين الشيئين وهناك بون شاسع بين المعسكرين الشرقي والغربي بين الصادق والكاذب بون شاسع.[2] وفي المعجم الوسيط: (المسافة ما بين الشيئين)[3]

وفي قاموس المعجم الوسيط بونت منه بلد بالمغرب ومنها البونتي إسماعيل بن عمر، وفي معجم القاموس المحيط البون والقصر المشيد المذكورتان وفيهما البئر المعطلة كورتان باليمن وموضع ببلاد مزينة وبلد باليمن وقرية بهراة والبون قرية بالكوفة المسافة بين الشيئين.

1- معجم الصحاح.

2- معجم اللغة العربية المعاصرة.

3- المعجم العربي الوسيط.



وفي مختار الصحاح بون: البان ضرب من الشجر والواحدة منه بانة وبون شاسع: مسافة طويلة بون بين المدينتين شاسع فرق كبير ما بين الرجلين.

وفي المعجم الغني:بُون ,بَون: شاسع بين المعسكر الشرقي والغربي وبَونُ بُعد مسافة بين الشيئين وبون بين الصادق والكاذب «:قال كثير عزة إذا جاوزوا معروفه أسلمتهم إلى غمرة.

«وبنه طيبه وتقول: أجد لهذا الثوب بِنانُ الريـح الطيبة كرائحة التفاح ونحوها وجمعها البَنة من عَرف تفاح أو سفرجل.

وقال سيبويه: جعلوه اسمًا للرائحة الطيبة كالخطمة قال: الريـح الطيبة وقد يطلق على المكروهة البَنة , بَنة وفي الحديث إن للمدينة بَنة والبَنة: ريـح مرابض الغنم والظباء والبقر وربما سميت مرابض الغنم وقال: أتاني عن أنس وعيد ومعصوب تخب به الركاب وعيد تخدج الأرام منه»(4)

ويقول الشاعر:

كذاك تفاضل الأشياء بونُ   والقوم أشباه وبين حلومهم

وقال أخر:

أرى صاحب النسوان يحسب أنها   سـواء وبونٌ بينهن بعيدُ

ومصطلح (POINT) في اللغة الإنجليزية بقعة – حد –حرف – حاجب- درجة – دور رأس – سن- شب.

ويرى الدكتور (سير ألن جاردن) أن التسمية لبلاد بونت بهذا الاسم خطاء وأن المسمى الحقيقي لها والمستمد من النصوص المصرية هو بويني أو بونية.

مصطلح بون باللغة العربية اختلف الآثاريين في تسمية بلاد بونت فمنهم من أطلق عليها بلاد (بنت) عني مصطلح بونت في الحضارة اليمنية القديمة (البلاد، وحتى يحافظ الوسطاء على دورهم كانوا يصفون المخاطر التي يتعرضون لها للوصول الى أماكن اللبان، وهي أماكن وعرة يصعب الوصول إليها

4- لسان العرب.



وتحميها أفاع مجنحة، ونحن نرى أن هذا الوصف هو وصف للطريق البري الذي يصل بين بلاد اليمن وبلاد ظفار: وقد لاحظنا أنه يطلق اسم «بنت « باللهجة «الجبالية» الحالية على الأشياء المخيفة أو الأماكن المرعبة، ومن هنا ربما يكون المصريون قد أطلقوا نفس الاسم «بونت» أو «بنت» على تلك البلاد بنفس المعنى الذي وصفه لهم اليمنيون.

والبون في اليمن مصطلح يُطلق على السهول الواسعة التي تتخللها الهضاب والجبال وما زالت هناك الكثير من الوديان في اليمن يُطلق عليها تسمية البون أشهرها سهل البون في محافظة عمران والذي يعرف محليا باسم قاع البون, هو وادي كبير يقع في في محافظة عمران شمال سهل صنعاء مباشرة، ويفصل بينهما منطقة صخرية تشكلت بسبب النشاط البركاني، وأعلى نقطة بينهما هي جبل ضين حيث يمتد قاع البون من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وما زال اليمنيون يطلقون عل المناطق الواسعة بون وهذا يعني أن التسمية (بونت) واردة في لهجات اليمن وتطلق عل الأماكن المفتوحة والتي مازال البعض منها يحتوي عل أشجار المر والبخور إل وقتن الحاضر وهو ما يؤكد مزيدا من التقارب حول التسمية ويحتاج لمزيد من الدراسة.

بحث في الموقع

لم يحسم بعد موقع بلاد بونت وقد اختلف الباحثين في تأريخ الحضارات في تحديد موقع بلاد بونت ويرجع ذلك إلى غموض وندرة النقوش التي تشير إلى هذه البلاد واكتفت أغلب النقوش في حضارة مصر القديمة بالإشارة إليها أنها تلك البلاد التي كانت المصدر الأساسي للبخور، والذي كان يطلق عليه المصريون اسم (عنتي) حيث كان البخور عنصرًا أساسيًا وهامًّا، في حضارة مصر القديمة وكانوا يستخدمونه في الاحتفالات والشعائر الدينية كما أن رائحته لم تكن تتوقف في القصور والمعابد كما كان يوضع بجوار المتوفي في المقابر وقد استدعى هذا إلى بذل أقصى مجهودات كبيرة للحصول عليه.



صورة (1) خريطة توضح البلدان التي اختلف الباحثون في تحديدها ببلاد بونت

أهم الآراء حول موقع بلاد بونت

قبل أن نقوم بعض الأدلة المادية وغير المادية التي تسلط الضوء أكثر على موقع هذه البلاد سنعرض في البداية الآراء التي أوردها الباحثين والمؤرخين في كتبهم وأبحاثهم عن موقع بلاد بونت والتعقيب عليها وهي كالاتي:

أوَّلًا: تفسير (ماريت) لموقع بلاد بونت

عندما اكتشف العالم الأثري «ماريت» رسوم رحلة بلاد بونت المصورة على جدران معبد الدير البحري للملكة حتشبسوت في عام 1877م وضع في دراسته رأيًا يقول فيه أن بلاد بونت تقع في إفريقيا وحدد موقعها بشمال الصومال، واستند في رأيه على عدة معلومات:

الأولى: ظهور حيوان الزرافة في رسومات جدارية بلاد بونت، والزراف حيوان إفريقي وليس من الحيوانات الآسيوية وينفي هذا الرأي أن الزراف يعيش في كثير من بلدان قارة أسيا وأن اليمن فيها الكثير الغابات والمحميات التي ما زالت الحيوانات البرية تعيش فيها إلى وقتنا الحاضر ومنها النمر العربي والقرود والوعول والغزلان والأسود وغيرها من الحيوانات البرية ومنذ ذلك العصر عرض اليمن للكثير من التصحر وبالرغم من ذلك لم تندثر فيها كل الحيوانات كما ذكرنا سالفًا ثم أن ظهور الزراف لا يعني قطعًا أن ننسب هذه الجدارية بما فيها من رموز أخر لبلد تتواجد فيه الزرافات وقد أغفل صاحب الرأي بقية عناصر اللوحة بما فيها الحمير التي تحمل بضائع ملك بلاد بونت وهي الحيوان الأساسي للنقل والعمل في جبال اليمن إل وقتنا الحاضر وعلى ذلك يمكننا أن نفسر وجود الزرافة في رحلة بلاد بونت بأنها كانت تعيش مع هذه الحيوانات في اليمن قديما وانقرضت بمرور العصور أو أن البعثة أخذتها من تجار يمنيون كانوا يوفرونها من البلدان المجاورة لليمن وهذا وارد لما لليمنيين من براعة في التجارة منذ القدم، وهو ما يجعل توفيرها كتجارة يجدها المصريون في البلاد التي كانوا يتوقفون فيها بهدف الحصول عل متطلباتهم.




صورة(2) أجزاء من جدارية بلاد بونت تظهر فيها الحمير وهي تحمل البضائع لتسليمها لبعثة حتشبسوت



الثانية: أن شكل مساكن أهالي بونت المقامة على أعمدة تشبه المساكن الإفريقية، وهذا الرأي يدل على أن صاحبة لم يكن على إطلاع بأن أهل كل مدن اليمن الساحلية يبنون منازلهم بنفس الطريقة إلى وقتنا الحاضر.



صورة (3) عل اليمين منظر من جدارية بلاد بونت يوضح شكل منازل سكان بلاد بونت عل هيئة عشش تحفها النخيل وعلى اليسار مباني القش المنتشرة في المدن الساحلية اليمنية ومن حولها النخيل إلى وقتنا الحاضر

الثالثة: أن صفات زوجة زعيم بونت الجسدية هي صفات إفريقية، والتحلي بحلقات من المعدن والتي توجد على ساق زعيم بلاد بونت، تشبه حلقات المعدن التي تستخدم اليوم للتحلي عند القبائل الإفريقية مثل قبائل البونجو بالقارة السمراء، وقد أغفل هذا الرأي ملابس شخصيات بلاد بونت في الجدارية والتي يرتدي فيها ملك بلاد بونت الجنبية (الخنجر) الذي ما زال الرجال اليمنيون يرتدونه إلى وقتنا الحاضر وهو ما يؤكد أن المقصود ببلاد بونت اليمن وليس غيرها «وكذلك تجدر الإشارة إلى أن سكان بونت بشرتهم قمحية وذو لحى مدببة وهي صفة عربية خالصة وليست إفريقية كما أن أغلب تماثيل الرجال في اليمن القديم تظهر عليها حلي الزينة بنفس الأشكال الواردة في جدارية بلاد بونت وما زال رجال اليمن في المناطق الساحلية يرتدون الحُلي الفضية ويتزينون بها إلى وقتنا الحاضر على رؤسهم وأيديهم ومنها قبائل ساحل البحر الأحمر الذين يضعون العكاوة الفضية على رؤوسهم.



صورة (4) منظر يوضح ملك بلاد بونت يتقدم اللوحة وهو يرتدي الجنبية (الخنجر اليمني المعروف إلى وقتنا الحاضر)



صورة (5) منظر يوضح ملك يمني يرتدي الجنبية (الخنجر اليمني المعروف إلى وقتنا الحاضر) وقطع من حُلي الزينة.(5)

5- يقع تمثال الملك اليمني في منطقة جرف أسعد الكامل محافظة إب منطقة يريم



الرابعة: أن نمو أشجار البخور على ساحل الصومال، وهذه النقطة ينفيها وجود أشجار البخور ونموها في اليمن وسلطنة عمان إلى وقتنا الحاضر، وشهرتها كذلك بأجود أنواع البخور واللبان في العالم.

وقد ناقش العالم كتشن (Kitchen) مسلك السفن المصرية إلى بلاد «بونت» ووصف طريقها بدقة والتي تبدأ من السويس إلى وادي الحمامات، وكانوا يسلكون النيل في هذه المنطقة، ثم يسلكون طريق وادي الحمامات وقد تم العثور على نقش عربي جنوبي على الصخور الموجودة بالقرب من قصر البنات في منطقة وادي المواخير الواقع عند منتصف وادي الحمامات، وهو ما يؤكد وجود رحلات قادمة من الساحل الآسيوي عن طريق البحر الأحمر إلى مصر.



صوة (6) منظر من جدارية يوضح أشكال المنازل والأشجار في بلاد بلاد بونت

وأورد أحمد فخري في كتابه (دراسات في تاريخ الشرق الأدنى) في إشارته لماذا سميت بلاد الآلهة بقولة «لاشك أنه منذ أقدم العصور كان بعض بدو الجزيرة العربية يخرجون مهاجرين من مواطنهم كلما اضطرتهم ظروف العيش القاسية أو إجلاؤهم غيرهم عن أرضهم فكانوا يذهبون ليستقروا في بلاد الشام أو في

العراق وأحيانًا عن طريق سيناء إلى مصر إذا اتجهوا نحو الشمال أو يعبرون بوغاز باب المندب إلى إفريقيا إذا اتجهوا نحو الجنوب، ومن هنا ينتشرون حيث يطيب لهم العيش وقد دخل بعضهم إلى مصر عن طريق الصحراء الشرقية ووصلوا إلى النيل من أدرب الموصل بين القصير والنيل وقد بقيت لهذا الدرب في جميع عصور التاريخ المصري مكانة خاصة وكانوا يسمونه طريق الآلهة إشارة إلى مجيء بعض أسلافهم ومعهم آلهتهم من هذا الطريق، وما من شك في أن صلة مصر بالشعوب السامية في عصر ما قبل التاريخ تركت أثرها في اللغة المصرية القديمة سواء في مفرداتها أو في أجروميتها[6].

ثانيًا: مصر في الآثار والنقوش اليمنية القديمة

ذُكرت مصر مرتبطةً بالبخور في العديد من النقوش القديمة التي وجدت في مناطق متفرقة من اليمن وليس هذا فقط فقد وجد في مصر أيضا نقوش تؤكد مزاولة اليمنيين القدماء لتجارة البخور كوسطاء بين مصر واليمن للقيام بهذه الوظيفة وأشهر هذه القطع الأثرية تابوت تاجر البخور اليمني (زيد إيل) الذي وجد بالقرب من هرم سقارة وكتب على تابوته نقش يتحدث عنه بلغة أهل بلدة (خط المسند اليمني القديم) وهو أحد أغرب توابيت المومياوات المصرية إذ أن كل التوابيت كتب عليها باللغات المتداولة في مصر القديمة وهذا هو التابوت الوحيد باللغة اليمنية القديمة وقد ذهب العديد من الباحثين أن المومياء المدفونة في هذا التابوت كانت لتاجر بخور يمني كالمر وغيره والتي كانت تستخدم في الكثير من مجالات الحياة آنذاك والتي كانت تتوفر في اليمن بكثرة والبعض صنفه بأنه عمل كاهنًا أيضًا لارتباطه بأرض الآلهة التي كانت تأتي منها مواد البخور ويرى العديد من الباحثين أن الأرض المقصود بها أرض الآلهة في جدارية بلاد بونت هي اليمن والدليل على ذلك أن المصريين القدماء قد أكرموا هذه الشخصية اليمنية بدفنها في مقابرهم تكريمًا لقدومه من بلاد

6- أحمد فخري - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم – مصر والعراق – سوريا اليمن _ إيران – مختارات من الوثائق التاريخية – الطبعة الثانية – القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية – ومكتبة نرجس 1963 م.



الآلهة وعرفان لما كان يقوم به من توفير مواد البخور والعطور والتوابل وبعض مواد التحنيط ويبدوا أنه عمل في هذه المهنة لفترة طويلة وهناك من ذهب حتى استحق أن يُدفن في المقابر الملكية بجوار المقربين من بلاط الحكم وقد عرض المتحف المصري تابوت (زيد إيل) كشخصية المتحف لشهر يوليو في العام 2023م وأقيمت بهذه المناسبة ندوة ألقتها الدكتورة البروفيسور عميدة شعلان بعنوان (العلاقات الحضارية بين اليمن ومصر في ضوء النقوش اليمنية القديمة) وبمناسبة ترميم تابوت التاجر اليمني وعرضه في المتحف كشخصية الشهر، وقد تناولت الندوة التي حضرها كاتب هذه السطور وأقيمت في أحد قاعات المتحف العلاقات التاريخية مدعمةً بالصور والنقوش والترجمات اليمنية والمصرية عبر العصور.



صورة(7) للباحث مع تابوت التاجر اليمني زيد إيل 2023م المتحف المصري



صورة(8) للباحث مع الدكتورة عميدة شعلان أمام تابوت التاجر اليمني زيد إيل 2023م والذي احتفل به المتحف كشخصية الشهر يوليو المتحف المصري

وقد سبق هذا البحث أكثر من زيارة ميدانية للباحث للمتحف لمشاهدة تابوت التاجر اليمني (زيد إيل) المحفوظ في المتحف المصري بالقاهرة وكذلك جدارية بلاد بونت الموجود أجزاء منها في المتحف أيضًا «ويعود تأريخ التابوت إلى فترة حكم الملك بطليموس الثاني (285 – 246 ق.م وكان هذا التاجر بمثابة الممثل التجاري لمملكة معين اليمنية في مصر، ويوضح النقش الموجود على التابوت مدى اندماج العرب في مصر واستقرارهم بها وإتباعهم للعادات والتقاليد المصرية، فقد جاء في النقش أن زيد إيل قدَّم القرابين من البخور واللبان والمر إلى المعبودات المصرية، وتؤكد البرديات المصرية أن البخور كان يُستخدم في المعابد وفي التحنيط، وأن ميناء أر سينوي (السويس) كان يستقبل البخور القادم من جنوب الجزيرة العربية حتى أواخر القرن الثالث الميلادي»(7).

7- خالد الحاج كاتب وباحث أثري يمني يعمل ضمن البعثات الاستكشافية في اليمن وتم الاستعانة به كمترجم لنص التابوت وأفاد بالكثير من المعلومات



وما يهمنا في هذه الدراسة هو ترجمة ما جاء في نص النقش تابوت التاجر اليمني زيد إيل بعد ترجمته لما يقابله في اللغة العربية التالي:

السطر الأول:

(ن ف ق ن / ك زي د إل / ب ن / زي د / ب ن / ظ ي ر ن / ذ و ب / ذ س ع ر ب / أم ر ر ن / وق ل ي م ت ن / ك أ ب ي ت ت / أل أل ت / م ص ر / ب ي و م هـ ي / ت ل م ي ث / ب ن / ت ل م ي ث /

السطر الثاني:

ع ل / وي ف ق ر / زي د إل / ب و ر خ هـ / ح ت ح ر / وي ف ن ن و / ك ب / ب ن / ك ل / أب ي ت ت هـ / أل أل ت / م ص ر / ت م خ هـ س م / ك سَ و / ب و ص / ك ص ي هـ س / وي ع ل ي ن س /

السطر الثالث:

ب أ هـ س / ع د / م ن / ب ي ت / أل هـ ن / أث ر ح ف / ب و ر خ هـ / ك ي ح ك / خ ر ف / ث ن ي / وع ش ر ي / ك ت ل م ي ث / م ل ك ن / و ر ث د / زي د إل / [ج*ل] م ن س / و ن ف ق س / أث ر ح ف / وأل أل ت / ع م س / ب م ح ر م هـ س.

ومعنى ما ورد فيه

«(ن ف ق ن) النقوق يعني الموت فيقال نفق الحيوان أي مات والمقصود الشخص الموجود في التابوت.

ك زي د إل / ب ن / زي د: الكاف حرف جر وملكية بمعنى لـ زيد إل بن زيد اسم صاحب التابوت.

ذ و ب: حرف الذال هنا من الأسماء الخمسة بمعنى صاحب ويرد للإشارة للنسب، لفظ وب فقد يكون بمعنى القبيلة، وهناك من يرى بأنه إشارة إلى المعبود الفرعوني وب.

ذ س ع ر ب: الذي تاجر، أي احترف العمل التجاري كالاستيراد والتصدير.

أ م ر ر ن / و ق ل ي م ت ن: المُر والقرفة، وهي نباتات علاجية وعطرية وكانت تستخدم في صناعة البخور.



ك أ ب ي ت ت /: الكاف حرف جر وملكية سبق توضيحه، لفظ أبيتت بالجمع والمعنى هنا لبيوت – أي للمعابد.

أ ل أ ل ت: بمعنى آلهة بالجمع ومفردها إله، الهن بمعنى إله، الإله

م ص ر: هذا اللفظ الصريح يشير إلى أرض مصر الفرعونية والدليل على هذا ما يذكره النقش في السياق (ب ي و م هـ ي: الباء حرف جر، يومهي أيام والمعنى في أيام، في زمن، في عهد.

ت ل م ي ث / ب ن / ت ل م ي ث: المقصود هنا بطليموس بن بطليموس، وهذا يعني أن زيد مات في فترة زمنية كانت مصر تحت حكم البطالمة، وأول من حكم مصر منهم بطليموس بن لاجوس الذي يُعرف باسم بطليموس الأول (سوتر المنقذ) بالبداية كان حاكمًا على مصر من قبل الإسكندر المقدوني واستمر بهذا المنصب من عام 323 ق.م إلى عام 300 ق.م، ثم استقل بحكم مصر حتى توفي عام 284 ق.م»[8]

وقد أورد الباحث معمر الشرجبي في دراسة لأحد النقوش اليمنية نصًا مكتوبًا في أحد معابد دولة مدينة الجوف وهي من أهم المدن اليمنية القديمة يذكر نفس التاجر في وثيقة عقد زواج نحتت على الصخر توضح زواج هذا التاجر بإمرأة من مصر، وقد ورد في وثيقة عقد قران لشخص اسمه زيد إل من بني ظيران بالسطر 39 من النقش: زيد إل / بن / عبد / ذ ظيرن / ذ أهل / موقه / سكرب / وخسر / بدر / بن / مصر والمعنى:

زيد إل بن عبيد ذي ظيران من أهالي موقه عقد قرانه ودفع مهر بدور من مصر والبعض يرى بأنه هو نفسه زيد إل صاحب التابوت و لفظ (ب ن / ظ ي ر ن) النسب القبلي بمعنى من بني ظيران، وهي قبيلة مذكورة في العديد من النقوش مواطنها في محافظة الجوف حاليًا[9]

ولم يحدد بالضبط أين موقعه أو أين عُثر عليه.

8- معمر الشرجبي باحث أثري في خط المسند القديم _ صديق الباحث ومؤسس موسوعة جديدة في النقوش اليمنية القديمة.

9- سعيد بن إبراهيم السعيد - العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش مكتبة الملك فهد الوطنية 2003م - صفحة (53)



النقش (Ma`īn 93/48 = M 392C/39-41 = Gl 1282)

المعنى:

١ - ز ي د ال | ب ن | ع ب د | ذ ظ ي	١ -زَيْد إل بن عَبْد من عشيرة ظَيران
٢ - ر ن | ذ أ هـ ل| م و ق هـ | س ك ر ب	٢ - من قبيلة موقِه عقد قرانه
٣ - و خ س ر | ب د ر | ب ن | م ص ر	٣ - ومَهَر بَدْر من مصر

كما ورد في نقش آخر يتكون من عشرين سطرًا من نقوش موقع جبل ريام يذكر قيام بعض الأشخاص برحلة تجارية إلى مناطق مختلفة من أرض الروم وبلاد الشام:

بن / أ ر ض / ش أ م ت / ب ك ن / ب ل ت هـ و / أ م ر أ
هـ م و / و ع د و / أ ر ض / أ س د ن / و أ ر ض / ن
ز ر م / و أ ر ض / ت ن خ / و أ ر ض / ل ح ي ن /
و أ ر ض / ت د م ر / و أ ر ض / ن ب ط م / و أ
ر ض / ر م ن / و أ ر ض / ل خ م م / و أ ر ض / غ
س ن / و أ ر ض / م ع د م / و أ ر ض / ط ي م / و أ ر
ض / خ ص ص ت ن / و ر ث د و / ب ت أ ل ب / ر ي م.

يعود النقش تقريبًا لسنة 260-280 ميلادي، ويذكر أسماء قبائل وسط وشمال الجزيرة في القرن الثالث الميلاد يقدم النقش سردًا للرحلات الدبلوماسية التي كانت الدولة السبئية تُرسلها نيابة عن حكام قبيلة هملان وهذا دليل على أن سياسة إرسال السفراء والنواب عن الحكام اليمنيين كانت قائمة منذ ذلك العصر وهو ما يعزز فكرة إرسال التجار والنواب من بلاد بونت إلى مصر القديمة ويذكر النقش منطقة بكلمة «أرض» و القبائل المذكورة هي كالتالي:



الأزد، نزار، غسان، خصاصة، معد، طئ، لحيان، لخم، النبط هذا النقش فيه إثبات لأسماء بعض القبائل العربية

بلاد بونت في النقوش المصرية

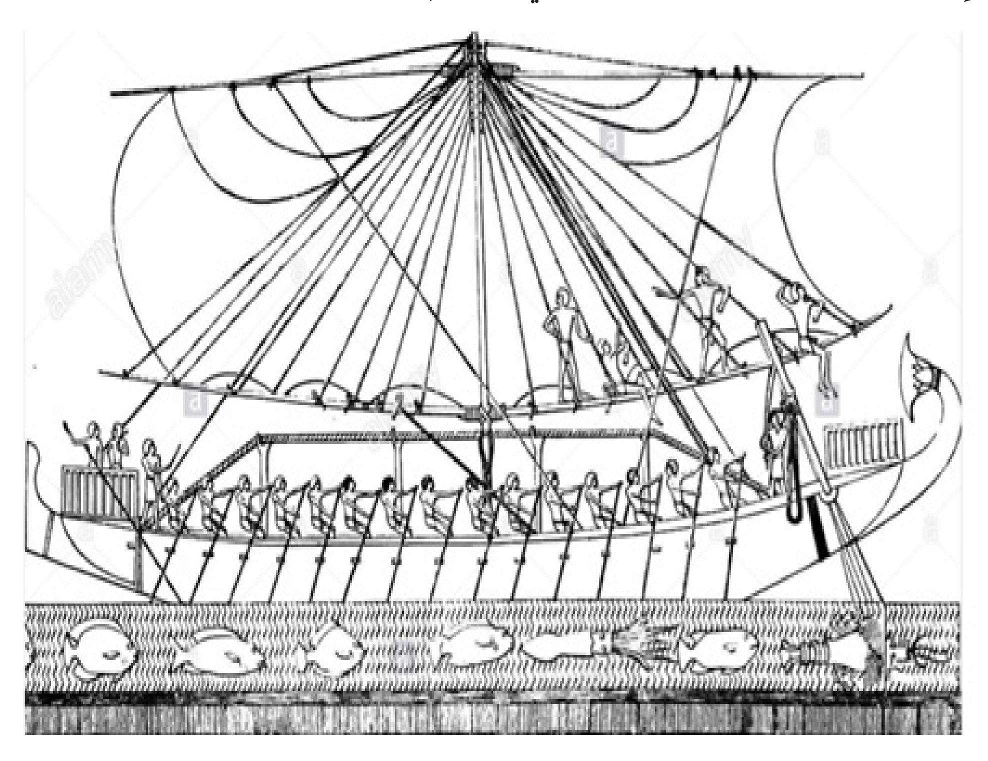
أورد سليم حسن في الجزء الثالث من موسوعة تأريخ مصر بعثات الملك سعنخ كارع امحوتب الثالث إلى بلاد بنت -حسب تسميته لها- وذكر أنه مهَّد الطريق إلى هذه البلاد... وقد كان على المصريين أن يُخضعوا بدو الصحراء الشرقية أوَّلًا حتى يتيسر لهم الوصول إلى مآربهم، ولذلك أخذت البعوث تُرسل إلى وادي الحمامات، وذكر أن الملك (حنو) حامل خاتمه في بعثة إلى بلاد بونت سار بجيش عدده نحو 3000 مقاتل وأتخذ طريقًا حفر فيه عدة آبار حتى وصل إلى البحر الأحمر، وكذلك جهز سفينة هناك على الشاطئ قامت بالرحلة إلى بلاد بونت وعادت محملة بالطرف والتحف التي أحضرتها من هذه الأقطار، وفي عودته إلى البلاد المصرية مر بوادي الحمامات واستخرج منه الأحجار النادرة، وحُملت إلى مصر، وقد ترك على صخور هذه المحاجر نقوشًا طويلة عن تفاصيل هذه الحملة وهي كالتالي:

«السنة الثامنة، الشهر الأوَّل من الفصل الثالث (أي الشهر التاسع)، اليوم الثالث، يقول (حنو) خادمه المحظوظ حقًا الذي يفعل كل ما يمدحه كل يوم وحامل الخاتم الملكي والسمير الوحيد والمشرف على ما وجد وما لم يوجد بعد مدير المعابد ومدير المخازن والبيت الأبيض (المالية) ومدير كل ما له قرن وحافر ورئيس محاكم العدل الست وصاحب الصوت العالي عند إعلان اسم الملك في يوم ردع والذي يسر قلب سيده بوصفه حارس باب الجنوب والمشرف على إدارة مقاطعة الجنوب رئيس المالية والذي يقهر الهبنو (سكان جزر البحر الأبيض المتوسط) والذي تأتي إليه الأرضان خاشعتين والذي تُقدِّم إليه كل إدارة تقريرها ولابس الخاتم الملكي والسمير الوحيد ومدير البيت: لقد أرسلني سيدي له الحياة والسعادة والصحة لأبعث بسفينة إلى بلاد بونت لتحضر له عطورًا (مرًا) جديدة من المشايخ المسيطرين على الأرض الحمراء



وذلك لأن خوفه كان في الأراضي الجبلية، ولقد خرجت فقط على الطريق الذي أمر بها جلالته وقد كان بصحبتي جيش من الجنوب... مقاطعة الغزال وتبتدئ من هنا حتى الجبلين ونهايتها (شايت) وقد انضم إلى وظيفة في بيت الفرعون وكذلك أولئك الذين كانوا في المدينة والحقل وقد كان الجيش يمهد أمامنا الطريق قاهرًا أولئك الذين كانوا غير موالين للملك وقد قام الصيادون وأبناء الجبال حراسًا لهم وقد وضع كل طائفة مستخدمين لجلالته تحت سلطتي وقد بلغوني عن السعاة وصفي أنا الوحيد الذي يقود الحملة ويصغى إليه.

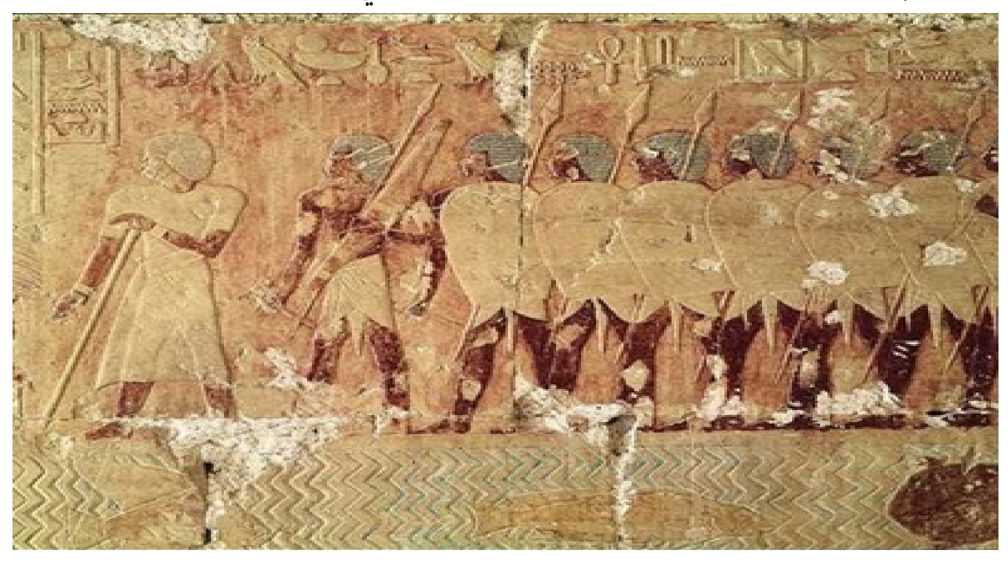
ثم سرت بجيش قوامه 300 رجل، ولقد جعلت من الطريق نهرًا ومن الأرض الحمراء (الصحراء) حقلًا، وذلك لأني أعطيت قربة ماء وقضيبًا لحمل الأمتعة وإناءي ماء وعشرين رغيفًا لكل فرد في كل يوم، وكانت الحمير محملة بالأثقال.



صورة (9) جزء من جدارية بلاد بونت يوضح شكل السفن البحرية التي ذهبت في الرحلة

ولقد حفرت اثنتي عشرة بئرًا في العشب وبئر في (إداهت) إحداهما عشرون ذراعًا مربعًا والأخرى واحد وثلاثون ذراعًا مربعًا، وحفرت ثالثة في (باهيت) ذرعها عشرون في عشرون في كل جانب من جوانبها وبعد ذلك وصلت إلى البحر الأحمر وبنيت هذه السفينة وأرسلتها بكل شيء، وأقمت من أجلها قربانًا عظيمًا من الماشية والثيران والغزلان.

وبعد أن عُدت من البحر الأحمر نفَّذت أمر جلالته وأحضرت إليه كل الهدايا التي وجدتها في إقليم أرض (الآلهة) وعُدت عن طريق وادي الحمامات وأحضرت له قطعًا من أحجار فخمة للتماثيل الخاصة بالمعبد، ولم يحضر مثلها قط لبلاط الملك ولم يعمل مثل هذا على يد ثقة للفرعون أرسل منذ عهد الإله، ولقد فعلت ذلك لجلالته لأنه يحبني حُبًّا جَمًّا»[10]

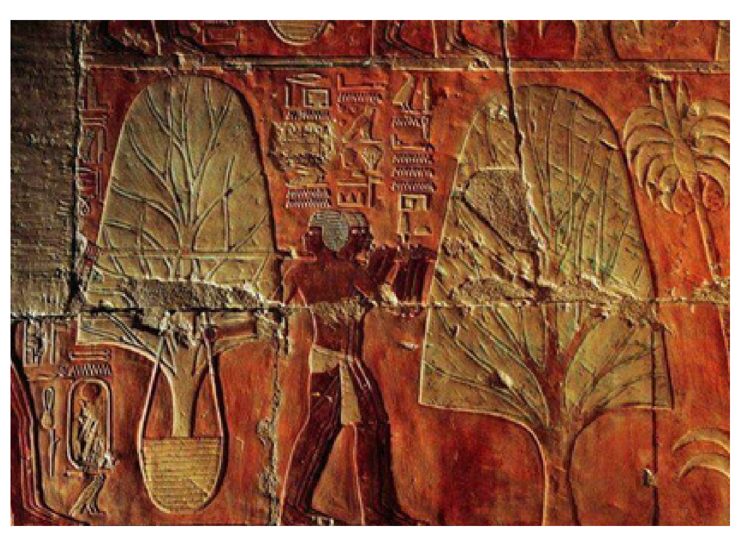


صورة (10) منظر من جدارية بلاد بونت يوضح قائد بعثة حتشبسوت ومعه مجموعة من جنود السفن البحرية التي ذهبت إلى بلاد بونت

---

10 - سليم حسن – موسوعة مصر القديمة- الجزء الثالث – في تأريخ الدولة الوسطى ومدينتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية والعربية – القاهرة – مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع – 2000م ص 108- 110





صورة(11) جزء من جدارية بلاد بونت يظهر فيها جنود مصريون يحملون أشجار البخور التي أخذوها من بلاد بونت لزراعتها في مصر وتظهر في الصورة أشجار النخيل

عامة إن أهم الأسرار التي كشفها (حابو سنب) للملكة هي أن آمون هو القوة المستترة، بل هو أيضًا المخصب المنمي، إذن فربما أن هذا الفيضان المفعم بالخصب والخير الذي ينهمر على مصر وبدونه تنعدم مظاهر الحياة في أراضيها مصدره الأساسي بلد الآلهة، أي تلك البلد التي تتألق في أجوائها الروائح العطرية الإلهية، إنها بكل تأكيد المقر الفعلي للإله»(11)

وكان المصريون القدماء يستخدمون الكندر والبخور لصناعة مواد التجميل أيضًا «وينتج الكندر من الأشجار الصغيرة التي تنمو في بلاد الصومال وجنوبي الجزيرة العربية وفي الجهات المجاورة للحبشة.... وقد ورد في ترجمة برستد للنصوص المصرية القديمة أن المر أيضًا كان يُحصل عليه من بلاد بونت في الأسرات الخامسة والحادية عشرة والثامنة عشرة والعشرين والخامسة والعشرين ومن بلاد جنبتيو في الأسرة الثامنة عشرة...وقد ورد في بردية متأخرة (275ق.م) ذكر المر المنديسي الموضوع في أنية صغيرة من الرصاص..

---

11 - كريستيان ديروش نوبلكور – حتشبسوت عظمة وسحر وغموض – ص 175

وقد تعرَّف روتر على المر في عطور مصرية قديمة، وفحص المؤلف بعض عينات الراتنج الصمغي المأخوذة من مومياوات ملوك وكهنة من الأسرة الثامنة والتاسعة عشرة والعشرين ويحتمل أن تكون مرًّا، وقد تأكد ذلك في حالة واحدة بمعرفة لونوى.. وعثر في مقبرة توت عنخ آمون على خليط من الراتنج الصمغي والنطرون وربما كان هذا الخليط بخورًا»[12]

وفي جدارية بلاد بونت يظهر مشهد جنود مصريين وهُم ينقلون أشجار اللبان البخور إلى السفينة بهدف زراعتها في مصر وتظهر خلفها طبيعة جبلية تتكون من سلسلة من الجبال التي تتطابق مع أشكال الجبال المعروف بها سواحل اليمن، وهو ما يؤكد انسجام اللوحة مع طبيعة البلد المقصودة.

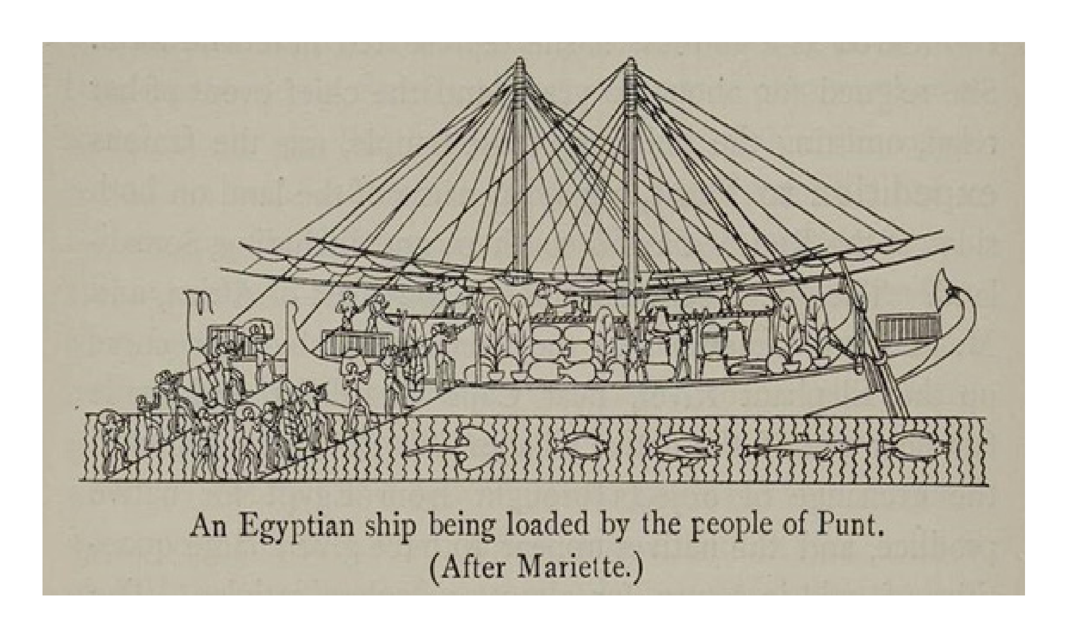
بلاد بونت في جدارية حتشبسوت

تقول الترجمة المصرية لجدارية حتشبسوت بلاد بونت الآتي: «في صبيحة يوم ما من ثاني أشهر فصل الأخت (الفيضان) في اليوم الأول من ثامن عام من الحكم هبَّت حتشبسوت مفزوعة من نومها، لقد شاهدت في الحلم صديقها المخلص القديم (إنيني) الذي كان قد انتقل إلى العالم الآخر منذ حوالي سنتين يتراءى لها في وسط حديقتها الغنَّاء البديعة، وأبدى لها مخاوفه وانزعاجه في وضوح وصراحة من احتمال عدم تحقيق الحملة إلى بلاد بونت ولكنها لم تستطع الرد عليه، فقد توقَّف حلمها عند هذا الحد، ومع ذلك فإن الملكة لم تخشَ من هذه النبوءة أو تتوجس منها ضررًا بل إنها على العكس أصبحت بالرغم من بعض الشك والقلق الذي كان ينتابها متأكدة تمامًا من النجاح المقبل لمثل هذه المغامرة»[13]

12- المواد والصناعات عند قدماء المصريين – الفريد لوكاس – ترجمة زكي إسكندر – محمد زكريا غنيم – عبد الحميد احمد – الطبعة الثانية - القاهرة – دار الكتاب المصري. 1934م

13- مرجع سابق كريستيان ديروش نوبلكور – حتشبسوت عظمة وسحر وغموض – ص 165





An Egyptian ship being loaded by the people of Punt.
(After Mariette.)

صورة (12) جزء من جدارية بلاد بونت يوضح صور الجنود المصريين وهُم ينقلون أشجار البخور داخل أوعية فخارية تمهيدًا لنقلها وزراعتها في مصر.

*****



هدايا ملوك مصر لملوك بونت

عثرت البعثات الأثرية على العديد من القطع الأثرية التي ربما كانت ترسل من مصر إلى اليمن والتي تؤكد مما لا يدعو للشك أن بلاد بونت كان القصد منها بلاد اليمن وعلى العكس لم يعثر إلى الآن عن أيَّة هدايا أرسلت من مصر إلى أيَّة دولة من الدول التي يشك الأثريون بأنها بلاد بونت، وقد ذكرت النقوش المصرية أن الملكة حتشبسوت أرسلت تمثالًا يجمع بين آمون وحتشبسوت إلى أرض بونت، حيث ورد في القصة «وأخيرًا جاء موعد الفصل الأخير: كان على الملكة أن تقوم بكل مشاعر الورع والتدين بتكريس عملية فتح الفم والعينين للتمثال (الذي يجمع بين آمون وحتشبسوت وهو منحوت من الجرانيت الوردي وكان قد أعد من أجل نصبه فوق أرض الآلهة خاصة وأن التمثال لا يمكن أن يكون ذا فعالية إلا إذا تم إحياؤه بهذه الكيفية، وتقول الكتابات إن هذا الشكل _المجموعة- قد زُيّن وجُمّل بقطع من الزينة المصنوعة من الأحجار الكريمة المجلوبة من بلاد بونت نفسها.. وكانت الضرورة تقضي بوضع هذا التمثال داخل مقصورة خاصة شُيّدت بوسط مدرجات النباتات العطرية والبخور بالعنيتو في أرض بونت، وقد تقرر قيام السفن الخمس في لحظه بزوغ الشمس وبعد إطلاق أربع حمامات رحالة تحمل رسالة معلقة في أعناقها لإعلان الجهات الأصلية الأربع ببداية المغامرة الكبرى»(14)

كما إن العقيق اليمني المعروف بنقاوته وألوانه الزاهية يظهر في الكثير من تماثيل وأدوات الزينة في العديد من القطع الأثرية المصرية وهذه النماذج من العقيق لا توجد إلّا في اليمن ومما لا شك فيه أن المصريين القدماء قد وصلوا إلى اليمن وجلبوا هذه الأنواع من العقيق والأحجار الكريمة من اليمن.

ويُظهر مشهد من جدارية بلاد بونت استقبال ملك بونت وزجته وجنوده للبعثة المصرية وتبادل الهدايا التي تحتوي كميات من البخور والخناجر والسيوف والأحجار الكريمة والحيوانات وغيرها.

---

14 - مرجع سابق -كريستيان ديروش نوبلكور – حتشبسوت عظمة وسحر وغموض – ص183





صورة (13) مشهد من جدارية بلاد بونت يوضح استقبال ملك بلاد بونت وزجته وجنوده للبعثة المصرية

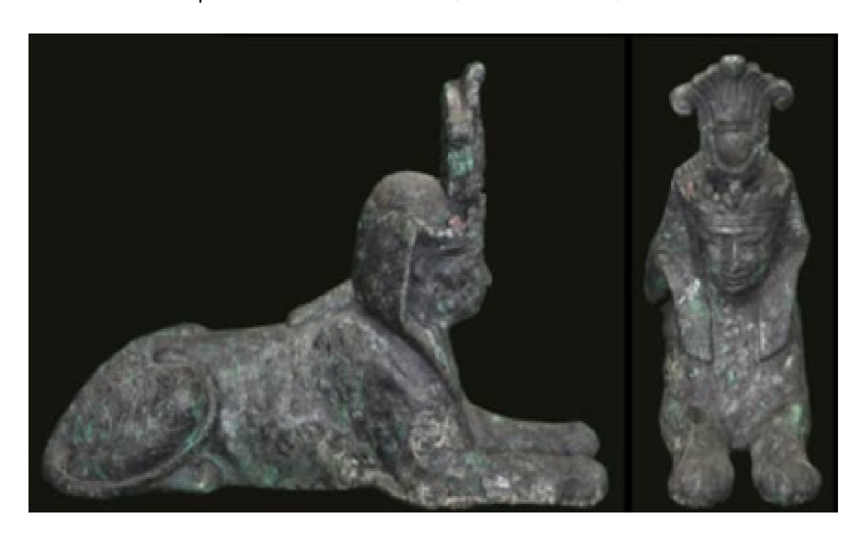
تمثال أبو الهول في اليمن

تقول سوزانا توماس في كتابها قادة مصر الفرعونية (الملكة حتشبسوت) إن «من الأمثلة المثيرة للارتباك الذي مثلته تماثيل الملكة حتشبسوت تمثالين متطابقين لأبي الهول كانا في الأصل موجودين في الطريق المؤدي إلى الدير البحري، التمثال الأول وهو موجود في المتحف المصري منقوش عليه (ماعت كارع محبوب أمون لتكن له حياة للأبد) والثاني وهو الآن في متحف المتروبوليتان بنيويورك ومنقوش عليه (ماعت كارع محبوبة آمون لتكن لها حياة للأبد)»[15]

15 - قادة مصر الفرعونية (حتشبسوت) تأليف سوزانا توماس – ترجمة إسحاق بنيامين – القاهرة _ دار إلياس العصرية 2007م



صورة (14) تمثال (أبو الهول اليمني) مكتوب عليه بخط المسند اليمني القديم معثورات جبل العود محافظة إب 2007م



صورة (15) تمثال (أبو الهول) الذي عثر عليه في اليمن في جبل العود 2007م



إن الشيء الغريب الذي حير الباحثين أن مثل هذا التمثال لأبي الهول قد وجد في اليمن أيضًا بنفس الطريقة التي نُحت بها تمثال أبي الهول وكذلك تمثال حتشبسوت التي كانت تحب أن تصور نفسها برأس إنسان وجسد أسد وكأنه نسخة منها تمامًا، والسؤال هنا كيف انتقل هذا التمثال لمنطقة جبال العود في محافظة إب وسط اليمن مع مجموعة كبيرة من القطع الذهبية والفضية والبرونزية والأسلحة والخناجر، وهو ما يؤكد أنها ربما هدايا من ملوك مصر، وربما من الملكة حتشبسوت، وكانت تُرسل إلى اليمن مع رحلات جلب البخور، وربما كانت بحوزة أحد الملوك اليمنيين، حيث وجدت في مكان أثري يعود لممالك اليمن القديم، وقد حدد تأريخها ما بين الألف الأول والثاني قبل الميلاد، وهي نفس الفترة التي أرسلت فيها مصر رحلاتها باتجاه الجنوب الشرقي وبلاد بونت، كما توجد العديد من اللوحات الأثرية اليمنية التي تصور أشكال أبي الهول التي تؤكد مدى الترابط بين الحضارة اليمنية والمصرية.



صورة (16) تظهر أشكال مقاربة لتمثال أبي الهول في اليمن

ولم تقتصر الرحلات المصرية على بلاد بونت فقط، بل كانت هناك رحلات متعددة إلى بلدان أخرى، «فنحن نعلم أن حتشبسوت كانت شديدة الاهتمام

بالمغامرات الاستكشافية والتجارية مع البلاد الأخرى، وهناك دلائل تثبت أنها أرسلت بعثات استكشافية إلى لبنان من أجل شراء خشب الأرز، وإلى سيناء للحصول على النحاس والفيروز من الجبال منذ فترة ما قبل الأسرات.. أمَّا بلاد بونت فكانت مصدرًا للكثير من المنتجات الأجنبية ومن بينها الذهب والأبنوس والعاج والبخور ومعظم الحيوانات الغريبة مثل القرود والنسانيس، وكانت الحملات المصرية تصل في المعتاد إلى بلاد بونت عن طريق الإبحار شمالًا من طيبة إلى مدينة قفط ثم السفر البري من وادي النيل إلى الموانئ على ساحل البحر الأحمر، ومن هناك يتم الإبحار جنوبًا على طول الساحل»[16]

الأشجار الواردة في جدارية بلاد بونت

تشبه الأشجار التي ظهرت في رسومات رحلة بونت في الدير البحري أشجار اللبان والبخور المتواجدة في اليمن وأجزاء من سلطنة عمان والصومال وتعتبر اليمن أهم وأقرب هذه البلدان لرسومات بلاد بونت إذ وردت في جدارية بلاد بونت، إذ أن أشجار البخور في اليمن القديم وعمان وكانت أشجار المر والبخور تمثل أهم مصدر للدخل القومي لاقترانها بقرابين البخور «للآلهة في طقوس دينية وشعائرية ترافقها المباخر والذبائح التي يقدمها الإنسان اليمني للآلهة لينعم ببعض المنافع أو ليتجنب بعض المصائب، أو لطلب العون، أو لطلب الصفح وهناك موائد يظهر ن خلالها بأنها تستخدم لوضع البخور عليها (مثل المبخرة) كما جاء في النقش (CIH439) الذي يذكر مقدمه فيه بأنه قدم (م س ل م ن) يوم تقرب بنوعين من الطيوب للإله عثتر»[17] وكان البخور كذلك يستخدم لنفس الطقوس في حضارة مصر القديمة وقد كُتب الكثير من المؤرخين عن شجرة اللبان ويقول عنها المؤرخ اليوناني هيرودوت الذي ولد عام 484 ق.م:

---

16 - قادة مصر الفرعونية (حتشبسوت) تأليف سوزانا توماس – ترجمة إسحاق بنيامين – القاهرة _ دار الياس العصرية 2007م - ص 90.

17 - مرجع سابق _ خالد الحاج باحث أثري يعمل في التنقيب في المواقع الأثرية في اليمن.



«تنبت شجرة اللبان في جنوب شبه الجزيرة العربية، وقد وصفها بأنها شجرة تحرسها الثعابين الطائرة والسامة والخطرة التي تختبئ بين جذوعها، كما وصف أرض اليمن بأنها أرض العربية السعيدة وأنها تقع في أقصى الجنوب من الجزيرة العربية. ويورد أحمد فخري أدلة على «أن قدماء اليمنيين كانوا سباقين في في معرفة سر الرياح الموسمية، وأن اليونان أخذوا عنهم، وأن المراكب اليمنية هي من كشفت مجاهل المحيط الهندي إلى الصين، وهو الأمر الذي دفع (فاهيان) الذي زار منطقة سيلان في العام 414م أن يقول إن ديار تجار عرب سبأ في سيلان مُزيَّنة بأجمل الزينات من الفضة والأحجار الكريمة»[18] كما ذكر ثيوفراست أن أشجار اللبان والمر والقرفة تنمو فوق سفوح الجبال جنوب شبه الجزيرة العربية، وأن البعض منها يُزرع وبعضها ينمو طبيعيًا من تلقاء نفسه.

وقد ورد اسم بخور في كتابات المسند اليمنية القديمة بلفظ (ب خ ر) وكانت المعابد اليمنية القديمة لا تخلو من البخور وقد ورد ذكر البخور والقرابين في الكثير من النقوش كما وجدت الكثير من المباخر المصنوعة من الحجر أو البرونز في مناطق متعددة، ومن أنواع البخور اليمني: الأفاقيا والبان والبلسم والحذق ودم الأخوين والرند والصبر والصندلية والضرو والظفر والعود والقسط البحري والكسا والمقل والند والمر والأذ. كما يستخدم اللبان كنوع من أنواع البخور ويستخدم للعلاج، ومن أهم الأشجار الواردة في جدارية بلاد بونت ما يلي:

شجرة اللبان

تُعتبر شجرة اللبان من أهم الأشجار الطبية والعطرية، وجاءت التسمية من الصمغ الذي يخرج من الشجرة بشكل قطرات اللبن، وتعطي الشجرة إنتاجها بعد فترة تتراوح ما بين ثمان إلى عشر سنوات من الإنبات، «وهي عبارة عن شجرة يصل ارتفاعها إلى خمسة أمتار، ذات ساق قائم أو عدة سيقان تتفرع من القاعدة، والقلف هو رقائق أو قشور رهيفة، والفروع الجديدة كثيفة ومتداخلة

---

18 - مرجع سابق – فخري – 1988م

والأوراق متبادلة، وتتكون الورقة من 6-8 أزواج من وريقات متقابلة، وأزهارها بيضاء محمولة على شمراخ يخرج من أباط الأوراق والثمار، وتحتوي الثمرة بذرة واحدة»[19] ويُطلق على ما يُستخرج من الشجرة من اللبان (الكندر أو لبان الذكر – لبان بدوي- لبان بخور) وتنمو هذه الأشجار في التربة الحوية بشكل أفضل من التربة الطينية «ويتواجد هذا النبات في اليمن في المرتفعات الجبلية من حضرموت والمهرة والمرتفعات الوسطى من لودر وجزيرة سقطرى وفي الساحل الشمالي الشرقي من إفريقيا كالصومال وظفار عمان، والبيئة المناسبة التي ينمو عليها هذا الشجر هي الجوانب الصخرية والأودية التي تتخلل الهضاب المطلة على الساحل الجنوبي والمنحدرات الجبلية.. وتتواجد الأنواع الأجود منه في كل من حضرموت وسقطرى في اليمن وظفار في عمان وشمال الصومال».

وقد وردت في رسومات بلاد بونت أشكال المدرجات الزراعية التي تشبه إلى حد كبير المدرجات الزراعية في اليمن» وقال الأصمعي: «ثلاثة أشياء لا تكون إلا باليمن وقد ملأت الأرض: الورس واللبان والعصب (يعني برود اليمن)

والكندر: كما يسميه البعض هو اللبان الذكر، ولا يكون إلا بالشحر وجبال اليمن، والذكر منه الصلب المستدير المائل إلى الحمرة، والأنثى منه اللون الأبيض الهش، وقد يأخذه البعض طريا ويحفظ في جرار الماء ويحرك فيستدير، ويسمى المدحرج، وتبقى قوته نحو عشرين سنه.

---

19 - علي سالم باذيب- النباتات العطرية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م ص28





صورة(17) توضح العمال المصريين يقتلعون أشجار اللبان ويزعونها في شتلات مقفولة لنقلها للسفينه ومنها إلى مصر

وشجر اللبان لا ينمو في السهول وإنما في الجبال فقط «ويتواجد في اليمن بكثرة في كل من الشريط الساحلي على المنحدرات الجبلية في كل من (أحور – المعدي – الواسط – حوف- الشحر- حضرموت – وفي المرتفعات الوسطى من _ دوعن – سهل لودر وفي جزيرة سقطرى يوجد خمسة أنواع منه «[20] يستخرج اللبان من مرتين إلى ثلاثة في السنه ويصل معدل إنتاج الشجرة من 2- 5 كيلو ويستخدم اللبان كمضغة أو كبخور ذي رائحة زكية...

ويتم الحصول على اللبان من جرح ساق الشجرة وبعض فروعها بواسطة سكين خاصة صغيرة تسمى (المنقف) وتتركب من جزئين الجزء الأول عبارة عن قطعة خشبية يمسك بها العامل والجزء الآخر عبارة عن رأس حاد من الحديد مستدير الشكل ليساعد في خدش وضرب الشجرة ويجب أن يكون العامل لذو خبرة في عملية جرح الشجرة حيث أن العامل سيقوم بتوسيعها في المرات القادمة وقد يؤدي ضرب الشجرة بطريقة خاطئة إلى عقم الشجرة وتوقفها عن إنتاج اللبان ويتم استخراج اللبان من الأشجار على فترتين:

---

20 - مرجع سابق علي سالم باذيب- النباتات العطرية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م ص28

الأولى: تجرح الشجرة بداية يناير ويجمع اللبان في نهاية مارس
الثانية: تجرح الشجرة في بداية مارس ويجمع اللبان بداية يوليو.»[21].

وتسمى هذه عملية خدش الأشجار في بعض المناطق بالسعف حيث يتم جرح عدة مواضع من الشجرة بطريقة مدروسة بحيث يخرج من الجذوع سائل أبيض يميل إلى إلى اللون الأصفر، يتجمد بتعرضه للهواء على الشجرة أو يسقط على الأرض في حال كانت الشجرة خصبة وغزيرة الإنتاج وفي هذه الحالة تنظف الأرضية إذا كانت صخرية أو تفرش بحصيرة من سعف النخيل لتلتقط منها لاحقًا ويتم تكرار عملية جرح الشجرة خلال فترة أسبوعين من المرحلة الثانية التي سبقتها، وتستمر عملية الجرح بهدف الإدرار للصمغ لعدة مرات حتى ينتهي الموسم السنوي.



صورة (18) توضح نوع من اللبان اليمني بعد تجفيفه

ويختلف نوع اللبان حسب البيئة والتربة والمناخ والظروف التي تنمو فيها الشجرة كما تعتمد كذلك على خبرة العمال القائمون على استخراج اللبان واختيار الأوقات المناسبة لخدش الجذوع وعلى أسلوب الجمع وطريقة التعامل في جرح الجذوع مع مراعاة العناية بالشجرة.

---

21 - مرجع سابق علي سالم باذيب- النباتات العطرية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م ص 29.

استخدامات اللبان

استخدم اللبان في الحضارات القديمة في صناعة البخور والأدوية بالإضافة إلى استخدامه في مواد التحنيط حسب الكشوفات الأثرية ويستخدم في الوقت الحاضر في صناعة الورنيش سريع الجفاف ويدخل في تركيب العطور والروائح العطرية وفي الطب الشعبي ويشرب منقوع اللبان كعلاج للسعال والتهاب الحنجرة وإدرار الطمث بالإضافة إلى استخدامه كبخور تُبخَّر به ملابس الطفل حديث الولادة كذلك في المنزل أثناء فترة النفاس، أمَّا النوع المسمى (سقطرانا) فيستخدم كعلكة للمضغ لمناسبته لذلك.

ويستخدم اللبان أيضًا للمضغ بهدف تعطير الفم والتخلص من الروائح الكريهة ويساعد في التخلص من القروح ويصفي الصوت وينقي البلغم ويسهل التنفس خاصة في حالة السعال والربو فهو مفيد لعلاج السعال الشديد والنزلات الصدرية. كما يستعمل لعلاج السعال عند الأطفال وهو ما يؤكد الحاجة الماسة له في الحضارات القديمة.

أنواع اللبان

هناك أكثر من خمسة أنواع من اللبان وتقاس جودة اللبان باللون النقي الأبيض الخالي من الشوائب ويرتفع الثمن حسب الجودة وتقل الجودة كلما كان اللون يميل إلى الاحمرار أو اختلط بشوائب أخرى ومن أهم أنواع اللبان في جنوب الجزيرة العربية (اليمن وسلطنة عمان الآتي:

اللبان السقطري

وهو أجود أنواع اللبان على الإطلاق وينمو بكثرة في جزيرة سقطرى اليمنية ويمتاز بنقاوته وفوائده الكثيرة علاجيًا وعطريًا وما زالت جزيرة سقطرى تشتهر بتصدير اللبان السقطري إلى وقتنا الحاضر ويعتبر من أغلى أنواع اللبان الطبيعي في العالم.

اللبان الحوجري

وهو أيضًا من أجود أنواع اللبان وسمي بهذا الاسم نسبة إلى منطقة حوجر في سلطنة عمان في الأجزاء الشرقية من منطقة ظفار وتنمو الأشجار الجيدة لإنتاج اللبان في المناطق المرتفعة الجافة التي لا يصيبها الضباب والرطوبة والأمطار الموسمية بعيدًا عن البحر حيث تنمو شجرة بسرعة عندما تكون بعيدة عن مناطق تساقط الأمطار الموسمية، وفي هذا النوع تكون الشجرة كثيرة الأغصان وأوراقها خضراء داكنة، ويتراوح ارتفاعها ما بين ثلاثة إلى خمسة أمتار ولها جذع واحد أو متفرع من الأسفل للأعلى.

اللبان الشحري

وهو نوع من اللبان ينسب إلى مدينة الشحر في حضرموت اليمن وما زالت هذه المناطق تنتج اللبان ال وقتنا الحاضر من الأشجار المنتشرة في هذه المناطق.

النجدي

ويأتي في المرحلة الثانية بعد الحوجري وينمو شجره في منطقة النجد وراء سلسلة الجبال الواقعة إلى الشمال من مرتفعات ظفار الوسطى.

الشزري

وهو نوع متوسط الجودة وينمو في على جبال القراء الممتدة وراء الساحل العماني ويسمى « شزري» وهو نوع جيد

- **الشعبي (السهلي)**

• اللبان الشعبي « وهو النوع الأقل جودةً حيث تنمو أشجاره قرب ساحل ظفار ويسمى « شعبي»

ويوجد أنواع أخرى من اللبان منها: لبان الكندر الصومالي أو كندر الشاطئ البعيد والكندر العماني أو الظفاري أو السخاليتي نسبة منطقة في عمان.



شجرة المر

تعتبر شجرة المر من أهم الأشجار التي اشتهرت بها اليمن منذ القدَم ويعتبر المر من أهم الأشجار التي تحظى باهتمام ملوك مصر القديمة نظرًا لاستخدامها في صناعة مواد التحنيط وصناعة العطور والبخور والعلاج وما زالت الأراضي اليمنية مليئة بهذا النوع من الأشجار إلى وقتنا الحاضر « وتتميز أشجار المر عند دعك قلفها أو أغصانها برائحة بلسمية قوية والشجيرات متساقة الأوراق كثيرة الغصينات مشوكة أو من غير أشواك والقلف مقسم إلى قشور أو رقائق والأوراق مركبة معنقة أو جالسة والأزهار صغيرة حمراء غالبًا أو صفراء والثمار حسلية والمر عبارة عن سائل راتنجي صمغي بني أو أسود يتجمد عند تعرضه للهواء ويفرز من الساق طبيعيًا أو بعد جرحها وينتشر بكثرة في مناطق متعددة من اليمن مثل حيس وحجة ومأرب ولودر ومودية وأحور وحضرموت وشبوة والمهرة ويوجد في اليمن سبعة أنواع من المر تستخدم في الغالب للعلاج الشعبي كدواء للسعال والتقرحات كما يستخدم في صناعة العطور والبخور»[22].

وكانت شجرة المر إلى جانب اللبان من اهم موارد اقتصاد ممالك اليمن قبل الإسلام وكانت تُصدَّر إلى مختلف حضارات العالم القديم وأظهرت دراسات المومياوات المصرية وجودها ضمن مواد التحنيط وصناعة العطور والبخور والمر وقد ورد ذكرها في نقش تابوت التاجر اليمني زيد إل في مصر بلفظ واضح كما ورد لفظ مر في العديد من نقوش المسند اليمني القديم وتكثر في شبه الجزيرة العربيّة (اليمن وعُمَان) وفي بعض دول شرق إفريقيا ويؤكد نقش التاجر اليمني المدفون في مصر (زيد إيل) أن اليمن كانت المصدر الأصلي لتوفير هذه المادة للمصريين القدماء وقديما كان المر يستخدم في الكثير من وصفات الطب الشعبي منها علاج الجروح المتعفنة وتطهير الجروح وتقرحات الجلد، وللمر خاصية هامة في كونه قاتل للجراثيم والميكروبات ولذا استخدم في التحنيط بكثرة في مصر القديمة لما له من قدرة على حفظ أجساد الموتى من التعفن ولذلك تم جلبه لإضافته إلى مواد التحنيط في مصر القديمة بالإضافة إلى

22 - علي سالم باذيب- النباتات العطرية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م ص 30

أنه دخل في التحنيط الذي عثر عليه في اليمن مؤخرا والذي كشفت الدراسات أنه كان يستخدم أغلب المواد الموجودة في البيئة اليمنية وما فيها من تنوع نباتي وربما كان هناك تبادل للخبرات بين حضارة اليمن ومصر فيما يخص التحنيط وما زالت الكثير من الموضوعات بحاجة إلى دراسات متعمقة فهناك أدلة كثيرة توضح أن اليمن كان على تواصل كبير بحضارة وادي النيل بالذات.

• شجرة دم الأخوين

هي نوع من الأشجار النادرة التي يصل عمرها لأكثر من 800 عام «فهي شجرة معمرة يبلغ ارتفاعها أكثر من ثلاثة أمتار، سميكة الجذع والفروع، ثنائية التفرع تتكون الأوراق السيفية الحادة في نهايات الأفرع وتوجد الأزهار في عناقيد زهرية متفرعة في نهاية الأفرع أيضًا وأجزاء الزهرة محاطة بغلاف زهري مكون من 6 فلقات أو أجزاء، والثمار لبية كروية الشكل , تحوي بذرتين أو ثلاث بذرات وتبدو الشجرة للناظر من بعيد كالمظلة»[23].

وتنمو شجرة دم الأخوين طبيعيًا في أعالي الجبال على ارتفاع 750 متر عن سطح البحر والاسم الشائع لها في جزيرة سقطرى (عرحيب) ويطلق عليها أيضا دم العنقاء وتنتج نوع من الأصماغ والبخور ويبلغ ارتفاع هذه الشجرة من ثلاثة أمتار ثمانية وتنمو على ظهور التلال العالية والهضاب وتتحمل الجفاف لسنين طويلة حيث تحتفظ بالماء لفترة طويلة وهي سميكة الجذوع والفروع العالية منها تبدو على شكل مظلة كبيرة فهي من الداخل فروع والحية خشبية ومن الخارج أوراق خضراء سيفيه حادة وتكثر في مرتفعات دسكان وموحي ويستخرج من لحائها نوع من الفصوص القرمزية اللون تشبه لون الدم تستخدم لعلاج الجروح والتقرحات وهوما يؤكد استخدام موادها في التحنيط في مصر واليمن منذ القدم وتعتبر الشجرة من أهم مصادر الدخل لأبناء الجزيرة منذ القدم وهي أقرب الأشجار إلى الرسوم التي نجدها على معبد الدير البحري إلى جانب شجرة اللبان.

---

23 - علي سالم باذيب- النباتات العطرية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م ص 15





صورة(19) شجرة دم الأخوين في جزيرة سقطرى اليمن



صورة(20) منظر من جدارية بلاد بونت يظهر عمال مصريون ينقلون شجرة تشبه دم الأخوين في جزيرة سقطرى اليمن



قائمة المراجع

أولًا: المعاجم

1- معجم الصحاح
2- معجم اللغة العربية المعاصرة
3- المعجم العربي الوسيط
4- لسان العرب

ثانيًا: الكتب

1- أحمد فخري دراسات في تأريخ الشرق القديم- مصر والعراق – سوريا – اليمن – إيران – مختارات من الوثائق التاريخية – القاهرة - ط2 كلية الاداب جامعة القاهرة – مكتبة الأنجلو المصرية 1963م

2- سعيد بن إبراهيم السعيد - العلاقات الحضارية بين الجزيرة العربية ومصر في ضوء النقوش – الرياض - مكتبة الملك فهد الوطنية 2003م

3- سليم حسن – موسوعة مصر القديمة- الجزء الثالث – في تأريخ الدولة الوسطى ومدينتها وعلاقتها بالسودان والأقطار الأسيوية والعربية – القاهرة – مكتبة الأسرة – مهرجان القراءة للجميع – 2000م

4- محمد زكريا غنيم – عبد الحميد احمد – الطبعة الثانية - القاهرة – دار الكتاب المصري. 1934م

5- كريستيان ديروش نوبلكور – حتشبسوت عظمة وسحر وغموض- ترجمة فاطمة عبد الله محمود – القاهرة – المجلس الأعلى للثقافة.

6- – الفريد لوكاس –المواد والصناعات عند قدماء المصريين- ترجمة زكي إسكندر- محمد زكريا غنيم –القاهرة – دار الكتاب المصري- 1945م



7- سوزانا توماس – قادة مصر الفرعونية (حتشبسوت) - ترجمة إسحاق بنيامين – القاهرة _ دار إلياس العصرية 2007 م

8- علي سالم باذيب- النباتات الطبية في اليمن – الطبعة الرابعة- صنعاء – مكتبة الإرشاد – 2007م

المقالات

1- أ. حسن السيباني – باحث متخصص في تأريخ اليمن القديم وله عدة أبحاث منشورة رجع إليها الباحث في أكثر من موقع في الدراسة.

2- د. خالد الحاج كاتب وباحث أثري يمني يعمل ضمن البعثات الاستكشافية في اليمن وتم الاستعانة به كمترجم لنص التابوت وأفاد بالكثير من المعلومات

3- أ. معمر الشرجبي باحث أثري في خط المسند القديم _ صديق الباحث ومؤسس موسوعة كبيرة في النقوش اليمنية.

4- أ.د منير العريقي – أستاذ الآثار اليمنية استعان به الباحث واستشاره فيعدد من المعلومات في الدراسة.

*****



السيرة الذاتية للأستاذ محمد سبأ



الاسم: محمد عبده محمد سبأ.

الجنسية: يمني.

مواليد:1985م.

الوظيفة: فنان باحث في التراث الثقافي.

مدير الدار اليمنية للكتب والتراث القاهرة ومدير مؤسسة سبأ للثقافة والفنون.

المؤهلات:

- حاصل على درجة الماجستير –في التراث الثقافي - أكاديمية الفنون القاهرة- المعهد العالي للفنون الشعبية – بمرتبة امتياز مع التوصية بتداول الرسالة عربيًا ودوليًا-2022م.

- بكالوريوس تربية فنية جامعة إب اليمن 2007م.

الخبرات والدورات والورش

- شهادة في ورشة (إدارة المشاريع الثقافية) فاعل- بيروت لبنان-مؤسسة العمل للأمل- 2020 م.

- حصل على منحة تدريب – لإعداد ١٨ خبير يمني متخصص في صون التراث الثقافي الغير المادي – اليونسكو - القاهرة لتدريب خبراء في صون التراث الثقافي -2022م

- عمل كمدرب دولي في إدارة المشاريع الثقافية وصون التراث الثقافي وإعداد الدراسات الثقافية وقام بالتدريب في كلٍّ من:



- تدريب عدد عشرين باحثًا وباحثة في سوريا مدينة القامشلي (مؤسسة مالفا للفنون) 2022م للتعريف بالتراث الثقافي المادي وغير المادي بالإضافة إلى الإشراف على مشروع لإعداد بحثين من إنتاج الورشتين والإشراف عليهما لمدة شهرين الأول بعنوان:

1- (الآلات الموسيقية في منقطة القامشلي والصناعات الإبداعية والمناسبات المرتبطة بها والمعوقات البيئية المؤثرة عليها.

2- (الأكلات الشعبية في منطقة القامشلي والصناعات الإبداعية والمناسبات المرتبطة بها والمعوقات البيئية المؤثرة عليه.

-شارك كخبير في التراث الثقافي اليمني في (معرض بين ثقافتين) والذي أقيم في الرياض للتعريف بتراث المملكة العربية السعودية وتراث اليمن 2023م.

- حصل على منحة تدريب خبراء إعداد ملفات وقوائم حصر التراث الثقافي غير المادي في اليمن ضمن ورشة تدريبية لإعداد ١٥ خبير يمني برعاية منظمة الإيسسكو القاهرة 2024م.

التكريمات

- حاصل على درع ضمن الشباب الأكثر تأثيرًا في الوطن العربي 2017م القاهرة.

- فائز بجائزة لوتس للقصة القصيرة القاهرة مؤسسة لوتس للتنمية الثقافية 2017م

- المركز الأول في مسابقة الفن التشكيلي سفارة الجمهورية اليمنية بالقاهرة.

- فاز بجائزة الفنان عبد الإله البعداني للفنون التشكيلية 2021م.

- حصل على المركز الأولى ضمن خمسة مشاريع فائزة بمنحة الفاعلين الثقافيين في مجال بناء القدرات في التراث الثقافي غير المادي بيروت 2021م.

- حاصل على أكثر من عشرين تكريم بشهادات في مجال الفنون والتراث الثقافي غير المادي من اليونسكو ووزارة الثقافة وعدد من الجهات الحكومية والدولية.



- اشرف على مشروع إعادة إنتاج الأزياء التقليدية اليمنية مؤسسة سبأ للثقافة والفنون والذي قام بإعادة إنتاج أكثر من خمسين زي تقليدي يمني بهدف التعريف بتراث الأزياء التقليدية اليمنية.

المعارض التشكيلية الشخصية

- معرض تشكيلي بعنوان (في حب مصر واليمن) جمع 60 لوحة بعنوان- دار الأوبرا المصرية 2019م.

- معرض تشكيلي بعنوان (مقتطفات يمنية) 40 لوحة - القاهرة - أكاديمية الفنون عام 2018م

- معرض تشكيلي بعنوان (اليمن تأريخ عريق) – الهناجر - دار الأوبرا المصرية -2017م.

- معرض تشكيلي بعنوان (اليمن مهد الحضارة)- دار الأوبرا المصرية- قاعة الهناجر- /2016م.

المعارض المشتركة

- شارك في أكثر من معرض تشكيلي وثقافي في كلٍّ من مصر وبريطانيا ولبنان وأمريكا.

- شارك في تنظيم معرض قافلة الفن التشكيلي اليمني.

- شارك في عدد من المعارض في الفنون والثقافة بعنوان(الفن من أجل السلام) وزارة الشباب والرياضة ووزارة الثقافة.

- شارك في عدد من معارض الكتاب في عدد من الدول العربية وأشرف على نشر أكثر من مائة كتاب يمني وعربي بهدف نشر الكتاب والثقافة والأدب.

الكتب والأبحاث

- صدر له كتاب بعنوان (فنون التشكيل الشعبي في اليمن) مكتبة خالد بن الوليد- وفرعها الدار اليمنية للكتب والتراث القاهرة 2020م.

- صدر له كتاب بعنوان(حكايات من التراث الشعبي اليمني) مكتبة خالد بن الوليد- وفرعها الدار اليمنية للكتب والتراث القاهرة 2020م.

-صدر له مجموعة قصصية بعنوان(المُهرب) 2018 القاهرة عن دار روافد للنشر.

- بحث منشور بعنوان (اليمن وإفريقيا جسور التواصل الثقافي والفني) مؤتمر الفن الإفريقي أيقونة الإبداع الإنساني-أكاديمية الفنون في القاهرة - 2019م.

- بحث منشور بعنوان(الفخار الشعبي في اليمن) مجلة الثقافة الشعبية البحرينية العدد 48 شتاء 2020م

- بحث منشور بعنوان(إفريقانية المرأة في المناطق الساحلية من اليمن). مؤتمر المرأة الإفريقية أيقونة القارة السمراء- أكاديمية الفنون القاهرة 2020م

- بحث منشور في مجلة الثقافة الشعبية البحرينية بعنوان – نوافذ الزجاج الملون (القمريات) في اليمن.

- يكتب مقالات في الفن التشكيلي والثقافة الشعبية في مجلة أقلام عربية ومجلة أبجديات.

- لدية العديد من المقابلات التلفزيونية في مجال الثقافة والفنون.

- هاتف + واتساب: (00201092307884).

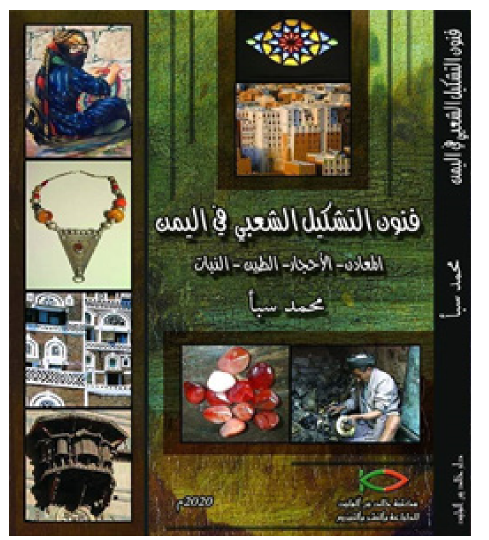
- بريد إلكتروني فيس بوك: mohmadsaba@yahoo.com.

- بريد إلكتروني - جيميل: mohmdsaba٩٩@gmail.com.

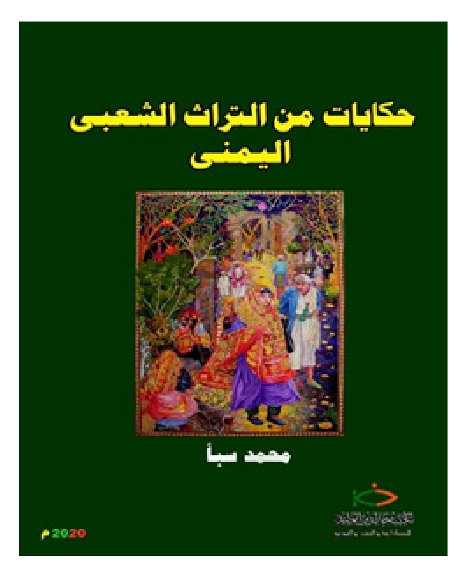
- صور أغلفة دراسات ومؤلفات الباحث:



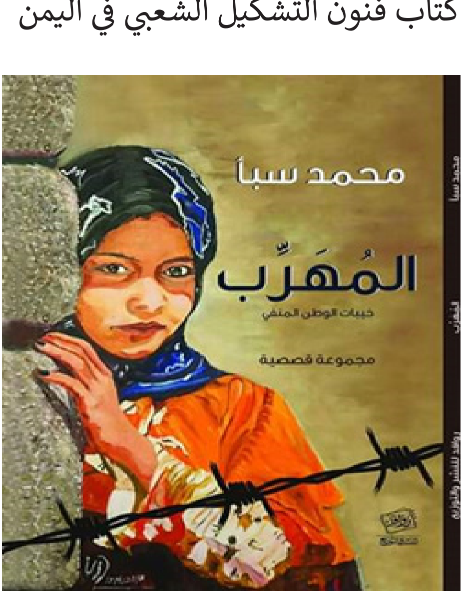
عنوان رسالة ماجستير الباحث



كتاب فنون التشكيل الشعبي في اليمن



كتاب حكايات من التراث الشعبي اليمني



كتاب مجموعة القصصية (المهرب)





السيرة الذاتية لأستاذ دكتور نزار غانم



بروفسور نزار محمد عبده غانم (السوماني).

الوظيفة: أستاذ الطب المهني والبيئي بجامعة الأحفاد للبنات أمدرمان.

للتواصل مع المؤلف:

hccyemen@gmail.com

إنتاج منشور:

- جذور الأغنية اليمنية في أعماق الخليج، دمشق، 1987م.
- بين صنعاء والخرطوم، بيروت، 1989م.
- تداعيات الغربة، دمشق، 1991م.
- أغنيات الشاعر اليمني محمد عبده غانم، بيروت، 1993م.
- جسر الوجدان بين اليمن والسودان، دمشق، 1994م.
- مصادر دراسة الطب البديل في اليمن، صنعاء، 2001م.
- الرقصات الإفرويمنية، صنعاء، 2007م.
- إعداد برنامج (بين أغنيتين)، إذاعة صنعاء، 1986م.



- إنتاج مشترك للأسطوانة (اليمن)، سلسلة موسيقى الإسلام العالمية، شركة سلسشيال هامونيز1999م.

- إعداد ورقة عن الموسيقار الكويتي عبد الله الفرج، مهرجان أيام مؤسسة البابطين الثقافية، الكويت، 2002م.

- إعداد المكون الموسيقي بالتقرير العربي الرابع للتنمية، مؤسسة الفكر العربي، بيروت،2011 م.

- إعداد ورقة الآصرة الموسيقية بين اليمن والهند، وقائع الندوة حول العلاقات العربية الهندية عبر العصور في التاريـخ والفن والثقافة، أبو ظبي، 2012م.

- إعداد ورقة طب الفنون الأدائية، المؤتمر الدولي للصحة المهنية، دبي، 2013م.

- إعداد برنامج (من ينابيع الموسيقى اليمنية)، إذاعة صوت الخليج قطر، 2014م.

- مؤلف مشارك للفصل الثالث من كتاب (العود اليمني)، باريس، 2013م.

- إعداد ورقة استخدام الفن في محاربة ختان الإناث في اليمن، المؤتمر الدولي لتبادل المعارف حول صحة الفتيات والنساء في السودان، الخرطوم، أكتوبر 2015م.

- (ديوان الأصدقاء) قصائد مهداة للدكتور نزار غانم، القاهرة، 2023م

- (الوسواس القهري والأداء المهني)، القاهرة،2024 مظ,

- (في الثقافة الإفرويمنية) كتاب مشترك، القاهرة،2024 م.

- (جيوب المقامية الموسيقية العربية في الغناء الشعبي السوداني)، معهد الشارقة للتراث، الشارقة 2024م.

https://www.academia.edu/94585440/Between_Yemen_Sudan_and_Beyond_An_Interview_with_Dr_Nizar_Ghanem?email_work_card=title



في الطريق للنشر:-

- (طب الأمراض الأدائية... تجربة عربية من اليمن).

أنشطة ثقافية:

- تنظيم مشترك لأول ندوة علمية للموسيقى اليمنية بصنعاء، 1997م.

- تنظيم مشترك لأول مؤتمر عام للمنظمات غير الحكومية بصنعاء، 1998م.

- تنظيم أول ملتقى تشاوري لنشطاء الصحة النفسية بصنعاء، 2000م.

- تأسيس أول عيادة مجانية للمبدعين بصنعاء، 1992م.

- تقديم محاضرات في مراكز الدراسات الشرقية بالجامعات الأمريكية 3991م، والبريطانية 1994م. والنرويجية 1998م. والماليزية 2015م.

- تنظيم مشاركة اليمن الموسيقية بمهرجان رافينا بإيطاليا 9991م ومهرجان الشرق بالسويد 2002م، وتنظيم الفقرة الموسيقية بمهرجان المتحف البريطاني بلندن، 2002م.

- مستشار ثقافي مساعد بسفارة اليمن بالسودان 2002-2006م.

- مستشار العمل الطوعي، وزير الصحة العامة والسكان، صنعاء، 1988م.

- عضو الهيئة الاستشارية لمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، الخرطوم

- عضو فخري بالهيئة الاستشارية للمعهد الأمريكي للدراسات اليمنية.

*****

الفهرس





*****